2271
.408842
.361

v.2

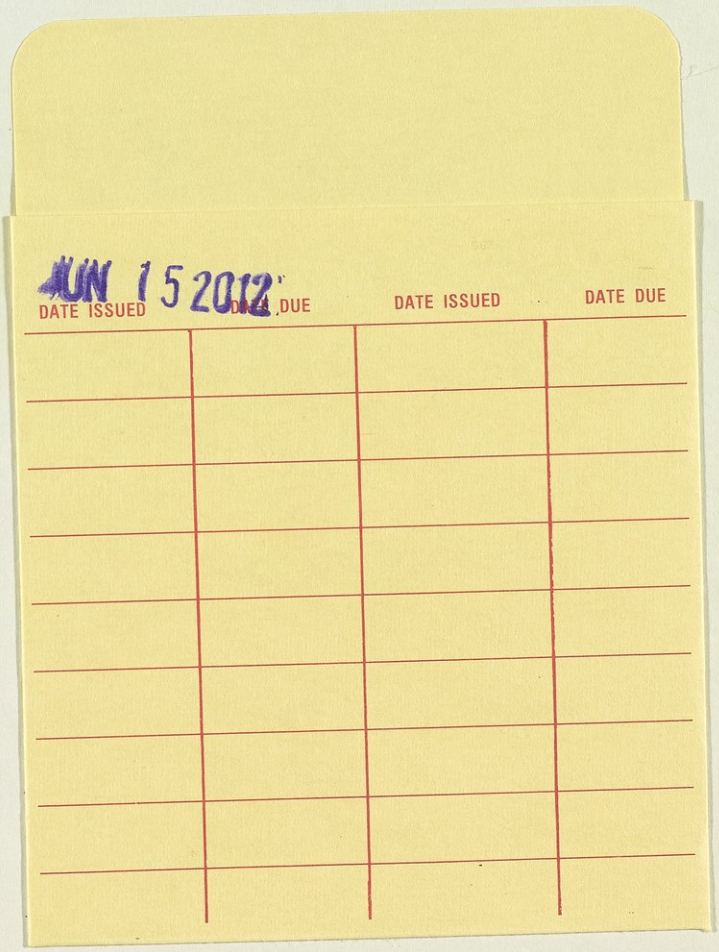

Princeton University Library
32101 072549478

Ibn al-Hajj al-Abdari

A

al-Madkhal

(فهرست الجزء الثاني من كتاب المدخل لابن الحاج)

صحيفة	
٣	فصل في ذكر آداب المتعلم
١١	فصل في أوراد طالب العلم
	فصل في زيارة الأولياء والصالحين وفيه الكلام على متصوفة
١٦	هذا الزمان والشيخات على زعمهن
	فصل في الاشتغال بالعلم يوم الجمعة وفيه الكلام على القصاص
٢١	بزيادة على ما تقدم والكلام على آيات وأحاديث مشكلة الظاهر
٣٨	فصل في تحفظ طالب العلم من العمل على المناصب والتشوف اليها
	فصل في العدالة وفيه مباحث رائقه وتنبيهات فائقه في كتب
٣٣	الصدائق والكلام على الشهود وغير ذلك
٣٩	فصل في آداب العلم والمتعلم في بيته مع أهله زيادة على ما سبق
٤٤	فصل في دخول المرأة الحمام
٤٦	فصل في تعليم لزوجة أحكام الغسل وما تحتاج اليه فيه
٤٨	فصل في دخول الرجل الحمام والكلام على آداب النوم
٥٤	فصل في آدابه عند الاجتماع بأهله وفيه مباحث
٦٠	فصل منه
٦١	فصل في التحذير من وطء امرأته أو جاريته في دبرها
٦٣	فصل في التحذير من تصور المرأة الاجنبية عند جماع أهله
٦٤	فصل في التحذير من التحدث بما يقع بينه وبين زوجته
٦٥	فصل فيما يفعله عند استيقاظه من نومه زيادة على ما سبق
٦٦	فصل في التحذير من أن يزور شيخه في أوقات العبادات
٦٧	فصل في نبذ بقيت لم تذكر بعد
٦٨	فصل في نية الامام والمؤذن وآدابهما
	فصل في ذكر بعض البدع التي أحدثت في المسجد والامر بتغييرها
٧٠	ومنها الخطابة في القبلة والكلام على المقاصير والدرابزين
	فصل في الكرسي الكبير الذي يوضع فيه المصحف

2271
.408842
.361

v.2

صحيفة	
٧٣	والكلام على الصنادق ودكك المؤذنين وغير ذلك
٧٥	فصل آداب المؤذنين مجتمعين وما أحدثوه فى ذلك
٧٧	فصل فى الدكة التى تحت الدكة وفيه ابحاث شريفة
٧٨	فصل فى المنبر العالى وفيه ابحاث مطلوبة
٧٨	فصل فى البئر تكون فى المسجد
٧٩	فصل فى الفسقية والحظير والطبقة
٧٩	فصل فى موضع الديوان
٧٩	فصل فى زخرفة المحراب وغيره
٨٠	فصل فى التازير فى جدار المسجد
٨٠	فصل فى المبيت فى المسجد والسكن
٨١	فصل منه
٨١	فصل فى البيوت التى على سطحه
٨٢	فصل فى الوضوء فى المسجد وصحنه وسطحه
٨٢	فصل فى المراوح فيه وزيارة المعتكف
٨٣	فصل ويتأكد على امام المسجد أن لا يجلس الى القصاص
٨٤	فصل فى المصافحة خلف الصلوات
٨٤	فصل فى منع القراء والفقراء والذاكرين حين اتيانهم بالميت للصلاة عليه فى المسجد والنداء على الجنازة على بابه وفيه مباحث
٨٧	فصل فى رفع الصوت حال الخطبة وفيه مطالب بالهامش
٩٨	فصل فى منع الزبالين فى أوقات الصلاة وفيه تنبيه على أمور مطلوبة وابحاث واردة
١٠٢	فصل فى موضع الاذان
١٠٣	فصل فى الاذان جماعة زيادة على ما تقدم
١٠٥	فصل فى الاذان بالالحان
١٠٦	فصل فى الاذان فى المسجد زيادة على ماسبق
١٠٦	فصل فى الطواف بالمؤذن اذا مات

صحيفة

١٠٧ فصل فى أذان الشاب على المنار

١٠٨ فصل فى النهى عما أحدث بالليل من غير السنة وفيه نبذة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك

١١٢ فصل فى التبخير فى شهر رمضان وفيه ابحاث

١١٥ فصل فى اختلاف العوائد فى التبخير وفيه تنبيه وسؤال وارد وجوابه وفيه أقسام البدع والكلام على تعليق القوانيس

١١٦ فصل فى التذكار يوم الجمعة وفيه ابحاث

١١٨ فصل فى حكمة ترتيب الاذان

١١٩ فصل فى نهى المؤذنين عن قولهم الصلاة رحمكم الله وغيره على باب المسجد

١٢٠ فصل فى نهيهم عن قراءة ان الله فالق الحب الخ ما قاله

١٢٠ فصل فى نهيهم عن النداء على الغائب بما لا ينبغى وفيه سؤال وجواب

١٢٠ فصل فى نهيهم عن المشى أمام الجنازة

١٢١ فصل فى عقد النكاح وفرش البسط فى المسجد وغير ذلك

١٢١ فصل فى نهى الامام للجمعة

١٢٢ فصل فى ذكر الاشياء التى يجتنبها الامام فى نفسه

١٢٣ فصل فى خروج الامام على الناس يوم الجمعة

١٢٣ فصل فى نهى المؤذنين عما يفعلونه عند خروج الامام

١٢٣ فصل فى صعود الامام على المنبر

١٢٣ فصل فى كيفية صعوده على المنبر

١٢٤ فصل فى فرش السجادة على المنبر وآداب مطلوبة

١٢٦ فصل فى اسلام الكافر فى حال الخطبة وما فى ذلك من البدع

١٢٧ فصل فيما يقوله الخطيب بعد فراغه منها وما يفعله عند الصلاة

١٢٩ فصل فى دخوله للصلاة وفيه مسائل

١٣٠ فصل فى النهى عن الجهر بالنية وغير ذلك وفيه مسائل وآداب

١٣٥ فصل فى الصلاة على الميت فى المسجد

صحيفة

١٣٦ فصل فى خروج الامام الى صلاة العيدين ومافى ذلك من البدع

١٣٨ فصل فى التكبير عند الخروج الى المصلى ومافيه من البدع

١٤٠ فصل فى التحفظ من النجاسة فى المصلى

١٤١ فصل فى سلام العيد

١٤١ فصل فى خروج النساء الى صلاة العيد

١٤١ فصل فى انصراف الناس من صلاة العيد

١٤٢ فصل فى صلاة العيد فى المسجد

١٤٢ فصل فى التكبير أثر الصلوات الخمس فى أيام العيد

١٤٢ فصل فى صلاة التراويح فى المسجد

١٤٤ فصل فى صفة الامام فى قيام رمضان

١٤٥ فصل فى الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح

١٤٧ فصل فيما يفعل فى ليلة الختم

١٤٦ فصل فى قيام العشر الاواخر من شهر رمضان

١٤٦ فصل فى الخطبة عقيب الختم والدعاء وآداب وفيه ابحاث

١٤٩ فصل فى القيام عند الختم بسجدات القرآن

١٤٩ فصل فى قيام السنة كلها

١٥٠ فصل فيما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغى

١٥٢ فصل فى وقود القناديل ليلة الختم ومافيه من البدع

١٥٥ فصل فى آداب المؤدّب

١٥٩ فصل فى ذكر اسباب أولياء الصبيان

١٦٠ فصل فى صفة توفيته أى المؤدّب بما نواه

١٦١ فصل فيما يأمر به المؤدّب الصبى من الآداب وآداب مطلوبة من المؤدّب

١٦٨ فصل فى انصراف الصبيان من المكتب والتنبيه على بدع مشهورة

١٧٧ فصل فى تزويق الالواح ومافى ذلك من البدع والكلام على انتقال الصبى من كتاب الى غيره

١٧٩ فصل فى ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه

Candles in mosques

صحيفة

١٨٠ فصل فى الغنيمة
١٨٠ فصل فى حكم الاسارى
١٨٠ فصل فى الاوصاف الموجبة للجزية
١٨٠ فصل فى حكم المرتدين
١٨١ فصل فى قتال الفئة الباغية
١٨١ فصل فى حكم المحاربين ويليه الكلام على مايلزم المجاهدين وما جاء فى فضل المجاهد
١٩٢ فصل فى الرمى وفضيلته
١٩٢ فصل فى الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها
١٩٤ فصل فى فضل الشهادة وفى ضمنه فوائد
١٩٩ فصل وينبغى للمجاهد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار
١٩٩ فصل فى آداب الفقير المنقطع التارك للاسباب وكيفية نيته وهديه
٢٠٥ فصل منه
٢١٠ فصل عنه
٢١٢ فصل فى الرياء وما يتعلق بالنية
٢٢٨ فصل فى الصدق والعقل
٢٣٢ فصل فى ذكر الطمع وقبحه
٢٣٣ فصل فى التزين
٢٣٥ فصل فى الغيبة والنميمة
٢٣٦ فصل فى الاستدراج
٢٣٧ فصل فى اليقين
٢٣٧ فصل فى العجب
٢٣٧ فصل فى التواضع
٢٣٨ فصل فى النية والعبادة
٢٣٩ فصل فى العلم
٢٤١ فصل فى عيوب النفس

صحيفة

٢٤١ فصل فى الاشياء التى يستعين بها على معرفة عيوب نفسه
٢٤٢ فصل فى الحزن والخوف
٢٤٣ فصل فى الزهد والخلوة
٢٤٧ فصل فى معرفة أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير
٢٤٨ فصل فى كيفية تهوين سلوك الطريق والوصول بعون الله تعالى وفيه الكلام على مراتب الزهد
٢٥٥ فصل فى السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز
٢٥٧ فصل منه وفيه فوائد
٢٦٠ فصل فى السماع فى المسجد والرقص والغناء الخ
٢٦٦ فصل فى الدليل على منع الغناء من الاستنباط
٢٦٧ فصل فى الرد على من قال نحن ممن لا يسمع بالطبع الخ
٢٦٨ فصل فى سؤال وجواب
٢٦٩ فصل منه وما حكى فى ذلك عن مشايخ الصوفية
٢٧٠ فصل فيما استدل به متصوفة هذا الزمان على اباحة الغناء
٢٧٠ فصل فى قراءة القرآن بالالحان زيادة على ما تقدم اوّل الكتاب
٢٧٢ فصل فى التنافس فى ألوان الاطعمة وما فى الشبع من الذم
٢٧٣ فصل فى منع المردان فى المجالس والنظر اليهم وحكم الاوطية
٢٧٦ فصل فى الدف والرقص بالرجل وكشف الرأس وتخريق الثياب
٢٧٧ فيما جرالية تمزيق الثياب من اضاعة المال والكلام على الغناء زيادة على ما سبق
٢٧٩ فصل فى شروط السماع الخ
٢٨١ فصل فى تصرف المريد المنقطع
٢٨١ فصل فى تحفظه على الخرقة المنسوب اليها واقسام الاجتماع
٢٨٥ فصل فى مواضع قبول الدعاء وفى آخره الكلام على القسم الثالث من أقسام الاجتماع
٢٨٨ فصل فى الخلوة عن الناس

صحيفة

٢٩١ فصل واكد ما عليه فى خلوته النظر فى الجهة التى يقتات منها وفيه مسائل نفيسة
٢٩٤ فصل فى النهى عن الاشتغال بالكيمياء وما يترتب عليها من المفاسد والكلام على البركة وحكاية بعضهم فى ذلك
٢٩٩ فصل منه وفيه الكلام على الكيمياء حقيقة وانها هى الرجوع الى الله
٣٠٢ فصل فى دخول المريد الخلوة
٣٠٢ فصل فى آداب الخلوة وفيه مسائل لائقة بالباب
٣٠٨ فصل اذا اجتمع للمريد مشايخ
٣٠٨ فصل ينبغى له ان يكون اشد الناس نظرا الى نعم الله عليه الخ
٣١٠ فصل وينبغى له ان يكون عارفا بالخواطر
٣١١ فصل جامع لبعض آداب السلوك الخ
٣١٦ فصل وينبغى للمريد أن يتفقد حاله فى الاجتماع باخوانه
٣١٧ فصل فى آداب صحبة الاعضاء
٣١٨ فصل فى الآداب الباطنية
٣١٨ فصل فى بيان الاخوان
٣٢١ فصل من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى فى آداب تتعلق بالمريد
٣٢٤ فصل واذا كان للمريد أولاد فينبغى ان لا يهمه شأنهم الخ
٣٢٤ فصل فى ابتلاء المريد بالاجتماع بالناس وفيه وصايا
٣٢٩ فصل وينبغى للمريد ان تكون أوقاته مضبوطة الخ
٣٣٣ فصل فى قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط وفيه الكلام على ما اصطلحوا عليه من البدع فى هذا الشان من العكاز والسجادة وغير ذلك
٣٤٠ فصل واعلم ان طريقة الصوفية نظيفة واقل شئ يدنس النظيف

صحيفه

٣٤١ فصل فى بعض المتشبهين بالمشايخ واهل الارادة وفيه الكلام على الزعبلة وغيرهم من اهل البدع
٣٤٩ فصل فى ادعاء المشيخة ممن ليس من اهلها
٣٥١ فصل فى اخذهم العهود على الناس
٣٥١ فصل فى تعليق السبحة فى العنق وما فيها من المنهيات
٣٥٣ فصل فى المبالغة فى اخذ العهود حتى ادعوا ان الشيخ له التصرف فى مال المريد الخ وغير ذلك من البدع
٣٥٨ فى احوال المعتقدين فى هؤلاء المشايخ
٣٦٣ فصل فى مكاتبة الفقير لاخيه
٣٦٤ فصل فى صرف همم المريد كلها الى امور الآخرة
٣٦٤ فصل فى ذكر شئ من احوال النبى صلى الله عليه وسلم

E

الجزء الثانى من كتاب المدخل للعارف
بر به سيدى محمد العبدرى
الشهير بابن الحاج
نفعنا الله به
آمين

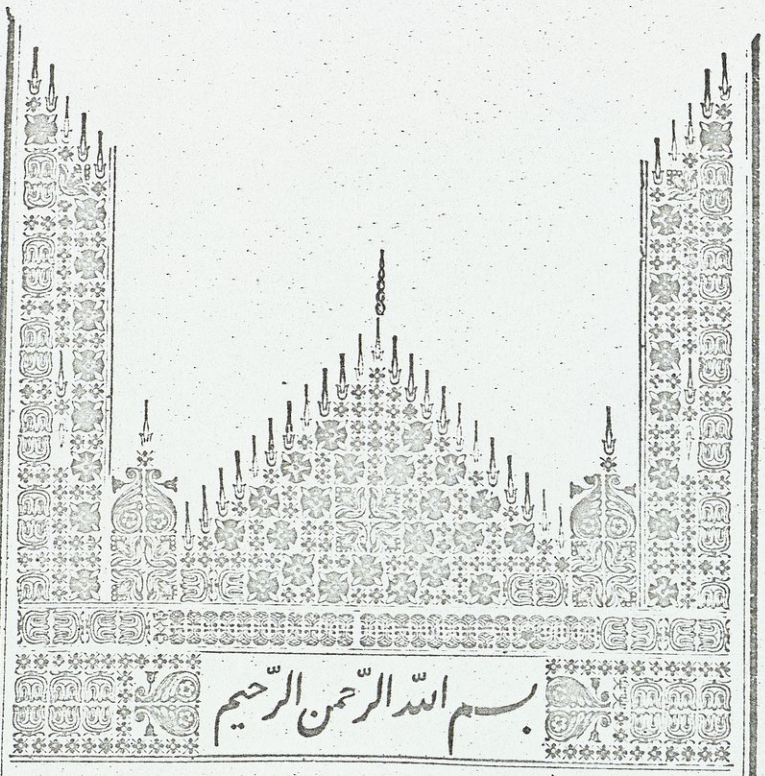

بسم الله الرحمن الرحيم

* (فصل فى آداب المتعلم) * قد تقدم رحمنا الله تعالى واياك ذكر بعض آداب العالم وفى ذكره غنية عن ذكر آداب المتعلم اذ أن الغالب فيما ذكر اشتراكهما فى ذلك (لكن) قد يختص المتعلم ببعض تنبيه ينبغى التنبيه عليها (وقد) تقدم فى العالم أن تكون نيته فى التعليم لله تعالى وان يظهر الحق على نفسه وعلى غيره على ما تقدم ذكره (ثم) هو فى حق المتعلم آكد لانه فى أول أمره متصف بالجهل فيحرص على تخليص نيته من الشوائب فى نفسه وهو أن يقصد بذلك وجه الله تعالى لا لأجل ان يرتفع قدره عند الناس او يعرف بالعلم أو المعلوم يأخذه به أولأن يرأس به على الجهال أولان يشار اليه أولأن يسمع قوله الى غير ذلك من الحظوظ المذمومة شرعا التى تخرجه عن أن يكون لله تعالى بل يفعل ذلك خالصا لوجه الله عز وجل لا يريد غير ذلك (ألا ترى) الى ما ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام اخبارا عن ربه عز وجل حيث يقول سبحانه وتعالى ان اتصف ببعض ما ذكر

انا أغنى الشركاء اذهب فخذ الاجر من غيري (ولا) تختلف العلماء أن العلم أفضل الاعمال بعد الايمان بالله عز وجل واذا كان أفضل الاعمال فيتعين تخليصه لله تعالى فيبتدئه أولا بالاخلاص المحض حتى يكون الاصل طيبا فتأتي الفروع على هذا الاصل الطيب فيرجى خيره وتكثر بركته والقليل من العلم مع حسن النية فيه أنفع وأعظم بركة من الكثير منه مع ترك المبالاة بالاخلاص فيه (ومن) مراقي الزلفى للقاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قال بعض السلف من طلب العلم لوجه الله لم يزل معانا ومن طلبه لغير الله لم يزل مهانا اه (هذا) اذا كان هو الداخل بنفسه لطلب العلم فان كان وليه هو الذي يرشده لذلك فيتعين على الولي ان يعلمه النية فيه وليحذر أن يرشده لطلب العلم بسبب ان يرأس به أو يأخذ معلوما عليه الى غير ذلك مما تقدم ذكره فان هذا سم قاتل يخرج العلم عن ان يكون لله تعالى بل يقرأ ويجتهد لله تعالى خالصا كما تقدم ذكره فان جاء شئ من غيب الله تعالى قبله على سبيل انه فتوح من الله تعالى ساقه الله اليه لا لأجل اجارة أو مقابلة على ما هو بصدده اذ أن أعمال الآخرة لا يؤخذ عليها عوض (وقد) روى ان يحيى بن يحيى راوي الموطأ ان جاء الى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بني فانه قد جاء شاب في سنك فقرأ على ربيعة فما كان الا أيام وتوفي الشاب فحضر جنازته علماء المدينة ولحده ربيعة بيده ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة في النوم وهو في حالة حسنة فسأله عن حاله فقال غفر الله لي وقال للائكته هذا عبدي لان كانت نيته ان يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجتهم فانا معهم أنتظر ما ينتظرون قال فقلت وما ينتظرون قال الشفاعة يوم القيامة في العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (واذا كان) ذلك كذلك فينبغي له أن لا يسعى لطلب المعلوم ولا في زيادته ولا في تنزيله في المدارس ولا في الوقوف على أبواب من يرجى ذلك منهم فان فعل شيئا مما ذكر كان ذلك قدحا في نيته ووقع عليه الذم بنص كتاب الله تعالى حيث يقول سبحانه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (ولا) يخرج من المدرسة الى غيرها ولا من المسجد الى غيره الا لفائدة من زيادة العلم اما لأن يكون مدرس المدرسة الاخرى أعلم أو أفيد أو أصلح

87653

من الاول أولا أن تتكرر عليه مسائل العلم وتثبت وان كان الثانى أقل علما من الاول لاجل معلوم فانه اذا فعل غير ماذكر كان قد حاف نيته كما تقدم والمبتدى يحتاج الى تخليص نيته أكثر من المنتهى لان المنتهى عارف بالدسائس التى تدخل عليه ان حصل له التوفيق له بخلاف المبتدى (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغى أخذ المعلوم مع اشتغاله بالعلم لوجه الله تعالى على ماسبق (اللهم) الا أن لا يقدر على تخليص نيته لله تعالى لبقاء تعلق خاطره بالاسباب وبأخذ المعلوم فان كان كذلك فترك العلم والتعليم أولى به لانه ان فعل ذلك وقع فى بحر مخوف والغالب فيه العطب (لما) ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد تقدم ان أفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى تعلم العلم فيخاف عليه فتركه أولى به فان اضطر الى مسئلة فليسأل عنها أهل العلم وحينئذ يقدم عليها (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى اذا علمت علما فليرعليك أثره وسمته وسكينته ووقاره وحلمه لقوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء ومن ابن يونس وذكر أيضا عن مالك انه قال لم يكونوا يهذرون الكلام هكذا ومن الناس من يتكلم بكلام شهر فى ساعة واحدة (ولا) حجة لأحد فى قول من قال من العلماء طلبنا العلم لغير الله تعالى فأبى العلم ان يكون الا لله (والجواب) عنه من وجهين (أحدهما) وهو الظاهر انه كان أولا جاهلا لا يعرف ما يلزمه من الوظائف الشرعية فلما ان قرأ العلم وجد قواعده ماشية على خمسة اقسام واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحرم فلما ان علم الواجب لم يسعه الا فعله وكذلك المحرم عكسه والمندوب ماله فى فعله ثواب وليس عليه فى تركه عقاب والمكروه ضده والمباح ما استوى طرفاه فالمكلف مخير فى فعله وفى تركه فاتبع العلم وباتباعه صار لله تعالى لان نيته كانت محرمة عليه أولا فوجد العلم يمنعها فتركها وقد نقل معنى هذا القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله تعالى فى مراقى الزلفى له فقال قال بعض العلماء العلم من الله والعمل لله وان الرجل ليطلب العلم لغير الله فيرده العلم الى الله فان العلم يأبى ان يكون الا لله اه هذا وجه (الوجه الثانى) ان هذا

انسان غرفسلم ولايمكن لعاقل ان يغر بنفسه ويرجوان يسلم (فان) قال قائل قد تدعو الضرورة وهو الغالب الى طلب المعلوم والى الجمع بين مدارس جملة لاجل قيام البنية وضرورات البشرية (فالجواب) ان هذا الباب منه وقع الخلل ورجعت أعمال الآخرة لمجرد الدنيا وهو عطب عظيم اذ أن الدنيا لاتطلب بعمل الآخرة (واذا كان) ذلك كذلك فلا يخلو طالب العلم من أحد أمرين اما أن يكون قويا في دينه واثقا بربه أولا يكون كذلك (فان) كان الاول فاشتغاله بالعلم واقباله عليه أولى به من أن يدور على المدارس أو غيرها الان الله تعالى قد تكفل برزقه خصوصا كما تقدم (فان) احتج محتج بقوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فجعل المشي سببا للرزق (فالجواب) انك اذا نظرت الى تمام الآية من قوله تعالى واليه النشور بان لك ان اخر الآية الكريمة فيه التنبيه للمتسببين على التحفظ فيما يحاولونه من الاسباب كلها اذ أن يوم النشور فيه الحساب ففي ذلك اشارة الى الورع في السبب خيفة من الحساب والمناقشة يوم النشور الاترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لاتزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه اه (وقد) ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير في جو السماء تغدو خماصا وتروح بطانا اه فارشدنا صلى الله عليه وسلم بقوله هذا الى ترك الاسباب الدنيوية والاشتغال بالاعمال الاخروية ثقة بالله تعالى وبكفايته فانه العليم الخبير الكريم (فان) احتج محتج بقول من غلب عليه الشغف بالاسباب فقال طيران الطائر سبب في رزقه (فالجواب) ان طيران الطائر في الهواء لايماثل التسبب في الرزق لان الهواء ليس فيه حب يلتقط ولا جهة تقصد (الاترى) انه ينزل في مواضع شتى ليس فيها شئ ولا عقل له يدرك به فدل على ان طيرانه في الهواء ليس هو من باب طلب الرزق وانما هو من باب حركة يدا مرتعش لاحكم لها فتردد في الهواء حتى يؤتى برزقه اليه أو يؤتى به الى رزقه وهذا الذي يتعين حمل طيران الطائر عليه أعني في أنه لاحكم له في الرزق ولا ينسب اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم سماه متوكلا

مع طيرانه ولذلك مثل به والعاقل المكلف أولى بالتوكل منه سيما من دخل في باب الاشتغال بأفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى وهو طلب العلم كما تقدم (وان) كان من القسم الثاني وهو العاجز عن التوكل لعدم قوة اليقين عنده فالاسباب عليه متسعة فيتسبب في شيء يستعين به على طلب العلم وهو أولى به بل أوجب من أن يأخذ أو ساخ الناس يستعين بها على طلب العلم الشريف ويكفيه مع ذلك القليل من العلم وقد يبارك له فيه فيصير كثيرا وعلى هذا كان حال السلف رضوان الله عليهم أجمعين في كونهم لم يكن لهم معلوم على سبب من أسباب الآخرة وانما حدثت الارزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ومنه دخل الفساد على كثير ممن تعاطى أسباب الآخرة (ومن) كتاب سير السلف الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال ذو النون المصري رحمه الله كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على العلم واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة اصلاح في باطنه وظاهره فاليوم ترى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر انتهى (فان) قال قائل انه لا يمكن طالب العلم التسبب في الصنائع لانه قد يخرج به عن سمته ووقاره وزيه (فالجواب) ان هذا أيضا من البدع التي أحدثت لان السلف رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن عندهم فرق في الزي ولا الملبس لفقيه ولا لغيره (ومن) كتاب القوت قال علي رضي الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره (وعوتب) رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل عن أطراف أصابعه فقال هذا أدنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلمون (ونهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ألا ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين (وقال) بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام اه (ألا ترى) الى قصة عمر بن الخطاب رضي الله

عنه

عنه فى ثوبه الذى كان فيه احدى عشرة رقعة احداها من أديم هذا وهو أمير
المؤمنين فما بالك بغيره (فان) قال قائل كان ذلك فى زمان لائق بهم وهذا
زمان لا يليق به ماذكرتم (فالجواب) ان الزمانين بالنسبة الى الشريعة
المطهرة سواء اذ ان الكل عمهم الخطاب وتناولتهم الاحكام الشرعية كما
تقدم وقد تجد كثيرا من أهل هذا الزمان متصفا بتلك الاوصاف الجليلة
شرعا و يجلها وقد مضت حكاية الشيخ الجليل ابن عبد السلام رحمة الله عليه
فى تواضعه فى تصرفه وكذلك حكاية الشيخ الجليل المعروف بالزيات رحمه الله
وما جرى له وكان من أكابر العلماء والصلحاء فى وقته وفى هذا الوقت ببلاد
المغرب بعض العلماء اذا جلس الى الدرس يجتمع له نحو من أربعمائة أو ستمائة
من الفقهاء يحضرون عليه فاذا فرغ من مجلسه قام ودخل بيته وأخرج
ما يحتاج اليه على رأسه أو فى يده من قمح يطحنه أو عجين يخبزه أو شراء
خضرة أو حاجة من السوق أو حصاد لزرعه بيده أو غسل ثياب الى غير ذلك
من الحوائج وله من الهيبة بحيث لا يتجاسر أحد من الطلبة أو غيرهم أن
يحلف عليه فالخير والحمد لله باق ان أراده وتحصيله ممكن وانما بقى التوفيق
فمن وفق وترك العوائد الرديئة والطبائع النفسانية فقد أرشد وجاءه العون
قال عليه الصلاة والسلام لا تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من
خالفهم حتى يأتى أمر الله وفى رواية أخرى طائفة بالمغرب اه مع ما ورد من
قوله عليه الصلاة والسلام أمتى مثل المطر لا يدرى أيه انفع أوله أو آخره أو
كما قال عليه الصلاة والسلام فلا يقطع المرء المسلم الاياس من هذا الخير
العظيم فانه والحمد لله باق الى يوم القيامة بفضل الله تعالى وكرمه وقد رأيت
و باشرت بعض طلبة العلم بالمغرب يأخذون المسحاة و يأتون الى موقف
المنائين فان حصل لهم سبب مشوا فيه يومهم ذلك والا رجعوا الى الدرس
والاشتغال الى غير ذلك مما قد يطول ذكره (فالحاصل) من هذا أن يدخل
المتعلم الى تعلم العلم بجد واجتهاد وحسن نية وترك الالتفات الى العوارض
والاسباب والعوائد التى انتحلت فى هذا الزمان وهو مخير فى الاسباب
الشرعية هل يقدم عليها أو يتركها ثقة بربه عز وجل كما سبق (وقد) تقدم
فى العالم ان من صفاته التواضع لمن يعلمه واذا كان ذلك مطلوبا فى العالم فمن

باب أولى فى المتعلم المحتاج الى التعليم فينبغى له أن يكون تواضعه أكثر حتى لو صار أرضا توطأ كان قليلا بالنسبة الى ما هو يطلبه ولأن بالتواضع يقبل بالقلوب عليه وينشط من يعلمه لتعليمه وارشاده والتواضع أصل كل خير وبركة كل شئ فاذا اتصف المتعلم بما ذكر انتفت عنه هذه المفاسد التى عمت بها البلوى فى الوقت من نظر بعضهم لبعض فى المعلوم وقول بعضهم كيف يأخذ فلان كذا وكذا وانا أكثر منه بحثا وقد حفظت الكتاب الفلانى والكتاب الفلانى ويقع بسبب ذلك بينهم شنآن واتصاف بالحسد وماشاكله وخرج ذلك الى باب الاسباب الدنيوية ووقعوا بسببه فى الوعيد الذى تقدم فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال الخ أسأل الله السلامة بمنه والغالب ان المتعلم لا يتصف بما ذكر من الاخلاق الحميدة الا أن يبنى امره على أصل صحيح اذ أن البناء اذا طلع على غير أصل لا ينتفع به فلابد من أساس صحيح جيد يعمل ثم بعد ذلك يبنى عليه والاساس الذى يحتاج اليه المبتدى فى هذا الفن اتباع السلف رضوان الله عليهم أجمعين فيما أخذ بسبيله وكانت أحوالهم رضى الله عنهم الهرب من الدنيا وأسبابها فان فتح عليهم بشئ منها قالوا ذنب عجلت عقوبته وان أصابهم ضيق سروا بذلك وفرحوا به وكان ذلك غنيمتهم ولاجل ذلك جعلهم الله أئمة يقتدى بهم ويرجع الى أقوالهم وأحوالهم (وقد) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام مامعناه ياموسى اذا رأيت الدنيا أقبلت فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيتها أدبرت فقل أهلا بشعار الصالحين (وقد) دعا موسى عليه الصلاة والسلام وطلب من ربه ان يغنيه عن الناس فأوحى الله تعالى اليه ياموسى أما تريد أن أعتق بغدائك رقبة من النار وبعشائك رقبة من النار قال بلى يارب قال هو كذلك أو كما قال فكان موسى عليه الصلاة والسلام يتغدى عند رجل من بنى اسرائيل ويتعشى عند آخر وكان ذلك رفعة فى حقه لتعدى النفع الى عتق من من الله عليه بعتق رقبته من النار (فان) قال قائل قد كان فى السلف رضوان الله عليهم أكابر لهم أموال واسباب (فالجواب) أن اتخاذهم الاموال والعمل على الاسباب لا يمنع اذا دخل فيها على ما كان عليه السلف رضى الله عنهم فى عدم تعلق القلب بها اذ انهم كانوا فيها سواء أقبلت أو ادبرت فان اقبلت قابلوها

بالايثار والبذل لله وان أدبرت قابلوها بالصبر والرضى والتسليم لمن الامر بيده وهمتهم وبغيتهم انما كان تحصيل زادهم لمعادهم فى الفقر والغنى والحركة والسكون (وقد كان) سيدى أبو محمد الرجانى رحمه الله يقول هذه الحالة اختص بها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عجز غيرهم عنها اه يعنى فى الغالب فقل أن تجد من اشتغل بأحد الشيئين الا اضر بالآخر يعنى من اشتغل بالدنيا اضر بالآخرة ومن اشتغل بالآخرة اضر بالدنيا (وقد) قال بعضهم وجمعت بين الحالتين عجيب فاذا اتصف الطالب بهذه الصفات المتقدم ذكرها لم يبق عنده التفات لمن زيد لهم فى العلوم أو نقص (وكذلك) يتساوى عنده مواضع الجلوس فى الارتفاع والانخفاض كل ذلك عنده سواء حيث أجلسه الله جلس وماساقه الله اليه رضيه وشكره ومامنعه منه حمده على ذلك ورآه من ربه عز وجل عطاء (فاذا) تقرر هذا من حاله انتفت عنه الشوائب المذمومة وبقى العلم خالصا لوجه الله تعالى واذا صار العلم كذلك وصحبه العمل به جاء ميراثه العاجل وهو الخشية قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واذا حصلت الخشية قوى الرجاء فى القبول وانه ماش على منهاج السلامة والغنيمة فيما أخذ بسبيله وعكس هذا الحال فى النقيض والعياذ بالله فمن أراد السلامة فلينسج على منوال من مضى فالخير بحذافيره فى الاقتداء بهم وبأحوالهم فى القليل والكثير نسأل الله الكريم من فضله ان يمن علينا بما من به عليهم فانه أهل لذلك والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (واصل) ماينبنى عليه فى تعليمه وهو آكد من كل ماذكر تقوى الله تعالى فان الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز واتقوا الله ويعلمكم الله فاذا اتصف المتعلم بالتقوى كان الله عز وجل معلمه وهاديه ومن كان الله تعالى معلمه وهاديه فلا تسأل عن حاله قال الله تعالى فى كتابه العزيز فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وهذا لفظ عام فقد يحصل للمتعلم نفائس من المسائل لا تؤخذ بالدرس ولا بالشيوخ لاجل ماحصل من قوله ويعلمكم الله (وآكد) ماعليه فى التقوى اجتناب المحارم لقوله عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس وقوله عليه الصلاة والسلام وماانهيتكم عنه فلا تقربوا فاذا اتصف بهذه الصفة كان أعبد

الناس وان لم يكن له كثير من العمل (ومن) آكد الامور عليه تخليص ذمته من اخوانه وجلسائه ومعارفه وغيرهم اذ تخليص الذمة هو المطلوب والمقصود الاعظم فليحذر من هذين الامرين المخطرين اللذين قد عمت بهما البلوى لكثرة وقوعهما على الالسن وهما الغيبة والنميمة فالنميمة ان تنقل حديث قوم الى آخرين والغيبة ان تقول فى غيبة الشخص ما يكرهه وان كان حقا واما ان كان ذلك القول باطلا فهو البهتان بعينه (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع أى بلد هذا الى ان قال فان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم الى ان قال ألا هل بلغت الا هل بلغت مرتين أو ثلاثا فأكد الامر فى الثلاث كما ترى (والناس) فى ذلك منقسمون على اربعة أقسام لا خامس لها (القسم الاول) السالم من الجميع أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والسابقون السابقون أولئك المقربون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (القسم الثانى) عكس الاول وهو من كانت له القدرة والجدة وواقع الجميع أولئك حزب الشيطان أسأل الله السلامة بمنه (القسم الثالث) من عجز عن سفك الدماء وكانت له القدرة على أخذ الاموال والوقيعة فى الاعراض وواقعهما معا فقد لحقه الاثم فى فعله والتحق بالاول بنيته اذ لولا عجزه عنه لفعله (القسم الرابع) من عجز عن الدماء وأخذ الاموال ووقع فى الاعراض لقدرته عليها فيكون آثما فى الثالث لفعله له ملحقا بأصحاب الدماء والاموال بنيته لقوله عليه الصلاة والسلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه اه (واذا) كان ذلك كذلك فيكون عنوان الصدق فيمن ادعى الورع عن الدماء والاموال استعفافه عن الاعراض فان استعف عنها كان دليلا على صدقه فى ترك الفعلين المتقدمين وان تعاطى الثالث أو بعضه كان ذلك دليلا على كذبه فى الاول والثانى فيخاف عليه أن يلحق بهما أسأل الله السلامة بمنه (واعلم) ان غيبة كل انسان بحسب حاله قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله غيبة الصالحين فى ثلاث منها أن يذكر شخص بين أيديهم فيقولون

اللهم

اللهم تب عليه وكذلك يقعون بسبب غيرتهم فى الدين يقولون فلان فعل كذا وكذا على سبيل الغيرة منهم فى دين الله تعالى وكذلك شفقتهم ورحمتهم على بعض الناس فيقولون مسكين فلان واقع كذا وكذا مما يكره ذكره المقول فيه فاذا تقرر هذا وعلم فيحتاج العالم والمتعلم أن يكونا متيقظين لهذه الامور وماشاكلها ويتحفظان منها اذ أن يتحفظهما يتحفظ كل من رآهما أو علم حالهما لانهما قدوة للمهتدين

(فصل فى أوراد طالب العلم) وينبغى له أن لا يخلى نفسه من العبادات وأن يكون له ورد من كل شئ منها اذ أنها سبب الاعانة على ما أخذ بسبيله لقوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة انتهى وما يستعان به لا يترك (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك لحكمة الشرع فى قوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة فعم الطرفين وجعل من الثالث جزءا والغدوة هو ما كان من طلوع الشمس الى الزوال والروحة ما كان من الزوال الى الغروب والمكلف لا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يشتغل فى غدوته أو فى روحته بشئ من أعمال الآخرة أو بشئ من أسباب الدنيا (فان) كان من أعمال الآخرة فهى الاستعانة الحقيقية (لقصة) معاذ بن جبل وأبى موسى الاشعرى رضى الله عنهما لما أن بعثهما النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن يعلمان الناس الدين فافترقا لذلك ثم اجتمعا فقال معاذ لأبى موسى كيف تقرأ القرآن قال أقرأه قائما وقاعدا ومضطجعا وأقوقه تفويقا ولا أنام فقال معاذ رضى الله عنه أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى فلم يسلم أحدهما للآخر حتى أتيا الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه هو أفقه منك يعنى معاذا الذى كان يحتسب نومه كقيامه لكن هذا شرط يشترط فيه وهو أن يكون ماشيا على منهاجهم فى تصرفاتهم ولأى شئ كانوا يتصرفون وحسن نياتهم فى ذلك كله (والقول) عمر رضى الله عنه ما من حسنة الا ولها أخيات (وان) كان فى سبب من أسباب الدنيا فذلك عون له على الطاعة (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت بين شعبتى رحلى أبتغى من فضل الله أحب الى من أن أموت على

فراشي (وقد) كان بنو اسرائيل اذا أراد أحدهم أن يتعلم العلم انقطع للعبادة أربعين سنة حتى يصفو بها قلبه وينشرح صدره فحينئذ يأخذ في تعلم العلم وذلك لطول أعمارهم وأما هذه الامة فقد قال مالك رحمه الله أدركت الناس وهم يتعلمون العلم الى أن يصل أحدهم أربعين سنة فينقطع للعبادة ويطوى الفراش انتهى ومعنى طى الفراش مثل ما كان عليه الصلاة والسلام يفعل في العشر الاواخر من شهر رمضان وكان صلى الله عليه وسلم يطوى فراشه ويشد مئزره ويوقظ أهله ويقوم الليل كله (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج في أول طلبه العلم أن يمزجه بالتعبد اذ أنه ليس ثم عمر طويل في الغالب في هذا الزمان حتى يترك له برهة منه فيخشى عليه أن يموت وهو في السبب قبل وصوله للمقصود (وقد) قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه تعلموا ما شئتم أن تتعلموا فان يأجركم الله عليه حتى تعملوا (ولان) العلم كالشجرة والتعبد كالثمرة فاذا كانت الشجرة لا ثمر لها وليس لها فائدة كلية وان كانت حسنة المنظر نافعة وقد ينتفع بها اللظل وغيره ولكن الذي عليه المعول قد عدم منها (وقال) ابن مسعود أيضا رضى الله عنه تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله اه (وليحذر) أن يتكلف من العمل ما عليه فيه مشقة أو يخل باشتغاله بالعلم اذ أن اشتغاله بالعلم أفضل كما تقدم وهذا باب كثيرا ما يدخل منه الشيطان على المشتغلين بالعلم اذا عجز عن تركهم له فيأمرهم بكثرة الاوراد حتى ينقص اشتغالهم لان العلم هو العدة التي يتلقى بها ويحرز منه بها فاذا عجز عن الترك رجع الى باب النقص وهو باب قد يغمض على كثير من طلبة العلم لانه باب خير وعادة الشيطان لا يأمر بخير فيلتبس الامر على الطالب فيخل بحاله (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى يقول ينبغي لطالب العلم أن يكون عمله في علمه مثل الملح في العجين ان عدم منه لم ينتفع به والقليل منه يصلحه (واذا) كان ذلك كذلك فينبغي له أن يشد يده على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تبعا للفرض قبله أو بعده فاظهارها في المسجد أفضل من فعلها في بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل ما عدا موضعين فانه عليه السلام كان لا يفعلهما الا في بيته وهما الركوع بعد صلاة الجمعة والركوع بعد صلاة المغرب أما الجمعة فقد

تبين ذلك فى قصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ان قام بعض الناس يركع بعد الجمعة فأقعده عمر وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من الظهر والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يعب ذلك عليه ولأنها لو صليت فى المسجد لكان ذلك ذريعة لاهل البدع الذين لا يرون صحة صلاة الجمعة الا خلف امام معصوم (وأما) المغرب فمن باب اللطف والرحمة والشفقة على الامة لان الغالب منهم انهم كانوا صوّاما وان من كان فى البيت من النساء والصبيان ينتظرون صاحب البيت حتى يأتى فيأكلون معه فلو ركع فى المسجد لتشوفوا الى مجيئه (ألا ترى) انه عليه الصلاة والسلام كان اذا سمع وهو فى الصلاة بكاء الصبى يخفف مخافة أن تفتتن أمه سيما فى حق العالم والمتعلم لانهما قدوة كما تقدم وهذا كله بعد تحصيل الفرائض وكذلك قضاء الفوائت ان كانت عليه لانه لا يفعل السنن وعليه شئ من ذلك (وكذلك) لا يخلى نفسه من ركوع الضحى لقول عائشة رضى الله عنها الوتر فى ابواى ما تركتها ومعناه لو أحيا الى وقاما من قبريهما ما اشتغلت بهما عنها (وكذلك) يحافظ على قيام الليل ولا يخلى نفسه منه وهو خمس تسليمات غير الوتر ويقرأ فيها بما خف من القرآن يكون له فى تلك الركعات حزب معلوم من حزبين الى ثلاثة لان احب العمل الى الله ادومه وان قل كما جاء فى الحديث فان كان الحزب على هذا المقدار فالغالب انه قل أن يفوت لقلة المشقة فيه وان كان حافظا للقرآن فهذا المقدار من التلاوة يكفيه مع اشتغاله بالعلم ولا ينسى الختمة فى الغالب اذا دام على ذلك (وقد) ذكر الباجى رحمه الله فى شرح الموطأ ما معناه انه لم يزل الناس يقومون فى بيوتهم طول السنة بهذا المقدار الذى يقومون به فى شهر رمضان فى المساجد لكن لما أن كان فى الناس من لم يجمع القرآن كله جعل لهم شهر رمضان فى السنة يجمعون فيه فى المساجد ليسمع من لم يجمع الختمة كلام ربه فان قام من الليل ووجد معه الكسل وثقل النوم فاذا كان الحزب على ما وصفناه سهل عليه أمره وأتى به ورجع الى النوم ان لم يطلع عليه الفجر وعلى هذا درج من مضى الا ترى انهم قد قالوا فيمن فاته ورده من الليل ان له ان يصليه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح وقد كانوا يغلسون بصلاة الصبح كما هو فى الحديث مشهور معلوم وذلك أدل

دليل على خفة الورد (وهذا) الذى تقدم ذكره انما هو مع عدم وجود الجد والاجتهاد واما مع النشاط وقوة العزم فيأخذ من ذلك ما استطاع وما وجد اليه السبيل فان وجد حلاوة المناجاة فى التلاوة فليمض فيها ولا يقتصر على حزبه المعتاد ولو ختم الختمة وابتدأها ثانيا وثالثا وهكذا الا ترى انه لو قرأ مثلا فى الركعة الاولى بحزب فالمشروع فى الثانية أن يقرأ فيها بمثل الاولى أو أقل فلو وجد الحلاوة فى الثانية فليمض لسبيله مادام يجد ذلك ولو طال الامر فان طلع عليه الفجر فليرجع عما هو بصدده الى الاشتغال بفرض الوقت لكن يكمل خمس تسليمات مخففة كما لو نام فى حزبه فانه يوقعه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ما ينبغى للمرء اذا وجد الحلاوة فى شئ أن ينتقل عنه مثل أن يجد الحلاوة فى الدعاء فى غير الصلاة فلا يقطعه ولا ينظر الى غيره من الاوراد وكذلك ان وجد الحلاوة فى الركوع فلا يرفع وكذلك ان وجدها فى السجود اللهم الا أن يخاف على فوات الفرائض فى الجماعة فليقطع ذلك لاجلها وقد كان السلف رضوان الله عليهم يغلسون بصلاة الصبح ولم يكن لهم غير جماعة واحدة لان المقصود الاعظم بطلب العلم وقيام الليل وغيرها مما يقرب من الله تعالى انما ذلك كله لعل ان يحصل له شئ مما تقدم ذكره من الحلاوة فى المناجاة فى ورده أو الدعاء أو غيرهما الا أن يعرض الفرض فيفعل كما سبق (وقد) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه مر فى ورده بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فبقى عليه الصلاة والسلام يكررها حتى طلع الفجر (وقد) حكى عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله ونفعنا به أنه خرج ليلة من المسجد وقد صلى العشاء فخرج خلفه بعض اخوانه وهو لم يشعر به فاذا هو قد رفع رجله اليمنى فوضعها على ركبته اليسرى وقبض على لحيته بيده ورفع رأسه شاخصا الى السماء فوقف الرجل خلفه ينتظره الى أن طلع الفجر فلما ان طلع الفجر رجع ابو يزيد الى المسجد لصلاة الصبح فرجع الرجل خلفه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الحالة التى كان فيها أبو يزيد والى تركه ما كان فيه واتيانه الى الفرض فى جماعة مع انهم قد قالوا فيمن كان القرآن ينفلت منه لقلة حفظه فليقم به فى الليل فى الصلاة فان ذلك

يشتهه له وماذاك الا لبركة امتثال السنة فى قيام الليل سيما ان كان فى الثلث الآخر منه لما ورد فى ذلك من البركات والخيرات (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فى الثلث الآخر من الليل فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له الحديث الخ (ومعنى) النزول ههنا نزول طول ومن وتفضل وكرم على عباده لا نزول انتقال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وفى) قيام الليل من الفوائد جملة فلا ينبغى لطالب العلم ان يفوته منها شئ (فمنها) انه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة (الثانى) انه ينور القلب (الثالث) انه يحسن الوجه (الرابع) انه يذهب الكسل وينشط البدن (الخامس) ان موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الدرى لنا فى السماء (وقد) روى الترمذى عن بلال وأبى امامة قالا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله تعالى ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد (وروى) ابو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين (واعلم) ان طالب العلم ان فعل ما ذكرتموه تعطلت عليه وظائفه من الدرس والمطالعة والبحث (فالجواب) ان نفحة من هذه النفحات تعود على طالب العلم بالبركات والانوار والتحف ما قد يعجز الواصف عن وصفه وبركة ذلك يحصل له اضعاف ذلك فيما بعد مع ان هذا امر عزيز قل ان يقع الا للعتنى به والعلم والعمل انما هما وسيلتان لمثل هذه النفحات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله اه (وما) تقدم ذكره فيما حكاه الباجى وغيره من ان عادة السلف مضت على فعل هذه الصلاة طول السنة فى البيوت يؤخذ منه الدليل الواضح على ان ذلك لا يفعل فى المساجد ولا فى المواضع المشهورة الا فى قيام رمضان وحده (واذا كان) ذلك كذلك ففعل القيام فى غير رمضان فى غير البيوت بدعة (وقد) تقدم غير مرة أن البدعة لا تأتى الا بشر والخير كله فى الاتباع (وقد) نص علماؤنا رحمة

الطول بفتح الطاء وسكون اللام يعنى مابعده اه

الله عليهم على ان ذلك يمنع فى غير رمضان ان فعل فى غير البيوت كما تقدم لكن قيام السنة فى البيوت فيما عدا رمضان مخالف لقيام شهر رمضان فى كونه يفعل بعد النوم فى الغالب وقد يفعل قبله ويكفى وكثير منهم من يفعله قبل النوم وبعده والغالب ان فعله بعد النوم اكثر ولا يجمعون له ولا يشهرونه بخلاف قيام رمضان فى المساجد فانه لا يفعل الا قبل النوم (ولاجل) هذا المعنى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه والتى ينامون عنها أفضل يعنى من نام أول الليل وقام آخره فهو افضل ممن قام أوله فقط واما قيام السلف رضى الله عنهم فذلك أفضل على كل حال الا انهم كانوا اذا فرغوا من قيامهم فى شهر رمضان يستعجلون الخدم بالطعام مخافة طلوع الفجر ولا شك ان من قام الليل كله أفضل ممن قام بعضه لانه حاز فضل الليل كله (فتحصل) من هذا أن قيام الليل ينقسم على اربعة أقسام اما أن يقوم الليل كله ولا شك فى فضيلته او يقوم أوله وآخره وهو قريب من الاول او يقوم آخره دون أوله وهو المشار اليه بالافضلية بقول عمر رضى الله عنه والتى ينامون عنها أفضل واما ان يقوم أوله دون آخره وهو المفضول من قول عمر رضى الله عنه (وينبغى له) ان يحافظ على ورد الصوم ولا ينبغى له ان يتعلل بأنه مشغول عنه بطلب العلم اذ صيام ثلاثة أيام فى الشهر ليس فيها كبير مشقة فى الغالب سيما على ما كان يصومها مالك رحمه الله فانه كان يفطر تسعة أيام ويصوم عاشرها وهذا كما تقدم فى صلاة الليل فان وجد النشاط والقوة على أكثر من ذلك بادر اليه مع عدم وقوع الخلل فيما هو بسبيله فان ادعى انه يعجز عن صوم ثلاثة أيام فى الشهر مع طلب العلم فينبغى لهذا ان يترك طلب العلم فى تلك الثلاثة ويصومها لئلا تفوته هذه الفضيلة العظمى لقوله عليه الصلاة والسلام الحسنة بعشر فيكون ذلك كصيام الدهر ثم كذلك يكون حاله فى جميع الاعمال لا يخلى نفسه من شئ منها كما تقدم ويكون الغالب عليه اشتغاله بالدرس والمطالعة والتفهم والبحث مع الاخوان الذين يرتجى النفع بهم ولقاء مشايخ العلم الذين جمعهم الله سيما للفتح والخير ويواظب على ذلك

* (فصل فى زيارة الاولياء والصالحين) * وينبغى له أن لا يخلى نفسه من زيارة الاولياء والصالحين الذين برؤيتهم يحيى الله القلوب الميتة كما يحيى

الارض بوابل المطر فتنشرح بهم الصدور الصلبه وتهون برؤيتهم الامور الصعبه اذهم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم ولا يخيب بحالهم ولا معارفهم ولا محبهم اذهم باب الله المفتوح لعباده ومن كان كذلك فتتعين المبادرة الى رؤيتهم واغتنام بركتهم ولانه برؤية بعض هؤلاء يحصل له من الفهم والحفظ وغيرهما ما قد يعجز الواصف عن وصفه ولاجل هذا المعنى ترى كثيرا ممن اتصف بما ذكر له البركة العظيمة فى علمه وفى حاله فلا يخلى نفسه من هذا الخير العظيم لكن بشرط ان يكون محافظا على اتباع السنة فى ذلك كله (فليحذر) ان يزور احدا من أهل البدع وممن لا خطر له فى الدين الا بالتمويه وبعض الاشارات والعبارات مع انه قد قل فى هذا الزمان من يضطر الى ذلك من المدعين بل قد تجد بعض من ينتسب الى العلم يقعد بين يدى بعض من يدعى الفقر والولاية وهو مكشوف العورة وقد تذهب عليه أوقات الصلاة وهو لم يصل ويعتذرون عنه بانه يخرب على نفسه (وقد) رأيت بعض الفقراء الصلحاء رحل الى زيارة شخص من هذا الجنس نحو ثلاثة أيام أو اربعة حتى اجتمع به وهو عريان ليس عليه شئ يستره وبين يديه بعض قضاة البلد ورؤسائها وهذا أمر شنيع فى الدين وقلة حياء من عمل الذنوب وارتكاب مخالفة السنة وترك الفرائض اذ ان كشف العورة محرم وكذلك النظر اليها واخراج الصلاة عن وقتها محرم اتفاقا فيرتكبون محرمات جملة وهذا انما هو تمثيل مما والا فالمفاسد التى تعتورهم فى ذلك أكثر من أن تحصر أو ترجع الى قانون معروف فى الغالب فينبغى لطالب العلم بل يتعين عليه أن تكون السنة عنده أعظم مطلوب ويغار عليها ان تغيرت معالمها بأن ينسب اليها ما ليس منها فاذا تعارض لطالب العلم المحافظة على السنة وزيارة من يخالف شيئا منها فالترك لزيارته متعين عليه ولا يجوز له غير ذلك وتحسين الظن به مخالف مع عدم الاجتماع به وأما مع الاجتماع فقد يضيق عليه التأويل ويخاف عليه ان يخل بجانب السنة أو بعضها فالهرب الهرب من الاجتماع بشخص يحتاج أن يعتذر عنه أو يتأول له (وهذا) امر قد عمت به البلوى فى هذا الزمان وكثرت الطرق واختلفت الاحوال وتشعبت السبل ولو قلت لاحدهم مثلا السنة كذا وكذا قابلك بما لا يليق

فيقول كان شيخي يفعل كذا وكذا وماهذا طريق شيخي وكان شيخي يقول كذا وكذا وبصادم بذلك كله السنة الواضحة والطريقة الناجحة (يا ليتهم) لو وقفوا عند هذا الحد لو كان سائغا بل زادوا على ذلك الامر المخوف وهو ما بلغني عمن أثق به ان بعض من ينسب الى العلم تكلم في مسئلة ونقل فيها عن بعض شيوخه نقلا تأباه الشريعة فقال له بعض من حضره حديث النبي صلى الله عليه وسلم يرد هذا فأجابه بأن قال حديث النبي صلى الله عليه وسلم انما يراد للتبرك والشيوخ هم الذين يقتدى بهم وهذا ان كان معتقدا لما قاله كان كافرا حلال الدم وان لم يعتقده فهو مرتكب لكبيرة عظمى يجب عليه ان يتوب منها مع الادب الموجع (وبعضهم) يفعل فعلا قبيحا شنيعا وهو ما أحدثوه من اعتقاد بعض النسوة وزيارتهن وهن على ما يعلم من قلة العلم بالسنة المطهرة بل عدم ذلك في أكثرهن سيما اذا انضاف اليه ما يفعله بعض من يتسمى بالشيخة من الذكر جماعة بأصوات النسوة وفي أصواتهن من العورات مالا ينحصر بسبب ترخيم أصواتهن وندائهن سيما وبعض الشيخات على زعمهن من شعارهن إلباس الصوف ان ثابت على يدها ودخلت في طريقتها (وقد سئل) مالك رحمه الله عن لباس الصوف للرجال فقال لا خير في الشهرة ومن غليظ القطن ما هو في مثل ثمنه وأبعد من الشهرة اه (فاذا كان) الامر على هذا في حق الرجال فما بالك به في حق النساء بل لباس ذلك لهن مثلة وشهرة وفيه تشبه بنساء النصارى في كنائسهن أعني في لباسهن الصوف والتخلي عن الازواج وذلك كله ضد مراد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول جهاد المرأة حسن التبعل انتهى ومن حسن التبعل لبس الحسن من الثياب والتحلي والتزين لزوجها (فاذا) علم ذلك تحصل منه ان فاعل هذا مصادم للسنة مخالف لها فينبغي زجره وهجره فكيف يعتقد وأنت ترى كثيرا من الناس ممن له رياسة وممن ليست له رياسة يتحدثون بفضائل من هذا حالها ويثنون عليها بذلك ويطرزون بذكرها مجالسهم ويزورونها في بيتها ويستعملون خطاهم الى زيارتها أو تأتي هي اليهم ويعظمونها ويكرمونها ومن لا يلبس الصوف من الشيخات لهن عورات اخر أكثر وأشنع يطول تتبعها مما تنزه الالسن عن ذكرها والاقلام

عن كتبها (وقد) قال عليه الصلاة والسلام اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء قيل بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط (وقد) قال عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وعائشة انتهى (وقد) قال صاحب الانوار رحمه الله احذروا الاغترار بالنساء وان كن نساكا صالحات فانهن بركن الى كل بلية ولا يستوحشن من كل فتنة (وقد) قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ونفعنا به ليس للنساء نصيب فى الاسلام (والرجل) الصالح فى هذا الزمان فى الغالب انما شعاره لزوم بيته لقوله عليه الصلاة والسلام عند ظهور الفتن كن حلسا من أحلاس بيتك انتهى فكيف تخرج المرأة التى لم يشرع لها الخروج الا لضرورة وقد تقدمت واعتقاد الشيخات يستدعى خروج ربات الخدور وغيرهن وفى خروجهن من الفتنة ما قد علم (ولا) يظن ظان ان هذا الكلام يشعر بأنه ليس فى النساء صالحات ولا عابدات وانما وقع الكلام على الغالب من أحوالهن والنادر لا حكم له (ثم) العجب العجيب فى اعتقاد بعضهن فى هؤلاء الشيخات من النسوة وهن كما قد علم فى هذا الزمان لا يمضين لموضع يعلن فيه الا بعد اطلاقهن من ضامنة المغانى ففاسد مركبة على مفسدة عظيمة (ثم) العجب أيضا من بعض الرجال ممن له الحشمة او المشيخة يتورعون عن سماع المغانى ويعوضون عن ذلك الشيخة المتقدم ذكرها فتجىء بعد اطلاقها من الضامنة ومعها حفدتها ويرفعن عقيرتهن بالقراءة والذكر جماعة وقد تقدم ما فى القراءة والذكر جماعة للرجال (فان) لم يكن من فعل السلف الماضين رضوان الله عليهم أجمعين وانكر مالك ذلك فى حق الرجال وان ذلك بدعة ممن يفعله فما بالك به فى حق النساء وفى أصواتهن من النداوة والترخيم والفتنة ما قد علم (ألا ترى) الى قول مالك رحمه الله تعالى فى كلام المتجالة أما التى كلامها أحلى من الرطب فلا انتهى يعنى انه ممنوع وان كانت متجالة فكيف به فى الشابة وقد قال الشافعى رحمه الله تعالى ما من ساقطه الا ولها لاقطه (وسبب) هذه المفاسد كلها اقراءة الرجال جماعة

وذكرهم جماعة جر ذلك الى هذا المحرم الذى يفعله النسوة فى الفرح والمولد وغيرهما وزدن على ذلك قيامهن يرقصن ويعيطن وتأخذهن الاحوال على زعمهن وفى رقصهن من العورات بالاخفاء فيه من وقوع الفتن وفساد القلوب والتشويش على من فيه دين أو خيرما فانا لله وانا اليه راجعون على خسف القلوب واتباع الهوى واستعمال العوائد الرديئة وقلة الحياء من عمل الذنوب وقلب الحقائق وانقلاب المقاصد وترك الالتفات للفاسد ولا يمكن حصرها ولا عدها فاللبيب من ترك هذا كله اذا أن العلم الذى عنده يحرمه ويأمره بتغييره فان لم يقدر فأقل مايمكن فى حقه التغيير بالقلب وأقل مايمكن فى التغيير بالقلب أن لا يشهد هذه المواضع ولا يترك أحدا يشهدها ولا يرضى بفعلها ولا يذكرها سيما بحضرته بل يعيب ذلك ويبين أمر الشرع فيه (وقد) روى الامام أبو الحسن رزين رحمه الله فى كتابه عن حذيفة وابن مسعود رضى الله عنهما انهما قالا لا يكن أحدكم امعة يقول أنا مع الناس ان أحسن الناس احسنت وان أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا لا تظلموا انتهى (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغى له أن يزهد فى زيارة الاكابر والاولياء والصالحين اذ أنهم معروفون بسيماهم (قال) الله تعالى فى كتابه العزيز تعرفهم بسيماهم (وقال) تعالى سيماهم فى وجوههم (وقال) عليه الصلاة والسلام رب اشعث أغبر مدفوع بالابواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّ قسمه انتهى (فان) خفى على طالب العلم أمر أحد ممن يراه فلينظر فى تصرفه فان كان على السنة فليشد يده عليه وان واقع غير ذلك فليهرب منه فانه اص (وقد) حكى عن بعض السلف رضى الله عنه أنه أثنى عنده على شخص كان فى وقته فخرج هو ومن أثنى عليه الى زيارته ودخلا المسجد الذى كان يصلى فيه فلم يجداه فجلسا ينتظرانه فلما أن جاء ودخل المسجد تنخم وبصق فيه فخرج هذا السيد ولم يسلم عليه وخرج معه الشخص الذى كان أثنى عليه فقال له لم خرجت ولم تسلم عليه فقال له اذا كان انسان لم يأتمنه الله على أدب من آداب الشريعة فكيف يأتمنه على سر من أسراره (ونقلت) من القوت هكذا ينبغى أن تكون المحافظة على السنة وترفيعها وتعظيم قدرها اذ أنها أول باب فى الخير وهى آخره فشد يدك عليها

قوله امعة بكسر الهمزة وفتح الميم مشددة اه

عليها ان كنت من أهلها أسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ذلك بمنه آمين بجمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم والحمد لله رب العالمين

(فصل فى الاشتغال بالعلم يوم الجمعة) وينبغى لطالب العلم أن يكون مواظبا على الاشتغال به فان الترك مضر ولو قل (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله ينقل عن شيخه أبى الحسن الزيات ما معناه اذا ترك الطالب الاشتغال يوما كأنه ترك سنة وان تركه يومين كأنه ترك سنتين وان تركه ثلاثا لا يجى منه شئ انتهى وما قاله بين الا ترى ان الكاتب خطه فى يوم الخميس أحسن منه فى يوم السبت وما ذلك الا لترك الكتب يوم الجمعة (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغى أن يترك الاشتغال الا لضرورة شرعية تتعين عليه (فان) كان يوم جمعة فلا ينبغى له أن يترك الاشتغال فيه لانه يوم فضل عظيم فينبغى له أن يبادر الى أفضل الاعمال فيعملها فيه وأفضل الاعمال طلب العلم كما تقدم لكن ان اشتغل بذلك فى أول النهار وخشى أن يفوته بسببه شئ من وظائف الجمعة مثل الغسل وقص الشارب والاظافر وغير ذلك واذا كان ذلك كذلك فينبغى له أن يكون اشتغاله بعد انصرافه من صلاة الجمعة فيحضر مجالس العلم فى الجامع أو غيره (وأعنى) بمجالس العلم المجلس الذى يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف رضى الله عنهم لا مجالس القصاص والوعاظ اذ أن ذلك بدعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عن الجلوس الى القصاص فقال ما أرى أن يجلس اليهم وان القصص لبدعة (قال) ابن رشد رحمه الله كراهة القصص معلوم من مذهب مالك رحمه الله (روى) عن يحيى ابن يحيى قال خرج معنا فتى من طرابلس الى المدينة فكنا لا ننزل منزلا الا وعظنا فيه حتى بلغنا المدينة فكنا نعجب من ذلك منه فلما أتينا المدينة اذ هو قد أراد أن يفعل بهم ما كان يفعل بنا فرأيته فى سماط أصحاب التيقظ وهو قائم يحدثهم وقد لهوا عنه والصبيان يحصبونه ويقولون له اسكت يا جاهل فوقفت متعجبا مما رأيت فدخلنا على مالك رحمه الله تعالى فكان أول شئ سألناه عنه بعد أن سلمنا عليه ما رأيناه من الفتى فقال مالك أصاب الرجال اذ لهوا عنه وأصاب الصبيان اذ أنكروا عليه باطله (وقال) يحيى وسمعت مالكا يكره القصص فقيل له يا أبا عبد الله فاذا تكره مثل هذا فعلام كان

يجتمع من مضى فقال على الفقه وكان يأمرهم وينهاهم انتهى (وقول) مالك رحمه الله أصاب الرجال اذلهوا عنه وأصاب الصبيان اذ أنكروا عليه باطله انما صوب فعل الرجال لكون الصبيان قد كفوهم مؤنة التغيير فلو لم يغير الصبيان لبادروا الى التغيير (ومن) كتاب الجامع للشيخ أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله وأنكر مالك القصص فى المسجد (وقد) قال تميم الدارى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه دعنى أدعو الله وأقص وأذكر الناس فقال عمر لا فأعاد عليه فقال أنت تريد تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى (وقال) الامام الطرطوشى قال مالك ونهيت أبا قدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول افعلوا كذا وكذا (وقال) أبو ادريس لأن أرى فى ناحية المسجد نارا تاجج أحب الى من أن أرى فى ناحيته قاصا يقص (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم لم يقص فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى زمان أبى بكر ولا فى زمان عمر رضى الله عنهم حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص (ولما) دخل على رضى الله عنه مسجد البصرة أخرج القصاص منه وقال لا يقص فى المسجد حتى انتهى الى الحسن البصرى فى علوم الاعمال فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه (وجاء) ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه الى صاحب الشرطة ان أخرجه من المسجد فأخرجه (وقيل) لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل لا يتكلم على الناس الا أمير أو مأمور أو أحمق ولست بأمير ولا مأمور واكره ان اكون الثالث انتهى (وقد) روى أبو داود فى سننه عن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقص الا أمير او مأمور او محتال انتهى (وقال) الطرطوشى ايضا قال أبو عمر رأيت يسارا أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاصا يقص فى المسجد فقلت له يا أبا الحكم الناس ينظرون اليك فقال الذى أنا فيه خير مما هم فيه أنا فى سنة وهم فى بدعة (ولما) ان دخل سليمان بن مهران الاعمش البصرة نظر الى قاص يقص فى المسجد فقال حدثنا الاعمش عن ابى اسحق عن أبى وائل قال فتوسط الاعمش الحلقة وجعل ينتف شعرا بطيه فقال له القاص يا شيخ الا تستحى نحن فى علم وأنت تفعل مثل هذا فقال له الاعمش الذى أنا فيه خير من الذى أنت فيه قال كيف فقال لانى فى سنة وأنت فى

كذب أنا الاعمش وما حدثتك عما تقول شيئا فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد (وقال) أحمد بن حنبل أكذب الناس القصاص والسؤال وما أحوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الموت وعذاب القبر قيل له أكنت تحضر مجالسهم قال لا (وقال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه وحضور الرجل مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل من حضوره مجالس القصاص (وروينا) من حديث أبى ذر رضى الله عنه حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وفى الخبر لأن يتعلم أحدكم بابا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة (وفى خبر) قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فالصلاة اذا عدم مجلس العلم بالله والتفقه فى دين الله أزكى من حضور مجالس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص (وعن) الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لى يقعد الى القصاص قال انهه قلت لا يقبل قال عظه قلت لا يقبل قال اهجره قلت نعم قال فأتيت أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك فقال قل له يقرأ فى المصحف ويذكر الله فى نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فان لم يفعل قال بل ان شاء الله قلت فان لم يقبل أهجره قال فتبسم وسكت انتهى (وكذلك) لا يحضر الكتب التى تقرأ وفيها الاحاديث المشكلة على السامع فى الظاهر وليس ثم من يبين أحكامها ومعناها ويحل مشكلها ولو كان ثم من يحل المشكل فيشترط أن يكون صوته يعم من حضر المجلس كما يعمهم صوت القارى لانه اذا لم يعمهم فالغالب ان بعضهم يقوم وعنده الريبة فى اعتقاده (ومن العتبية) سئل مالك رحمه الله عن الحديث فى جنازة سعد بن معاذ فى اهتزاز العرش وعن حديث ان الله خلق آدم على صورته وعن الحديث فى الساق فقال رحمه الله لا يحدث بهن وما يدعو الانسان أن يتحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير قال ابن القاسم لا ينبغى ان يتقى الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا قيل له فالحديث ان الله تبارك وتعالى يضحك فلم يره من هذا وأجازه انتهى (قال) ابن رشد رحمه الله حديث سعد بن معاذ فى اهتزاز العرش الذى أشار اليه هو

ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اهتز العرش لموت سعد بن معاذ
وانه قال اهتز له عرش الرحمن وما روى من ان أمه بكت وصاحت
لما أخرجت جنازته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرقأ دمعك
ويذهب حزنك فان ولدك أول من ضحك الله عز وجل له واهتز له العرش
وما يروى من ان جبريل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال من هذا العبد الصالح الذى مات فتحت له أبواب السماء وتحرك
له العرش قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سعد بن معاذ
قدمات (والحديث) فى الساق الذى أشار اليه هو ما يروى انه سبحانه
يتجلى للخلق فيقول من تعبدون فيقولون ربنا فيقول وهل تعرفون ربكم
فيقولون اذا تعرف الينا سبحانه عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا
يبقى مؤمن الا خر لله سبحانه وتعالى ساجدا (وانما) نهى مالك رحمه الله أن
يتحدث بهذين الحديثين وبالحديث الذى جاء ان الله خلق آدم على صورته
ونحوه من الاحاديث لان ظاهرها يقتضى التشبيه (وسبيلها) اذا صحت
الروايات بها ان تتأول على ما يصح مما ينتفى به التشبيه عن الله عز وجل بشئ
من خلقه (كما) يصنع بما جاء فى القرآن مما يقتضى ظاهره التشبيه وهو كثير
كالاتيان فى قوله عز وجل هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام
والملائكة والمجئ فى قوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا انتهى
(وذلك) يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون المراد بقوله هل ينظرون الا
أن يأتيهم الله أى عذابه ونقمته لمن كفر به والحد فى آياته وكذلك المعنى فى
قوله وجاء ربك (الوجه الثانى) أن يكون المراد الظهور اذ لا فرق بين الدنيا
والآخرة بالنسبة اليه سبحانه وتعالى وانما الحجاب منا فاذا كشف سبحانه
وتعالى الحجاب عنا ظهر لنا سبحانه وتعالى من غير حد ولا تكييف جل جلاله
عن الصورة والكيفية (قال) ابن رشد رحمه الله والاستواء فى قوله تعالى ثم
استوى على العرش معناه استولى قاله الواحدى وقيل معناه القهر والغلبة
تقول العرب استوى زيد على أرض كذا أى ملكهم وقهرهم قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

ولما ان كان العرش أعظم المخلوقات المعلومة اكتفى بذكره عما دونه اذ أن

مادونه تبع له وفى حكمه (قال) ابن رشد رحمه الله كما يفعل أيضا بما جاء من ذلك فى السنن المتواترة كالضحك والنزول وشبه ذلك مما لم تكره روايتها لتواتر الآثار بها اه (أما الضحك) فهو عبارة عما يصدر من المتصف بذلك منا من الرضى والاحسان (وأما النزول) فقد تقدم بيانه (قال) ابن رشد رحمه الله لان سبيلها كلها فى اقتضاء ظاهرها التشبيه وامكان تأويلها كلها على ما ينتفى به تشبيه الله عز وجل بشئ من خلقه (وأقربها) كلها أن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد لان العرش خلق من خلق الله عز وجل فلا تستحيل عليه الحركة والاهتزاز واضافته الى الله تعالى انما هو بمعنى التشريف له كما يقال بيت الله وحرمه لا انه محل له وموضع لاستقراره اذ ليس فى مكان فقد كان قبل أن يخلق المكان فلا يلحقه عز وجل باهتزاز عرشه ما يلحق من اهتز عرشه من المخلوقين وهو جالس عليه من تحركه بحركته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (ويحتمل) أن يكون الكلام مجازا فيكون المراد بتحريك العرش حركة حامله استبشارا وفرحا بقدوم روحه وهذا جائز فى كلام العرب أن يقال اهتز المجلس بقدوم فلان عليه أى اهتز أهله لقدومه مثل قوله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها ومثل قول النبى صلى الله عليه وسلم أحد هذا جبل يحبنا ونحبه أى يحبنا أهله ونحبهم (وأما حديث الساق) فلم يضف الساق فيها الى أحد ومعناه عن شدة لان مثل هذا الكلام مستعمل فى اللغة على معنى شدة الامر كما قال الشاعر * وقامت الحرب على ساق * وقال ابن عباس فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أى عن شدة من الامر وقال الحسن فى قوله تعالى والتفت الساق بالساق أى التفت ساق الدنيا بساق الآخرة وقال الضحاك معناه أمر الدنيا بامر الآخرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعمال الدنيا بحاسبة الآخرة وذلك أمر عظيم (وأما) قوله ان الله خلق آدم على صورته فانه حديث يروى على وجهين أحدهما ان الله خلق آدم على صورته والثانى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فأما رواية ان الله خلق آدم على صورته فلا خلاف بين أهل النقل فى صحتها لاشتهار نقلها من غير منكر لها ولا طاعن فيها (وأما) الرواية الأخرى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فمن مصحح لها ومن طاعن فيها وأكثر أهل النقل

على انكار ذلك وعلى انه غلط وقع من طريق التأويل لبعض النقلة توهم ان الهاء ترجع الى الله تعالى فنقل الحديث بمعناه (فأما) الرواية المحفوظة فهى ان الله خلق آدم على صورته والهاء عائدة على رجل من النبى صلى الله عليه وسلم عليه وأبوه أو مولاه يضرب وجهه لطما ويقول قبح الله وجهك فقال اذا ضرب أحدكم عبده فليتق الوجه فان الله خلق آدم على صورته وقد روى انه سمعه يقول قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فزجره النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله ذلك وأعلمه انه قد سب آدم لأنه مخلوق على صفته ومن دونه من الانبياء ايضا (ومنها) ان الكناية فى قوله على صورته ترجع الى آدم عليه السلام ولذلك ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون معنى الحديث وفائدته الاعلام بأن الله لم يشوه خلقه حين أهبط الى الارض (والثانى) أن يكون معناه وفائدته ابطال قول أهل الزيغ الذين يقولون انه لا انسان الا من نطفة ولا نطفة الا من انسان ولا دجاجة الا من بيضة ولا بيضة الا من دجاجة لا الى أول (والثالث) معناه وفائدته ابطال قول أهل الزيغ والمنجمين الذين يزعمون أن الاشياء بتأثير العنصر والفلك والليل والنهار فأعلم النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ان الله تعالى هو المنفرد بخلق آدم على ما كان عليه من الصورة والتركيب والهيئة لم يشاركه فى شئ من ذلك فعل طبع ولا تأثير فلك وخص آدم بالذكر من سائر المخلوقات لانه أشرفها فاذا كان الله هو المنفرد بخلقه دون مشاركة فعل طبع أو تأثير فلك فولده ومن سواهم على حكمه كذلك (وقد) قيل فى ذلك وجه رابع وهو أن فائدة الحديث تكذيب القدرية فيما زعمت من ان صفات آدم منها ما خلقها الله تعالى ومنها ما خلقها آدم عليه السلام لنفسه فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم وان الله خلق آدم على جميع صورته وصفته ومعانيه وأعراضه وهذا كما تقول عرفنى هذا الامر على صورته اذا أردت أن تعرفه على الاستيفاء والاستقصاء دون الاستثناء (وأما) الرواية الثانية التى جاءت وهى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فقد ذكرنا ان اكثر أهل النقل لا يصح الرواية بذلك وان الراوى ساق الحديث على ما ظنه من معناه وعلى تقدير الصحة فتكون الاضافة اضافة تشريف على طريق التنويه بذكر المضاف

وذلك نحو قوله تعالى ناقة الله وسقياها فانها اضافة تخصيص وتشريف
تفيد التحذير والردع من التعرض لها ومن ذلك قوله عز وجل ونفخت فيه
من روحي وقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقول
الناس الكعبة بيت الله والمساجد بيوت الله فشرفت صورة آدم من أجل
ان الله اخترعها وخلقها على غير مثال سبق انتهى ومن ذلك ماخرجه مسلم
من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال
لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة تبارك وتعالى فيها
قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوي بعضها الى بعض (ذكر) العلماء في
معناه وجوها عدة (فمنها) ان الكافر عند العرب يسمى قدما والنار وعودة
بهم فان لم تحصلهم في جوفها بقيت ملهوفة عليهم كما هي الام حين تفقد
أولادها فاذا حصلوا في جوفها تقول قط قط أي حسبي حسبي لانها قد أخذت
أولادها قال الله تعالى في كتابه العزيز فأمه هاوية والهاوية اسم لاحدى
طبقات النار أعاذنا الله من جميع دركاتها بنور وجهه الكريم انه ولي ذلك
والقادر عليه (الوجه الثاني) ان ذلك محمول على ما يفهم عندنا من ان الشئ
الحقير التافه الذي لا يبالى به يدحرج بالقدم اما من جهة الغضب عليه واما
من جهة الحقارة له كما الامر في ضد ذلك وهو أن الاشياء الرفيعة والطاهرة
تتناول باليمين و يشهد لذلك ماورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
حيث يقول في الحجر الاسود يمين الله في الارض وهو حجر مرئي محسوس
فهذا دليل واضح على انه لم يرد الجارحة وانما أراد العادة فيما يصدر من
جهة اليمين كما سبق ألا ترى ان الحجر الاسود يشهد للامسه يوم القيامة
ومن شهد له رحم وغفر له فضد ذلك في ذكر القدم سواء بسواء اذ أنه
سبحانه تعالى منزه عن الصورة والكيفية الى غير ذلك من الوجوه (وقد) حصل
بما تقدم ذكره من المثال في الآي والاحاديث التي ظاهرها الاشكال
على من يعرف العلم والمحامل التي تحمل عليها مقنع وكفاية (واذا كان)
ذلك كذلك فالامر فيه على ثلاثة أقسام (القسم الاول) وهو الاولى
والاحسن بل الذي لا ينبغي ان يعرج عنه هو الرجوع الى قول مالك رحمه
الله من انه لا يتحدث بهذه الاحاديث خيفة منه رحمه الله على الضعفاء أن

يدخلهم شئ من الفتنة فى عقيدتهم فكيف يقرأ ذلك على رءوس العوام والنساء حضور يسمعن فالغالب والحالة هذه أنهم يدخلون وهم مؤمنون فيخرجون وهم مفتتنون (القسم الثانى) انه ان كان ولابد من ذكر الاحاديث التى توقع فى القلب معنى من التشبيه فلابد من شيخ عارف عالم بالسنة ومعانى ما احتوى عليه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون مع ذلك جهير الصوت يسمعه القريب والبعيد فيحل مشكلها ويبين معناها وينبغى على هذا التعليل أن يكون الشيخ جالسا على موضع مرتفع عنهم ليعم صوته الجميع كما تقدم بخلاف ما هم يفعلون فى هذا الزمان فان القارئ يجلس على كرسى فيعم صوته الجميع فى الغالب والشيخ جالس على الارض وصوته خفى فلا يعرف ما قال الا من كان قريبا منه (القسم الثالث) انه ان عدم هذا القسم الثانى فتمنع قراءة الكتب والمواعيد التى تفعل فان فعلها أحد أدب على ذلك وزجر وأخرج من المسجد (واذا كان) الامر كذلك فطالب العلم قدوة فاذا رآه أحد من العوام يحضر هذا المجلس يقتدى به فى حضوره فقد يجلس فيه وهو مؤمن فيقوم وعنده شك وريب فى اعتقاده كما تقدم فيكون طالب العلم يحذر من هذا وأشباهه (هذا) وجه فى الكراهة (ووجه ثان) وهو أن العلماء قد كرهوا ترك الشغل يوم الجمعة وان يخص يوم الجمعة بذلك خيفة من التشبه باليهود فى السبت وبالنصارى فى الاحد كما تقدم فيحذر من هذا كله (قال) مالك رحمه الله كان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يكرهون أن يترك العمل يوم الجمعة لئلا يصنعوا فيه كما صنعت اليهود والنصارى فى السبت والاحد (قال) ابن رشد رحمه الله وهذا لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمر بمخالفة أهل الكتاب وينهى عن التشبه بهم (روى) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال أحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا أى لاهل الكتاب (وانه) قال فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور ومثل هذا كثير

(فصل فى تحفظ طالب العلم من العمل على المناصب أو التشوف اليها)

قد تقدم رحمنا الله وإياك انه لا ينبغى له أن يطلب التدريس ولا ان يعمل عليه حتى يخطب له ويجده على وجهه السائغ شرعا من غير أن يدل هو

عليه

عليه لان ذلك يدخل عليه الخلل فى نيته المتقدم ذكرها (واذا كان) ذلك كذلك فى أخذ الدرس فمن باب الاولى والاحرى فى الاحكام بل ذلك فى الاحكام أشد (لما ورد) فى الحديث من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين انتهى (ومن ذلك) ماذكره مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان صبيين جاءاه يتخاصمان فى خطيهما فنظر فى الخطين ثم قال لولا انه حكم لقلت ان أحدهما أحسن من الآخر ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الحاكم ويداه مغلولتان الى عنقه لا يفكهما الا عدله وأنا أكره أن احشر مغلول اليدين أو كما قال (ولم) يزل السلف رضى الله عنهم أجمعين يهربون منه الهرب الكلى حتى قد حكى عن بعضهم انه توله فى الظاهر حتى رفع عنه ذلك (وقد) جرى للامام أبى حنيفة رحمه الله حين طلب للقضاء فقال انى لا أصلح فقيل له لابد من ذلك فقال لهم هذا لا يحل لكم قالوا لم قال لانى بين أحد أمرين اما أن اكون صادقا فيما قلته فلا يحل لكم ان تولوا من لا يصلح وان كنت كاذبا فلا يحل لكم أن تولوا كاذبا فتركوه (وحكايتهم) فى هذا أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وكانوا يعدون تولية القضاء من الابتلاء ويستعيذون من ذلك حتى انهم قد يحجرون بعض من تولى من معارفهم (وقد جرى) لسيدى الشيخ أبى الحسن الزيات رحمه الله تعالى لما ان طلب للقضاء ماقدذكر (وقد جرى) لسيدى أبى محمد رحمه الله تعالى فى افريقية لما ان طلب للقضاء وأجبر عليه طلب منهم ان يجعلوا المال بين يديه من الرجال لاستخلاص الحقوق الشرعية مايقوم بكفايتهم من بيت المال قالوا ولم ذلك قال لان على السلطان أن يوصل لكل ذى حق حقه وليس على صاحب الحق ان يعطى من حقه شيئا وهذه المسئلة منصوصة فى المذهب قد ذكرها ابن رشد رحمه الله تعالى فى البيان والتحصيل له فلما ان طلب منهم ذلك عملوا حساب مايخرج منهم فوجدوه مالا كثيرا فشحوا باخراجه فتركوه (وقد قال) بعضهم ينبغى لمن ولى اى خطة ان ينظر الى نفسه فى يوم عزله منها ولا ينظر الى يوم توليته اه وماذاك الا لانه اذا نظر الى يوم توليته هلك فى الغالب الا من عصم الله وقليل ماهم واذا نظر الى يوم عزله سلم فى الغالب (وقد) جرى بمدينة فاس ان السلطان جبر الشيخ الجليل أبا

عبد الله بن عمر ان على القضاء فاستشار بعض الاكابر فاختلفوا عليه فقال له بعضهم لا تتول وان توقعت الموت وقال له آخرون ان توقعت الموت تول واحكم بالعدل وهم يعزلونك فسمع من الثانى فتولى وحكم بالعدل فلم يبق الا أياما يسيرة وعزلوه فى حكاية يطول ذكرها (فيتعين) عليه المهرب الكلى من الولاية وأسبابها اذ أنها احتوت سيما فى هذا الزمان على حظوظ النفوس من الرياسة الموجودة فيها الا ترى ان المال الذى هو معلق بالقلوب فى الغالب يبذل فى المناصب ولا تبذل المناصب فيه فدل ذلك على انه أعظم ولاجل هذا قال بعض الاكابر الزهد فى الرياسة أفضل وأعظم من ألف زهد فى المال (وليحذر) من أن يميل الى خاطر النفس والعوائد الرديئة والالزام المعينة للشيطان عليه فقد تسول له نفسه أو احد ممن ذكر أنه من الصنف الذين يتعين عليهم الولاية الشرعية فيقع بالقضاء فى القضاء الا ترى ان ذلك آفة عليه عاجلة لانه يقطع عليه ما هو بصدده من الاشتغال لكثرة الاشتغال ان كان شابا اذ أنه يحرم عليه اذا جاءه الخصمان أن يشتغل بطالعة المسائل أو غيرها (ويتعين) عليه اذ ذاك ترك الضروريات كلها الا ما استثنى شرعا (لما ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يقضى القاضى وهو غضبان اه وعداه الفقهاء الى غير ذلك وان كان ذا سن فأشد من الاول لما تقدم ذكره من انهم كانوا اذا بلغ احدهم الاربعين طوى الفراش وانعزل عن الناس وتبتل للعبادة وترك الاشتغال بالعلم اذ ذاك فما بالك بالدخول فى القضاء وهذا هو الغالب فيه اعنى ان القضاء لا يجىء للانسان الا بعد الطعن فى السن حين توقع هجوم الموت عليه غالبا لما جاء فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول معترك منايا امتى ما بين الستين الى السبعين (ويكفى) من التنفير عنه ما حكى ان بعض القضاة كان اذا جلس للاحكام جلس الى جانبه رجل اسود الوجه ابيض البدن فكان اذا اراد أن يفصل الحكم بين الخصمين نظر الى وجهه ثم يفصل الحكم بعد ذلك فسئل عن موجب ذلك فقال اسألوه فسألوه فأخبرهم انه كان ينبش القبور فمات قاضى البلد فقال فذهبت اليه ليلا فنبشت عليه حتى وصلت اليه وجئت آخذ الكفن واذا بشخصين قد دخلا فرعبت منهما فرجعت فى ناحية من القبر فقال احدهما

للآخر تقدم فجاء الى قدميه فشمهما فقال هاتان قدمان ماعصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى فرجه فشمه فقال هذا فرج ماعصى الله قط فقال له تقدم فجاء الى بطنه فشمها فقال هذه بطن ما اكلت الحرام قط فقال له تقدم فجاء الى يديه فشمهما وقال هاتان يدان ماعصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى فيه فشمه فقال هذا لسان ماعصى الله قط فقال له تقدم فجاء الى عينيه فشمهما فقال هاتان عينان ماعصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى أذنيه فشمهما فسكت فقال له مالك فقال له هاتان أذنان جاءه يوما خصمان فأصغى الى أحدهما اكثر من الآخر فارتفعا يضربانه فهربت فحصل لى هذا من هوى القمعة فأصبح وجهى كما ترون اه (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه الحكاية ما اعجبها فأين الحاكم الذى يكون على مثل ما كان عليه هذا السيد هو والله أعز شئ يكون ومن له عقل ينظر الى كل موضع يضطر فيه الى الصبر فيهرب منه لان البشرية فى الغالب عاجزة عن الصبر فان وقع فيه من غير أن يختاره ويضطر اليه فالاستغاثة اذذاك بربه لعل أن يصبره على ما ابتلاه به فيعده من باب الابتلاء فاذا فعل ذلك يرجى له ان يعان وان يسلم من الآفات المنوطة به يشهد لذلك ماورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لاتسأل الامارة فانك اذا أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها وقد قال عليه الصلاة والسلام انا لانولى أمرنا هذا من طلبه اه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الغالب من احوالنا اليوم فى تولية المناصب والعمل عليها بل يبذل بعضنا المال فى تحصيلها فأى نسبة بين هذا الحال وبين ماتقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام انا لانولى أمرنا هذا من طلبه وقوله عليه الصلاة والسلام لاتسأل الامارة الحديث فاذا تقرر ذلك تبين به قبح تعاطيهم لذلك (فان) زعم بعضهم انه يتعين عليه البذل فى ذلك لما يراه من ان فيه أهلية للمنصب دون غيره (فالجواب) عنه من وجهين (الاول) ان فى هذا تزكية للنفس وقد نهى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك (الثانى) ان التعرض للاحكام فيه اشغال الذمة بأمر لا يعلم هل يتخلص منه أم لا وخلاص الذمة متعين (فان احتج) بما حكاه الله تعالى فى كتابه عن نبيه يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم حيث قال اجعلنى على خزائن الارض

انى حفيظ عليم (فلا) حجة له فيه لان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون وليس كذلك غيرهم (الا ترى) الى ما احتوت عليه قصة نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام حيث طلب ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وذلك منه عليه الصلاة والسلام على سبيل الرحمة والشفقة على غيره لما أطلعه الله تعالى من أنه لا يكون في الانبياء بعده نبي ملك فلما ان علم صلى الله عليه وسلم ذلك خاف على غيره ان أعطى ذلك يهلك بسببه وهو عليه الصلاة والسلام قد أمن ذلك من جهة عصمته هذا وجه (الوجه الثاني) ان نبي الله يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم لما ان علم أنه سيقع بالناس شدة وغلاء خاف عليهم ان تولى غيره ذلك أن يهلكوا هلاك استئصال فاشفق عليهم من ذلك فطلب ما طلب (الثالث) انه عليه الصلاة والسلام خشي عليهم أن يقصروا في حقه والتقصير في حق الانبياء كفر اذ أنه رسول من رب العالمين قال الله عز وجل في كتابه العزيز ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات (واذا كان) ذلك كذلك فلا يحتج به على طلب الولاية وقد قال بعضهم لا أعدل بالسلامة شيئا والسلامة غالبا انما تتوقع في ترك الولايات فكيف بذل فيها الاموال لا جرم انه لما رجع الامر فيها الى بذل الاموال صار يطلبها من ليس فيه أهلية لها ولا يعرف الاحكام فضاعت أمور المسلمين بسبب طلبها ودخول الاموال فيها وصارت التولية لمن لا يستحقها (فاذا) فهم ذلك فيتعين الهرب من الولاية مهما أمكن والعمل على البراءة منها وهو أبرأ للذمة وأخلص من التبعات عاجلا وآجلا ولو لم يكن فيها الا التفرقة عن الاشتغال بالعلم والاقبال عليه والانقطاع الى الله تعالى ان كان بعد الاربعين كما تقدم (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى في هذا الزمان بسبب الاقتداء بفتوى من وهم والحق الرشوة التي هي من باب السحت والحرام بباب الجعالة والحاقها بباب الجعالة لا يجوز لفقد شروط الجعالة فيها اذ أن الجعالة عند العلماء لها شروط أربعة أحدها أن يكون الجعل معلوما والثاني أن لا ينقده والثالث أن لا يكون فيه منفعة للجاعل الا بتمامه والرابع أن لا يضرب للعمل المجعول فيه أجل فمتى انخرم أحد هذه الشروط لم تجز وقد فقد في الرشوة أكثر هذه الشروط (ومن) كتاب القوت كان ابن عباس رضي الله عنه

يقول

يقول ويل للعالم من الاتباع يزل الزلة فتحمل عنه فى الآفاق (وقال آخر) زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق الخلق اهـ (ولاحجة) ان يقول ان التحريم انما هو فى حق الآخذ للرشوة ليس الا لان المعطى قد تسبب فى وقوع أخيه المسلم فى هذا المحرم فصار شريكا له فى اثم ذلك (وقد ورد) ان الظلمة يحشرون وأعوانهم حتى من مد لهم مدة فاذا كان من مد لهم مدة يحشر معهم فما بالك بمن أخذ مالا من أخيه المسلم على شئ هو مأمور بأن ينفعه به من غير عوض (وقد روى) أبو داود فى سننه عن أبى امامة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شفع لأحد شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا (ومن) كتاب التفسير للامام أبى عبد الله محمد بن ظفر الحموى رحمه الله تعالى لما أن تكلم على قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت قال الحسن هم حكام اليهود يستمعون الكذب ممن يأتيهم برشوة (وقال) عمر رضى الله عنه رشوة الحاكم من السحت (وقال) ابن مسعود من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة فاهدى اليه هدية فقبلها فذلك السحت فقيل له كنا نرى ان السحت الرشوة فى القضاء فقال ذلك الكفر وتلا قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وانما أراد ان من أكل الرشوة فى القضاء أكل السحت وكفر (وروى) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن الراشى والمرتشى والرائش فالرائش هو الذى يرشى المرتشى من مال الراشى فيأخذ له الرشوة منه فكل مال كسبه ذو الوجاهة عند السلطان من ذوى الحوائج اليه بجاهه فهو عند مالك رحمه الله سحت والقضاء فيه ان يرد الى أصحابه فان لم يعلموا رفعه السلطان الى بيت مال المسلمين (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هدايا العمال من السحت (وقال) عمر رضى الله عنه هدايا الامراء غلول اهـ

(فصل فى العدالة) فاذا تقرر ما ذكر من الهرب من المناصب فرأكدها الهرب من العدالة وترك التشوف اليها اذ أن الخطر فيها أعظم مما تقدم فى القضاء اذ أن القاضى ليس له أمر ولا نهى فى الغالب الا بشهادتهم فكأنه أسيرهم لانه بحسب ما قالوه حكم فهم الباعثون له على الحكم وأمورهما

متشعبة مشغلة عن الاشتغال بالعلم وغيره فى الغالب حتى انه قد يضيع بعضهم حاله لأجلها وفيها من المفاسد أشياء عديدة فى هذا الزمان لا يمكن تتبعها الان ذلك يطول وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه اه (فعلى) هذا كل من طلب العدالة فهو قدح فى عدالته سيما فى هذا الزمان خصوصا لما احتوت عليه من الامور الفظيعة ولو لم يكن فيها من القبائح الا ما أحدثوه من بذل المال فيها وان كان ذلك ليس خاصا بها بل هى وغيرها من المناصب الدينية رجعت الى بذل المال والاستعانة معه بمن لا يرضى حاله فى الشرع الشريف فكان ذلك سببا قويا فى أن يأخذ المناصب من لا يستحقها ويحرمها من يستحقها فى الغالب فآل الامر فى ذلك الى أشياء فظيعة من ابطال الانكحة والعقود وغير ذلك من أمور المسلمين اذ أن الربط والحل انما هو بالعدول لكن أكثر العدول فى هذا الزمان حالهم معلوم فلا حاجة الى شرحه ولاجل هذا المعنى كثرت شهادات الزور اذ أنه لو اخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينية أهلها القلت المفاسد بل تعدم بالكلية (وقد) ذكرت لبعض المباركين شخصا وأثنيت عليه عنده وقلت له ان والده يطلب له العدالة فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هو الآن عدل كيف يجرحون فقلت له العدالة تجريح فقال نعم فى هذا الزمان ترك العدالة هى العدالة (وما) ذكره بين (الا ترى) الى حال بعضهم فى المكتوب اذا كتبه يطلب عليه ما لا يستحقه ويتشاح فى ذلك ولسان العلم يمنعه (اذ) ان الجالس لا يخلو حاله من أربع مراتب (أولها) وهى أعلاها أن يجلس لقضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم وارشادهم وتصحيح عقودهم طالبا بذلك الثواب من الله تعالى لا لدنيا يصيبها ولا لثناء وغيره امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه اه فاذا اعطى شيئا تبرم منه واغلظ على فاعله وهذا عزيز الوجود فان وجد كان ما يفعله من ذلك افضل من صلاته النافلة فى بيته وانقطاعه للتعبد اذ انه خير متعد لاخوانه المسلمين ولا يختلف ان النفع المتعدى افضل من القاصر على المرء نفسه بشرط السلامة من الآفات التى تعتوره فى ذلك (المرتبة الثانية) ان يجلس للشهادة فاذا جاءه شغل اخذ

عليه

عليه أجرة نسخه للورقة أو أقل منه ليس الا فان زاده على ذلك شيئا ردّه عليه
ولم يقبله وهذا قريب من المرتبة الاولى فى عزة وجوده (وقد) كان سيدى
أبو عبد الله بن عمران رحمه الله تعالى بمدينة فاس جالسا فى العدول وجاءه
انسان فكتب عنده حجة وأعطاه درهما فردّه عليه وقال لا نستحقه فقال له
ما عندى غير الدرهم فقال لا آخذ مالا أستحقه فقال له فكم نعطيك قال ربع
درهم قال ما عندى ربع قال هات أربعة من البيض ثم جاءه مرة أخرى لاداء
الشهادة فنزل من دكانه لادائها فأعطاه شيئا فانتهره وزجره وقال تطعمون
الناس الحرام ومع هذا الحال من التحرز والاحتياط لدينه تبرم من
ذلك وقام من المجلس وانعزل فى بيته فعلى منواله فانسج ان أردت الخلاص
(المرتبة الثالثة) أن يجلس فاذا جاءه شغل عمله ولا يطلب عليه شيئا فان
أعطاه قليلا رضى به وان أعطاه كثيرا عن طيب نفس منه لم يرده وهذه المرتبة
أدنى من المرتبتين المتقدمتين مع كونها جائزة شرعا وقد قل وجودها فى هذا
الوقت (المرتبة الرابعة) ما يتعاطونه فى هذا الزمان وهو محرم اتفاقا وهو أن
يطلب الشاهد مالا يستحقه ويمنع الحجة لاجله حتى يأخذ اكثر من ذلك حتى
أدّى الامر الى أن يترك بعض الناس الاشهاد على حقوقه لاجل الاجحاف به
وخوفا من اعانتهم على أكل الحرام (وأقبح) من هذا انه اذا طلب من
بعضهم أو أكثرهم اليوم أداء الشهادة عند الاضطرار اليها يتناساها كأنه
لا يعلمها حتى اذا أعطى شيئا تذكرها اذ ذاك من غير ارتياب (سيما) فى صدقات
النساء يفعل بعضهم فيها فعلا قبيحا وهو أن يمسك الصداق عنده فاذا طلب
منه يقول حتى أفتش فلا يزال يماطل حتى اذا اضطرت المرأة اليه بموت
زوجها أو طلاقه اياها أو تطلب حقها المذكور فى صداقها فيطلب منها اذ
ذاك ما يختاره وان كانت ضعيفة الحال وخشيت منه أيضا ان كان الصداق
عندها أن تقضى ما تريده عند غيره (وكذلك) يفعلون بالمبارأة وأفعالهم من
هذا وماشاكله أقبح من أن تذكر وتنزه الكتب عن ذكرها والاقلام عن
كتبها (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون
فتن كقطع الليل المظلم يصبح المرء مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا
يبيع دينه بعرض من الدنيا اه ولا شك ان من أخذ مالا يستحقه فقد باع

دينه بعرض من الدنيا (فان) قال قائل قد يضطر طالب العلم الى العدالة والمجلوس لاجل العائلة وما يعتوره من الضرورات الشرعية لقلة ذات يده مما يحوجه الى ذلك (فالجواب) ماتقدم قبل هذا وهو ان ما كان من أمور الدين لا تستقل به الدنيا فمن اضطر الى ذلك فله فى غيره من الاسباب الشرعية اتساع وهى كثيرة متعددة وأمور الدين والآخرة بمعزل عن أسباب الدنيا فلا ضرورة تدعو الى التسبب فى العدالة والمجلوس لما ذكرنا لهم الا أن يدخل عليه ذلك من غير أن يقصده ويجلس بقصد أحد الوجوه الثلاثة المتقدم ذكرها فلا بأس اذن ويرجى له أنه فى طاعة لضرورة الناس اليه وضرورته شرعية (تنبيه) وليحذر اذا جلس أن يفعل ما جرت به عادة بعض أهل الوقت وهو ما يسقط العدالة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن السرف وعن اضاعة المال ولا شك ان كتب الصداق فى خرقة الحرير من باب السرف واضاعة المال وان كانت المرأة يجوز لها لبس الحرير والتحلى بالذهب لكن فيما يكون لبسا وتحليا شرعيا وأما الصداق فمن باب الفخر والخيلاء والمباهاة والمخالفة وقريب من هذا كتبهم لذلك فى القصاف وان كان مباحا لبسه للرجال والنساء وهذا ليس بلبس والسرف فيه موجود وذلك منهى عنه كما تقدم ولهم فى الرق وغيره من المباح اتساع (ثم) كذلك يحذر من هذه البدعة الاخرى وهو ان يكتب سطرا أو سطرين ثم يترك بياضا خارجا عن العادة فهو أيضا من باب اضاعة المال والسرف والخيلاء وان كان فى رق أو ورق ولم يكن فيه الا مخالفة السلف الماضين رضى الله عنهم لكان فعلهم لذلك قبيحا فكيف به مع مصادمة النصوص الشرعية المانعة من السرف (تنبيه آخر) وليحذر أن يحضر كتب صداق فى موضع مفروش بحرير على ما يفعلونه فى الغالب أو يجلس على حرير أو يستند اليه أو الى وسادة مطرزة بحرير على ما يفعلونه فى هذا الوقت من وسع الطراز بالحرير وقد تقدم القدر الذى يباح ويتسامح فى اباحته من الحرير للرجال (وكذلك) يمنع من الدخول تحت السقف المذهب ومن المواضع التى فيها تماثيل أو صور ممنوعة شرعا (وكذلك) لا يجوز أن يحضر الكتب فى موضع فيه منكر بين أو مع من يتعاطى ذلك جهارا مثل أن يكون ثم شرب خمر أو مغان على ما يعلم من حضورهن بآلات الطرب وكشف الوجوه

والمعاصم

والمعاصم أو يكون ثم نساء متبرجات سواء اختلطن بالرجال أم لا (وكذلك) لا يحضره وضعا فيه مغاني الرجال بالآلات الممنوعة المتقدم ذكرها وان كان مكروها دونها ولا في مكان تحضره الشيعة على الصفة المتقدم ذكرها (وكذلك) يتعين على من هو منسوب الى الخير والصلاح والعلم أو أحدها أن لا يجيب الى موضع فيه شيء مما ذكر وما أشبهه فان ذلك قدح في خيره وصلاحه وعلمه لانه يجب عليه تغيير ذلك وأقل ما يمكن في حقه من التغيير أن لا يجيب لموضع فيه شيء من ذلك بعد أن يعرفه أن امتناعه من أجل كذا وكذا فان ذلك كله ممنوع شرعا وان كان هذا في حق الناس كلهم ممنوعا في النكاح وغيره لكن في حق العدل آكد لانه اذا حضر شيئا من هذا وما شاكله ترتب عليه مفسدتان عظيمتان احداهما وهي أشدهما سقوط عدالته في نفسه واذا سقطت عدالته بطلت العقود التي يشهد فيها ان كان النصاب لم يكمل الا به والثانية أنه قدوة فيقع العوام بسبب تعاطيه ذلك في اعتقاد جوازه في الشرع فيكون ذلك سببا للاحداث في الدين بزيادة ما ليس منه فيدخل تحت ذم الشرع حيث قال ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء اه وهذا أمر قد تساهل فيه أكثرهم اليوم وفيه من الخطر ما تقدم ذكره (تنبيه آخر) وكذلك يحترز الشاهد على نفسه مما اعتاده بعضهم في هذا الزمان وهو أن القاضي اذا أشهد على نفسه في امضاء الحكم قام الشهود له اذ ذاك وانحنوا حتى يقرب بعضهم من الركوع الممنوع لغير الله تعالى وتكلموا مع ذلك بالفاظ مذمومة ممنوعة في الشرع لما فيها من التزكية والتملق بالباطل ولا شك أن ذلك الفعل قدح فيمن فعل ذلك وفيمن رضي به (وكذلك) يحترز من قيامه عند عطاس القاضي ومن تشميته بالفاظهم التي اعتادوها اليوم ولم ترد في الشرع (وقد) وقع بهذا الذي ذكر التنبيه بالاقل على الاكثر وبالاصغر على الاكبر فليتنبه لذلك من يتنبه والله تعالى يوفقنا واياك لما فيه رضاه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (تنبيه آخر) وينبغي له اذا جاءه الخصمان ليشهد عليهما بتقييد ألفاظهما وما شاكل ذلك مما يقع بينهما حين المشاجرة أو الرجل وزوجته يريدان الفراق أن يكسر على كل واحد

قوله ان يكسر الخ ملخصه كما في القاموس محاولة تسوية المحل على البعير اه

منهما مهما أمكنه ويشير عليهما بالصلح جهده ويذكرهما ما في الصلح من الخير والبركة (قال) الله تعالى في كتابه العزيز لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس (وقال) الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير (فلا) يعجل الشاهد عليهما بالشهادة الا بعد الاياس من صلحهما ويرى ان الفرقة خير لهما والشهادة أوجب عليهما لما يراه من حسم باب النزاع بينهما ويخبرهما بما في التقاطع والتدابر من الاثم فاذا فعل ذلك كان له الثواب الجزيل لامتثال الكتاب والسنة في ذلك وفيه ترك الاستشراف لما في أيدي الناس من الحطام وبه تحصل البركة (لما) ورد في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (وقد) أدركت بعض الشهود بمدينة فاس اذا جاءهم من ذكر من المتخاصمين لا يجعلون عليهم بالاشهاد حتى ييأسوا من صلحهم كما تقدم وكان لهم مع ذلك الخير والبركة ولم يكن لهم سبب غير ما هم فيه ثم مع ذلك كان حالهم أجمل حال في اليسار والسعة فظهرت عليهم بركات الامتثال لما قاله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم اذ البركة هي المقصودة فاذا حصلت فلا يلتفت الى الاسباب قلت أو كثرت (ولاجل) ترك النظر الى هذا المعنى كثرت اليوم الاشغال والشهادات وامتحقت البركات سيما ان حصلت شهادته على ما يفعلونه اليوم من هذه الصفة المذمومة في التحليل فانها كالترياق المجرب قد عملت بالعادة الماضية فيه وهو أن من فعل ذلك وتعاناه من الزوجين والولي والشهود سلط عليه الفقر ولاجل هذا تجد الواحد منهم يحصل له عليه في اليوم جملة من الفضة ومع ذلك حاله ضيق وتجد عليه الدين ويشتكي بالفقر والفاقة الكثيرة وهذا حال الكثير منهم كل ذلك سببه الاستشراف كما تقدم ذمه في الحديث (فان) قال قائل ان الشاهد اذا فعل ما ذكرتموه يثقل عليه الشغل وقد ينعدم في أكثر الاوقات فيضيع حاله وحال عياله (فالجواب) ان الشغل القليل مع امتثال السنة أبرك من الكثير مع مخالفتها بل ما مع المخالفة بركة أصلا (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لن تموت نفس

حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب اه (فارشد) عليه الصلاة والسلام لما فيه صلاح أمته دينا ودنيا فمن حاول الراحة فى غيره فقد رام شططا وتعب وأتعب (فليحذر) العاقل من هذا الامر فانه خطر (ثم) مع تنزهه عن الاشغال الكثيرة يحصل له البركة وفراغ السر وقد يجد السبيل الى المطالعة والدرس وهو فى دكانه بخلاف حاله مع كثرة الاشغال المكروهة شرعا فان البركة تنمحق منها و يتعوق بها عن الاشتغال بالعلم وقد تقدم ان الاشتغال بالعلم أفضل الاعمال وأركاها وأبركها فليشد على ذلك يده لانه لاشئ أبرك مما هو فيه (الا ترى) الى ما فى الحديث الذى خرجه صاحب الحلية وصححه السمرقندى رحمه الله تعالى فى فضل العلم والثناء على حامله وبركته والتنويه بقدره (وهو) ما روى عن معاذ يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة والانس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والمعين على الضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى رأيهم ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه وسباع الطير وأنعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الابصار من الظلمة بالعلم تبلغ منازل الاخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته القيام وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء اه

(فصل فى آداب العالم والمتعلم فى بيته مع أهله) قد تقدم انهما قدوة للمقتدى فاذا فعلت زوجة أحدهما شيئا نسب ذلك للشرع وصار حجة فى الدين غالبا فيتعين على كل منهما أن يتحفظ على تصرف أهله كما يتحفظ على تصرفه فى نفسه كما تقدم (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال النساء شقائق الرجال يعنى فى امتثال الاوامر والنواهى (فاذا) تقرر هذا فقد تقدم ما فى النعوت من الذم فى حق النساء والرجال وما فى قيام

الرجال بعضهم لبعض من الذم وقيام المرأة للمرأة أشنع اذ أنها عورة وحركتها زيادة فى ظهور العورة لان فى قيامها يرى منها مالا حاجة تدعو الى رؤيته (وبالجملة) فان القيام فى حقها أشد من قيام الرجل وان كان ذلك ممنوعا له الا فيما استثنى كما تقدم (وليحذر) أن يفاحشها (وقد) منع مالك رحمه الله تعالى من ذلك فى حق غير العالم والمتعلم فكيف به فى حقهما لانهما قدوة (قال) ابن رشد رحمه الله انما كره مالك رحمه الله ذلك لانه لم يكن من عمل الناس اه وله فى الانبساط بما يجوز شرعا اتساع فلا ضرورة تدعو الى غيره (وليحذر) ان تتزين زوجته بالذهب والفضة فى غير ما أبيح لها اذ أن الشرع انما أجاز لهن لباس الحرير والتحلى بالذهب على أبدانهن (واذا كان) ذلك كذلك فلا يجوز له أن يتركها تتخذ المكحلة أو الميل أو المرآة من ذهب أو فضة اذ أن ذلك ليس بزينة شرعية (وكذلك) يمنعها مما عمت به البلوى فى هذا الزمان حتى صار كأنه شعيرة بينهم وهو أن الزوجة لا تدخل على زوجها فى الغالب الا بثلاث دكك دكة فضة ودكتى نحاس ابيض واصفر وهذا لا قائل به من المسلمين أعنى ما كان من ذلك فضة اذ أن ذلك محرم على الرجال والنساء وان كان قد اختلف فى اتخاذ الاناء الصغير للمرأة لكنه قول لا يعول عليه وهو آثم فى فعله واتخاذه وتجب الزكاة عليه كل سنة تمضى عليه (ويتعين على الزوج أو الولى أن يمنع ما أحدثه النساء من تزيينهن للحواجب بما يمنع وصول الماء الى البشرة سيما ان كان نجسا اذ أن ذلك محرم اتفاقا (وأما) النقش والتكتيب فلا شك فى منعه لانه نجس وحائل ويزيد على ما ذكر بكشف العورة لاجله اذ أن المرأة الحرة كلها عورة الا وجهها وكفيها (واختلف) فى حالها مع النساء مثلها من المسلمات فقيل كالرجل مع المرأة الاجنبية وقيل كالرجل مع الرجل وفيه من التشويه أعنى فى النقش والتكتيب انهن يغيرن به البدن ويكسبه ذلك خشونة وذلك مما ينغص على الرجل فى الاستمتاع وقد يؤول ذلك الى وقوع البغضاء بينهما وان غفلت المرأة عن نفسها قليلا بقى بدنها كأنه ضرب بالسياط والغالب ان بدنها يدمى فتزيد النجاسة ويكثر ضد مراد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى التباعد عنها وأما هى فالغالب انها تقاسى من ذلك شدة حتى تبرأ فاذا برئت بقى أثره فى بدنها حفرا حفرا بعد أن

كان مستويا صحيحا سالما من العيوب (وليحذر) من هذه البدعة التى اتخذها بعض النساء فى الغالب وهى انها اذا ارادت الخروج لبست احسن ثيابها وتزينت وتعطرت ولبست من الحلى ما قدرت عليه من سوار وخلخال وتضيف الى ذلك فعلا قبيحا شنيعا وهو ان تجعل الخلخال فوق السراويل لكى يظهر وقد تضرب برجلها فى الغالب فيسمع له حس وهذا خلاف ما نطق به الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وتعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها الى قوله تعالى ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (وكذلك) ما يفعلنه من لبس هذا الازار الرفيع الذى لو عمل على عود لافتتن بعض الرجال فى الغالب لحسن منظره وصقالته ورقة قماشه وقد تقدم ان السنة فى حق المرأة اذا أرادت الخروج ان تلبس خشف ثيابها ومع ذلك فالسنة فى حقها ان تجر مرطها خلفها قدما ومن شبرا الى ذراع وان تمشى مع الجدران وتترك وسط الطريق وهذا فى حق سائر الناس (وأما) فى حق العالم والمتعلم فيجل حالهما ان يرضيا بشئ من ذلك وقد تقدم انهما قدوة للمقتدين فاذا رأى احد زوجة العالم أو المتعلم تعمل شيئا مما ذكر ينسب ذلك الى الشرع كما تقدم وهذه مفسدة عظيمة فكيف تنسب الى من له علم معاذ الله (وقد) تقدم أن المرأة لها ثلاث خرجات فان كان ولا بد من الزيادة على هذه الثلاث فليكن على ما ينبغى من لسان الشرع فى ذلك (ويعلمها) السنة فى الخروج وفى الاقامة فى بيتها اذا أنها اذا كانت فى بيتها فيستحب لها ان تفعل ما تقدم انها تفعله فى خروجها لقوله عليه الصلاة والسلام جهاد المرأة حسن التبعل ومن حسن التبعل التزين والتحلى والتعطر فى بيتها لزوجها مع حسن الخلق والتأنى له ولها فى ذلك اسوة بالسلف والخلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (وكذلك) يحذر من هذه البدعة التى اعتادها بعضهم من انهم ينامون فى ثيابهم والسنة الفراش والتجريد من الثياب ما لم يجاوز الاربعين على ما تقدم (وقد) جاء فى الحديث على ما ذكره مسلم ما هو صريح فى الدلالة على التجريد والفراش (وفيه) عن عائشة رضى الله عنها انها قامت من فراشها قالت فجعلت درعى فى راسى واختمرت وتقنعت ازارى الى ان قال فان جبريل عليه السلام أتانى حين رأيت فناداني فأخفيته منك ولم يكن

يدخل عليك وقد وضعت ثيابك (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها بعضهم وهي قبيحة مستهجنة وهي ان الزوجة اذا جاءت الى الفراش تأخذ شيئا يعطيه لها زوجها في الغالب غير نفقتها بحسب حاله وحالها تحق الفراش على ما يزعمن وهذا منكر بين (وقد) وقع بمدينة فاس انهم أحدثوا ان الرجل اذا دخل على زوجته يعطي فضة عند حل السراويل فبلغ ذلك العلماء فقالوا هو شبيه بالزنا ومنعوه وهذا انما كان في أول ليلة فما بالك به في كل ليلة (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى بل المحرم وهو أن الرجل يغفل عن زوجته في الغالب ولا يسألها عن صلاتها ولا عما يلزمها في الشرع وذلك محرم لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته فهو مسئول عن صلاتها وقد تقدمت حكاية سيدي أبي محمد رحمه الله مع أهله والغالب في هذا الزمان ان الرجل يراعي حق نفسه اذا كانت له عناية بدينه فيطأ ويخرج الى الحمام ويترك أهله وهن جنب وليس عندهن موضع للغسل ولا آلة تعين عليه وقد يستحي بعضهن وهو الغالب أن يخرجن الى الحمام في كل أوان فكان ذلك سببا لترك الصلاة وهو يعتقد انه برىء الذمة من جهة أهله في تركهن الصلاة وليس الامر كذلك وان أمرهن بها فأمر مطلق اذ لا يفكر لهن في تحصيل الغسل من غير مضرة تلحقهن والغالب ان ترك صلاة الزوجة انما هو من جهته لان من جهتها وقد يجتمعان في الغالب أعني الغفلة عنها وايثارها لترك الصلاة وقد يكون لها في البيت ما يمكنها الغسل فيه لكن تستحي من العائلة التي في البيت أن تغتسل وهم يشعرون بها فتترك الصلاة لاجل ذلك وهذا كله من المحرمات المتفق عليها ولاحياء في الدين وانما هي عوائد جرت واستحكمت وصار يستحي في الغالب من فعل الواجبات ولا يستحي من فعل المحرمات عافانا الله من ذلك عنه وكرمه (والعجب) من أكثرهم ان الواحد منهم يشتري الدار بالالف أو يبنيها ابتداء ثم يتوضأ في طشت ولا يعمل موضعا للوضوء فضلا عن موضع الغسل وما ذاك الا لاجل العوائد الرديئة المستهجنة القبيحة وهو أنهم لا فكرة لهم في الغالب الا في صلاح دنياهم وما كان من امر الدين فلا يفكرون فيه حتى يفجأهم ان كانوا متقين في هذا الزمان فان أصابت الجناية بعض

المتحفظين

المتحفظين منهم على دينه خرج الى الحمام وترك أهله كما تقدم وفى الحمام من كشف العورات ومالا يجوز اشياء متعددة (وكذلك) تجد بعضهم يعطى فى صداق المرأة المئين أو الآلاف ولا يعد موضعا للغسل بشئ يسير من ذلك وكذلك المرأة تساعده على ترك ذلك فكانهم اصطلحوا على فعل الاسباب التى تترك الصلاة لاجلها والصلاة لا تسقط بشئ من ذلك لا جرم أن التوفيق بينهما قل أن يقع وان دامت الالفة بينهما فعلى دخن وان قدر بينهما مولود فالغالب عليه ان نشأ العقوق وارتكاب مالا ينبغى كل ذلك بسبب ترك مراعاة مايجب من حق الله تعالى منهما معا (وقد) تقدم ان المرأة لو طلبت من القاضى أن يجعل لها زوجها موضعا للغسل يحكم لها بذلك عليه (ألا ترى) ان مالكا رحمه الله لما ان سئل عن الغسل من ماء الحمام فقيل له أيما أحب اليك الغسل من ماء الحمام أو الغسل بالماء البارد فقال والله ما دخول الحمام بصواب فكيف يغتسل من مائه (فهذا) دليل واضح على ان غسلهم كان فى بيوتهم بل ان أهل الحجاز ما كانوا يعرفون الحمام (ألا ترى) الى ما رواه أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا بازار وامنعوا منها النساء الا مريضة أو نفساء (وروى) أبو داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجال والنساء عن دخول الحمام قالت ثم رخص للرجال أن يدخلوه بالمئزر (وقال) دخل على عائشة نسوة من نساء أهل الشام فقالت لعلكن من الكورة التى يدخل نساؤها الحمامات قلن نعم قالت أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرأة تخلع ثيابها فى غير بيتها الا هتكت مابينها وبين الله تعالى من حجاب (وروى) أبو داود عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير ازار ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام الا من عذر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر اه (وقد) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله كثيرا ما يحافظ على ما نحن بسبيله وذلك انه كان اذا عزم عليه أحد من المعتقدين له أن

يدخل بيته سأله هل عندك حمام في بيتك أم لا فان قال نعم مضى اليه وان قال لا امتنع من المضي اليه فكان ذلك سببا الى تيسير الطهارة على كل من عرفه في الغالب (وقد) قال الامام القرشي رحمه الله اذا أراد الله بعبد خيرا يسر عليه أسباب الطهارة ولا شك ان من كان في بيته موضع للغسل والوضوء فقد تيسرت عليه الطهارة اذ أن ذلك من اعظم أسباب التيسير لها

(فصل في دخول المرأة الحمام) وينبغي له أن لا يأذن لزوجته في دخول الحمام لما اشتمل عليه في هذا الزمان من المفاسد الدينية والعوائد الرديئة لان علماءنا رحمة الله عليهم اختلفوا في المرأة مع المرأة هل حكمها حكم الرجل مع الرجل أو حكم الرجل مع المرأة الاجنبية أو حكم الرجل مع ذوات محارمه وهن قد تركن ذلك كله وخرق اجماع الامة بدخولهن الحمامات باديات العورات وان قدرنا ان امرأة منهن سترت من سرتها الى ركبتها عين ذلك عليها وأسمعنها من الكلام ما لا ينبغي حتى تزيل الستر عنها ثم ينضاف الى ذلك محرم آخر وهو أن اليهودية والنصرانية لا يجوز لها أن ترى بدن الحرة المسلمة وهن يجتمعن في الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات فيكشف بعضهن على عورات بعض فكيف يأذن أحد أهله في دخولها فان قال انه يأخذ لاهله الخلوة فما ذكر من المفاسد لا تذهبه الخلوة اذ أنهن حين الدخول فيها والخروج منها والجلوس في المقطع يكشفن على عورات غيرهن ويكشف عليهن اللهم الا أن تكون الخلوة خارجة عن الحمام فكانها حمام مستقل بنفسه فهذا جائز بشرط أن يكون كل من دخل يستتر الستر الشرعية ولا يمكن البلانة من الدخول على أهله وهي منكشفة حتى تستتر الستر الشرعية فهذا للضرورة لا بأس به (وكذلك) لو أخلى لاهله الحمام بليل واستتروا فلا بأس اذن على ما تقدم في الخلوة لكن لا أعدل بالسلامة شيئا اذ أن الغسل في البيت فيه ستر حصين وسد لباب الذريعة الى المفاسد الا ترى ان الواحدة منهن اذا ارادت الحمام استصحبت معها أخرى تباهيها وأنفس حليها فتلبسه حين فراغها من الغسل في الحمام حتى يراها غيرها فتقع بذلك المفاخرة والمباهاة وقل ان تقنع المرأة التي ترى ذلك على غيرها من

المقطع الحوض الذي على نصفه ثم قطع عنه الماء اه

زوجها

زوجها الا بمثل ذلك أو ما يقاربه وقد لا يكون لزوجها قدرة على ذلك فتنشأ المفاسد ورعا كان ذلك سببا للفراق أو الاقامة على شناعة بينهما الطول المدة هذا حال غالبهن وذلك ضد مقصود الشرع الشريف في الالفة والودا لذى جعله الله تعالى بين الزوجين بقوله عز وجل في كتابه العزيز ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وفي دخول الحمام مفاسد جلية وفيما ذكر غنية عن ذكر باقيها وهي بينة عند المتأمل ان عرض ذلك على لسان العلم فيتبين له ما فيه من القبح (فان) قال مثلا الغسل في البيت يصعب عليه (فقد) تقدم انه لو اتفق في خلوة يعملها في البيت من بعض ما يعطى من الصداق او من ثمن الملك لانسدت هذه الثلمة (فلو) قال ايضا ان الغسل في البيت لا يكون كالحمام سيما في ايام البرد (فالجواب) ان ايام البرد يمكن المرأة ان تستغني فيها عن الغسل بالسدر وماشاكله اذ أن ايام البرد لا يجتمع فيها الوسخ ولا الغبار كثيرا فاذا فرغت ايام البرد كان الغسل في البيت في الموضع المهيأ له لا مشقة فيه ويكفيها في تلك المدة انها تغتسل من الحيض كما تغتسل من الجنابة لكن بشرط ان يعلم زوجته سرعة الغسل فان ذلك آمن مما يتوقع من الضرر بها وذلك من السنة الماضية (الا ترى) الى ما خرجه البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقيمت الصلاة عليه يوما فسوى الناس صفوفهم ثم ذكر أنه جنب فقال على رسلكم ثم دخل بيته وخرج ورأسه يقطر ماء فصلى بهم فهذا دليل واضح على سرعة غسله صلى الله عليه وسلم اذ أنه عليه الصلاة والسلام ارحم الخلق بامته واشفقهم عليها فلو كان زمان الغسل فيه طول لامرهم بالجلوس حين ذكر سيما وقد يكون فيهم الضعيف والشيخ الكبير ولنا في فعله صلى الله عليه وسلم اسوة (وكذلك) يعلمها اذا اغتسلت في البيت ان تترك راسها ممغطى لا تكشفه حتى اذا جاءت الى غسله كشفته وخللت شعر راسها وافاضت الماء عليه ثم نشفته في الوقت وغطته ثم بعد ذلك تغسل سائر بدنها وانما يأمرها بذلك خيفة ان يصيبها في راسها الم ان تركته مكشوفا حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ولها ان تترك راسها ممغطى حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ثم تغسل راسها على ما تقدم ذكره وليس في ذلك الا ترك الترتيب فيه وهو في الغسل ليس بواجب ولو كان

المغتسل به ألم فى رأسه لا يقدر على كشفه رجلا كان أو امرأة فانه يغسل جميع بدنه ويمسح على رأسه من غير حائل فلو كان بضره المسح عليه مسح على العمامة أو الخمار ويجزيه ذلك مادام به الاذى وكذلك ان كان الالم فى غير رأسه وليس عليه تيمم عند مالك رحمه الله ومذهب الشافعى رحمه الله يجمع بين الغسل والتيمم ولو كان لا يقدر على استعمال الماء فى شئ من بدنه ارض به أو جرح أو لما يخشى أن ينزل به من مرض فله أن يتيمم وان طال به ذلك (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم فى المرأة اذا طهرت من حيضتها وهى فى سفر مع زوجها ولم يكن معهما من الماء ما يكفيهما الغسل لهما من الجنابة بعد غسلها من حيضتها فليس لزوجها أن يطأها بعد الغسل من حيضتها حتى يكون معهما من الماء ما يكفيهما اللهم الا أن يطول السفر بهما مع عدم الماء فيجوز لزوجها أن يطأها ويتيمما من جنابتهما (وكذلك) فيما نحن بسبيله ان كانت المدة قصيرة لا يتضرر بها الزوج فلا يجوز له وطؤها لعجزها عن استعمال الماء وان طالت المدة وأضر ذلك بالزوج فذلك جائز (وقد) قال عليه الصلاة والسلام الصعيد وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فاذا وجده فليمسه بدنه أو كما قال عليه الصلاة والسلام ولا فرق بين ان يعدم الماء أو يتعذر عليه استعماله بوجه من الوجوه الشرعية والله الموفق وهذا كله جار على الامتثال (واذا كان) ذلك كذلك فلا عذر له فى دخول الحمام على الصفة المذمومة شرعا (فلو) قال مثلا الغالب على الناس عدم الجدة والسكنى بالكراء فلا يتأتى لاكثرهم عمل موضع فى البيت للاغتسال فيه (فالجواب) ان الغالب فى البيوت ان يكون فيها خزانة أو موضع كنين فيتخذه للغسل فيجعل فيه اناء يقعد فيه مثل الماجور وغيره والمقصود أن من كان همه صلاح دينه عمل الحيلة فى صلاحه ودرأ المفاسد عنه وهذا متعين عليه والله أعلم

(فصل فى تعليم الزوجة أحكام الغسل وما تحتاج اليه فيه) ويتعين على الزوج أو غيره ممن يلى أمر المرأة ان يعلمها أحكام الغسل وما يجب وما فيه من الفرائض والسنن والفضائل وان كان هذا موجودا فى كتب الفقه لكن تمس الحاجة الى ذكره هنا كما تقدم فى أول الكتاب من ذكر فرائض

الوضوء وسننه وفضائله لتتم الآداب فى ذلك كله ان شاء الله تعالى فيعلمها
ان الغسل يجب من أحد أربعة اشياء من الانزال وان لم يكن جماع ومن
التقاء الختانين وان لم يكن انزال ومن دم الحيض ومن دم النفاس
وفرائضه المتفق عليها فى المذهب وهى النية والماء المطلق وتعميم
الجسد بالماء واختلف فى ثمان الفور والتدليك والبدن الطاهر ونقل
الماء وامرار اليد مع الماء ودوام النية والخشوع والتخليل وسننه خمس
غسل اليدين قبل ادخالهما فى الاناء والمضمضة والاستنشاق والاستنثار
ومسح الصماخين وفضائله تسع التسمية والسواك والموضع الطاهر
والبداءة بغسل اعضاء الوضوء والبداءة بالأعلى فالأعلى والبداءة بالايمن
فالأيمن والصمت الا عن ذكر الله تعالى والتشهد والدعاء بعد الغسل
واختلف فى الخاتم فى الغسل والوضوء هل يحركه ليصل الماء الى ما تحته أم لا
على ثلاثة أقوال يفرق فى الثالث بين ان يكون ضيقا فيحركه او واسعا فيتركه
وليحذر أن يستنجى وهو فى يده ان كان عليه اسم من اسماء الله تعالى او اسم
من أسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كان قد روى عن مالك اجازة
ذلك لكن هى رواية منكرة عند أهل المذهب عن آخرهم فينبغى ان لا يعرج
عليها ولا يلتفت اليها الان مثل هذا لا ينبغى أن ينسب الى آحاد العلماء فضلا
عن الامام مالك رحمه الله تعالى لما كان عنده من التعظيم لجانب الله تعالى
وجانب نبيه عليه الصلاة والسلام كما هو مشهور معروف عنه (فان كانت)
المرأة فى السمن بحيث لا تصل يدها الى موضع النجاسة منها فلا يجوز لها أن
تترك غيرها يغسل لها ذلك من جارية او غيرها ولا يجوز أن يكشف عليها غير
زوجها فان أمكن زوجها ان يغسل لها ذلك فيها ونعمت وله الاجر فى ذلك
والثواب الجزيل وان أبى فليس عليه ذلك واجبا وتصلى هى بالنجاسة
ولا يكشف عليها احد لان ستر العورة واجب وكشفها محرم اتفاقا وازالة
النجاسة فى الصلاة مختلف فيها على اربعة اقوال احدها ان ازالتها مستحبة
وما اختلف فيه فاركابه ايسر من الذى لم يختلف فيه (واما الرجل) فان كان
لا يصل الى ذلك بيده فانه يتعين عليه ان قدر أن يشترى جارية تلى ذلك منه
وان تطوعت الزوجة بغسله لم يجب عليه شراء الجارية ولا يحل له ان يكشف

عورته على غير من ذكر فان لم يجد فصلاته بالنجاسة أخف من كشف عورته وهذا كله على مذهب مالك رحمه الله تعالى (وكذلك) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى المرأة المبدنة او الرجل يكون مثلها فى الموضع الذى لا يصلان اليه بأيديهما من ظهورهما اذا اغتسلا على أربعة أقوال (احدها) أن يستنيب من يلى ذلك منه (الثانى) انه يتخذ خرقة أو غيرها ليعالج ذلك بها (الثالث) انه يغمره بالماء ولا يجب عليه غير ذلك وهذا هو المشهور (الرابع) الفرق بين القليل والكثير (ثم يعلمها) الشروط التى يسقط بها عنها الوضوء والغسل ويجب عليها التيمم وهى ست أن تعدم الماء أو تعدم بعضه أو يتعذر استعماله مع وجوده ووجود الحدث ووجود الصعيد ودخول الوقت وأن يكون متصلا بالصلاة (ثم) يعلمها فرائض التيمم وهى خمس النية والفور والضربة الاولى بالارض ومسح الوجه ومسح اليدين الى الكوعين وسننه ثلاث الضربة الثانية بالارض والمسح من الكوعين الى المرفقين والترتيب وفضائله أربعة التسمية والسواك والصمت وذكر الله تعالى (ويعلمها) موانع الحيض والنفاس على ما تقدم بيانه وانما وقع التنبيه على التعليم لاهله لما يتعين عليه لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته وأيضا فانه يقبح بالمتعلم أو العالم ان تسئل زوجته عن شئ مما يحتاج اليه النساء فى الدين فلا يكون عندها علم بذلك مع كونه متعينا عليها فهذا من أقبح الاشياء وأرذلها اذ انه قدوة للمقتدين كما تقدم

(فصل فى دخول الرجل الحمام) وليحذرهوا أيضا من دخول الحمام مهما استطاع تركه كان به علة أو لا بل أوجب اذا ان العلة التى تقدم ذكرها فى حمام النساء موجودة فى الغالب فى حمام الرجال وان كانوا فى السترة أو جد من النساء (الا ترى) ان بعضهم اذا دخل الحمام استتر بالفوطة فاذا استقر فيه نزعها و بقى مكشوف العورة وكذلك اذا خرج الى المسلخ القى ما عليه و بقى مكشوفا حتى يتنشف (وقد قال) علماؤنا رحمة الله عليهم انه لا يجوز ان يجتمع مستور العورة مع مكشوف العورة تحت سقف واحد (وقال) ابن رشد رحمه الله تعالى فى معنى كراهة مالك للغسل من ماء الحمام ثلاث معان

(أحدها) ما نحن بسبيله وهو أنه لا يأمن أن تنكشف عورته فيراها غيره أو تنكشف عورة غيره فيراها وهذا لا يكاد يسلم من ذلك من دخله مع الناس لقلة تحفظهم وهذا اذا دخل مستترا مع مستترين وأما من دخل غير مستتر أو مع من لا يستتر فلا يحل ذلك ومن فعله فذلك جرحة في حقه وقدح في شهادته (المعنى الثاني) ان ماء الحمام غير مصان عن الايدي والغالب أن يدخل يده فيه من لا يتحفظ من النجاسات مثل الصبي الصغير والكبير الذي لا يعرف ما يلزمه من الاحكام فيصير الماء مضافا فتسلبه الطهورية (الثالث) ان ماء الحمام يوقد عليه بالنجاسات والاقذار فقد يصير الماء مضافا من دخانها فتسلبه الطهورية أيضا كما تقدم اه وهذا حال أهل وقتنا في الغالب وهو أن يدخل مستور العورة مع مكشوف العورة كما هو مشاهد معلوم (مع) أنه قد ذكر بعض الناس انه يجوز دخول الحمام وان كان فيه من هو مكشوف العورة ويصون نظره وسمعه كما انه يجوز له الاغتسال في النهر وان كان يجد ذلك فيه كما يجوز له أن يدخل المساجد وفيها ما فيها (وهذا) الذي ذكره رحمه الله تعالى محمول على زمنه الذي كان فيه وأما زماننا هذا فعاذ الله ان يجيزه هو أو غيره لما تقدم ذكره من ان النساء عاريات العورات كلهن ليس فيهن من تستتر والستترة الشرعية عيب عندهن كما تقدم وحمام الرجال قريب منه فيتعين على المكلف أن يتركه ما استطاع جهده (وما ذكره) من الغسل في النهر والدخول في المساجد وفيها ما فيها فغير وارد لان المكلف يكره له أن يدخلها ابتداء الا أن يضطر اليها على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى مع ان الغالب في هذا الوقت ان شاطئ النهر فيه من كشف العورات ما هو مثل الحمام أو أعظم منه على ما هو مشاهد مرئي من كشف عورات النواتي ومن يفعل كفعلهم سيما ان كان في غير زمن البرد فذلك أكثر واشنع لورود الناس للغسل وغيره وقل من يستتر فلا حاجة تدعو الى الكلام على ذلك لمشاهدته عيانا وما اتى على بعض المتأخرين الا انهم يحملون ألفاظ العلماء على عرفهم في زمانهم وليس الامر كذلك بل كل زمان يختص بعرفه وعادته والله الموفق (وكذلك) يجري هذا المعنى في الفساقي التي في المدارس والرباطات اذ أنها محل كشف العورات في هذا الزمان ومن ذلك

ماتجده فى الحمام فى الغالب من الصور التى على بابه والتى فى جدرانه وأقل ماجب عليه من التغيير ازالة رؤسها فيتعين عليه انكار ذلك والأخذ على يدفاعله فكيف يدخله العالم أو المتعلم ويسكتان الى غير ذلك من المفاسد وهى بينة (وان) كان قد أجاز علماؤنا رحمة الله عليهم دخول الحمام (لكن) بشروط وهى أن لايدخلها أحد من الرجال والنساء الا للتداوى (الثانى) أن يتعمد أوقات الخلوة وقلة الناس (الثالث) أن يستر عورته بازار صفيق (الرابع) أن يطرح بصره الى الارض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور (الخامس) أن يغير مارأى من منكر برفق بقول استر سترك الله (السادس) ان دلكه أحد لايمكنه من عورته من سرته الى ركبته الا امرأته اوجاريته (السابع) ان يدخله باجرة معلومة (الثامن) ان يصب الماء على قدر الحاجة (التاسع) ان لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون دينهم على كراهة فى ذلك لما يخشى (العاشر) ان يتذكر به عذاب جهنم (وينبغى) انه مهما استطاع ان يعلم اهله بالفعل كان اولى اذ أنها بالغ فى الثبوت فى نفس المتعلم (وقد) كان صلى الله عليه وسلم يغتسل هو وزوجته من اناء واحد حتى انها لتقول دع لى دع لى فكل شئ يمكن تعلمه بالفعل للمتعلم كان ذلك اولى من القول كما تقدم من انه اثبت فى النفوس (وينبغى) له او يتعين عليه ان يعلم اهله كل مايحتاجون اليه من الاحكام غير ماتقدم اذ أن ماذكر انما هو تنبيه على سائر ما يعتورهم لان النساء فى الغالب يتعلمن منهن الاحكام فيما يقع لهن فاذا كن جاهلات بما يسئلن عنه فقد يكون ذلك من باب كتم العلم (ثم) اذا دخل بيته فهو بين احد امرين (اما) أن يكون مقبلا على العلم لا يسعه غيره فيا حبذا فيشتغل بما هو بصدده ولا يعرج على غيره (كما حكى) عن القاضى عبد الوهاب رحمه الله انه لما ان دخل مصر وتأهل بها وقعد مع زوجته سنين ثم مات رحمه الله تعالى اراد اهلها ان يزوجوها فقالت لهم اذا عزمتم فزوجونى على انى بكر فقالوا كيف وقد أقمت سنين معه فقالت أول ليلة دخل على صلى ركعتين وجلس ينظر فى كتبه ولم يرفع راسه ثم كذلك فى سائر ايامه فقمت يوما ولبست وتزينت ولعبت بين يديه فرفع راسه ونظر الى وتبسم واخذ القلم الذى بيده فحبره على وجهى وافسد

به زينتي ثم اكب رأسه على كتبه لم يرفعه بعد ذلك حتى انتقل الى ربه عز وجل فمن كانت له همة سنية فلينسج على منواله (وقد) قال العلماء ان طالب العلم يحتاج الى ستة أشياء لا بد له منها فان نقص منها شئ نقص من علمه بقدر ذلك وهي همة باعثة وذهن ثاقب وصبر وجدة وشيخ فتاح وعمر طويل (فان) أراد أن يستريح فكيفية النية في ذلك أن ينوي بتلك الاستراحة امتثال السنة لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة (وينوي) بذلك ادخال السرور على أهله بالاقبال عليهن والتحدث معهن (وينبغي) له أن يكون مع أهله وولده كواحد منهم لا مزية له عليهم أعني بذلك في بسطه لهم والتواضع معهم وينوي بذلك كله امتثال السنة (وذلك) كله جائز بشرط أن يكون لا يعارضه مخالفة أمر ولا ارتكاب نهي لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا حقا وقد تقدم ان الفراش والتعري من السنة (وقد) كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل بيته بعد صلاة العشاء وفرغ من ركوعه في بيته جلس يتحدث مع أهله ساعة (ثم) اذا عزم على الدخول في الفراش فالمستحب له أن يتوضأ للنوم وان كان على وضوء ثم يركع في الموضع الذي ينام فيه وهذا ما لم يوتر فان كان قد أوتر فالاولى أن لا يصلي بعد الوتر الا بعد أن يقوم من نومه على المشهور رجاء ان تستغفر له الملائكة مادام في مصلاه وان كان نائما لقوله عليه الصلاة والسلام الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه وان كان عند ارادته النوم محدثا فليتوضأ وضوءه رفع الحدث لكي يستبيح به الصلاة اتفاقا (والحكمة) في وضوئه عند ارادته النوم هي ان النوم تارة يكون من باب الاضطرار وتارة يكون من باب الاختيار كالأكل والشرب منه ما هو اضطرار ومنه ما هو اختيار ورأس مال المؤمن انما هو عمره فان عمره بالعمل الصالح ربح عمره وزكا فشرع له الشارع صلوات الله عليه وسلامه الوضوء عند ارادة النوم لكي يختبر به النوم من أي جهة هو فان كان من باب ضرورة البشرية فهو لا يذهبه الوضوء وان كان من باب الاختيار والراحة فالوضوء يذهبه (وفيه) وجه آخر وهو أن النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من الطهارة كما ليت

(وفيه) وجه آخر وهو أنه قد يموت فى ذلك النوم فتشرع له الطهارة لكى يكون على أكمل الحالات (وفيه) وجه رابع وهو أن النوم اذا وقع عقب طهارة اجتزأ المكلف منه بالقليل لاجل بركة الاتباع فتوفر عليه رأس ماله وهو عمره كما تقدم (ثم) يقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين فى كفيه وينفث فيهما ويمسحهما على سائر جسده ثم يتعرى كما سبق ويدخل فى فراشه فيضطجع على جنبه الايمن بعد تسمية الله تعالى وليس من شرطه أن يبقى على الايمن بل نفس الدخول هو الذى يطلب فيه التيمن ثم بعد ذلك ينتقل الى ما هو أيسر عليه فان كان به ضعف يتعذر عليه أن يدخل على الايمن فالاولى أن يتحمل المشقة فى الدخول على الايمن ثم يرجع عن ذلك من حينه وان تعذر عليه ذلك فيدخل على الجنب الآخر للضرورة الداعية الى ذلك (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى اشتكى مرة بنزلة نزلت له فى الجانب الايمن وحصل له من ذلك شدة فلما ان جاء الى الفراش ليضطجع صعب عليه أن يضطجع على تلك الجهة فأراد أن يضطجع على الايسر لاجل الضرورة ثم وقع له أنه يتحمل المشقة فى تلك اللحظة لتحصل له بركة الامتثال ثم ينقلب الى الجانب الايسر فى الوقت قال فاضطجعت على الايمن بعزيمة فوالله ما أعلم هل الألم ارتفع قبل وصول رأسى الى الوسادة أو بعد وصوله انتهى وما ذاك الا لبركة امتثال السنة اذ أنها لا تدخل فى شئ الا وحلت البركة فيه (ثم) يقرأ آية الكرسى ثم يسبح الله ثلاثا وثلاثين ويحمد الله ثلاثا وثلاثين ويكبر الله أربعا وثلاثين ويجعل يده اليمنى تحت خده اليمين ويده اليسرى على وركه الايسر ثم يقول باسمك اللهم وضعت جنبى وباسمك ارفعه اللهم ان أمسكت نفسى فاغفر لها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسلمت نفسى اليك وفوضت امرى اليك والجأت ظهرى اليك ووجهت وجهى اليك رهبة منك ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك استغفرك وأتوب اليك آمنت بكتابك الذى انزلت وبرسولك الذى ارسلت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت انت الهى لا اله الا انت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك انتهى (ثم) يقول اللهم اشفنى بالقليل من النوم واجعله لى عونا على طاعتك وينوى بنومه العون على طاعة الله تعالى مطلقا من طلب علم أو صلاة

وغيرهما

وغيرهما اذا نه اذا لم يعط نفسه حظها من النوم قبل أن يتأتى له منها التوفية بالمأمورات على أنواعها سيما وهو مطلوب بالحضور فى الطاعات سيما ان كانت صلاة اذ الحضور مع النوم متعذر (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه (ثم) يشعر نفسه حين الدخول فى الفراش بالدخول فى قبره لان النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من حالة الموتى وهو التجريد من ثياب الاحياء والدخول فى ثياب تشبه ثياب الموتى اذ أنها شبيهة بالكفن (فاذا) أشعر المرء نفسه بذلك قل منه الاستغراق فى النوم وخاف الفوات (اذ) أن قيام الليل فيه فوائد منها أنه ينور القبر لان وقت الليل شبيه بظلمة القبر فكان الثواب مناسبا لقيامه فى ظلمة الليل (وفى التعرى) حكم أخرى وهى أنه يريح البدن من حرارة حركة النهار و يسهل عليه التقليب يمينا وشمالا (وفيه) ادخال السرور على أهله (وفيه) زيادة التمتع بالاهل بخلاف ما يفعله أكثر الناس اليوم لان التمتع عندهم انما هو فى المحل ليس الا اذ أن الرجل ثيابه عليه والمرأة مثله (وفيه) التواضع (وفيه) امتثال السنة كما تقدم (وفيه) امتثال الامر لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال والنوم فى الثوب هو من ذلك الباب فان الثوب الذى عمر سنة اذا نام فيه نقص عن ذلك (وفيه) قلة الدواب (وفيه) قاعدة من قواعد السنة وهى النظافة اذ أن الثوب الذى ينام فيه يكثر فيه هوام بدنه و يتقذر الى غير ذلك من الفوائد وهى جملة (وينبغى له) أن يعتبر فى النوم وحالته فيه اذ أنه بينما هو حاضر العقل والحس متكلم سميع بصير آمر ناه مدبر الى غير ذلك من الامور ثم تأتى عليه عاهة النوم لا يشعر بها من أين أتته ولا يكيفها فيترك الملك ملكه وتدبيره وسياسته فيه والعالم علمه والمحترف حرفته وكل من كان فى شئ وعزم على فعله تركه قهرا لاجل هذه العاهة التى أتت عليه مجبرا على ذلك ليس له سبيل الى الامتناع منه ولا دفعه عنه فسبحان من قهر عباده بالموت وهذا متكرر عليه فى كل ليلة وفى بعض الايام وهو المذكر بالموت والدال عليه قال الله تعالى فى كتابه العزيز الله يتوفى الانفس حين موتها

والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون كل ذلك تذكرة وعبرة ان يتفكر ويعتبر قال عز وجل فى كتابه العزيز وفى أنفسكم أفلا تبصرون بينهما هو مستيقظ مدع للقوة والسطوة اذا تاه ما لم يقدر على دفعه كما تقدم فيسبل لعابه وتفعل أعضاؤه ويحدث وهو لا يشعر بنفسه والغالب على بعضهم انه يبقى مثله اذ ذاك ولاجل هذا المعنى كان من الادب فى النوم أن لا ينام بين مستيقظين قال الله تعالى فى كتابه العزيز لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين قال العلماء رحمهم الله سلط عليهم النوم والنسيان (ثم) يتذكر به ما أنعم الله تعالى عليه بسببه اذ أن اليقظة فيها حرارة فلو تمادت على البشرية لأهلكتها سيما وكثير من الناس لهم الرغبة فيما هم بصدده من طلب دنيا والعمل فى أسبابها أو علم أو عمل الى غير ذلك فلو وكل الامر اليه فيه لحرم نفسه النوم البتة لقوة الحرص على ما هو بسبيله فجعل الله تعالى النوم يأتيه قهرا رحمة به هذا وجه (الوجه الثانى) أن التصرف فيه حرارة والنوم فيه سكون وبرودة فيعتدل مزاجه بذلك (قال) الله تعالى فى كتابه العزيز ومن كل شئ خلقنا زوجين وهذه منه يقظة ونوم وحرارة وبرودة ذكر وأنثى صحيح ومريض طائع وعاص مؤمن وكافر شقى وسعيد الى غير ذلك (والمقصود) ان الله تعالى جعل ذلك رحمة للعبد بفضله حرسه مع ذلك فى نومه كما حفظه فى حال يقظته (قال) الله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن (وقال) الله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فسبحان المنعم المنان

(فصل فى آدابه فى الاجتماع بأهله) فان كانت له حاجة الى أهله فالسنة الماضية فى ذلك أنه لا يكون معه أحد فى البيت غير زوجته أو جاريته اذ ذاك (وقد كان) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا كانت له حاجة الى أهله أخرج الرضيع من البيت (وقد) قالوا لا ينبغى أن يفعل ذلك وهو فى البيت وذكر المرء منهم تنبيه على غيره والمقصود انه يكون ساترا ما من عينين تنظران اليه اذ أن ذلك عورة والعورة يتعين سترها (وهو) مخير فى فعل

ذلك

27

ذلك أول الليل أو آخره لكن أول الليل أولى لان وقت الغسل يبقى زمنه مقسما بخلاف آخر الليل فانه قد يضيق عليه وقد يؤول الى تفويت الصبح فى جماعة أو الى اخراج الصلاة عن وقتها المختار (ووجه آخر) وهو أن آخر الليل اذا فعل ذلك فيه كان عقيب نوم وقد يتعلق بالفم والانف شئ من بخار المعدة مما يغير رائحة الفم أو الانف فاذا شمها أحدهما كان ذلك سببا لكراهة أحدهما فى صاحبه ومراد الشارع صلوات الله عليه وسلامه دوام الالفة والمحبة وذلك ينافيها (ألا ترى) الى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أن يأتى الرجل أهله طروقا ليلا لئلا يدخل عليهن قبل ان يتأهبن للقائه فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك لكى تمتشط الشعثة وتدهن وتتطيب وتتأهب فيكون ذلك أدعى الى بقاء العصمة والالفة والمودة (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام انه كان اذا قدم من سفر يبدأ بالمسجد فصلى فيه وذلك لفوائد (أحدها) ان يبدأ بزيارة بيت ربه وبالخضوع له فيه بالركوع والسجود (ومنها) ان يفضل ماهو مندوب الى ربه لنبيه أمته صلى الله عليه وسلم على تقديم ماهو لله على مالانفسهم فيه حظ ما (ومنها) ان أصحابه ومعارفه يأخذون حظهم من رؤيته والسلام عليه حين قدومه فاذا فرغوا ودخل بيته لم يكن ثم من يحوجه الى الخروج فى الغالب (ومنها) ماتقدم ذكره من أن أهله يأخذون الاهبة للقائه (ومنها) ان لقاء الاحبة بغتة قد يؤول الى ذهاب النفوس عند اللقاء لقوة مايتوالى على النفس اذ ذاك من الفرح والسرور (وقد) حكى عن كثير من الناس انهم ماتوا بسبب ذلك فاجأهم السرور فماتوا من شدة الفرح وقوم فجأتهم المصائب فماتوا من شدة الهم والغم (ومن) هذا الباب مافعله يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم فى التلطف بالاجتماع بأبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام فى انه أرسل اليه البشير أولا حتى علم أنه موجود فى الاحياء ثم أرسل اليه ثانيا القميص ليجد ريحه كما اخبر به عز وجل فى كتابه العزيز فزاد أنسه بشم رائحته وأثره ثم بعد ذلك وقع الاجتماع (وينبغى) له اذا عزم على الاجتماع بأهله ان يتحرز مما يفعله بعض العوام وهو منهى عنه وهو أن يأتى زوجته وهى على غفلة بل حتى يلاعبها ويمازحها بما هو مباح مثل المجسة والقبلة وماشاكل ذلك حتى اذا رأى انها قد

انبعثت لما هو يريد منها وانشرحت لذلك وأقبلت عليه فحينئذ يأتيها (وحكمة) الشرع فى ذلك بينة وذلك ان المرأة تحب من الرجل ما يحب منها فاذا أتاها على غفلة قد يقضى هو حاجته وتبقى هى فقد يشوش عليها ذلك وقد لا ينصان دينها فاذا فعل ما ذكر تيسر عليها الامر وانصان دينها (ثم) اذا أتاها فيمتثل السنة فى ذلك وهو أن يقول ما جاء فى الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال لو أن أحدكم اذا أتى الى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه اه (ولا شك) ان من امتثل السنة فى ذلك خرج ولده كما ذكره عليه الصلاة والسلام (فان) قال قائل قد نجد كثيرا من أولاد المباركين يخرجون على صفة من الصفات الذميمة (فالجواب) ان والده لو امتثل السنة فيما تقدم ذكره ما حصل شئ من ذلك والقليل من الناس من يثبت لامتثال السنة فى ذلك الوقت لغلبة قوة باعث النفس على تحصيل لذاتها وشهواتها (وينبغى) له ان يراعى حق زوجته فى الجماع وان يأتيها ليصون دينها ويكون قضاء حاجته تبعا لغرضها فيحصل اذ ذاك فى عموم قوله عليه الصلاة والسلام والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه اه (وكثير) من الناس من لا يعرف السنة فى ذلك يأتى زوجته على غفلة فيقضى حاجته منها وهى لم تقض منه وطرا كما تفعل البهائم فيكون ذلك سببا لاحد شيئين اما فساد دينها واما تبقى متشوشة متشوفة لغيره (وينبغى) له ان لا يجامعها وهما مكشوفان بحيث لا يكون عليهما شئ يسترهما (لان) النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وعابه وقال فيه كما يفعل العيران (وقد كان) الصديق رضى الله عنه يغطى رأسه اذ ذاك حياء من الله تعالى (وان كان) فى برية أو على سطح فلا يجامع مستقبل القبلة ولا مستدبرها (وان كان) فى بيت فيختلف فيه بالجواز والكراهة والمشهور الجواز (وينبغى) له اذا قضى وطره أن لا يعجل بالقيام لان ذلك مما يشوش عليها بل يبقى هنيهة حتى يعلم انها قد انقضت حاجتها والمقصود مراعاة أمرها الان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوصى عليهن ويحض على الاحسان اليهن وهذا موضع لا يمكن الاحسان اليها من غيره فليجتهد فى ذلك جهده والله المسئول فى التجاوز عما يعجز المرء عنه (وينبغى) له أن

يجتنب

يتجنب ما يفعله بعض الناس (وقد) سئل مالك رحمه الله عنه فأنكره وعابه وهو الخبر والكلام السقط (قال) ابن رشد رحمه الله وانما أنكر مالك رحمه الله ذلك لانه لم يكن من عمل السلف (ثم) اذا فرغ من قضاء أربه فهو مخير بين أحد أمرين امّا أن يغتسل لينام على أكمل الحالات وامّا أن يتوضأ لينام على احدى الطهارتين (واختلف) اذا تعذر عليه الغسل أو الوضوء هل يتيمم أم لا (قال) ابن حبيب لا ينام الجنب حتى يتوضأ فان تعذر عليه فليتيمم ولا ينام الا بوضوء أو تيمم (وينبغي) له أن ينوي عند الجماع رجاء أن يكون بينهما ولد يكثر به الاسلام ويكون من العلماء الصالحين (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لأتزوج النساء ومالي اليهن حاجة وأطأهن ومالي اليهن شهوة قيل له ولم ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء أن يخرج الله من ظهري من يكاثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة (وينبغي) له اذا نوى ما تقدم وفعل ما ذكر أن يكل ذلك الى مشيئة ربه عز وجل وان يفتقر اليه فيه ويتبرأ من مشيئة نفسه وتدبيره وحوله وقوته وأن يكون اذ ذاك متواضعا متذللا لأنه ان تقضى حاجته (وقد) جاء في الحديث الصحيح عن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون فالحاصل من هذا ان يتعلق المرء بمشيئة الله تعالى و يكل الامر اليه ويتبرأ من مشيئته كما تقدم (ثم) ان بدا له أن يعود الى الاجتماع باهله فان كان بعد الغسل أو الوضوء فيفعل كما تقدم أولا وان كان قبل ذلك فليغسل ذكره قبل ان يعود (لأن) النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ذلك غسل ذكره ثم عاد (قال) القاضي عياض رحمه الله تعالى وانما فعل ذلك لان غسل الذكر يقوي العضو وينشطه وكثرة هذا كان من شان العرب أن يمدحوا به ويفتخروا به لانه دليل على قوة الرجل وصحة بدنه ومزاجه (ولهذا) المعنى أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ماء اربعين رجلا حتى خرج عن مالوفهم وعادتهم

(فان) قال قائل فاذا كان ذلك على ما قررتم ان كثرة هذا ممدوح والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء والمرسلين فما الجواب عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام في كونه أعطى مائة رجل (فالجواب) أن كلا منهما صلوات الله عليهما وسلامه أعطى مقصده ومطلبه فنبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام طلب ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ومن شان الملوك الزيادة في هذا الشان وكثرة النساء فاعطى ما يفوق به سائر الملوك لان الملوك وان وجدوا القدرة على تحصيل كثرة النساء فهم عاجزون عن ما هو رجل واحد فضلا عن مائة رجل والنبي صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فاعطى صلى الله عليه وسلم ما يفضلهم به وان كان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى مائة واربعين رجلا فحاله في ذلك كما قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن القبلة للصائم وايكم املك لاربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على انه عليه الصلاة والسلام كان لا يأتي لأحوال البشرية لأجل نفسه المكرمة بل ذلك منه عليه الصلاة والسلام على طريق تانيس البشرية لاجل الاقتداء به عليه الصلاة والسلام (الا ترى) الى قول عمر المتقدم ذكره اني لا تزوج النساء وما لي اليهن حاجة (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة انتهى (فانظر) الى حكمة قوله عليه الصلاة والسلام حبب ولم يقل احببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه الصلاة والسلام فدل على انه عليه الصلاة والسلام كان حبه خاصا بمولاه عز وجل يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة وماذاك الا لما اشتملت عليه من المعاني العلية الشريفة فكان عليه الصلاة والسلام بشرى الظاهر ملكي الباطن فكان عليه الصلاة والسلام لا يأتي الى شئ من أحوال البشرية الا تانيسا لامته وتشريعا لها لانه محتاج الى شئ من ذلك كما تقدم وللجهل بهذه الاوصاف الجليلة والخصال الحميدة قال الجاهل المسكين مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (الا ترى) الى قوله تعالى في كتابه العزيز قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك فقال لكم اني ملك ولم يقل اني ملك

فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم أعنى فى معانيه عليه الصلاة والسلام لا فى ذاته الكريمة اذ انه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته ما يلحق البشر (ولهذا) قال سيدى الشيخ الجليل أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى فى صفته عليه الصلاة والسلام هو بشر ليس كالابشار كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار (وهذا) منه رحمه الله على سبيل التقريب للافهام (فدل) على أنه عليه الصلاة والسلام كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك نفسه (ومن) هاهنا يفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام اخرجنى الذى أخرجكما لان هذا وما أشبهه من باب التأنيس للامة (ومن) ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى مرضه الذى مات فيه ان للموت لسكرات قال بعض العلماء فيه ان ذلك من باب شدة الآلام والأوجاع لرفعة منازل المرسلين ومثله قوله عليه الصلاة والسلام انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم الحديث انتهى وهذا من باب تأنيس البشرية كما تقدم (وقد) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام ان للموت لسكرات ان تلك السكرات سكرات الطرب (الا ترى) الى قول بلال رضى الله عنه حين قال له أهله وهو فى السياق واكرباه ففتح عينه وقال واطرباه غدا ألقى الأحبه محمدا وحزبه انتهى فاذا كان هذا طربه فى هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبى صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم المولى الكريم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهذا) موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه (فالحاصل) من هذا أن احوال البشرية ومايطرأ عليها من الامراض والأعراض انما ذلك على الظاهر فى الظاهر وهو عليه الصلاة والسلام مشغول بربه مقبل على آخرته ظاهره مع الخلق وباطنه مع رب الخلق ومن كان كذلك فهو غائب عن ألم الظاهر (وهذا) تجده محسوسا فى بعض الأولياء فكيف بسيد الاولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه (الا ترى) الى ما حكى عن بعض السلف وهو عروة بن الزبير رضى الله عنه لما أصابته الاكلة فى رجله فأرادوا أن يقطعوا القدم التى خرجت فيه لئلا تتعدى لجميع بدنه فكان يأبى عليهم ذلك فقالت لهم زوجته انكم لا تقدرون على ذلك الا أن يكون فى الصلاة فلما ان كان فى الصلاة حضروا

فقطعوها له فلما فرغ من صلاته رآهم محدقين به فقال لهم أتريدون ان تقطعوا لى غير هذه المرة ان شاء الله تعالى فقالوا له ها هوذا فقال والله ماشعرت بكم (وكذلك) ماحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه كان فى المسجد يصلى وانهدمت اسطوانة فيه فهرع الناس من أسواقهم ينظرون الخبر اشدة انزعاجهم عند وقوعها وتاثيرهم وهو فى الصلاة لم يشعر بشئ من ذلك (وقد) تقدمت حكاية بعض المتاخرين أنه اذا كان فى بيته لايتكلم أحد فى حضرته فاذا دخل فى الصلاة تكلموا ولغطوا فسئل أهله عن ذلك فقالوا انه اذا كان فى الصلاة لايشعر بشئ (وظاهر) ماحكى عنهم فى ذلك مشكل وبيان اشكاله انه اذا لم يشعر بشئ مما ذكر فكيف يتاتى منه التوفية باركان الصلاة (وقد) كان سيدى ابو محمد رحمه الله يزيل هذا الاشكال فيفرق بين الفرض والنفل و يقول ان كان فرضا فلابد من ابقاء بعض حال البشرية عليه لتوفية أركان الفرض وان كان فى النفل فحقيقة الحضور فيه أن يفنى الذاكر فى المذكور

(فصل) وقد تقدم فى الحديث الوارد فى ان المؤمن ياكل بشهوة عياله فاذا كان فى الاكل بهذه المثابة فحاله فى الجماع اذا نه من أكبر الملذوذات والشهوات فيعمل على أن يوفى لها ذلك اذا أرادته وهو لا يطلع على ارادتها لانها لاتطلب ذلك فى الغالب وان كان قد ركب فيها من الشهوة أضعاف ما فى الرجل لكن أعطاها الله تعالى من الحياء مايغمر ذلك كله فاذا رأى منها أمارات الطلب لذلك فليرضها وذلك مثل أن تتزين وتتعطر وتلبس الى غير ذلك (فالحاصل) انه يكون غرضه تابعا لغرضها فيتصف اذ ذاك بما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن ياكل بشهوة عياله وقوله عليه الصلاة والسلام والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه الى غير ذلك وهو كثير (وهذا) اذا لم تكن ثم ضرورة أكيدة للجماع فى وقته ذلك مثل ان يكون قد رأى امرأة أعجبته فيريد أن يمتثل السنة لقوله عليه الصلاة والسلام من رأى منكم امرأة تعجبه فليأت أهله فان الذى عنده هذه عنده هذه فان كان كذلك فلا ينتظر أمارات طلبها (لكن) ينبغى له أن لا يترك الملاعبة قبل الفعل مع الآداب المتقدم ذكرها

وقد

(وقد ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن لم يكن له أهل ورأى امرأة أعجبته فليقل اللهم ابدل لي عوضها حورية فان الله تعالى يبدل له عوضها حورية او كما قال عليه الصلاة والسلام

(فصل) وليحذر ان يفعل مع زوجته أو جاريته هذا الفعل القبيح الشنيع الذي أحدثه بعض السفهاء وهو اتيان المرأة في دبرها وهي مسئلة معضلة في الاسلام (وليتهم) لو اقتصروا على ذلك لكنهم نسبوا ذلك الى المجوز وبقولون انه مروي عن مالك رحمه الله وهي رواية منكرة عنه لا أصل لها لان من نسبها الى مالك انما نسبها لكتاب السر وان وجد ذلك في غيره فهو متقول عليه وأصحاب مالك رحمه الله مطبقون على أن ما لكالم يكن له كتاب سر وفيه من غير هذا أشياء كثيرة منكرة يجل غير مالك عن اباحتها فكيف بمنصبه وما عرف مالك الا بنقيض ما نقلوا عنه من أن يخص الخليفة برخص دون غيره بل كان يشدد عليهم ويأخذهم بالسياسة حتى ينزلهم عن درجاتهم الى درجات غيرهم من سائر المسلمين مثل ما جرى له مع الخليفة في اقراء الموطأ عليه كما تقدم (وقد) قال له الخليفة مرة يا مالك مازلت تذل الامراء فهذا هو المعروف والمعهود من حاله معهم (وقد) سئل مالك رحمه الله في الكتب المشهورة المروية عنه أيجوز وطء المرأة في دبرها فقال أما أنتم قوم عرب ألم تسمعوا قول الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم أيكون الزرع حيث لانبات (وقوله) تعالى انى شئتم قيل معناه كيف شئتم مقبلة أو مدبرة أو باركة في موضع الزرع (وقيل) معناه متى شئتم من ليل أو نهار روى عن ابن عباس وروى عنه ايضا انه قال معناه فأتوا حرثكم كيف شئتم ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا (وقد) روى عن عبد الله بن عمر انه سئل عن جواز ذلك فقال اف اف أيفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم (وقد) خرج ابو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها (ومن) البيان والتحصيل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في محاشهن ملعون من أتى النساء في غير مخرج الأولاد (وقد) قيل لمالك رحمه الله في الكتب المروية عنه أنت تبيح ذلك فقال

قوله في محاشهن اى ادبارهن كما في رواية اه

كذب من قاله وقال مرة أخرى كذبوا على وقال فى أخرى كذبوا على عافاك الله
أما تسمع الله تعالى يقول نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم هل يكون
الحرث الا فى موضع الزرع ولا يكون الوطء الا فى موضع الولد (ومن) كتاب
التفسير لابن عطية رحمه الله وفى مصنف النسائى قد ورد عن النبى صلى الله
عليه وسلم أنه قال اتيان النساء فى أدبارهن حرام (وروى) عنه أنه قال من
أتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد (قال) رحمه الله وهذا
هو الحق المتبع ولا ينبغى لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج فى هذه النازلة
على زلة عالم لم تصح عنه والله المرشد لا رب غيره (ومن) التفسير للقرطبى
رحمه الله وقد روى عن ابن عمر تكفير من فعله قال وروى الترمذى فى
مسنده عن سعيد بن يسار بن الحباب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال من أتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله اليه يوم القيامة (وروى) أبو داود
الطيالسى فى مسنده عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد
الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تلك اللوطية الصغرى أعنى
اتيان المرأة فى دبرها (وروى) عن طاوس انه قال كان بدء عمل قوم لوط
اتيان النساء فى ادبارهن (قال) ابن المنذر واذا ثبت الشئ عن النبى صلى
الله عليه وسلم استغنى به عما سواه (ومن) كتاب الشيخ الامام الجليل ابى عبد
الله محمد المعروف بابن ظفر روى ان عليا كرم الله وجهه سئل عن ذلك فقال
اما علمتم انها اللوطية الصغرى (وروى) عبد الرحمن بن القاسم ان شرطى
المدينة دخل على مالك بن أنس رحمه الله فساله عن رجل رفع اليه انه قد اتى
امرأته فى دبرها فقال له مالك بن انس أرى ان توجعه ضربا فان عاد الى
ذلك ففرق بينهما (واما) ما حكى ان قوما من السلف اجازوا ذلك فلا يصلح
مع ما ذكرناه من اضافته اليهم بل يحمل على سوء ضبط النقلة والاشتباه عليهم
فان الدبر اسم للظهر قال الله تعالى ويولون الدبر وقال ومن يولهم يومئذ دبره
اى ظهره والمراة تؤتى من قبل ومن دبر انتهى يعنى انها تؤتى من جهة
ظهرها فى قبلها (وسبب) نزول الآية ان رجلا من المهاجرين تزوج امراة
من الانصار فذهب يصنع بها ما اعتاده المهاجرون من انهم كانوا يتلذذون
من نسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات فانكرته عليه وقالت كانوا تؤتى

على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبنى حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك فى موضع الولد (وروى) ان اليهود كانوا يقولون اذا جامع الرجل أهله فى فرجها من ورائها كان ولده أحول فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اه من السنن لابى داود وقد اخرجه البخارى أيضا (هذا) ماهو من طريق النقل (وأما) طريق النظر فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم اذا منع الوطء فى الفرج فى حال الحيض من اجل الاذى لقوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن وهى أيام يسيرة من الشهر غالبا فهانالك بموضع لا تفارقه النجاسة التى هى أشد من دم الحيض (وقد) قالوا أيضا ان المرأة كلها محل للاستمتاع الا ما كان من الوطء فى الدبر فهو محرم مطلقا وفيما تحت الازار فى أيام الحيض (وقد) تقدم أن شهوة الرجل ينبغى ان تكون تابعة لشهوة المرأة ووطؤه فى الدبر لا منفعة لها فيه بل تتضرر به من وجهين أحدهما تحريك باعث شهوتها من غير أن تنال غرضها والثانى ان الوطء فى ذلك المحل يضرها

(فصل) ويتعين عليه أن يتحفظ فى نفسه بالفعل وفى غيره بالقول من هذه الخصلة القبيحة التى عمت بها البلوى فى الغالب وهى ان الرجل اذا رأى امرأة أعجبته وأتى أهله جعل بين عينيه تلك المرأة التى رآها وهذا نوع من الزنا لما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن أخذ كوزا يشرب منه الماء فصور بين عينيه أنه خمر يشربه ان ذلك الماء يصير عليه حراما وهذا مما عمت به البلوى (حتى) لقد قال لى من اثق به انه استفتى فى ذلك من ينسب الى العلم فأفتى بان قال اذا جعل من رآها بين عينيه عند جماع زوجته فانه يؤجر على ذلك وعلله بأن قال اذا فعل ذلك صان دينه فانا لله وانا اليه راجعون على وجود الجهل والجهل بالجهل (وما) ذكر لا يختص بالرجل وحده بل المرأة داخلة فيه بل هى أشد لان الغالب عليها فى هذا الزمان الخروج أو النظر من الطاق فاذا رأت من يعجبها تعلق بخاطرها فاذا كانت عند الاجتماع بزوجها جعلت تلك الصورة التى رأتها بين عينيها فيكون كل

واحد منهما فى معنى الزانى نسأل الله السلامة بمنه (ولا) يقتصر على اجتناب ذلك ليس الا بل ينبه عليه أهله وغيرهم ويخبرهم بان ذلك حرام لايجوز (وقد) ذكر الطرطوشى رحمه الله فى ذلك حديثا عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما

(فصل) وينبغى له أنه اذا اجتمع باهله وكان بينهما ما كان فلا يذكر شيئا من ذلك لغيرها وكثيرا ما يفعل بعض السفهاء هذا المعنى فيذكر بين صحابه وغيرهم ما كان بينه وبين زوجته أو جاريته وهذا قبيح من الفعل كفى به انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم فى المصادر والموارد كما تقدم وكما لايحدث أحدا من الناس بما ذكر فكذلك لايحدث أهله بشئ يرى بينه وبين غيرهم كائنا ما كان وهذا النوع أيضا مما يتساهل فيه كثير من الناس وهو قبيح اذ أن ذلك يحدث بين الرجال الاجانب والنساء المودة والمحبة فيأتى الرجل الى أهله فيثنى لهم على من يخطر بباله ويسلم عليهن من جهته والسلام يحدث المودة والمحبة (وقد) قال بعض السلف رضى الله عنهم ليس للنساء فى السلام نصيب (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول كيف يمكن أن يبلغ الانسان لهن السلام فانه يحدث لهن المودة فى القلوب ودخول وسواس النفس والهوى والشيطان ونزغاته فليحذر من هذه العادة فانها شنيعة (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان السلام ليس بمشروع على المرأة الشابة فى الابتداء به اللهم الا أن يحدث المرء بما جرى له مع شيخه أو من يعتقده فى مسائل العلم أو ما يحتاج اليه المكلف فى دينه من الآداب فهذا مندوب اليه وقد يجب فى بعض المواطن (وقد) تقدم الكلام على آدابه فى تصرفه فى بيته لكن بقى من ذلك أول ليلة تدخل عليه الزوجة أو الجارية فالتصرف فى ذلك كما تقدم لكن يستحب له أن يضع يده على ناصيتها والناصية مقدم الرأس زوجة كانت أو جارية بكرا كانت أو ثيبا ويثنى على الله تعالى ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ثم يمضى لسبيله

فصل

(فصل) فاذا استيقظ من نومه فليمر يده على وجهه ثم يتشهد ثم يرجع الى الجانب الايمن ان لم يكن عليه ثم يسمى الله تعالى ويلبس ثوبه ويدخل يده اليمنى فى الكم قبل اليسرى فاذا لبس ثوبه فان كان على غير جنابة قرأ ان فى خلق السموات والارض الى آخر سورة آل عمران ويداه تعرك النوم عن عينيه كذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ثم يسمى الله تعالى ويقوم من الفراش فينظر الى السماء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المى لا اله الا أنت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك هكذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم (وكان) أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اذا قام من الليل نامت العيون وغارت النجوم وانت الحى القيوم (فان) كان جنبا فلا يقرأ شيئا من القرآن ويقتصر على الذكر المذكور وقد تقدم ما يفعل فى ورده بالليل وغيره وكذلك تقدم بأى نية يلبس ثوبه وكم له فيه من نية فى اول الكتاب فأغنى عن اعادته (وما) تقدم ذكره من الذكر عند الاستفاقة من النوم الى غير ذلك مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان اه وكسل النفس فى الغالب انما هو لاجل العقد الثلاث فان هو ذكر الله عز وجل انحلت عقدة كما قال عليه الصلاة والسلام فيذهب من الكسل بقدر ذلك ثم ان توضأ انحلت العقدة الثانية فيذهب معها من الكسل بقدر ذلك ثم ان صلى ذهب الكسل كله وبقى كما قال عليه الصلاة والسلام نشيطا طيب النفس (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى حكمة الشرع فى كونه شرع انه اذا فعل المرء ما ذكر يصلى ركعتين خفيفتين

ثم بعد ذلك يصلى ركعتين طويلتين ثم يتدرج الى أقل من ذلك على ما جاء فى الحديث فشرع له عليه الصلاة والسلام أولا ركعتين خفيفتين حتى تذهب عقد الشيطان كلها ويذهب اثرها مرة واحدة فيجد بسبب النشاط الذى يحصل له ما يقدر به على طول القيام الذى شرعه عليه الصلاة والسلام فى قيام الليل وما تقدم ذكره من أنه يدخل يده اليمنى فى كمه اليمين أولا مأخوذ من قول عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع فى شأنه كله فى طهوره وترجله وتنعله فعمت الافعال كلها بقولها فى شأنه كله ثم فصلت ذلك كله على القاعدة الشرعية لان المكلف لا يخلو فعله من احدى ثلاث اما واجب أو مندوب أو مباح فذكرت الطهور لتشير به الى جنس الواجبات والترجل لجنس المندوبات والتنعل لجنس المباحات واذا كان ذلك كذلك فى اللبس فينبغى أن يكون عكسه فى النزع فاذا نزع ثوبه فيبدأ بنزع الكم من اليد اليسرى قبل اليمنى على ما تقدم من نزع النعل عند دخول المسجد والخروج منه

(فصل) وينبغى أن يكون الطالب مع شيخه أعنى فى الاجتماع به مختارا للاوقات التى يعلم أن الاجتماع به فيها يخف عليه تحرزا من أن يجد للاجتماع به كلفة فيحرم العلم بسبب ذلك أو بركته لاجل أنه قد يكون الشيخ عنده فى ذلك الوقت ما هو أهم عليه من الاجتماع بالناس وهذا النوع كثيرا ما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص ويقولون ببركته ثم انهم يختارون الاوقات الفاضلة فيأتون فيها الى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الاوقات فيصير هو وهم بالسواء أعنى فى بطالة تلك الاوقات الشريفة ولا شك ان الشيطان ألقى اليهم ذلك فتجدهم مخالفين لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (ألا ترى) الى ما كان عليه حالهم فى شهر رمضان اذا نه اذا دخل عليهم تباكر بعضهم من بعض وتفرق كل واحد منهم من صاحبه حتى اذا فرغ اجتمعوا وأقبل بعضهم على بعض بخلاف ما الحال عليه اليوم فانه اذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه فمن لم يأت منهم الى قريبه أو صاحبه أو معلمه يجدون عليه ويقع التشويش بينهم فانا لله وانا اليه راجعون على عكس

الامور وارتكاب مالا ينبغي مع رؤية النفس انها على الخير والدين فيرون أن اجتماعهم في هذه الايام الشريفة قربة الى الله تعالى يتقربون بها اليه

*(فصل في نبذ بعيت لم تذكر بعد) * فمنها ان طالب العلم اذا كان ساكنا في المدرسة او الرباط فينبغي له أن يتحفظ من أمور منها أن لا يدع الوضوء من ماء الفسقية أو البئر ولا يتوضأ من ماء الصهريج أو الزير المعدين للشرب لان ذلك انما عمل للشرب لا للوضوء والغسل وقد تقدم أنه قدوة لغيره فقد يقتدي به فيكون ذلك ذريعة الى فعل مالا يجوز وبعض الناس يفعل ماذكر وهو لا يجوز لما تقدم (وينبغي) له أن لا يتوضأ على البلاط الذي على السقوف لان ذلك يضر بالبلاط والخشب وهما وقف (وينبغي) له أن لا يستجمر بالحجارة ويدعها في الموضع لان القيم اذا وجدها هناك رماها في الشرب فيمتلئ بالحجارة وذلك ضرر بالوقف (ويحرم) عليه أن يستجمر بحائط الوقف أو بأصبعه ويمسح ما أصابه في الحائط وهذا النوع قد كثر وهو محرم (وينبغي) له اذا لم يتوضأ في الفسقية ان يكون له وعاء يتوضأ فيه وكذلك اذا احتاج الى الغسل يكون له وعاء يغتسل فيه لئلا يضر بالسقف كما تقدم (وينبغي) له اذا صعد أو نزل أن يمشي برفق اذ أن المشي بقوة يضر بالبلاط والسقوف وهما وقف سيما اذا كان بقبقاب فيحذر من هذا جهده فهذا منتهى الكلام على سبيل الايجاز والاختصار على آداب العالم والمتعلم ليتنبه بما ذكر على مالم يذكر والله الموفق

*(فصل في نية الامام والمؤذن وآدابهما) * والكلام عليهما مشترك مثل ما تقدم في العالم والمتعلم فالامام له آداب تخصه فمنها ما هو واجب ومنها ما هو مندوب ومثله المؤذن (فالواجب) على الامام على ما ذكره العلماء أن يكون فيه ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما عارفا بالقرآن أو لائم القرآن فقيها باحكام الصلاة (والمؤذن) شرطوا فيه أيضا ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما عارفا بالاوقات سالما من اللحن في الاذان (وينبغي) للامام أن ينوي الامامة في خمسة مواضع وهي كل صلاة لا تصح الا في جماعة حتى تحصل له فضيلتها ولا يلزمه ان ينوي الامامة في غيرها وهي صلاة

الجمعة وصلاة الخوف والجمع للمطر وصلاة الجنازة واذا كان مأموما واستخلف هذا الذى يجب فيه نية الامامة وما عدا ذلك فلا يجب لكن اذا لم ينو الامامة لا تحصل له فضيلة من نواها واذا نواها فينبغى له أن يستصحب مع ذلك نية الايمان والاحتساب كما تقدم فى حق العالم (وأما) المأموم فيلزمه أن ينوى أنه مأموم فان لم ينو ذلك لم تصح صلاته (والامامة) فرض على الكفاية فاذا عزم عليها فلينو بذلك أنه يقوم بفرض الكفاية حتى يسقط ذلك عن اخوانه المسلمين (وينبغى) له أن لا يتسارع اليها ولا يتركها رغبة عنها (وقد ورد) أن جماعة تراد والامامة بينهم فخسف بهم وكثير من الناس من يتورع عن الامامة وهو خطأ وكثير منهم من يبادر اليها وهو خطأ ايضا (وأما) فى زماننا هذا أعنى فى الديار المصرية وما أشبهها فينبغى لمن فيه أهلية أن يبادر اليها اذا كان لا يعرف حال الامام وأما مع معرفته فيعمل على ما يعلم من ذلك (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول اذا أخذك وقت الصلاة بمسجد من المساجد فان كنت فى بلاد المغرب فصل حيث كنت وليس عليك اعادة وان كنت فى الديار المصرية وما أشبهها فيقع التفصيل بين أن تعلم حال الامام أم لا فتعمل على ما تعلم من حاله فان كان فيه أهلية مضت صلاتك والا فتعيدها (وكان) رحمه الله يعلل ذلك فيقول ان بلاد المغرب لا يتولى الامامة فى المسجد الاعظم الا من اجمع أهل تلك البلد على فضيلته وتقدمه فى العلم والخير والصلاح وسائر المساجد لا يتولى الامامة فيها الا من اجمع اهل تلك الناحية على فضيلته عليهم واما الديار المصرية وما اشبهها فان الامامة فيها بالدراهم غالبا وهى اذا كانت كذلك لا يتولاها الا صاحب جاه او شوكة ومن اتصف بذلك فالغالب عليه رقة الدين فاذا صلى خلفه وهو لا يعرف حاله أعاد صلاته لقوله عليه الصلاة والسلام ائتمكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون (وينبغى) له اذا تولى الامامة ان يكون ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطلب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة دنيوية ولا صورة مميزة بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لان الامامة من اكبر مهمات الدين (وقد ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف

الجنة وعرفها يوجد من مسيرة خمسمائة عام انتهى فيحذر من هذا الخطر العظيم (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الاولون والآخرون عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل أم قوما وهم به راضون ورجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة اه (فان) خاف أن يكون في الجماعة من يكره امامته فتركها اذ ذاك أفضل له وذلك بشرط أن تكون الكراهة على موجب شرعي حذرا أن يكره أحد امامته لحظ دنيوي أو نفساني أو ما أشبه ذلك فان كانت الكراهة شرعية فلا يتقدم (لما) ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثا رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حي على الفلاح فلم يجب (فان) كان له على الامامة معلوم فلا يأخذه بنية الاجارة بل يأخذه على نية الفتوح من الله تعالى لا على أنه عوض على فعل الامامة (واذا) كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يطلبه ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضجر ولا يترك ما هو بصدده فان طلب أو تضجر فقد خرج عن باب المندوب الى باب المكروه أو المحرم كما تقدم في امر العالم ولو تكلم في ذلك بنية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وارشاد المسلمين لصالح دينهم فذلك سائغ ما لم يصحبه حظ ما فان صحبه فيكره أو يمنع بحسب الحال (وينبغي) له أن يتحفظ على الاوقات أكثر من تحفظ المؤذن عليها اذ أنه قد يخطئ المؤذن في بعض الاوقات فيكون ذلك سببا لايقاع الصلاة في غير وقتها والمؤمن كفيل لأخيه فاذا كان الامام يتحفظ على الاوقات فقل ان يتأتى خطأهما معا بل اذا أخطأ هذا أصاب هذا في الغالب ومذهب مالك رحمه الله ان معرفة الاوقات فرض في حق كل مكلف (واذا) كان ذلك كذلك فما بال من له الامامة اذبه الحل والربط في الصلاة (وينبغي) له أن يتحفظ على منصب الامامة مما يتعاطاه بعض الناس من الاشياء التي تزري بصاحبها من المزاح وكثرة الضحك سماع الاجانب والمشي في الاسواق لغير ضرورة شرعية وما أشبه ذلك من الاشياء التي تزري بصاحبها وليس ذلك من منصب الامامة في شئ (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات كما تقدم (وبعضهم) يقعد على دكان البياع لا لحاجة وذلك جلوس على

الطرقات وهو موضع النهى كما تقدم (وينبغى) له أن يكون أعظم الجماعة قلقا وخوفا وأكثرهم علما وخشية ورقة (وقد ورد) ان الصلاة ترفع على اتقى قلب رجل من الجماعة فينبغى أن يكون الامام هو المتصف بذلك حتى يحصل جميع من خلفه فى صيغته وفى خفارته (وينبغى) له أن لا يرى لنفسه على من تقدمهم فضلا ويرى الفضل لهم عليه ويتخوف على ذمته لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وينبغى) له بل يتعين عليه أن يكون أكبر مهماته التحفظ من العوائد المتخذة والبدع المحدثة التى أحدثها كثير من الناس حتى صارت كانها من السنن المعمول بها عندهم حتى لو تركها أحد اليوم لوجدوا عليه وقالوا ترك السنة فظهر بذلك ما أخبر به عليه الصلاة والسلام حيث قال كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة فيتحفظ من هذا الامر الخطير جهده اذ أنه علم للعامة فى المسجد فى الاقتداء به فى الغالب

*(فصل فى ذكر بعض البدع التى أحدثت فى المسجد والامر بتغييرها) * قال الرسول عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا شك ان المسجد وما يفعل فيه من رعية الامام والمؤذن والقيم الى غير ذلك ممن له التصرف (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين رأى نخامة فى القبلة فحكها بيده ورؤى منه كراهية أو رؤى كراهيته لذلك وشدته عليه وقال ان أحدكم اذا قام يصلى فانما يناجى ربه أو ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن فى قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض وقال أو يفعل هكذا فنظره عليه الصلاة والسلام لذلك من بعض فوائد أن المسجد من جملة رعيته وقوله عليه الصلاة والسلام ولكن عن يساره أو تحت قدمه انما ذلك فى مثل مسجده عليه الصلاة والسلام الذى هو مفروش بالرمل وأما غيره مما هو مفروش بالحصر أو بالرخام أو بالبلاط فيكره ذلك فيه فلم يبق الا الثالث الذى ذكر عليه الصلاة والسلام وهو أن يبزق فى طرف ردائه ويحكها (فان) قال قائل انه يبصق تحت طرف الحصير ويرد الحصير عليها وذلك نوع من الدفن لها كما هو المذهب (فالجواب) ان ذلك محمول على ما كان عليه الصدر الاول من كثرة تعظيمهم للمساجد

واحترامها

واحترامها وان مساجدهم كانت يمكن الدفن فيها غالبا وقل من يقع منه ذلك لشدة التعظيم بخلاف ما عليه الحال اليوم فتعاطى القليل منه يؤدى الى الكثير (وذلك) لا ينبغى لوجوه (الاول) ان فيه استقذارا للمسجد (الثانى) ان الذباب يجتمع بسبب ذلك فيشوش على من فى المسجد فان لم يكن فى المسجد أحد فيمنع لان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم (الثالث) أن الخشاش يكثر بسببها لانه يتغذى بها (الرابع) ان هذا يسمى تغطية ولا يسمى دفنا (الخامس) انه لم يكن من فعل من مضى (السادس) ان فيه نوعا من اضاعة المال لان الحصير اذا فعل ذلك تحته مرة بعد أخرى آل الى تقطيعه (السابع) ان ذلك تصرف فى الوقف فى غير ما جعل له لانها انما جعلت للصلاة عليها (الثامن) ان ذلك يكسب الرائحة الكريهة فى المسجد وقد أمرنا بتطييبه وهذا ضده (التاسع) أنه يخاف أن يخرج مع البصاق شئ من الدم وهو نجس أو غيره من قيح وصديد ممن به مرض (وهذا) مثل ما قالوه فيمن بقى بين أسنانه شئ من أثر ما أكل اذ أنه اذا عالجه وأزاله فلا يبتلعه لان الغالب مخالطته لشئ من دم اللثات (وكذلك) السواك لا يستاك به قبل أن يغسله من المرة الاولى لوجهين (أحدهما) خيفة أن يكون قد خالطه شئ من النجاسة (الثانى) انه اذا سلم من النجاسة ففعله ذلك مكروه لانه يرد بصاقه الى فيه وذلك مستقذر وانما أمر بالسواك لاجل النظافة وهذا ضده (هذا) اذا كان فى المسجد حصير فان كان فيه رخام أو بلاط أو غيرهما مما لا يمكن الدفن فيه وليس عليه شئ فيمنع البصاق فيه أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ودفنها لا يمكن فلم يبق الا أن تكون خطيئة (فاذا) تقرر أن المسجد من رعية الامام فيحتاج أن يتفقده فما كان فيه على منهاج السلف الماضين أبقاه وما كان من غير ذلك أزاله برفق وتلطف ان قدر على ذلك كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام فى النخامة (فالمسجد) من صفته أن لا يكون فيه حائل يحول بين الناس من رؤية بعضهم لبعض (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين اعتكف فى المسجد انه اتخذ حجرة من حصير والحصير مما لا يتأبد (وقد) نقل عبد الحق فى الاحكام الصغرى له قال مسلم عن عائشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ويبسطه بالنهار الحديث هذا وهو لضرورة الاعتكاف فما بالك به لغير ضرورة شرعية (فعلى هذا) ففعل المقاصير والدرابزين من البدع المحدثة وقد ترتب بسبب ذلك جملة مفاسد (أولها) ان الموضع وقف للصلاة وما فعل فيه لغيرها فهو غصب لواضع صلاة المسلمين (الثاني) ان فيه تقطيع الصفوف وذلك خلاف السنة (الثالث) انه لا يمكن استقبال الخطيب في حال خطبته ولا رؤيته بسببها اذ أنها تحول بين المأموم والامام (وقد ورد) اذا قام الامام يخطب فاستقبلوه بوجوهكم وارمقوه باعينكم ومع وجود هذه المقاصير والدرابزين لا يمكن ذلك فكانت سببا لمخالفة السنة (الرابع) ان فعلها في المسجد أفضى الى أمر مستهجن وهو أن من لا خير فيه يجد السبيل الى الوصول الى اغراضه الخسيسة بارتكاب محرم أو مكروه لكونه يتوارى فيها عن أعين الناظرين (الخامس) انه قد ينام فيها بعض الغرباء للضرورة فيجد اللص السبيل الى أخذ متاعه اذ أنه ليس ثم من ينظر اليه بسببها وقد وقع ذلك في المسجد كثيرا (السادس) انه قد يجد بعض الناس السبيل الى أن يبول في المسجد بسببها اذ أنه يستتر بها فلا يرى اذ ذاك سيما الصبيان الصغار الذين لا ينضبط حالهم في الغالب (السابع) ما في ذلك من مخالفة السنة (الثامن) ان ذلك من باب زخرفة المساجد وذلك من أشراط الساعة (التاسع) قد يجيء أعمى لا يهتدي بتلك الابواب الضيقة التي في الدرابزين فكانت سببا لادخال الضرر على كثير من المسلمين من أصحاب الاعذار (وكان) سبب اتخاذها ان الخلافة لما رجعت ملكا وتخوف الملوك على أنفسهم من القتل عملوا هذه المقاصير ليتحصنوا بها ممن يثب الى قتلهم فلا يدخلها الا خاصة الملك وحجابه على بابها (ومن العتبية) قال مالك اول من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليماني فجعل مقصورة من طين وجعل فيها تشبيكا (قال) ابن رشد رحمه الله والمقصورة محدثة لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عهد الخلفاء بعده وانما أحدثها الامراء للخوف على أنفسهم فاتخاذها في الجوامع مكروه فان كانت ممنوعة تفتح احيانا وتمنع احيانا فالصف الاول هو الخارج عنها اللاصق بها وان كانت

مباحة

مباحة غير ممنوعة فالصف الاول هو اللاصق بجدار القبلة فى داخلها روى ذلك عن مالك (وقوله) وجعل فيها تشبيكا يريد تخريما يرى منه الناس ركوعه وسجوده للاقتداء به انتهى (ثم) كثر استعمال ذلك حتى صارت تعمل لغير ضرورة فصارت كأنها من زى المسجد وكثر هذا حتى صار الامر الى أن من أراد أن يعمل مدرسة ويقف لها وقفا يأخذ من الجامع ناحية حيث يختار فيه فيديرها بالدرابزين ويجعلها لاخذ الدرس فيها فسرى الامر الى أنه لو جاء أحد من المسلمين من غير الفقهاء يدخل ذلك الموضع للضرورة التى تقصد لها المساجد فيمنع من ذلك ويطرد فى وقت الدرس وهذا غصب واحداث وتصرف فى الوقف لاشك فيه

(فصل) ومن هذا الباب الكرسى الكبير الذى يعملونه فى الجامع ويؤبدونه وعليه المصحف لكى يقرأ على الناس ولا ضرورة تدعو الى ذلك لوجهين (الاول) انه يمسك به من المسجد موضع كبير وهو وقف على المصلين لصلاتهم (الثانى) انهم يقرءون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة فمنهم المصلى ومنهم التالى ومنهم الذاكر ومنهم المفكر فاذا قرأ القارى اذ ذاك قطع عليهم ما هم فيه (وقد) نهى عليه الصلاة والسلام عن رفع الصوت بالقراءة فى المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن وهو نص فى عين المسئلة ولا التفات الى من فرق بين أن يكون المستمعون أكثر ممن يتشوش من المشتغلين بالصلاة وغيرها مما تقدم ذكره فان تشوش على واحد منهم منع من ذلك لوجود الضرر (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار (وقال) عليه الصلاة والسلام من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه (وقال) عليه الصلاة والسلام ملعون من ضار مؤمنا رواها الترمذى (وأول) من أحدث هذه البدعة فى المسجد الحجاج أعنى القراءة فى المصحف ولم يكن ذلك من عمل من مضى (فان) قال قائل قد أرسل عثمان رضى الله عنه المصاحف الى الامصار توضع فى الجوامع (فالجواب) ان ذلك انما كان لتجميع الناس على ما أثبت فى المصحف الذى أجمع عليه خاصة ليذهب التنازع فى القرآن ويرجع لهذا المصحف اذا اختلف فى شئ من القرآن ويترك ما عداه لانه امام المصاحف وقد أمن الاختلاف فيه والحمد

لله فلا يكتب مصحف ويجعل فى المسجد (ومن) هذا الباب أيضا ما أحدثوه فى المسجد من الصناديق المؤبدة التى يجعل فيها بعض الناس أقدامهم وغيرها من اثاثهم وذلك غصب لوضع مصلى المسلمين كما تقدم (قال) الطرطوشى وقد كره مالك رحمه الله التابوت الذى جعل فى المسجد للصدقات ورآه من حرث الدنيا اه (ومن) التصرفات فى الوقف والتغيير لما له لغير ضرورة شرعية دعت الى ذلك ما يفعله بعضهم من حفر جدار المسجد حتى يعمل فيه موضعا كالخزانة الصغيرة يعمل فيها ما يختاره من خشبة أو كتاب أو غيرهما فعلى ماذكر فقس كل ما يرد عليك مما أحدثوه فى المسجد (ومن) هذا الباب الدكة التى يصعد عليها المؤذنون للاذان يوم الجمعة ولا ضرورة تدعو الى الاذان عليها بل هى أشد من الصناديق اذ يمكن نقل الصناديق ولا يمكن نقلها اذ أن السنة فى أذان الجمعة اذا صعد الامام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار كذلك كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان رضى الله عنهم وكان المؤذنون ثلاثة يؤذنون واحدا بعد واحد ثم زاد عثمان بن عفان رضى الله عنه أذانا آخر بالزوراء وهو موضع بالسوق لما ان كثر الناس وأبقى الاذان الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنار والخطيب على المنبر اذ ذاك (ثم انه) لما ان تولى هشام ابن عبد الملك أخذ الاذان الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه بالزوراء وجعله على المنار وكان المؤذن واحدا يؤذن عند الزوال ثم نقل الاذان الذى كان على المنار حين صعود الامام على المنبر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهم بين يديه وكانوا يؤذنون ثلاثة فجعلهم يؤذنون جماعة ويسترجعون قال علماؤنا رحمة الله عليهم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم أولى ان تتبع (فقد بان) ان فعل ذلك فى المسجد بين يدى الخطيب بدعة وان أذانهم جماعة أيضا بدعة أخرى فتمسك بعض الناس بهاتين البدعتين وهما مما أحدثه هشام بن عبد الملك كما تقدم (ثم) تطاول الامر على ذلك حتى صار بين الناس كأنه سنة معمول بها فزادوا على الثلاثة المؤذنين أكثر من ثلاثة وثلاثة كما هو مشاهد فهذه بدعة ثالثة ثم أحدثوا الدكة التى يصعدون عليها ويؤذنون فهذه بدعة رابعة

37

وكل ذلك ليس له أصل فى الشرع (هذا) ماهو من طريق النقل (وأما) ماهو من طريق المعنى فلأن الاذان انما هو نداء الى الصلاة ومن هو فى المسجد لا معنى لندائه اذ هو حاضر ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء اذا كان النداء فى المسجد (هذا) وجه (الثانى) ان الدكة التى أحدثوها ضيقة من غير حظير فقد تلتوى رجل أحدهم أو يعثر فيقع فتنكسر وقد جرى ذلك فيكون مسئولا عن نفسه مع وجود أمله (الثالث) انه لا معنى لها اذ المراد انما هو اسماع الحاضرين وهم لو اذنوا فى الارض لا سمعوا من فى المسجد وانما هى عوائد وقع الاستئناس بها فصار المنكر لها كأنه يأتى ببدعة على زعمهم فانا لله وانا اليه راجعون على قلب الحقائق لانهم يعتقدون ان ما هم عليه هو الصواب والأفضل ولو فعلوا ذلك مع اعتقادهم انه بدعة لكان أخف أن يرجى لأحدهم أن يتوب

(فصل) ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت الى أمر مخوف وهو وقوع الخلل فى الصلاة (ألا ترى) انهم لما ان فعلوا الاذان فى جماعة مضوا على ذلك فى التبليغ فى الصلاة والجماعة اذا بلغوا مشى بعضهم على صوت بعض مع رفع أصواتهم بالتكبير فى الصلاة على ما يعلم من زعقات المؤذنين وذلك يذهب الحضور والخشوع او بعضه ويذهب السكينة والوقار أيضا (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى صحة صلاة المسمع الواحد والصلاة به وبطلانها على أربعة أقوال تصح لا تصح الفرق بين ان يأذن الامام فتصح أو لا يأذن فلا تصح والفرق بين أن يكون صوت الامام يعمهم فلا تصح أو لا يعمهم فتصح (فاذا) كان هذا فى تبليغ الواحد فما بالك فى تبليغ الجماعة على صوت واحد كما سبق فأولى بجريان الخلاف فى صحة صلاتهم وبطلانها بتبليغهم (وهذا) انما هو اذا نووا كلهم بالتكبير كاملا فى جميع الصلاة فلو كبر واحد من المسمعين التكبير كاملا فى جميع الصلاة جرى فى صلاته والصلاة به الخلاف السابق فى المسمع الواحد الذى ليس معه غيره (هذا) ما لم يتعمد أن يمشى على صوت غيره فان مشى على صوت غيره فهى المسئلة الاولى (وأما) على ما يفعلونه اليوم من كونهم يتواكلون فى التكبير ويديرونه بينهم ويقطعونه ويوصلونه وذلك ان بعضهم يبتدى التكبير فيقول

الله ويمد صوته ثم يبتدى الآخر من أثناء الكلمة نفسها واصلا صوته بصوت صاحبه قبل انقطاعه مبالغا فى رفع صوته على سبيل التعمد وفاعل هذا لم يأت بالتكبير على وجهه (واذا) كان ذلك كذلك فهو شغل فى الصلاة بزيادة غير شرعية ولا لضرورة شرعية فتبطل صلاتهم والحالة هذه من غير جريان الخلاف السابق (ويقع أيضا) بذلك التهويش والتشويش والتخليط سيما وهم لو أتوا به من غير توال أو توصيل وترديد لأبطل صلاتهم أيضا من غير خلاف وذلك انهم يغيرون وضع التكبير لانهم يقولون آلله فيزيدون على الهمزة مدة وكذلك يصنعون فى أكبر وبعضهم يزيد بعد الباء من أكبر ألفا الى غير ذلك من صنيعهم (وان) أتى بعضهم بالتكبير كما لا فانه لا يفعل ذلك فى جميع تكبيرات الصلاة (واذا) كان ذلك فحكمه حكم المسئلة المذكورة آنفا وهو البطلان (واذا) علم ذلك فيسرى الخلل الى صلاة من صلى بتبليغهم لان من يريد أن يصلى خلف الامام لا يجوز له أن يقتدى الا باحد أربعة أشياء أولها وهو أعلاها أن يرى أفعال الامام فان تعذر ذلك فسماع أقواله فان تعذر ذلك فرؤية أفعال المأمومين فان تعذر ذلك فسماع أقوالهم فان تعذر فلا امامة (وفى هذا) نكتة أخرى وهى ان الامام اذا دخل فى الصلاة بتكبيرة الاحرام كبروا خلفه اذ ذاك قبل أن يدخلوا فى الصلاة ليسمعوا الناس بذلك فيعلموا بتكبيرهم ان الامام قد أحرم بالصلاة فمن أحرم من الناس حينئذ سرى الخلل الى صلاته من هذا الوجه أيضا لما تقدم ان الاقتداء لا يجوز الا باحد أربعة أشياء وهذا ليس بواحد منها (ثم) ان تبليغهم فى الصلاة جماعة أدى الى مخالفة السنة لان السنة فى الصلاة أن يكون المأموم تبعا للامام وفى حكمه وفى هذا الفعل يصير الامام فى حكم المأموم لان المكبرين يطولون فى التكبير ويمططونه والامام ينتظر فراغهم منه وحينئذ ينتقل الى الركن الذى يليه (وأفضى) تسميعهم جماعات أيضا الى مفسدة أخرى وهى ان الامام يكبر للركوع فى بعض الاحيان ويركع فيكبرون خلفه ويطولون برفع أصواتهم عليه فيرفع رأسه من الركوع قبل أن ينقضى تكبيرهم ويأتى المسبوق فيكبر تكبيرة الاحرام ويركع ظنا منه ان الامام فى الركوع بعد لكونه يسمع صوت المكبرين فى الركوع فتفسد عليه صلاته وهو لا يشعر اذ

لو علم

لو علم ذلك لتدارك ما وقع لان تلك الركعة لم تصح له

(فصل) ومن هذا الباب أيضا الدكة التي تحت هذه الدكة التي يؤذنون عليها للجمعة والتعليل فيها ما تقدم في المقاصير والصناديق وكذلك الدكة التي يسمعون عليها في الصلوات الخمس والتعليل فيها كذلك (ثم العجب) كيف غاب عنهم أصل موضع الصلاة اذ أن الصلاة صلة بين العبد وربه واذا كانت صلة فمن شأنها كثرة التواضع وتمريغ الوجه على الارض والتراب ان أمكن ذلك فهو أفضل واعلى فان تعذر ذلك فليكن على الحصير الغليظ (ومذهب مالك) رحمه الله ان الصلاة على الثوب الكتان لغير ضرورة مكروهة مع وجود الحصير وبهذه النسبة تكون الصلاة على ثوب القطن مكروهة اذا وجد الكتان والصلاة على الثوب الصوف مكروهة ان وجد القطن (فالحاصل) ان أعلى المراتب مباشرة الارض بالسجود ثم يليها الحصير الغليظ ثم ما هو أرفع منه ثم الكتان الغليظ كذلك ثم القطن مثله ثم الصوف والمقصود أن المحل محل تواضع وتصاغر وذلة وخشوع وخضوع وفعل الدكة ينافي ذلك كله لان المصلي عليها يرتفع بها عن الارض ارتفاعا كثيرا ويصلي على الخشب وليس من جنس الارض فانا لله وانا اليه راجعون (فان) قال قائل انما جعلت الدكة للاذان للجمعة وللخمس ليسمع الناس (فالجواب) ان من كان خارج المسجد لا يسمع تبليغهم في الغالب ومن كان في المسجد فسواء كان المؤذنون على الدكة أو بالارض هم يسمعونهم غالبا (فان) قال قائل قد يكون الجامع كبيرا وفيه الجمع الكثير ولا يسمعهم المؤذن الواحد (فالجواب) انه لا فرق بين صوت الواحد والجماعة بل صوت الواحد في الاسماع أبلغ لكونه يصوت أكثر مما يقدر عليه بخلاف ما اذا كان في جماعة يبلغ معهم فانه يحتاج أن يوافقهم على أصواتهم (ولاجل) هذا المعنى يسمع المؤذن الواحد في الشاهد على بعد ولا تسمع الجماعة الا فيما هو أقرب من ذلك في الغالب (وفي) جوامع المغرب تجد في الجامع الواحد أربعة مؤذنين واحد خلف الامام والثاني حيث ينتهي اليه صوت الاول والثالث حيث ينتهي اليه صوت الثاني ثم الرابع كذلك على هذا الترتيب وهؤلاء الاربعة حكمهم حكم المبلغ الواحد الذي وقع الخلاف المتقدم فيه والمشهور جوازه

وصحة صلاته والله تعالى أعلم

(فصل) ومن هذا الباب أيضا أعنى فى امساك مواضع فى المسجد وتقطيع الصفوف بها اتخاذ هذا المنبر العالى فانه أخذ من المسجد جزءا جيدا وهو وقف على صلاة المسلمين كفى به انه لم يكن من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ولا من فعل الخلفاء بعده واذا كان ذلك كذلك فهو من جملة ما أحدث فى المساجد وفيه تقطيع الصفوف كما هو مشاهد فى هذه البلاد (قال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه كان عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة (وكان) الثورى رحمه الله يقول ان الصف الاول هو الخارج بين يدى المنبر انتهى (وأما) بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف لكن بقيت عندهم بدعتان احداهما كبر المنبر على ما هو هنا والثانية انهم يدخلون المنبر فى بيت اذا فرغ الخطيب من الخطبة وهذه بدعة انجلاج (ومنبر السنة) غير هذا كله كان ثلاث درجات لا غير والثلاث درجات لا تشغل مواضع المصلين (فان) قال قائل بل تشغل ولو موضعا واحدا (فالجواب) ان هذا مستثنى بفعل صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الحالات وما عداه فبدعة لانه لا ضرورة تدعو اليه (فان) قال قائل قد كثر الناس واتسع الجامع فاذا صعد الخطيب على المنبر وهو ثلاث درجات قل ان يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم فى الغالب (فالجواب) ان من كان على منبر عال هو الذى لا يسمعهم لكونه بعيدا عنهم فكأنه فى سطح وحده فلا يسمع من تحته وهذا مشاهد (ألا ترى) ان الخطيب يخطب على هذا المنبر العالى وكثير من الناس لا يسمعونه واذا دخل فى الصلاة سمعوا قراءته أكثر من خطبته وما ذاك الا لكونه فى الصلاة واقفا معهم على الارض وفى حال الخطبة لم يكن معهم كذلك ولا يرد على هذا علو المنار للاذان وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى

(فصل) ومن هذا الباب أيضا البئر التى فى المسجد لانه سبب لأن يجعل المسجد طريقا بسببها حتى يدخل النساء اليها وقد يكون فيهن الحيض والمرأة الشابة وان كانت طاهرة والصغار ومن ينزه المسجد عن أمثالهم ممن لم يتحفظ وقد امتنع بسببها مواضع فى المسجد للمصلين فيه كما تقدم فى غيره ولا ضرورة دعت الى البئر هناك لانها ليست بحلوة فينتفع بالشرب منها ولو كانت

كذلك لانتفع الناس بالشرب من غير أن يتخذ المسجد طريقا (واذا) كان كذلك فلم يبق النفع بها الا للطهارة وغسل النجاسة وذلك ممنوع منه فى المسجد وقد وسع الله تعالى على الناس بالآبار حتى فى بعض الطرق فى غير مسجد فاما الآبار التى فى المساجد فلا ينقل الماء منها الى غيرها لان ذلك ذريعة الى اتخاذ المساجد طريقا كما تقدم اللهم الا أن تكون البئر قديمة وجاء من بنى المسجد هناك وترك البئر فى وسطه فان كان ذلك كذلك فالطريق الى البئر ليس بمسجد ولا يصح فيه الاعتكاف

(فصل) ومن هذا الباب موضع الفسقية والحظير الذى عليها وما عليها من الطبقة (وهى) لاتخلو اما أن تكون من المسجد أم لا فان كانت من المسجد فيمنع الوضوء منها وقد تقدم منع كشف العورة عند الفسقية فى المدارس وغيرها واذا كان ذلك كذلك فكشف العورة هنا أعظم فى المنع لحرمة هذا الموضع لكونه من المسجد سيما وبعض الناس يبول هناك ويستنجى (وان لم تكن) من المسجد فيمنع الوضوء أيضا لانهم يتوضؤون هناك فتمتلئ أقدامهم ويخرجون فيلوثون بها المسجد بيقين وذلك يمنع (وأما الطبقة) فان لم تكن من المسجد فالاعتكاف لا يصح فيها وان كانت من المسجد فلا تصح الجمعة فيها لكونها محجورة (وفى) موضع الفسقية مفسدة اخرى أكثر مما تقدم ذكره فى المقاصير لان بعض من لا خير فيه يصل بسبب ذلك الى ما يريده من أغراضه الخسيسة اذ أنها أكثر سترا من المقاصير لانها فى مؤخر المسجد والغالب من الناس انهم يأتون الصف الاول وما قاربه فيبقى مؤخر المسجد فى الغالب خاليا سيما ان كان لياليهم لا يقعدون فى تلك الناحية الا قليلا

(فصل) وأما موضع الديوان فلا يخلو أيضا اما أن يكون من المسجد أم لا فان كان من المسجد فلا يجوز غلقه ولا تحجيره ولا جلوس أهل الديوان فيه وان كان من غير المسجد فلا يصح فيه الاعتكاف اذ أن من شرطه المسجد كما تقدم

(فصل) وينبغى له أن يغير ما أحدثوه من الزخرفة فى المحراب وغيره فان ذلك من البدع وهو من اشراط الساعة (ومن الطرطوشى) قال ابن القاسم

وسمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمل من التزويق في قبلته فقال كره الناس ذلك حين فعله لانه يشغلهم بالنظر اليه (وسئل مالك) عن المساجد هل يكره أن يكتب في قبلتها بالصبغ مثل آية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوها فقال اكره أن يكتب في قبلة المسجد شئ من القرآن والتزويق وقال ان ذلك يشغل المصلي انتهى (وكذلك) ينبغي له أن يغير ما أحدثوه من الصاق العمد في جدار القبلة وفي الاعمدة أو ما يلصقونه أو يكتبونه في الجدران والاعمدة (وكذلك) يغير ما يعلقونه من خرق كسوة الكعبة في المحراب وغيره فان ذلك كله من البدع لانه لم يكن من فعل من مضى (واما التخليق) بالزعفران في المسجد فهو جائز اذ أنه من الطيب لكن قد قال مالك رحمه الله ان الصدقة بثمن ذلك أفضل ويجوز تخليقه بشرط أن لا يفعل ذلك الا من يجوز له دخول المسجد حذرا من أن تدخله حائض بسبب ذلك أو امرأة طاهرة تخالط الناس في موضع مصلاهم وهي ممنوعة من ذلك

(فصل) وينبغي له أن يغير ما أحدثوه من التآزير في جدران المسجد لانه من باب الزخرفة أيضا ولانه لا يمكن ذلك الا بمسامير أو ما يقوم مقامها من أوتاد وغيرها وذلك لا يجوز في الوقف الا لضرورة شرعية مثل أن يكون جدار المسجد فيه سباخ أو شئ يلوث ثياب المصلين فيغتفر ذلك لاجل هذه الضرورة (ومنع) دق المسامير وما تقدم لا يختص بالمسجد وحده بل هو حكم شائع في كل وقف (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من الفقهاء اذا دخلت لاحدهم بيته في المدرسة تجد كل ماله من كتب واثاث بالارض خشية مما ذكر من تسمير مسامير يضع عليها شيئا من عمامة أو غيرها (وكذلك) يمنع مما ذكر من كان ساكنا في موضع وقف بكراء او غيره فلا يجوز له شئ من ذلك فيه ولو اذن له الناظر في ذلك فلو كان البيت ملكا لغيره جاز له ذلك بعد الاذن فيه من المالك فان لم يأذن له لم يجز

(فصل) فانظر رحمنا الله واياك الى مقتضى ما تقدم ذكره فكيف يمكن ان يعمر في المسجد المسامير الكبار والاوتاد ويقتطعون من المسجد مواضع يمنعونها من غيرهم ويسكنون فيها دائما وينامون فيها ويقومون وقد يجنب

احدهم

أحدهم ليلا فلا يمكنه الخروج من المسجد فيجلس فى المسجد وهو جنب وذلك محرم ولا نكير فى ذلك ولا من يغير بعضه فانا لله وانا اليه راجعون وفاعل ماذكر مصر على معصية مقيم عليها ولو تاب بقلبه ولفظه حتى يفارقها فكيف يزار أو يتبرك به مع هذه الجرحة لانه غاصب لمواضع المصلين فى كل وقت مادام مقيما على ذلك حتى ان بعضهم اذا خرج من المقصورة أغلقها على متاعه وأخذ المفتاح معه حتى كأنها بيت أبيه أو جده (وقد) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى المبيت فى المسجد للغرباء اذا اضطروا اليه فذهب مالك رحمه الله الى أن ذلك يجوز فى البادية ولا يجوز فى الحاضرة وأعنى بالبادية التى ليس فيها بناء يأوى اليه وأما بلاد الريف فانه يوجد فيها مواضع غير المسجد فلم تدع الضرورة الى المبيت فى المسجد

(فصل) فان قال قائل ان المسجد لا يمتلئ بالناس حتى يحتاجوا لتلك المواضع التى أحدثوا فيها ما أحدثوا (فالجواب) أن ما أجمع عليه المسلمون من المساجد المهجورة لا يجوز سكناها ولا اجارتها ولا احتكارها فاذا كان ذلك كذلك فما ظنك بسببه من باب أولى والله الموفق

(فصل) ومن هذا الباب أيضا ما أحدثوه فى سطوح المسجد من البيوت وذلك غصب لمواضع المسلمين فى المسجد واحتكار لها واحداث فى الوقف لغير ضرورة شرعية وفيه من المفاسد ما تقدم ذكره من أمر المقيمين فى المسجد وغصبهم لتلك المواضع التى سكنوها بل هذا أشد لان تلك البيوت التى فى السطوح مؤبدة للسكنى بخلاف ما تقدم ذكره وفيه مع ماذكر من المفاسد الاقامة فى المسجد وقد يكون جنبا كما سبق فى حق من تقدم ذكره (وقد كان) بعض القضاة لما ان تولى وهو والله اعلم المعروف بابن بنت الاعز جاء الى سطوح الجامع بمصر فى جماعة وهدم البيوت المحدثة عن آخرها ولم يسأل لمن هذا البيت ولا من هذه الثياب بل أخذ ما وجد من ذلك وغيره ورماه فى صحن الجامع ومشى الامر على ذلك مدة من الزمان طويلة ثم أحدثوها أيضا لما لم يجدوا من ينهاهم عن ذلك ولا من يتكلم فيه (وصلاة) الجمعة فيها وفى غيرها من سطوح المسجد لا تصح على مذهب مالك رحمه الله لان من شرط الجمعة الجامع المسقوف ومن صفة المسجد أن يدخل بغير اذن وأن

يكون جميع الناس فيه سواء وسطوح المسجد ليس كذلك فانه محجور على بعض الناس ولا تصح الجمعة فيما هو كذلك كما لا تصح في بيت القناديل لاشتراكهما في التحجير على بعض الناس دون بعض كما تقدم ولو قدرنا أن السطوح ليست بمحجورة على أحد فالحكم في مذهب مالك رحمه الله للغالب والغالب أنها محجورة على بعض الناس دون بعض كما تقدم بيانه

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم الوضوء في سطح المسجد ومن كان ساكنا في سطوحه فانه يتوضأ فيه للضرورة كما يشاهد من عوائدهم فيه وذلك ممنوع لاشك فيه كما لا يتوضأ في داخل المسجد لان حرمة سطحه كحرمته (وقد اختلف) علماؤنا رحمة الله عليهم في الخطيب اذا أحدث في أثناء خطبته أو بعد فراغه منها هل يجوز له أن يتوضأ في المسجد فروى عن ابن القاسم أنه لا بأس أن يتوضأ في صحنه فوضوء طاهر وكره مالك رحمه الله ذلك وان كان في طشت ومن يتوضأ في السطوح أو في البيوت التي فيها فانما يتوضأ فيما هو داخل المسجد وذلك كله ممنوع (وقد ترتب) على بناء البيوت في سطوح المسجد مفاسد جلة (فمنها) ان بعض الناس ممن يعتكف في البيوت التي فوق سطوح المسجد تجدهم أول شهر رمضان أو في آخر شعبان يتقدمه الفرش والغطاء والوطاء وما يحتاج اليه في بيته مما يمنع فعله في المسجد (وقد) منع مالك رحمه الله أن يأتي الرجل بوسادة في المسجد يتكئ عليها أو بفروة يجلس عليها وأنكر ذلك وقال تشبه المساجد بالبيوت

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم المراوح اذا أن اتخاذها في المسجد بدعة ثم ان بعضهم الغالب عليهم اليوم زيارة المعتكف في معتكفه وكثرة الكلام في المسجد واللغط فيه (وقد ورد) ان ذلك يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم اذا اعتكفوا لا يأتيهم أحد حتى يخرجوا من اعتكافهم اذ أن حال المعتكف يدور بين صلاة وتلاوة وذكر وغير ذلك فليس بشروع له كالصلاة على الجنازة ومدارسة العلم ان كان يمشي اليه وأما ان غشيه في مجلسه وهو يسمعه فلا بأس به هذا على مذهب مالك رحمه الله (وأما) النوم الخفيف فهو مستثنى لضرورة البشرية (وكذلك) ينبغي أن يمنع ما أحدثوه فيما يأتون به لفطورهم

فتجد

فتجد الروائح التي لا طعمتهم يشمها الفقراء والمساكين حين يؤتون بها عند
الغروب والناس اذذاك في المسجد ينتظرون صلاة المغرب فتبقى نفوسهم
اذذاك مشتهية لذلك الطعام وأعينهم فيه سيما اذا دخلوا به من باب السطوح
الذي في القبلة فانه أكثر في هذا الباب من غيره ثم مع ذلك في سطوح
المسجد من الفقراء المحتاجين كثير ويتأذون بتلك الروائح كثيرا ويخاف على
فاعل ذلك اما عاجلا واما آجلا والمعتكف انما دخل لاعتكافه لزيادة
الفضل وهذا ضده فليتحفظ من هذا كله والله الموفق (فهذا الكلام) على
بعض المواضع التي وقعت فيها مخالفة السنة كما تقدم ذكره ثم نرجع
الآن الى بقية ما أحدثوه في بعض الجوامع (فمن ذلك) السبحة التي أحدثوها
وعملوا لها سندوقا تكون فيه وجامكية لقيمها وحاملها والذاكرين عليها
وهذا كله مخالف للسنة المطهرة ولما كان عليه السلف رضي الله عنهم وقد
تقدم ذكر حالهم في الذكر كيف كان ثم ان بعض من اقتدى بمن أحدثها زاد
فيها حدثا آخر وهو أن جعل لها شيخا يعرف بشيخ السبحة وخادما يعرف
بخادم السبحة الى غير ذلك وهي بدعة قريبة العهد بالحدوث فينبغي لامام
المسجد أن يتقدم الى ازالة كل ما تقدم ذكره على قدر استطاعته مع ان هذا
متعين على سائر المسلمين لكن في حق الامام آكد لان المسجد من رعيته
وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والله الموفق

(فصل) وقد تقدم في آداب المتعلم انه لا يجلس لقاص ولا لسماع قراءة
الكتب التي تقرأ وليس هناك شيخ يبين ما يشكل على السامع منها ويتعين
عليه بيان ذلك وان لم يسئل عنه وهذا في حق امام المسجد آكد اذ انه راع
عليه كما تقدم فيمنع من ذلك جهده سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعض
الناس في هذا الوقت وهو أن يجتمع اليه الناس لسماع الكتب فيه ثم
تأتي النساء أيضا لسماعها فيقعد الرجال بمكان والنساء بمقابلتهم سيما وقد
حدث في هذا الوقت ان بعض النساء يأخذهن الحال على ما يزعمن فتقوم
المرأة وتقعد وتصيح بصوت ندى وتظهر منها عورات لو كانت في بيتها لمنعت
فكيف بها في الجامع بحضرة الرجال فنشأ من هذا مفاسد جمة وتشويشات
لقلوب بعض الحاضرين فجاء والبر بحوا فعاد عليهم بالنقص أسأل الله

مطلب السبحة

السلامة منه

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم في هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع وموضع المصافحة في الشرع انما هو عند لقاء المسلم لاخيه لا في ادبار الصلوات الخمس وذلك كله من البدع فحيث وضعها الشرع نضعها فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لما أتى من خلاف السنة

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما يدخل به بعض الناس الى المسجد حين اتيانهم بالميت الى الصلاة عليه فيه من القراء والفقراء الذاكرين والمكبرين والمريدين اذا أن ذلك كله من البدع في غير المسجد فكيف به في المسجد ولان ذلك يشوش على المتنفل والتالي والذاكر والمتفكر والمسجد انما بني لهؤلاء دون غيرهم (وقد استفتي) الامام النووي رحمه الله فقيل له هذه القراءة التي يقرؤها بعض الجهال على الجنائز بدمشق بالتغبيط الفاحش والتغني الزائد وادخال حروف زائدة وكلمات ونحو ذلك مما هو مشاهد منهم هل هو مذموم أم لا (فاجاب) بما هذا لفظه هذا منكر ظاهر مذموم فاحش وهو حرام باجماع العلماء وقد نقل الاجماع فيه الماوردي وغيره واحد وعلى ولي الامر وفقه الله زجرهم عنه وتعزيرهم واستتابتهم ويجب انكاره على كل مكلف تمكن من انكاره انتهى (واذا) كان كذلك فيتعين منع ذلك كله مع ان الصلاة على الميت في المسجد تمنع في مذهب الامام مالك رحمه الله لو كانت سالمة لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شيء له أخرجه أبو داود في سننه وهذا الذي خرجه أبو داود يقويه عمل السلف المتصل بل لو انفرد العمل لكان كافيا في منعه في المسجد والله الموفق (ثم انهم) يؤخرون الصلاة على الميت ودفنه حتى يفرغ الامام من خطبته وصلاته ان كان في الجمعة وان كان في غيرها فينتظرون به انقضاء تلك الصلاة التي تكون (وقد) وردت السنة ان من اكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه (وقد كان) بعض العلماء رحمه الله ممن كان يحافظ على السنة اذا جاء والميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويامر أهله أن يخرجوا الى دفنه ويعلمهم أن الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه

يجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة فلو كان العلماء ماشين على ما مشى عليه هذا السيد لانسدت هذه الثلمة التي وقعت وهي ان من احدث شيئا سكت له عليه فتزايد الامر بذلك فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان مع ماذكر ترتبت مفاسد على كون الميت يصلى عليه في المسجد (الاترى) ان الغالب على بعضهم يأتون بالميت الى المسجد في زحام من الوقت فيجدون المسجد قد امتلأ بالناس فيدخل الحاملون له وهم حفاة قد مشوا باقدامهم على النجاسات على مايعلم في الطرقات في هذا الوقت ثم يدخلون المسجد على ذلك الحال من غير أن يمسحوا أقدامهم أو يحكوها بالارض فيتخطون رقاب الناس بتلك الاقدام ويمشون بها على ثيابهم وقد يتنجس بعض المسجد وثياب من مشوا عليه بذلك (وهذا الموضع) مما وقع عليه النص من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه في فاعل ذلك أنه مؤذ قال عليه الصلاة والسلام للذي تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اجلس فقد آذيت هذا وجه (الوجه الثاني) ان الغالب على بعضهم انه يكون قدمه في جمرته فاذا تحرك تحرك القدم بحركته وينحك بعضه في بعض فان كانت فيه نجاسة وهو الغالب وقعت في المسجد فيصلي الناس عليها فتبطل صلاتهم بذلك (الوجه الثالث) ان موضع سرير الميت يمسك مواضع للمصلين وذلك غصب لهم لان الموضع وقف على المصلين وهم لاحاجة لهم به كلية الا في وقت الصلاة المكتوبة سيما اذا كانت صلاة الجمعة فيتأكد تعيين الغصب في ذلك (الوجه الرابع) ان الغالب على بعض الموتى أن يبقى فيهم شئ من الفضلات والميت لايمسك ذلك وقد تخرج في المسجد والنجاسة في المسجد ممنوعة (الوجه الخامس) رفع صوت الحاملين على مايعلم منهم عند ارادة الصلاة على الميت وبعدها حين خروجهم مما لم يرد به الشرع فينتهكون بذلك حرمة المسجد الى غير ذلك وهو كثير متعدد لان مخالفة السنة لاتأتي بخير والخير كله في الاتباع له عليه الصلاة والسلام في الدقيق والجليل (وسئل مالك) عن الجنائز يؤذن بها على أبواب المساجد فكره ذلك وكره أن يصاح خلفه باستغفروا له يغفر الله لكم وأفتى في ذلك بالكراهة (قال) ابن القاسم سألت مالكا عن الجنازة يؤذن بها في المسجد بصياح قال لاخير فيه

وكرهه وقال لا أرى بأسا أن يدار في الحلق و يؤذن الناس بها ولا يرفع بذلك صوت (قال القاضي) أبو الوليد بن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل أما النداء بالجنائز في داخل المسجد فلا ينبغي ولا يجوز باتفاق لكراهة رفع الصوت في المسجد فقد كره ذلك حتى في العلم وأما النداء بها على أبواب المسجد فكرهه مالك ورآه من النهي المنهي عنه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والنعي فان النعي من عمل الجاهلية والنعي عندهم أن ينادي في الناس ألا ان فلانا قد مات فاشهدوا جنازته وأما الاذان بها والاعلام من غير نداء فذلك جائز باجماع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة التي توفيت ليلا فلا آذنن فوني بها وقد روى عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أنه قال اذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحدا اني أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي وبالله التوفيق اه (فان) قال قائل ان النجاسة لا تخرج من الميت في المسجد لما يفعلونه من سد مخارجه وارسال القطن معه (فالجواب) أن في فعل هذا محرمات أخر منها هتك حرمة المؤمن بعد موته ولا فرق في ذلك بين حياته وموته لانهم يرسلون معه القطن في فيه ويدخلونه الى حلقه ويرسلونه معه بعود أو غيره حتى يملئوا حلقه بالقطن وينزل ذقنه الى أسفل ويطلع أنفه الى فوق و يملئون فمه وشدقيه بالقطن فيبقى مثلة للناظر وكذلك يفعلون في أنفه فيرسلون فيه القطن حتى يتعاظم أنفه ثم يفعلون فعلا قبيحا فيرسلون القطن لي دبره بعود أو غيره وهذا فعل قبيح شنيع لان ذلك حرام في حياته فكذلك بعد موته (ووجه آخر) وهو أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه أمرنا بغسل الميت اكراما للقاء الملائكة في القبر وهم يفعلون به ما ذكر فاذا جاء وابه الى القبر اخرجوا ذلك منه فيخرج القطن وهو ملوث بالفضلات في الغالب ويبقى الفم مفتوحا لا يمكن غلقه ثم ان ما يخرج منه في الغالب له رائحة كريهة والملائكة تتاذى مما يتأذى منه بنو آدم وهم يبقون ذلك معه في قبره في الغالب فذهب بذلك المعنى الذي لاجله أمرنا الشارع عليه الصلاة والسلام بفعله وهو الاكرام بغسله للقاء الملائكة (ثم العجب) في كونهم يأتون بما ورد فيسكبون ذلك عليه في القبر وهذه أيضا بدعة أخرى

لان

لان الطيب انما شرع فى حق الميت بعد الغسل لا فى القبر فكيف يجتمع طيب ونجاسة

(فصل) وينبغى له أن يمنع من يرفع صوته فى حال الخطبة وغيرها فى المسجد لان رفع الصوت فى المسجد بدعة (لما ورد) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وجمروها أيام جمعكم واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم اه (وقد كثر) رفع الاصوات والخصومات فى المساجد فى هذا الزمان حتى ان الخطيب لا يسمع منه ما يقول لكثرة غوغائهم اذ ذاك (وكذلك) ينبغى له أن يغير عليهم ما أحدثوه من التصفيق فى حال الخطبة اذ أن ذلك فعل قبيح وليس ذلك من فعل الرجال لقوله عليه الصلاة والسلام وانما التصفيق للنساء وهذا كله سببه السكوت عما أحدث فى الدين (وقد روى) أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر الجمعة ثلاث نفر فرجل حضرها باغو فذلك حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله ان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة الى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اه (وينبغى له) أن يغير ما أحدثوه من تفريق الربعة حين اجتماع الناس لصلاة الجمعة فاذا كان عند الاذان قام الذى فرقها ليجمع ما فرق من تلك الاجزاء فيتخطى رقاب الناس بسبب أخذها منهم (وهذا) فيه محذورات جلة (منها) ان ذلك مخالف للسلف رضوان الله عليهم اذ انه لم يرد عن أحد منهم أنه فعل ذلك (الوجه الثانى) ان فيه تخطى رقاب الناس حين ارتصاصهم لانتظار صلاة الجمعة لغير ضرورة شرعية وقد تقدم النهى عن ذلك وان فاعله مؤذ وقد ورد ان كل مؤذ فى النار (الوجه الثالث) أنه قد يعطى الخطبة لمن لا يحسن أن يقرأ فقد يحصل له خجل بسبب ذلك وهذه أذية وصلت على يده لمسلم كان عنها فى غنى (الوجه الرابع) أنه قد ينسى بعض الاجزاء فلا يأخذه فيضيع على الوقف (الوجه الخامس) انه قد يأخذه بعض الناس ويكتمه

مطلب التصفيق

مطلب تفريق الربعة

لتساهلهم فى الوقف فقد يخفى ويختار أن يختص هو بمنفعته فى بيته اما لنفسه أولولده أوغير ذلك فيذهب على الوقف (الوجه السادس) انه قد يأتى عليه فى بعض الاحيان انه يكون مشغولا فى جمع تلك الاجزاء والخطيب اذذاك يخطب فينقع الكلام والمراجعة بسبب جمعها فى حال الخطبة (وينبغى له) أن ينهى الناس أن يقفوا تحت اللوح الاخضر للدعاء وكذلك عند أركان المسجد اذ أن ذلك بدعة من فعله (وينبغى له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من ارسال البسط والسجادات وغيرها قبل أن يأتى أصحابها (وقد تقدم) ما فى ذلك من القبح ومخالفة السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فأغنى ذلك عن اعادته والله الموفق (وينبغى له) أن ينهى من يقرأ الاعشار وغيرها بالجهر والناس ينتظرون صلاة الجمعة أوغيرها من الفرائض لانه موضع النهى لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجهر بعضكم على بعض بالقرآن انتهى (ولا) يظن ظان ان هذا انكار لقراءة القرآن بل ذلك مندوب اليه بشرط أن يسلم من التشويش على غيره من المصلين والذاكرين والتالين والمتفكرين وكل من كان فى عبادة (والحاصل) ان ذلك يمنع فى المسجد المطروق مطلقا وان لم يكن فيه أحد لانه معد ومعرض لما تقدم ذكره من العبادات المقصود بها واما ان كان فى مسجد مهجور وليس فيه غير السامعين اوفى مدرسة اورباط اوبيت فذلك مندوب اليه بحسب الحال بشرط ان لايكون ثم غير السامعين كما تقدم فان كان ثم غيرهم فيمنع لاحتمال ان يكون ثم من يدرس اويطالع اويصلى اويأخذ راحة لنفسه فيقطع عليه ماهو بصدده وقد تقدم ماورد فى الحديث لاضرر ولاضرار اه (هذا) اذا سلم من الزيادة اوالنقصان مثل أن يمد المقصور او يقصر الممدود او يشدد موضع التخفيف اوعكسه او يظهر موضع الادغام اوعكسه او يظهر موضع الاخفاء الى غير ذلك وان لايصل بالعشر آية اخرى غير متصلة به لان ذلك تغيير للقرآن فى الظاهر عن نظمه الذى اجمعت عليه الامة (وينبغى له) ان ينهى عن قراءة الاسباع سيما التى فى المسجد لما تقدم من ان المسجد انما بنى للمصلين والذاكرين وقراءة الاسباع فى المسجد مما يشوشون بها لما ورد فى الحديث لاضرر ولاضرار وأى شئ كان فيه تشويش منع والله

مطلب ارسال البسط والسجادات

مطلب قراءة الأعشار

مطلب قراءة الأسباع

مطلب الذاكرين جماعة

مطلب السؤال

مطلب السقاءين

الموفق (وينبغي له) أن ينهى الفقراء الذاكرين جماعة في المسجد قبل الصلاة أو بعدها أو في غيرهما من الاوقات لما تقدم من منع ذلك في أول الكتاب (وينبغي له) أن يمنع من يسأل في المسجد لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من سأل في المسجد فاحرموه ومن كتاب القوت قال ابن مسعود اذا سأل الرجل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه انتهى والمسجد لم يبن للسؤال فيه وانما بني لما تقدم ذكره من العبادات والسؤال يشوش على من يتعبد فيه (وينبغي له) أن ينهى عن الاعطاء لمن يسأل فيه لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام فاحرموه ولان اعطاءه ذريعة الى سؤاله في المسجد (وينبغي له) أن يمنع السقاءين الذين يدخلون المسجد وينادون فيه على من يسبل لهم فاذا سبل لهم ينادون غفر الله لمن سبل ورحم من جعل الماء للسبيل وما أشبه ذلك من ألفاظهم ويضربون مع ذلك بشئ في أيديهم له صوت يشبه صوت الناقوس وهذا كله من البدع ومما ينزه المسجد عن مثله (وفي) فعل ذلك في المسجد مفاسد جملة (منها) ما تقدم ذكره من شبه الناقوس (ومنها) رفع الصوت في المسجد لغير ضرورة شرعية (ومنها) البيع والشراء في المسجد لأن بعضهم يفعل ما ذكر وبعضهم يمشي يخترق الصفوف في المسجد فمن احتاج أن يشرب ناداه فشرب وأعطاه العوض عن ذلك وهذا بيع بين ليس فيه واسطة تسبيل ولا غيره سيما والمعاطاة بيع عند مالك رحمه الله ومن تبعه (ومنها) تخطي رقاب الناس في حال انتظارهم للصلاة (ومنها) تلويث المسجد لانه لا بد أن يقع من الماء شئ فيه وان كان طاهرا الا أنه يمنع في المسجد على هذا الوجه وقد تقدم مشي بعضهم حفاة ودخولهم المسجد بتلك الاقدام النجسة وما في ذلك من المحذور كما تقدم ذكره وقد تقدم أيضا ما يفعلونه في المسجد في ليلة الاسراء وليلة النصف من شعبان ووقود القناديل وغيرها وما في ذلك مما لا ينبغي وكذلك ما يفعل في ليلة الختم في أواخر شهر رمضان مبسوطا في مواضعه فليلتمس هناك (وأما) البيع والشراء في المسجد فقد عمت به البلوى بجهل الجاهل وسكوت العالم حتى صار الامر الى جهل الحكم فيه واستحلت العوائد حتى ان أم القرى مكة التي لها من الشرف ما لها

يبيعون و يشترون فى مسجدها والسماسرة ينادون فيه على السلع على رءوس الاشهاد و يسمع لهم هناك أصوات عالية من كثرة اللغط ولا يتركون شيئا الا يبيعونه فيه من قماش وعقيق ودقيق وحنطة وتين ولوز واكر وعود أراك وغير ذلك وعلى هذا الايستاك من له ورع بعود الا راك وان كان من السنة لانهم انما يبيعونه فى المسجد اللهم الا أن يعلم من يأتيه به انه اشتراه خارج المسجد فيستاك به حينئذ والله الموفق (وينبغى له) أن ينهى عن تعليق القناديل المذهبة ووقودها والتزيين بها الان ذلك من باب زخرفة المساجد وذلك من أشراط الساعة كما تقدم وفيه السرف وهو محرم اذ أن الذهب لا يستعمل الا فى تحلية النساء وفى تحلية المحف والسيف واختلف فى النطقة وغير ذلك ممنوع (وينبغى له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من مشيهم فى المسجد لقضاء حوائجهم ولهم طريق سواه وان كانت أبعد منه واتخاذ المسجد طريقا من أشراط الساعة وها هو ذا قد شاع وكثر وقل ان تجد جامعا الا وقد اتخذوه طريقا وقل من ينهى عن ذلك ولو قدرنا ان أحدا نهى عنه لاستحمقوه وقد يتأذى بسبب ذلك فانا لله وانا اليه راجعون (وينبغى له) أن يمنع النساء اللاتى يدخلن الجامع ويجلسن فيه لانتظار بيع غزلهم ويدخل المنادى اليهن ومعه الغزل فيكلمهن فى الجامع ويشاورهن على ثمن ذلك فمن رضيت منهن تقول قد بعت وذلك بيع فى المسجد لان المنادى صار اذ ذاك كالوكيل ويقع بذلك كثرة الكلام والزيادة والنقصان فى المسجد ويجتمع بسبب ذلك فى المسجد من فى قلبه مرض ويجد السبيل الى ما سولت له نفسه من الاغراض الخسيسة وبعضهن يكون معها الاولاد الصغار وقد يبولون فى المسجد وقد رؤى ذلك عيانا (وينبغى له) أن يمنع النساء اللاتى يأتين للمحاكمات فى المسجد ويدخلن اليه لانتظار ما يرد ونه ويدخل اليهن الوكلاء والرجال والازواج وتكثر الخصومات وترتفع الاصوات كما هو مشاهد مرئى والقاضى يعزل عنهم خارج المسجد وقد تقدم ما فى ذلك من المفاسد فيمنع من هذا كله وفى الاشارة ما يغنى عن العبارة والله المستعان (وينهى) الناس عما يفعلونه من الحلق والجلوس جماعة فى المسجد للحديث فى أمر الدنيا وما جرى لفلان وما جرى على فلان وقد تقدم ما ورد فى الحديث

مطلب تعليق القناديل

مطلب جعل المسجد طريقا

مطلب بيع الغزل

مطلب المحاكمات

مطلب الحديث فى أمر الدنيا

من

من ان الكلام فى المسجد يغير ذكر الله تعالى يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فينهاهم ويفرق جمعهم (وقد) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبهم الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم من حاجة (وروى) عنه أيضا عليه الصلاة والسلام انه قال اذا أتى الرجل المسجد فأكثر من الكلام تقول له الملائكة اسكت ياولى الله فان زاد تقول اسكت يا بغيض الله فان زاد تقول اسكت عليك لعنة الله (وانما) يجلس فى المسجد لما تقدم ذكره من الصلاة والتلاوة والذكر والتفكر أوتدريس العلم بشرط عدم رفع الاصوات وعدم التشويش على المصلين والذاكرين (وأما) فى غير المسجد فيمنع جماعة ويجوز جهرا بشرط عدم التشويش على غيره (وهذا النوع) مما عمت به البلوى حتى فى المساجد الثلاث فقد كثر فيها الحديث والقيل والقال ورفع الاصوات سيما فى أيام الموسم فتجد رفع الاصوات عند قبر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم والحديث الكثير بحيث المنتهى حين أوقات الزيارة له عليه الصلاة والسلام (وكذلك) فى قضاء المناسك فى الحج تجد لهم غوغاء حتى كأنهم قط ماهم فى عبادة (وكذلك) تجدهم فى المسجد الاقصى على ماعلم من عوائدهم فيه من الوقوف يوم عرفة والنفور عند الغروب وذلك بدعة ممن فعله لان البيت المقدس لم يحج اليه أحد قط ولا فرضه الله فيه وما كان الحج من عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى النبى عليه الصلاة والسلام الا لبيت الله الحرام وعرفة ومنى والمناسك المشهورة المعروفة ولم يكن فى المسجد الاقصى الا الصلاة الى الصخرة فهى القبلة التى كانت ثم حولت الى البيت الحرام (فالوقوف) بالمسجد الاقصى ليس فيه اقتداء بالماضين ولا بالمتأخرين لما ذكر (على أنه) لوحج اليه قبل هذه الشريعة المحمدية لم يجز أن يفعل ذلك فيه اليوم كما أنه لاتجوز الصلاة الى الصخرة بعد نسخها (وقد شذ) بعض الناس فقال بجواز الوقوف فيه بمعنى أنه مثاب لا أنه يجزئ عن الحج المشروع وهو قول لا يرجع اليه لما تقدم بيانه فافهمه (ومما) أحدثوا فيه مايفعلونه ليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب فيسمع لهم صياح وهرج وبدع كثيرة حين صلاة الرغائب وأول ماحدثت هذه

البدع فى المسجد الاقصى ومنه شاعت فى الاقاليم على مانقله الامام الطرطوشى رحمه الله فى كتاب الحوادث والبدع له فاذا كان الامام ينهى عن ذلك أو يتكلم فيه كما تقدم ذكره لانحسمت المادة أو بعضها والله الموفق (وينهى) من يقعد فى المسجد لتفلية ثيابه سيما فى أيام البرد يقعدون فى الشمس ويفلون ثيابهم وهذا لايحل اجماعا لان جلدة البرغوث الذى خالط الانسان نجسة وجلدة القملة نجسة مطلقا وهم يلقون ذلك فى المسجد بعد قتله ولو فرضنا أن أحدا منهم يجمعه ويلقيه خارج المسجد فذلك لايجوز لان قتلها فى المسجد يمنع وان لم يلقها فيه اذ أنه حامل للنجاسة فى المسجد من حين قتلها الى حين القائها خارج المسجد لغير ضرورة شرعية (ومن الطرطوشى) وكره مالك قتل القملة ورميها فى المسجد ولا يطرحها من ثوبه فى المسجد ولا يقتلها بين النعلين فى المسجد انتهى (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم فى المصلى اذا أخذ قملة وهو فى الصلاة فلايجوز له أن يلقيها فى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قتلتم فاحسنوا القتلة (واذا) رماها فى المسجد وهى بالحياة فاما أن تموت جوعا أو تضعف وكلاهما عذاب لها وليس ذلك من حسن القتلة وشان من وقع له ذلك أن ينقلها المكان آخر من بدنه أو ثوبه أو يربطها فى طرفه حتى يخرج من المسجد (وأما) البرغوث اذا أخذه وهو فى الصلاة فانه يلقيه فى المسجد من غير أن يقتله لان البرغوث لا يقعد بمكان واحد بل ينتقل فى الغالب وربما خرج من المسجد هذا وجه (الوجه الثانى) انه لو بقى فى المسجد فانه يأكل من التراب لانه منه خلق ويعيش فيه بخلاف القملة فانها خلقت من دم الانسان (وقد حكى) عن سيدى حسن الزيدى رحمه الله أنه خرج يوما مع أصحابه الى بستانه فلما ان كان فى أثناء الطريق رجع الى بيته وأمر أصحابه أن يذهبوا الى البستان فسألوه عن سبب رجوعه فقال كان على قميص نسيته فى البيت وفيه دواب خفت أن يموتوا جوعا فرجعت اما ان أقتلهم واما أن ألبسه (وهذا الامر) قد كثر وفشا سيما فى المسجد الاقصى فترى الغرباء يأتون اليه بدلوق تغلى قملا فيجردونها عنهم ويلقونها فى المسجد فتحس بحرارة الشمس فتخرج من الثوب وتموت بحر الشمس ثم ينفض أحدهم دلقه ويلبسه وتبقى الدواب كلها ميتة فى المسجد فاذا كان

مبطلات
تفلية الثياب

امام

امام المسجد ينهى عن هذا وأمثاله تنبه الناس اليه وتركوه وغيروه على من فعله والله الموفق (وينهى) الناس عما أحدثوه من الاكل فى المسجد سيما ان كان من المطبوخ بالبصل أو الثوم أو الكراث وأما ان كان نيئا فهو موضع النهى سواء بسواء والاكل فى المسجد فى مذهب مالك رحمه الله لا يسامح فيه الا الشئ الخفيف كالسويق ونحوه (ومن الطرطوشى) سئل مالك رحمه الله عن الاكل فى المسجد فقال اما الشئ الخفيف مثل السويق ويسير الطعام فأرجو أن يكون خفيفا ولو خرج الى باب المسجد كان أعجب الى وأما الكثير فلا يعجبنى ولا فى رحابه (وقال) فى الذى يأكل اللحم فى المسجد أليس يخرج لغسل يده قالوا بلى قال فليخرج ليأكل انتهى (وقد) كره مالك رحمه الله ما هو أخف من هذا وهو الكلام بغير لسان العرب فى المسجد فقال وأكره أن يتكلم بالسنة العجم فى المسجد قال وانما ذلك لما قيل فى السنة الاعاجم انها خب قال ولا يفعل فى المسجد شئ من الخب قال وهو ان يحسن العربية أشد اه (وهذا) الامر اليوم قد كثر وشاع حتى ان القومة ليخرجون من المسجد فى كل يوم صحافا كثيرة وأوراقا وغير ذلك من كثرة ما يؤكل فى المسجد ويجتمع بسبب ذلك الذباب والخشاش ويكثر القطاط ويرون ان اطعامهم الطعام من باب الحسنات فتكثر القطاط فى المسجد فاذا أكل أحد فى المسجد اجتمعت عليه القطاط فى المسجد بسبب ذلك فيبال فيه ويبول من نجس وقد رأيت ذلك عيانا فى الصف الاول فكان ذلك سببا الى صلاة بعض الناس على النجاسة وبطلان صلاتهم بذلك حتى آل الامر فى ذلك الى أن من كان عنده هر مؤذ أرسله الى الجامع (فكان) الناس يوقرون بيوت ربهم ويحترمونها وينزهونها عما لا يليق بها وكانت المساجد كما ورد فى الحديث المسجد بيت كل تقى (فانعكس) الامر الى ان صار المسجد مأوى للقطاط المؤذية والاكل سبب ذلك سيما فى المسجد الاقصى فانه يكثر ورود الغرباء اليه فتجدهم يأكلون اللحم ويرمون العظام فى المسجد ويأكلون البطيخ ويرمون قشوره الى غير ذلك من فضلات الماكول وقل من تجده يلقى ذلك فى خارج المسجد بل يدخلون فيه بالحصير بسبب ما يحتاجون اليه من البنيان والعمارة فتبول الحصير فيه

مطلب الاكل

الخب بالكسر الخداع اه

وتروث كانه عندهم طريق من الطرق المسلوكة ولو كان كذلك فنحن مامورون بتنظيف الطرق فكيف الحال فى المساجد فكيف الحال فى المسجد الاقصى الذى فيه من الفضل مافيه فانا لله وانا اليه راجعون فاذا كان امام المسجد ينهى عن تلك الاشياء وينبه عليها انحسمت المادة فان الخير والحمد لله لم يعدم من الناس فان لم يسمع واحد سمع آخر (وقد ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (والكلام) فى هذه الاشياء سبب لهداية بعض الناس (وكثير) من الناس من يمتنع من الكلام فى هذه الاشياء ويحتج على ذلك بأن يقول ان الغالب على الناس انهم لا يسمعون وعن عوائدهم لا يرجعون (وجواب هذا) ما تقدم فى الحديث لأن يهدى الله بك رجلا واحدا الخ (ألا ترى) الى ماورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتى النبى يوم القيامة ومعه الرجل الواحد ويأتى النبى ومعه الرجلان والثلاثة الى غير ذلك فالخير والحمد لله لم يعدم من هذه الامة اذ أن الخير فيها كامن فمن نبه منهم تنبه ورجع وانقاد واستغفر وكنت أنت السبب فى ذلك والله الموفق للجميع بمنه (وينهى) عما أحدثوه من النوم فى المسجد سيما بعد صلاة الصبح وكذلك فى أثناء النهار سيما فى شهر رمضان فتجد المسجد قد ارتص بالناس فى الغالب (وقد) ورد فى الحديث ان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم (والنائم) قل ان يسلم من خروج الريح منه فتتاذى الملائكة به (وقد) نهينا عن دخول المسجد برائحة الثوم أو البصل (لقوله) عليه الصلاة والسلام من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مساجدنا يؤذينا بريح الثوم فاذا كان هذا فى حق الثوم فمن باب أولى الريح الخارج من المخرج وقد يحتلم النائم فيبقى جنبا فى المسجد وفيه مفسدة اخرى وهو أن ذلك ذريعة لأن تسرق عمامته أو رداؤه وفيه من المفاسد أشياء عديدة يطول تتبعها والحاصل منها أن كل ما كرهه الشرع تجد فيه مخاوف فيتعين تركه فاذا علم الناس ذلك من نهى الامام ارتدعوا عنه وبالله التوفيق (وينهى) عما أحدثوه من خياطة قلوع المراكب فى المسجد لانا قد نهينا عن الكلام فى المسجد فى غير عبادة فكيف بالصنعة تعمل فيه فذلك لا يجوز (وقد)

مطلب النوم

مطلب قلوع المراكب

منع

منع علماؤنا رحمة الله عليهم نسخ العلم فى المسجد ونسخ القرآن اذا كان على وجه التسبب فيه فما بالك بغيرهما فيمنع فاعل ذلك حتى لا يعود الى مثله والله الموفق (وينهى) السقاء الذى يدخل بالجمل فى المسجد لان بوله على مذهب الشافعى رحمه الله نجس وعلى مذهب مالك رحمه الله يلوث المسجد وان كان طاهرا فى نفسه فيمنع لان المسجد ينزه عما هو أقل من هذا (وينهى) عما احدثوه من المشى فى المسجد بالغنم لانها قد تبول فيه والكلام عليه كالكلام على دخول السقاء بالجمل فى المسجد (وكذلك) ينبغى أن ينهى عن دخول الشواء فى المسجد لان فى ذلك مفاسد (منها) أن يجعل المسجد طريقا وقد تقدم ما فيه (الثانية) أنه يدخل بالذفر الى المسجد والمسجد ينزه عن أقل من هذا (الثالثة) ان رائحته قوية فقد يكون فى المسجد من الفقراء المتوجهين من تتشوق نفسه لذلك ولا شئ معه ليشترى به فيتشوش فى عبادته (الرابعة) ان حامله الغالب عليه انه كان فى موضع المذبح وهو محل النجاسات وحاملها حاف هناك ويدخل المسجد على تلك الحالة (الخامسة) ان الحاملين له الغالب عليهم كثرة الكلام ويرفعون أصواتهم بكلام لا ينبغى فى غير المسجد فكيف به فى المسجد (السادسة) ما فيه من التشويش على المصلين والذاكرين وهذا الكلام على الحكم بان الشواء طاهر وأما اذا كان متنجسا فلا يدخل بالنجاسة فى المسجد اتفاقا (وينهى) عن دخول الرهبان فى المسجد حين يفرشونه بالحصر المضفورة التى يضفرونها فان مذهب مالك رحمه الله منع دخولهم فى المسجد لا ضرورة تدعو الى دخولهم لان الله تعالى أغنى بالمسلمين عنهم اذ أن غيرهم يقوم مقامهم فى فرشها والله التوفيق (وينهى) الناس عن اتيانهم الى المسجد باولادهم الذين لا يعقلون ما يؤمرون به أو ينهون عنه اذ أن ذلك ذريعة الى التشويش على المصلين حين صلاتهم (الا ترى) ان الناس يكونون فى صلاتهم ويبكى الصبى فيشوش على المصلين فينهى عن ذلك ويزجر فاعله (وهذا) اذا كان الصبى مع أبيه أو غيره من الرجال (فاما) ان كان مع أمه فلا بأس به لوجهين (أحدهما) ان الغالب فى موضع النساء أن يكون بالبعد بحيث لا يشوش ذلك على الرجال (الثانى) ان الغالب فى الاولاد اذا كانوا مع امهاتهم قل أن يبكون

مطلب دخول الجمال والغنم

مطلب الشواء

مطلب دخول الرهبان

مطلب دخول الناس باولادهم

بخلاف الآباء (وهذا) اذا دعت الضرورة الى صلاة المرأة فى جماعة فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل (فان قيل) قد كان النساء يخرجن الى المسجد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم و يصلين معه جماعة (وقد) ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخفف صلاته اذا سمع بكاء الصبى مخافة أن تفتن أمه (فالجواب) عن ذلك من وجهين (أحدهما) ما قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى اسرائيل (الثانى) ان الصلاة خلف النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازيها شئ وكلا الامرين قد فقد فاذا لم تخرج الأم للصلاة فالاتيان بالاولاد للمسجد دون أمهاتهم يمنع (وقد تقدم) النهى عن الذكر والقراءة جهرا فى المسجد اذا كان يشوش على المصلين والذاكرين فهذا من باب أولى أن ينهى عنه ويزجر فاعله (وينهى) الناس عن كتبهم الحفائظ فى آخر جمعة من شهر رمضان فى حال الخطبة وذلك يمنع لوجوه (أحدها) لما احتوت عليه من اللفظ الاعجمى (وقد) قال مالك رحمه الله لما ان سئل عنه وما يدريك لعله كفر (الثانى) ان فيه اللغو فى حال الخطبة (الثالث) أنه يشتغل بالكتب عن سماع الخطبة (الرابع) انه يشتغل ببدعة ويترك ما اختلف فيه الناس من الاصغاء فى حال الخطبة هل هو فرض أو سنة مؤكدة (الخامس) ما أحدثوه من بيعها وشرائها فى المسجد فينهى عن ذلك ويزجر فاعله و بعض الناس يكتبها بعد صلاة عصر الجمعة وذلك بدعة أيضا لكنها أخف من البدعة المتقدم ذكرها اذ أنه ليس ثم خطبة يشتغل عنها ولو كتبها وأسقط منها اللفظ الاعجمى ولم يتخذ لكتابتها وقتا معلوما لكان ذلك جائزا والله أعلم (وينهى النساء) عما أحدثنه وسدت لهن عنه من دخولهن الى صلاة الجمعة فى مؤخر الجامع وان كانت لهن مقصورة معلومة لكنها كالعدم سواء بسواء اذ أنها لا تسترهن والغالب عليهن خروجهن على ما قد علم من التحلى واللباس كما تقدم مع أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لان موضعهن فى الزيارة قد استغنين به عن دخول المسجد والقرب من الرجال فهو أليق بهن مالم يخالطن الرجال ولا فرق فى ذلك بين صلاة الجمعة والخميس والجنائز وغير ذلك وكان الأليق بهن بل الواجب عليهن أن لا يخرجن ولا يمكن من

مطلب منع الحفائظ

مطلب دخول النساء لصلاة الجمعة

ذلك

ذلك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد قالوا ان صلاة المرأة فى بيتها وحدها أفضل من صلاتها فى المسجد فى جماعة وصلاتها فى مخدع فى بيتها أفضل من صلاتها فى بيتها فكيفما زاد سترها وانحجابها كان أفضل لصلاتها (اللهم) الا أن تكون ممن يمكنها أن تصلى فى بيتها مع جماعة فى المسجد الذى يجاورها وهى لا تخرج من بيتها فذلك أفضل لها من غير خلاف فى مذهب مالك رحمه الله تعالى (ولذلك) كان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يصلين فى بيوتهن بصلاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد (وينهى الناس) عما أحدثوه من دخول بعضهم الى المسجد بالصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم جهرا يرفع بذلك صوته حين دخوله وحين خروجه ويجيبه بعض من يسمع صوته ممن فى المسجد ويسمع لهم ضجيج قوى ينزه المسجد عن تلك الزعقات فيه ولو فعل ذلك فى السوق أو الطريق لكان جائزا أو مندوبا اليه بحسب الحال وأما فى المسجد فيمنع لما فيه من التشويش على ما تقدم ذكره فى المسجد والله الموفق (وينهى) عما أحدثوه من ادخال المرآة فى المسجد لقص الشارب ونتف الشيب وغير ذلك مما هو مشاهد من فعلهم وهذا يمنع منه فى المسجد وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم واذا كان الطهور فى المسجد ممنوعا فكيف يدخل بالفضلات فى المسجد ويعمل فيه الصنعة وقد تقدم منع نسخ الختمة أو العلم فى المسجد اذا كان ذلك على وجه التسبب فكيف بهذه الصنعة وما أشبهها والشعر وان كان طاهرا فى نفسه فهو عفش ينزه المسجد عنه هذا اذا كان الشعر مقصوصا (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى ولا يقلم أظفاره فى المسجد ولا يقص شاربه وان أخذه فى ثوبه وأكره ان يتسوك فى المسجد لاجل أن ما يخرج من السواك يلقيه فى المسجد (قال) ولا أحب أن يتمضمض فى المسجد قال وليخرج لفعل ذلك ذكره الطرطوشى (واما) اذا كان الشعر بأصله مثل نتف الشيب فان الحياة تحل أصله فيكون ذلك الموضع من الشعرة نجسا وقل أن يسلم من وقوع القمل فى المسجد اما حيا واما ميتا وكلاهما يمنع فيه (وهذا أمر) قد عمت به البلوى فى أكثر المواضع سيما فى المسجد الاقصى الذى ترد اليه الخلق

مطلب
قص الشارب
ونتف الشيب الخ

كثيرا (وقد رأيت بعض من ينتسب الى الشيخة والنسك وقد سبل نفسه على هذه الحسنة على زعمه فهو قاعد على باب الميضأة وهو فى المسجد فأى غريب جاء قص له أظافره أو شاربه وأزال شعره اذا احتاج اليه ويلقى كل ذلك فى المسجد وذلك لا يجوز وقد منع مالك من فعل ذلك فى المسجد وان كان يجمعه ويخرجه منه فكيف بالقائه فى المسجد ثم انه مع هذا الحدث زرع دالية عنب فى المسجد فأطعمت وأثمرت وبقى اذا ورد أحد من أبناء الدنيا أخذ من عنبها أو حصرمها وأهداه اليه على سبيل البركة وحصل به ما هو معلوم من حطام الدنيا وهذا النوع مما أحدثوه كثير فى المسجد الاقصى واتخذوا فيه دوالى عنب وخزائن للسكنى وهو مسجد ولا يجوز شئ من ذلك فيه (وقد تقدم) أن المساجد المهجورة لا يجوز سكناها ولا أن يحدث فيها حدث غير ما بنيت له (وينهى الباعين) للقضامة وغيرها فى طريق المسجد وعلى أبوابه وفى الزيادة اذا أن من كان منهم مصليا يمسك بها أكثر من موضعين فيكون غاصبا لتلك المواضع حين الصلاة كما تقدم وغير المصلى منهم يتعين أدبه وزجره لامرين أحدهما أنه يضيق على المسلمين طريقهم والثانى انه تارك للصلاة وتارك الصلاة قد اختلف فيه هل هو مرتد أو مرتكب كبيرة سيما ان كانت صلاة جمعة فذلك أعظم (وكذلك) يتعين عليه أن يمنع غير ماذكر ممن يبيع الحلاوة أو اللحم أو الشموم أو غير ذلك مما يضيق به طريق المسلمين وقد تقدم انه لا ينبغى للانسان أن يشترى من دكان لها مسطبة خارجة فى شارع المسلمين وهذا من باب أولى وأحرى أن يمنع ويتعين عليه أيضا أن يهدم المساطب الملاصقة لجدار المساجد اذ أن ذلك طريق للمصلين والناس اجمعين

القضامة وهى الحمص

(فصل) وينهى الزبالين أن يعملوا فى أوقات الصلاة سيما وقت اتيان الناس لصلاة الجمعة لأن الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد أمر بالتنظيف لها بالغسل ولبس النظيف من الثياب واستعمال الطيب وغير ذلك فاذا فعل المكلف ما أمره به صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وخرج ليصلى الجمعة لقى الزبالين فى طريقه فيفسدون عليه هيئته لها وهذا ضرر كثير (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار فينهى عن

ذلك

مطلب
وقوف الدواب

ذلك ويزجر فاعله لانه مؤذ وقد ورد كل مؤذ فى النار (وينهى) الناس عما أحدثوه من وقوف الدواب على باب المسجد لانهم يضيقون على المسلمين طريقهم اليه ويروثون بها ويبولون على أبوابه ويمشى الناس على ذلك بأقدامهم ويدخلون المسجد فينجسون بها ما أصابته من المسجد وهذا محرم وفى وقوفهم على أبواب المسجد أذية كثيرة سيما للشيخ الكبير والاعمى وغيرهما من أرباب الاعذار الذين هم مخاطبون بالجمعة بل ربما أذوا بالنفس والكدم الاصحاء فكيف بمن سواهم من الشيوخ وغيرهم من الضعفاء (فان) قال قائل الضرورة داعية لوقوف الدواب سيما لاجل الغلمان المسكين لتلك الدواب (فالجواب) أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لكثرة المواضع التى هى معدة لجعل الدواب فيها كالفنادق والاصطبلات وغيرها فلو لم يكن ثم مواضع لكان يتعين على صاحب الدابة أنه اذا أتى بها الى المسجد يرسلها الى مواضعها التى كانت فيه ويخبر من يأتيه بها فى الوقت الذى يحتاجها فيه فتنحسم مادة الضرر بذلك والله الموفق (وينهى) البياعين عما أحدثوه يوم الجمعة من بيعهم وشرائهم والناس فى الصلاة أو فى سماع الخطيب وهذا محرم اذ أنه اذا صعد الامام على المنبر حرم حينئذ البيع والشراء حتى تنقضى الصلاة وبعض الناس اليوم يكون الخطيب على المنبر الى انقضاء الصلاة وهم يبيعون ويشترون ولا يستحيون (وينهى) الناس عما أحدثوه من صلاتهم الجمعة فى الدكاكين وذلك لا يجوز على مذهب مالك رحمه الله لان الجمعة لا تصح عنده فى موضع محجور وانما تصح عنده فى المسجد أو الطرق المتصلة به لمن تعذر دخول المسجد وبعضهم يأتى الى الجمعة فيقعد فى الدكان ينتظر اقامة صلاة الجمعة والمسجد بعد لم يمتلئ بالناس وذلك لا يجوز على كل حال (وينهى) الناس عما أحدثه بعضهم من الاتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فان هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا رضى الله عنهم اذا أراد أحدهم أن يوكد الامر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة (ومن) كتاب القوت وكان أهل المدينة يتسابون فيقولون لأنت شر من لا يغتسل يوم الجمعة (وقد) قال مالك فى موطائه ان غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى

الكدم العض
وزنا ومعنى اه

مطلب
البيع والشراء
وقت الصلاة وعند
سماع الخطبة

مطلب
صلاة الجمعة فى
الدكاكين

مطلب
الغسل ولبس
الثياب الحسنة

الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم (واختلف) العلماء في ذلك هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة (واذا) كان كذلك فقد قالوا فيمن ترك الوتر انه يفسق بذلك لكونه سنة وللاختلاف فيه أيضا هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة وما يوجب فسق تاركه فجدير أن يحافظ على فعله ولا يترك الا من ضرورة شرعية وبعض الناس قد أهملوا ذلك حتى كانه لا يعرف بينهم اعني عند اكثر العامة وعند بعض الفقهاء حكاية تحكى حتى كانهم ليسوا من أهل الخطاب بالغسل لها (وكذلك) ينبغي لهم كما تركوه من لبس الحسن من الثياب لها واستعمال الطيب فان ذلك من سننها المؤكدة أيضا (قال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه وليتطيب بأطيب طيبه مما ظهر ريحه وخفي لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه اه (وقد) ترك ذلك بعضهم وهو عكس ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم أجمعين (حتى) انك لتجد بعض الفقهاء في الدرس أو في دكانه أو حين اجتماعه باحد القضاة أو غيرهم من أرباب المناصب على هيئة من ثياب ورائحة طيب وغيرهما وتجده في صلاة الجمعة على هيئة دونها وسبب هذا تعظيم الدنيا في القلوب والتهاون بشعائر الدين والغفلة بسبب العوائد الرديئة (ولا) يظن ظان ان ما ذكر من لبس الحسن من الثياب هو ما اعتاده بعض الناس في هذا الزمان بل ذلك على ما درج عليه السلف وكانوا رضوان الله عليهم على ما نقله الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه أثمان أثوابهم القمص كانت من الخمسة الى العشرة فما بينهما من الأثمان وكان جمهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين والثلاثين وكان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمته أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعده سرفا فيما جاوزها اه (فعلى هذا) فازاد على ذلك فهو من البدع المحدثة بعدهم (اللهم) الا ما كان من ذلك لضرورة شرعية من دفع حر او برد أو غيرهما فقد خرج عن هذا الباب الى باب الجائز أو المندوب أو الواجب بحسب الحال (فاذا نبه) الامام على هذا وحض على فعله وقبح تركه تنبه الناس لما ارتكبوه فلعلهم ان يرجعوا أو بعضهم والله الموفق (وينهى)

الناس

الناس مما احدثوه من الركوع بعد الاذان الاول للجمعة لانه مخالف لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (لانهم) كانوا على قسمين (فمنهم) من كان يركع حين دخوله المسجد ولا يزال كذلك حتى يصعد الامام على المنبر فاذا جلس عليه قطعوا تنفلهم (ومنهم) من كان يركع ويجلس حتى يصلى الجمعة ولم يحدثوا ركوعا بعد الاذان الاول ولا غيره فلا المتنفل يعيب على الجالس ولا الجالس يعيب على المتنفل وهذا بخلاف ما هم اليوم يفعلونه فانهم يجلسون حتى اذا أذن المؤذن قاموا للركوع (فان) قال قائل هذا وقت يجوز فيه الركوع وقد روى البخارى عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة قالها ثلاثا وقال فى الثالثة لمن شاء (فالجواب) ان السلف رضوان الله عليهم أفقه بالحال وأعرف بالمقال فما يسعنا الا اتباعهم فيما فعلوه (وهذا) على قاعدة مذهب مالك رحمه الله تعالى لان اتباع السلف أولى (فان) قال قائل الركوع انما هو للجمعة (فالجواب) ان السنة فى هذا ما كان السلف يفعلونه من ركوعهم المتقدم (الا ترى) ان وقت الجمعة قد اختلف العلماء فيه هل هو من طلوع الشمس كصلاة العيدين أو من الزوال فذهب الامام أحمد فى جماعة الى أنه من طلوع الشمس واذا كان الخلاف فى وقتها على ما وصفنا تأكد الاقتداء بفعل السلف المتقدم (فان) قال قائل فعلى ما قررتموه لا يجوز لمن ركع وجلس ينتظر صلاة الجمعة أن يقوم بعد ذلك فيركع وهذا جائز فكيف تمنعوه (فالجواب) انا لا نمنع ذلك لانه وقت يجوز فيه الركوع لمن أراده وانما المنع عن اتخاذ ذلك عادة بعد الاذان لا قبله فانه يجوز والله الموفق (على) ان هذا الاذان المفعول اليوم أولا لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وانما فعله عثمان رضى الله عنه على ما تقدم بيانه فالاذان الذى فعل فى السوق والركوع للجمعة لا يكون فى السوق ومن كان فى المسجد لا يسمعه حتى يركع عنده (ثم انه) لم ينقل ان هشاما لما ان نقله كانوا يركعون بعده على انا لو قدرنا انهم فعلوا ذلك فلا حجة فيه لان فعل هشام ليس بحجة (فان) قال الامام مثلا ان الناس لا يرجعون اليه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه وانه ليس بين يديه رجال يأمرون وينهون

حتى تزال بهم الحرمة (فالجواب) ان المؤذنين هم رجاله وجنده وحزبه الا
ان حزب الله هم المفلحون (فان) قال مثلا ان الناس لا يرجعون بذلك
(فالجواب) انهم ان لم يرجعوا بما تقدم ذكره فيتعين عليه أن يوصل كل ذلك
للمحتسب فيمنع من كل ماذكر باليد القوية فان فعل فبها ونعمت وقد برئت
ذمته وذمة غيره وان لم يفعل هذا فقد برئت ذمة الامام وأما قبل ايصال ذلك
فان الذمة لا تبرأ لاجل ان كل ماذكر من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته وقد تقدم ان المسجد وما حوله وما يحتاج اليه من رعية الامام (واذا)
كان ذلك من رعيته فيتعين عليه أن ينظر فيما ذكر كله بشرطه على ما تقدم
(وكذلك) ينظر فى أمر المؤذنين لانهم من جملة رعيته وان كان الاذان أفضل
لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فهذا دليل واضح
على فضيلة المؤذن وبالجملة فهو من رعيته والمؤذن والامام كل ماذكر فهو
من رعيتهما معا فيتعين على الامام ان يكون أكثر الناس تقوى وأفضلهم
وأورعهم الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة ان اجتمعت فان تعذر اجتماعها
فأكثرها فيتخذ من اتصف بذلك مؤذنا وقد تقدمت شروط المؤذن فاغنى
ذلك عن اعادتها لكن بقيت الاوصاف المندوب اليها فيه وهى ان يكون
صيتا حسن الصوت ويكره له الترجيع فى الاذان وكذلك التحزين وكذلك
يكره له اماله حروفه وافراط المد وغير ذلك مما ذكره الفقهاء

(فصل فى موضع الاذان) ومن السنة الماضية أن يؤذن المؤذن على
المنار فان تعذر ذلك فعلى سطح المسجد فان تعذر ذلك فعلى بابه (وكان)
المنار عند السلف رضوان الله عليهم بناء يبنونه على سطح المسجد كهيئته
اليوم لكن هؤلاء أحدثوا فيه انهم عملوه مربعا على أركان اربعة (وكان) فى
عهد السلف رضوان الله عليهم مدورا (وكان) قريبا من البيوت خلافا لما
أحدثوه اليوم من تعلية المنار (وذلك) يمنع لوجوه (أحدها) مخالفة السلف
رضى الله عنهم (الثانى) انه يكشف على حريم المسلمين (الثالث) ان صوته
يبعد عن أهل الارض ونداؤه انما هو لهم (وقد) بنى بعض الملوك فى المغرب
منارا زاد فى علوه فبقى المؤذن اذا أذن لا يسمع أحد ممن تحته صوته (وهذا)
اذا كان المنار تقدم وجوده على بناء الدار (وأما) اذا كانت الدور مبنية ثم جاء

بعض

بعض الناس يريد ان يجعل المنار فانه يمنع من ذلك لانه يكشف عليهم (اللهم) الا أن يكون بين المنار والدور سكك وبعد بحيث انه اذا طلع المؤذن على المنار ورأى الناس على أسطحة بيوتهم لا يميز بين الذكر والانثى منهم فهذا جائز على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فاذا كان المنار أعلى من البيوت قليلا أسمع الناس اذانه يعم كثيرا منهم بخلاف ما اذا كان مرتفعا كثيرا والسنة المتقدمة فى الاذان أن يؤذن واحد بعد واحد فان كان المؤذنون جماعة فيؤذنون واحدا بعد واحد فى الصلوات التى أوقاتها ممتدة فيؤذنون فى الظهر من العشرة الى الخمسة عشر وفى العصر من الثلاثة الى الخمسة وفى العشاء كذلك والصبح يؤذنون لها على المشهور من سدس الليل الاخير الى طلوع الفجر فى كل ذلك يؤذن واحد بعد واحد والمغرب لا يؤذن لها الا واحد ليس الا

(فصل فى الاذان جماعة) فان كثر المؤذنون فزادوا على عدد ماذكر وكانوا يبتغون بذلك الثواب وخافوا أن يفوتهم الوقت ولم يسعهم الجميع ان أذنوا واحدا بعد واحد فمن سبق منهم كان أولى فان استووا فيه فانهم يؤذنون الجميع (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم ومن شرط ذلك أن يكون كل واحد منهم يؤذن لنفسه من غير أن يمشى على صوت غيره (وكذلك) الحكم فى مذهب الشافعى رحمه الله تعالى (قال) الشيخ الامام النواوى رحمه الله فى كتاب الروضة له فى باب الاذان من كلام الرافعى رحمه الله فاذا ترتب للاذان اثنان فصاعدا فالمستحب أن لا يترادلوا بل ان اتسع الوقت ترتبوا فيه فان تنازعوا فى الابتداء أقرع بينهم وان ضاق الوقت فان كان المسجد كبيرا أذنوا متفرقين فى أقطاره وان كان صغيرا وقفوا معا وأذنوا وهذا ان لم يؤد اختلاف الاصوات الى تشويش فان أدى اليه لم يؤذن الا واحد فان تنازعوا أقرع بينهم انتهى (وأذانهم) جماعة على صوت واحد من البدع المكروهة المخالفة لسنة الماضين والاتباع فى الاذان وغيره متعين وفى الاذان آكد لانه من أكبر اعلام الدين (ألا ترى) ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يغزو قوما أمهل حتى يدخل وقت الصلاة فان سمع الاذان تركهم وان لم يسمعه أغار عليهم (ولان) فى الاذان جماعة جملة مفاسد (منها) مخالفة السنة (الثانى) أن من كان منهم صيتا حسن الصوت وهو المطلوب فى الاذان

خفى أمره فلا يسمع (الثالث) ان الغالب فى الجماعة اذا أذنوا على صوت واحد لا يفهم السامع ما يقولون والمراد بالاذان اعلامهم ونداء الناس الى الصلاة وذهبت فائدة معنى قوله حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة خير من النوم (الرابع) ان بعضهم يمشى على صوت بعض والمراد بالاذان أن يرفع الانسان به صوته مهما أمكنه وذلك لا يمكنه فى الجماعة كما تقدم (الخامس) ان الغالب على بعضهم أنه لا يأتى بالاذان كله لانه لابد أن يتنفس فى أثنائه فيجد غيره قد سبقه بشئ منه فيحتاج أن يمشى على صوت من تقدمه فيترك ما فاته من ذلك ويوافقهم فيما هم فيه (السادس) انه قد مضت عادة المؤذن على السنة أنه اذا أراد أن يؤذن عمل الحس من تنخح أو كلام مما من حيث أنه يشعر به أنه يريد أن يؤذن ثم بعد ذلك يشرع فى الاذان هذا وهو مؤذن واحد فكيف بالجماعة وماذاك الا خيفة أن يؤذن ومن حوله على غفلة فقد يحصل بسببه لبعضهم رجفة فاذا كان هذا فى حق المؤذن الواحد فما بالك بجماعة يرفعون أصواتهم على بغتة وقد تكون حامل فتأخذها الرجفة بذلك فتسقط وترتجف بذلك الاولاد الصغار وكذلك كل من ليس له عقل ثابت وتشويشهم كثير قل ان ينحصر (وقد تقدم) ان أول من أحدث الاذان جماعة هشام بن عبد الملك فجعل المؤذنين الثلاثة الذين كانوا يؤذنون واحدا بعد واحد على المنار فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم يؤذنون بين يديه جميعا اذا صعد الامام على المنبر واخذ الاذان الذى زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه لما ان كثر الناس وكان ذلك مؤذنا واحدا فجعله على المنار فهذا الذى أحدثه هشام بن عبد الملك ولم يزد على الثلاثة الذين كانوا فيمن قبله يؤذنون واحدا بعد واحد شيئا (ثم أحدثوا) فى هذا الزمان على الثلاثة جمعا كثيرا كما هو مشاهد (وكذلك) زادوا على المؤذن الواحد على المنار فجعلوهم جماعة وفعلهم ذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون ذلك منهم ابتغاء الثواب فالثواب لا يكون الا بالاتباع لا بالابتداع وان كان لاخذ الجامكية فالجامكية لا تصرف فى بدعة كما انه يكره الوقف عليها ابتداء وبالجملة فكل ما خالف الشرع ففاسده لا تنحصر فى الغالب والله سبحانه الموفق

فصل

(فصل فى النهى عن الاذان بالالحان) وليحذر فى نفسه ان يؤذن بالالحان وينهى غيره عما أحدثوا فيه مما يشبه الغناء وهذا ما لم يكن فى جماعة يطربون تطريبا يشبه الغناء حتى لا يعلم ما يقولونه من ألفاظ الاذان الأصوات ترتفع وتنخفض وهى بدعة مستهجنة قريبة العهد بالحدوث أحدثها بعض الامراء بمدرسة بناها ثم سرى ذلك منها الى غيرها وهذا الاذان هو المعمول به فى الشام فى هذا الزمان وهى بدعة قبيحة اذ ان الاذان انما المقصود به النداء الى الصلاة فلا بد من تفهيم ألفاظه للسامع وهذا الاذان لا يفهم منه شئ لما دخل ألفاظه من شبه الهنوك والتغنى (وقد ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ (وقد روى) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سهلا سمحا والا فلا تؤذن أخرجه الدارقطنى فى سننه (وقال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه ومما أحدثوه التلحين فى الاذان وهو من البغى فيه والاعتداء (قال رجل) من المؤذنين لابن عمر انى لأحبك فى الله فقال له لكنى أبغضك فى الله فقال ولم يا أبا عبد الرحمن قال لانك تبغى فى أذانك وتأخذ عليه أجرة (وكان) أبو بكر الآجرى رحمه الله يقول خرجت من بغداد ولم يحل لى المقام بها قد ابتدعوا فى كل شئ حتى فى قراءة القرآن وفى الاذان يعنى الاجارة والتلحين اه (والعجب) من بعض الناس حيث يردّون على مالك رحمه الله تعالى فى كونه يأخذ بعمل أهل المدينة والرجوع اليهم ثم انهم يستدلون على جواز هذا الاذان المذكور بأنه مما مضى عليه عمل أهل الشام على ان القاعدة تقتضى أن يكون كل ما حدث من جهة المشرق لا يعول عليه ولا يقتدى به لقوله عليه الصلاة والسلام الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان واشار الى المشرق وما حدث بالشام الامن تلك الجهة (ثم انظر) رحمنا الله وايا ك الى البدعة اذا حدثت فان الشيطان لا يقتصر عليها وحدها بل يضم اليها بدعا أو محرمات (الا ترى انهم لما ان أحدثوا هذا الاذان تعدت بدعته الى محرم وهو أنهم يسمعون المأمومين وهم فى الصلاة بتلك الالحان وذلك كلام فى الصلاة على سبيل

العمد لا لعذر شرعي فتبطل صلاتهم بذلك واذا بطلت صلاتهم سرى ذلك الى فساد من ائتم بتسميعهم لما تقدم من ان المأموم لا يجوز له الاقتداء الا باحد اربعة أشياء فان عدمت فلا ائتمام في تلك الصلاة وهي أن يرى افعال الامام فان تعذر فسماع اقواله فان تعذر فرؤية افعال المأمومين فان تعذر فسماع اقوالهم وهؤلاء ليسوا في صلاة لما تقدم بيانه بخلاف ما تقدم من التسميع جماعة بالالفاظ المفهومة فانه قد اختلف في صحة صلاة من صلى بتسميعهم بناء على الاختلاف في صلاتهم هل هي صحيحة أو فاسدة وقد تقدم بيانه

(فصل في النهي عن الاذان في المسجد) وقد تقدم ان للاذان ثلاثة مواضع المنار وعلى سطح المسجد وعلى بابه واذا كان ذلك كذلك فيمنع من الاذان في جوف المسجد لوجوه (أحدها) انه لم يكن من فعل من مضى اللهم الا أن يكون للجمع بين الصلاتين فذلك جائز في جوفه وأما الاقامة فلا تكون الا في المسجد (الثاني) ان الاذان انما هو نداء للناس ليأتوا الى المسجد ومن كان فيه فلا فائدة لندائه لان ذلك تحصيل حاصل ومن كان في بيته فانه لا يسمعه من المسجد غالبا واذا كان الاذان في المسجد على هذه الصفة فلا فائدة له وما ليس فيه فائدة يمنع (الثالث) ان الاذان في المسجد فيه تشويش على من هو فيه يتنفل أو يذكر أو يفعل غير ذلك من العبادات التي بني المسجد لاجلها وما كان بهذه المثابة فيمنع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار (ثم انظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت أيضا الى بدع أخر (الا ترى) أنهم لما ان احدثوا الاذان في المسجد اقتدى العوام بهم فصار كل من خطر له ان يؤذن قام وأذن في موضعه والغالب على بعض العوام أنهم لا يحسنون النطق بالفاظ الاذان فيزيدون فيه وينقصون ويكثر التخليط حتى ان بعض الصبيان الصغار ليؤذنون فيجمعون بين تغيير الاذان وبين التشويش على من في المسجد من المتعبدين كما تقدم بيانه وشيء يجمع هذه المفاسد فيتعين ان يجنب بيت الله منه

(فصل في الطواف بالمؤذن في اركان المسجد اذا مات) وينهى المؤذنين عما احدثوه من الطواف باحدهم في اركان المسجد اذا مات (وكذلك) ينهاهم عما احدثوه من التكبير والتهليل بتلك الاصوات المزعجة حين

يطوفون

يطوفون به فيه (وذلك) يمنع لوجوه (الاول) انه قد اختلف العلماء هل يدخل بالميت فى المسجد للصلاة عليه والصلاة عليه فرض كفاية فما بالك بما ليس بفرض ولا سنة بل للعبث والبدعة واقامته فى المسجد حتى يطوفون به بعد الصلاة عليه لا يجوز اتفاقا (الثانى) انه لما ان صلى عليه لم تدع ضرورة الى ابقائه فى المسجد (الثالث) ان فيه تأخير دفنه ومن اكرام الميت الاسراع به وقد تقدم ان بعض الائمة من المتبعين كان رحمه الله اذا أتوا بالميت الى المسجد قبل صلاة الجمعة بدأ بالصلاة عليه وقال لاهله اذهبوا الى دفنه ولا جمعة عليكم ان لم تدركوها بعد ذلك (الرابع) انه قد يخرج منه شئ من الفضلات فى ذلك الزمان الذى يطوفون به فيه فيذهب المعنى الذى لاجله امرنا بغسله (الخامس) ان فيه تشويشا على من فى المسجد كما تقدم وهذا نوع مما أحدثه بعض الشرفاء فى الحجاز وهو انهم اذا مات لهم ميت ذكرا كان أو انثى صغيرا كان أو كبيرا فيدخلون به المسجد فيطوفون به البيت العتيق سبعا وذلك من البدع والامور الحادثة وفيه من المفاسد ما هو أكثر مما ذكر من أجل الطائفين بالبيت وحرمة ذلك المسجد على غيره وبعد المسافة فى الدخول اليه والخروج منه الى غير ذلك

(فصل فى أذان الشاب على المنار) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من أذان الشاب على المنار لانه لم يكن من فعل من مضى (وقد تقدم) فى أوصاف المؤذن أن يكون من أتقاهم ولا يعرف ذلك فى الشاب (وينبغى) للمؤذن الذى يصعد على المنار أن يكون متزوجا لانه أغض لطرفه والغالب فى الشاب عدم ذلك والمنار لا يصعده الا مأمون الغائلة (وقد كان) بعض الصالحين بمدينة فاس وكان يحب امام المسجد الاعظم الذى هناك وكان للرجل الصالح ولد حسن الصوت فطلب من الامام أن يأذن لولده فى الصعود على المنار ليؤذن فيه فأبى عليه فقال له ولم تمنعه قال ان المنار لا يصعد عليه عندنا الا من شاب ذراعاه لان ذلك دليل على الطعن فى السن فرغبه فى ذلك فامتنع منه وقال اتريد أن تحدث الفتنة فى قلوب المؤمنين والمؤمنات فقد تراه امرأة فتشغف به وكذلك هو أيضا قد يرى ما لا يمكنه الصبر عنه فتقع الفتن وأقل ما فيه شغل القلوب بشئ كانوا عنه فى غنى (فانظر)

رحمنا الله تعالى واياك كيف كان تحرزهم فى هذا العهد القريب وكيف هو الحال اليوم هذا وهم يؤذنون الاذان الشرعى من غير تغطيط ولا تميل ولا تصنع الى غير ذلك مما أحدثوه فى هذا الزمان فيمنع من ذلك جهده اذا كان على المنار وأما على باب المسجد فيجوز ذلك وكذلك على سطحه ان أمن ان يكشف على أحد والله الموفق

(فصل فى النهى عما أحدثوه بالليل من غير السنة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التسبيح بالليل وان كان ذكر الله تعالى حسنا سرا وعلنا لكن فى المواضع التى تركها الشارع صلوات الله عليه وسلامه ولم يعين فيها شيئا معلوما وقد رتب الشارع صلوات الله عليه وسلامه للصبح أذانا قبل طلوع الفجر وأذانا عند طلوعه وان كان المؤذنون فى هذا الزمان يؤذنون قبل طلوع الفجر لكنهم يفعلون ذلك على سبيل الاخفاء لتركهم رفع الصوت به حتى لا يسمع (وهذا) ضد ما شرع الاذان له لان الاذان انما شرع لاعلام الناس بالوقت (قال) عليه الصلاة والسلام ان بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم (وقد ورد) أذان بلال كان ينوم اليقظان ويوقظ الوسنان ومعنى ذلك ان من كان أحيا الليل كله فاذا سمع اذان بلال نام حتى تحصل له راحة ونشاط لصلاة الصبح فى جماعة وان كان نائما فاذا سمع أذان بلال قام وتطهر وأدرك وردة من الليل (وقد) اختلف العلماء رحمهم الله فى الاذان للصبح متى يكون فقيل بعد نصف الليل الاول وقيل من أول الثلث الاخير وقيل السدس الاخير وهو المشهور أعنى انه يكون الوقت كله الى طلوع الفجر محلا للاذان فيه (واذا) كان ذلك كذلك فقد قالوا ان المؤذنين يرتبون فى آذانهم حتى يكون الناس على يقين من أمر الوقت الذى هم فيه حتى يتهيئوا للعبادة فيرتب المؤذنون على حسب ما يسع الوقت من عددهم المتقدم ذكره لكن يكون وقت أذان كل انسان منهم معلوما لا يتقدمه ولا يتأخره فيكون الناس يعرفون بالعادة الاول والثانى والثالث وهكذا الى المؤذن الآخر الذى يؤذن عند طلوع الفجر وهو الرئيس صاحب الوقت فينضبط الوقت بذلك على المصلين ويعرف كل انسان منهم كم بقى من الوقت مما يسع الغسل أو الوضوء أو الورد أو الاستبراء وغير

ذلك فيتم النظام على هذا الترتيب وهو واضح حالا واكثروا بالاجل الاتباع بخلاف ما احدثوه من التسبيح وما يقولون فيه حتى ان بعضهم لينـدب الاطلال بصوت فيه تحزين يقرب من النوح فى كثير من الاحيان ثم مع ذلك لا يعرف الناس فى الغالب اى وقت هم فيه من الليل بالنسبة الى طلوع الفجر سيما وهم قد احدثوا زيادة على ماذكر انه اذا قرب طلوع الفجر سكتوا سكتة طويلة ثم يؤذن فمن أفاق فى حال سكوتهم فقد يخيل اليه أنه فى أول الليل بعد فيقع بذلك الغرر لبعض الناس (ثم العجب) من انهم يأتون بالاذان الاول للصبح الذى قبل طلوع الفجر ويخفون ذلك فاذا فرغوا منه رفعوا أصواتهم بما احدثوه من التسبيح فانا لله وانا اليه راجعون السنة تخفى وغير ما شرع يظهر (فان) قال قائل انما يخفون الاذان الاول للصبح خيفة أن يصلى الناس عليه صلاة الصبح فتكون صلاتهم باطلة لايقاعها قبل دخول الوقت (فالجواب) انهم لو امتثلوا السنة فيما تقرر من ترتيب المؤذنين واحدا بعد واحد وان الاول معروف وقته وكذلك الثانى الى المؤذن الذى يؤذن على الفجر كما تقدم لما التبس الوقت على أحد ممن سمعهم وكانوا متبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم (وكذلك) ينبغى أن ينهاهم عما احدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر وان كانت الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم من أكبر العبادات وأجلها فينبغى أن يسلك بها مسلكها فلا توضع الا فى مواضعها التى جعلت لها (الا ترى) أن قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه فى الركوع ولا فى السجود ولا فى الجلوس أعنى الجلوس فى الصلاة لان ذلك ليس بمحل للتلاوة (فالصلاة والتسليم) على النبى صلى الله عليه وسلم أحدثوها فى أربعة مواضع لم تكن تفعل فيها فى عهد من مضى والخير كله فى الاتباع لهم رضى الله عنهم مع أنها قريبة العهد بالحدوث جدا اقرب مما تقدم ذكره فيما احدثه بعض الامراء من التغنى بالاذان كما تقدم (وهى) عند طلوع الفجر من كل ليلة وبعد أذان العشاء ليلة الجمعة وبعد خروج الامام فى المسجد على الناس يوم الجمعة ليرقى المنبر وعند صعود الامام عليه يسلمون عند كل درجة يصعدها والكل فى الاحداث قريب من قريب أعنى فى زماننا هذا

وأصل احداثه من قبل المشرق وتقدم الحديث عنه عليه الصلاة والسلام بقوله الفتنة من هاهنا وأشار الى المشرق (وقد تقدم) فى أول الكتاب كيف كان خوف الصحابة رضى الله عنهم من الحدث فى الدين وما جرى لهم من جمع القرآن وما جرى لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما ان رأى الطير الذى هناك وقع على القدر ثم ارتفع عنه ووقع على ثوبه فعلم ذلك الموضع على انه اذا خرج يغسله فلما ان جاء الى غسله قال والله ما أكون بأول من أحدث بدعة فى الاسلام والصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم لا يشك مسلم أنهما من أكبر العبادات وأجلها وان كان ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم حسنا سرا وعلنا لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا فى مواضعها التى وضعها الشارع فيها ومضى عليها اسلاف الامة ألا ترى الى قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله قد بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه يفعل (ومن) كتاب الامام ابى الحسن رزين قال وعن نافع قال عطس رجل الى جنب عبد الله بن عمر فقال الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول اذا عطسنا وانما علمنا أن نقول الحمد لله رب العالمين انتهى (وما) تقدم ذكره فهو جواب لقول من يقول ان الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم مشروع بنص الكتاب والسنة فكيف يمنع وقد تقدم جواب من اتصف بالانصاف وهو معدوم فى الغالب ألا ترى الى قول مالك رحمه الله ليس فى زماننا هذا أقل من الانصاف فاذا كان الحال فى زمان مالك على ما ذكره فما بالك به اليوم فى هذا الزمان (وقد) وقع لبعض الاكابر من العلماء انه لما أن سمع الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر فقال هذا العالم أنا اعمل من كل واحدة مائة فبقى على ذلك زمانا فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وحشر الناس الى المحشر والناس فى أمر مهول واذا بمنادى ينادى أين الذاكرون دبر كل

صلاة فقام ناس من ناس قال فقمت معهم فمشينا الى موضع فيه ملائكة يعطون الناس ثواب ذلك وكنت أزاحمهم معهم ويعطونهم ولا يعطونني شيئا فما زلت كذلك حتى فرغ الجميع فجئت وطلبت منهم الثواب فقالوا لي مالك عندنا شئ فقلت لهم ولم أعطيتم أولئك فقالوا لي هؤلاء كانوا يذكرون الله دبر كل صلاة فقلت لهم وما كانوا يذكرون فذكروا أنهم كانوا يسبحون الله ثلاثا وثلاثين الخ فقلت أنا والله كنت أعمل من كل واحدة مائة فقالوا ما هكذا أمر صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم بل أمر بثلاث وثلاثين مالك عندنا شئ قال فانتبهت مرعوبا فتبت الى الله تعالى أن لا أزيد على ما قرره صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم شيئا فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم متأكدة في جميع الحالات لكن اتخاذها عادة من المؤذنين على المنار عند طلوع الفجر وغيره مما تقدم ذكره لم يكن ذلك مشروعا ولا فعله أحد من السلف الماضين رضي الله عنهم فتحرّى ذلك في هذه الاوقات كالزيادة على الذكر المشروع كما تقدم (ومع) ما ذكر من التعليل ترتب عليه مفاسد منها ارتكاب نهيه عليه الصلاة والسلام بقوله لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن فاذا نهى عليه الصلاة والسلام عن الجهر بالقرآن وتلاوته من أكبر العبادات وما ذاك الا لما يدخل من التشويش على من في المسجد ممن يتعبد اذا جهر به فما بالك بما يفعلونه فيه من هذه الطرق التي يعملونها في التسبيح وما يفعلونه فيه مما يشبه الغناء في وقت والنوح في وقت وندب الاطلال في وقت وينشدون فيه القصائد وفي المسجد من المتهجدين ما هو معلوم فلا يبقى أحد منهم الا وقد وصل له من التشويش ما لا خفاء فيه فيتفرق أمرهم وتتشوش خواطرهم (ولو قدرنا) أن المسجد ليس فيه أحد فيمنع أيضا لانه بصدد أن يأتي الناس اليه (وأين هذا) مما روي عن سعيد بن المسيب رحمه الله حين كان في المسجد في آخر الليل يتهجد ثم دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان اذ ذاك خليفة وكان حسن الصوت فجهر بالقراءة فلما ان سمعه سعيد بن المسيب رحمه الله قال لخادمه اذهب الى هذا المصلي فقل له اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد ثم أقبل على صلاته فجاء الخادم فوجد المصلي عمر بن عبد العزيز فرجع ولم يقل له شيئا فلما أن سلم سعيد بن

المسيب رحمه الله قال لخادمه ألم أقل لك تنهى هذا المصلى عما هو يفعل فقال له هو الخليفة عمر بن عبد العزيز قال اذهب اليه وقل له ما أخبرتك به فذهب اليه فقال له ان سعيدا يقول لك اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد فخفف فى صلاته فلما ان سلم منها اخذ نعليه وخرج من المسجد قال ابن رشد رحمه الله وهذا من تواضعه فى خلافته هذا وجه (الوجه الثانى) ان بعض العوام يأتون المسجد لاجل سماع التسبيح بتلك الالحان والنغمات فيقع منهم اشياء من الزعقات وما يشبهها مما ينزه المسجد عنها (الثالث) ما أحدثوه فيه من صعود الشبان اذذاك على المنار ولهم أصوات حسنة ونغمات تشبه الغناء فيرفعون عقيرتهم بذلك فكل من له غرض خسيس يصدر منه فى وقت سماعه مالا ينبغى كما تقدم وقد يكون ذلك سببا الى تعلق قلب من لا خير فيه بالشاب الذى يسمعونه ويترتب على ذلك من الفتن أشياء لا تحصر (ومن) ذلك أيضا ما يفعله بعض أهل المغرب من أنه اذا أذن المؤذن الذى يؤذن عند طلوع الفجر على ما تقدم من الترتيب اجتمع المؤذنون بجمعهم ونادوا على صوت واحد أصبح ولله الحمد ويكررون ذلك مرارا عديدة مع دورانهم على المنار وما يفعلونه من ذلك لا ضرورة ولا حاجة تدعو اليه لما تقدم من ان المؤذن الذى يؤذن على الفجر يكون وقته معلوما عند السامعين فمن سمعه منهم علم أن الفجر قد طلع فالحاصل ان كل ما جاء على خلاف ما احكمته الشريعة المطهرة ففاسده عديدة لا تحصر

(فصل فى التسحير فى شهر رمضان) وينهى المؤذنين عما احدثوه فى شهر رمضان من التسحير لانه لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ولم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم كما تقدم سيما وهم يقومون الى التسحير بعد نصف الليل لان السحور لا فائدة فيه الا ان يقوى به الانسان على صوم النهار وذلك لا يحصل الا اذا فعل قبل طلوع الفجر بقليل كما ورد فى الحديث عن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قام الى الصلاة قلت كم كان بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية فاذا تسحر الانسان فى هذا الوقت فالغالب عليه انه لا يجوع الا بعد الظهر واذا جاع ذلك الوقت فمسافة الفطر قريبة فتسهل لذلك العبادة ولذلك

سموا

سموا السحور الغداء المبارك لان وقت السحور قريب من وقت الغداء ويحصل له مع ذلك أجر الصيام مع نشاط بدنه وتوفير عمره لقيام ليله لانه اذا تسحر فى الليل حصل له الكسل عن قيام الليل بسبب البخار الذى يصعد الى دماغه فيدخن عليه فيغلبه النوم بخلاف ما اذا تسحر قريبا من طلوع الفجر فانه اذا فرغ منه اشتغل بالطهارة لصلاة الفرض ثم دخل بعد أداء الفرض فى أوراده واشتغل بها ثم تصرف بعد ذلك فى مهماته فيحصل له التهجد فى ليله وخفة الصوم عليه فى نهاره وينضبط حاله (فان) قال قائل انما يتسحرون بعد نصف الليل خيفة أن يبقى الناس لا يعرفون الوقت الذى يجوز لهم الاكل فيه (فالجواب) ماتقدم ذكره من أن المؤذنين اذا كانوا على الترتيب المذكور علم الناس بسبب ذلك فى أى جزء هم من الليل وهل يأكلون ويشربون أم لا كما كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم يعرفون جواز الاكل باذان بلال ومنعه باذان ابن أم مكتوم (واذا) كان ذلك كذلك فلا حاجة تدعو الى ما أحدثوه من التسحير ثم مع ذلك فيه من المفاسد ماتقدم ذكره من التشويش على من فى المسجد من المتهجدين (فان) قال قائل هذا الذى ذكرتموه انما ينضبط به حال المسجد الجامع وما حوله اما من بعد عنه فلا يسمعون المؤذنين ولا يعلمون فى أى جزء هم من الليل (فالجواب) ان المساجد قد كثرت فما من موضع الا وبجانبه مسجد أو مساجد فيعمل فى كل مسجد أذانان بشرط العلم بصوت الاول والثانى على ماتقدم بيانه فيكفيهم ذلك لان الاول منهما يدل على جواز الاكل والثانى يدل على منعه لكن بشرط أن يكونوا تابعين فى أذانهم للجامع أو يكون المؤذن من أهل المعرفة بالاوقات والثقة والامانة والمسجد الجامع هو الذى يكون فيه مؤذنون جملة على ماتقدم بيانه

(فصل فى اختلاف العوائد فى التسحير) اعلم أن التسحير لا أصل له فى الشرع الشريف ولاجل ذلك اختلفت فيه عوائد أهل الاقاليم فلو كان من الشرع ما اختلفت فيه عوائدهم (ألا ترى) ان التسحير فى الديار المصرية بالجامع يقول المؤذنون تسحروا كلوا واشربوا وما أشبه ذلك على ماهو معلوم من أقوالهم ويقرءون الآية الكريمة التى فى سورة البقرة وهى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الى آخر الآية ويكررون ذلك

مرارا عديدة ثم يسقون على زعمهم ويقرءون الآية الكريمة التي في سورة هل أتى على الانسان حين من الدهر من قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس الى قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا والقرآن العزيز ينبغي أن ينزه عن موضع بدعة أو على موضع بدعة ثم يقولون في أثناء ذلك ما تقدمت الاشارة اليه من انشاد القصائد وما يترتب على ذلك ويسحرون أيضا بالطبلة يطوف بها أصحاب الارباع وغيرهم على البيوت ويضربون عليها هذا الذي مضت عليه عادتهم وكل ذلك من البدع (وأما) أهل الاسكندرية وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيسحرون بدق الابواب على أصحاب البيوت وينادون عليهم قوموا كلوا وهذا نوع آخر من البدع نحو ما تقدم (وأما) أهل الشام فانهم يسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء والهنوك والرقص واللهو واللعب وهذا شنيع جدا وهو أن يكون شهر رمضان الذي جعله الشارع عليه الصلاة والسلام للصلاة والصيام والتلاوة والقيام قابلوه بضد الاكرام والاحترام فانا لله وانا اليه راجعون (وأما) بعض أهل المغرب فانهم يفعلون قريبا من فعل أهل الشام وهو أنه اذا كان وقت السحور عندهم يضربون بالنفير على المنار ويكررونه سبع مرات ثم بعده يضربون بالابواق سبعا أو خمسا فاذا قطعوا حرم الاكل اذ ذاك عندهم (ثم) العجب منهم فيما يفعلونه من ذلك لانهم يضربون بالنفير والابواق في الافراح التي تكون عندهم ويمشون بذلك في الطرقات فاذا مروا على باب مسجد سكتوا وأسكتوا ويخاطب بعضهم بعضا بقولهم احترموا بيت الله تعالى فيكفون حتى يجاوزونه فيرجعون الى ما كانوا عليه ثم اذا دخل شهر رمضان الذي هو شهر الصيام والقيام والتوبة والرجوع الى الله تعالى من كل رذيلة يأخذون فيه النفير والأبواق ويصعدون بها على المنار في هذا الشهر الكريم ويقابلونه بضد ما تقدم ذكره وهذا يدلك على ان فعل التسحير بدعة بلا شك ولا ريب اذ أنها لو كانت مأثورة لكانت على شكل معلوم لا يختلف حالها في بلدة دون أخرى كما تقدم فيتعين على من قدر من المسلمين عموما التغيير عليهم وعلى المؤذن والامام خصوصا كل منهم بغير ما في اقليمه ان قدر على ذلك بشرطه كما تقدم بيانه فان لم يستطع ففي بلده فان لم يستطع

ففى مسجده (تنبيه) وليحذر أن يغتر أو يميل الى شئ من البدع بسبب ما مضت له من العوائد وتربى عليها فان ذلك سم وقل من يسلم من آفاتها (وقد رأيت) بعض المغاربة وكان من البلد الذى يسحرون فيه بالنفير والابواق لما ان سمع المسحرين فى هذه البلاد يقولون تسحروا كلوا واشربوا قال ما هذه البدعة وأنكرها لاستئناسه بما تربى عليه وما تربى عليه هو أكثر شناعة وقبحا وأقرب الى المنع مما أنكره هنا فالعوائد قل أن يظهر الحق معها الا بتأييد وتوفيق من المولى سبحانه وتعالى (ولاجل العوائد) وما ألفت النفوس منها أنكرت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ما جاءه من الهدى والبيان وكان ذلك سببا لكفرهم وطغيانهم وعنادهم بقولهم ان هذا لساحر مبين ساحر مستمر سحر يؤثر أن امشوا واصبروا على آلهتكم أجعل الآلهة الها واحدا ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هى الا اختلاق الدنيا الى غير ذلك من الالفاظ التى كفروا بها بسبب ما تربوا عليه ونشأوا فيه (فالحذر) الحذر من هذا السم فانه قاتل وصل مع الحق حيث كان وكن متيقظا لخلاص مهجتك بالاتباع وترك الابتداع واقبل نصيحة أخ مشفق فان الاتباع أفضل عمل يعمله المرء فى هذا الزمان والله يوفقنا واياك لما يرضاه بمنه فانه القادر عليه (سؤال وارد) فان قال قائل ان التسحير من البدع المستحبات (فالجواب) ان البدع قد قسمها العلماء على خمسة أقسام (بدعة واجبة) وهى مثل كتب العلم فانه لم يكن من فعل من مضى لان العلم كان فى صدورهم وكشكل المصحف ونقطه (البدعة الثانية) بدعة مستحبة قالوا مثل بناء القناطر وتنظيف الطرق لسلوكها وتهيئ الجسور وبناء المدارس والربط وما أشبه ذلك (البدعة الثالثة) وهى المباحة كالمخل والاشنان وما شاكلهما (البدعة الرابعة) وهى المكروهة مثل الاكل على الخوان وما أشبهه (البدعة الخامسة) وهى المحرمة وهى أكثر من أن تحصر (منها) ما أحدثه النساء اللاتى وصفهن عليه الصلاة والسلام فى الحديث بقوله نساء كاسيات عاريات مائلات ممايلات على رءوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها انتهى (ومنها) يقرب منه اتخاذ المساجد طريقا (ومنها) اتخاذها للديون وكل ذلك من أشراط الساعة كما تقدم (ومسئلة التسحير) لم تدع

ضرورة الى فعلها اذ أن صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قد شرع الاذان الاول للصبح دالا على جواز الأكل والشرب والثانى دالا على تحريمهما فلم يبق أن يكون ما يعمل زيادة عليهما الا بدعة مكروهة لان المؤذنين اذا أذنوا مرتين على ما تقدم انضبطت الاوقات وعلمت (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن ينهى الناس عما اعتادوه من تعليق الفوانيس التى جعلوها علما على جواز الاكل والشرب وغيرهما مادامت معلقة موقودة وعلى تحريم ذلك اذا أنزلوها وذلك يمنع فعله لوجوه (أحدها) ماورد من ان الصحابة رضى الله عنهم لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه فذكروا أن يوقدوا نارا أو يضربوا ناقوسا كالنصارى وفى رواية وقال بعضهم اتخذوا قرنا مثل قرن اليهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان بدلا عن ذلك ولم يفعلوا أحدا منها اذ انها من خصال أهل الكتاب والنار يعبدها المجوس (الوجه الثانى) ان فى ذلك تغريرا بالصوم اذ أنه قد تنطفى فى أثناء الليل فيظن من لا يراها موقودة ان الفجر قد طلع فيترك الاكل والشرب وغيرهما وقد يكون مضطرا الى ذلك فيتضرر فى صومه (الوجه الثالث) انه قد ينساها من هو موكل بها موقودة أو ينام عنها فيظن من يراها كذلك ان الفجر لم يطلع فيتعاطى شيئا مما تقدم ذكره فيفسد به صومه (الوجه الرابع) انه قد تشتبك ولا يقدر من هو موكل بها على خلاصها فحكمه كالوجه الذى قبله وفيه مفسدة أخرى هى أكبر مما قبلها وهى مخاطرة من هو موكل بها بنفسه اذا اشتبكت وكانت موقودة وحاول خلاصها فانه قد يسقط فيموت وقد وقع ذلك والله الموفق

(فصل فى التذكار يوم الجمعة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التذكار يوم الجمعة لما تقدم من ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا أمر به ولا فعله أحد بعده من السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين بل هو قريب العهد بالحدوث أحدثه بعض الامراء وهو الذى أحدث التغنى بالاذان فى المدرسة التى بناها كما تقدم وبدعة هذا أصلها يتعين تركها (سؤال وارد) فان قال قائل الناس مضطرون الى التذكار لكى يقوموا من أسواقهم ويخرجوا من بيوتهم فيأتوا الى المسجد (فالجواب) أنه لا يخلو حال من يأتى

الى

الى الجمعة اما أن يكون بعيدا أو قريبا فان كان قريبا من المسجد فالاذان الاول الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه يكفيه سماعه وان كان بعيدا فهو لا يسمع الاذان الاول الذى للتذكار فيأخذ لنفسه بالاحتياط ألا ترى ان السعى الى الجمعة يجب على الناس بحسب قرب مواضعهم وبعدها وقد يتعين على بعضهم الاتيان الى الجمعة من طلوع الشمس وعلى بعضهم من الزوال بحسب ماذكر من القرب والبعد (واذا) كان ذلك كذلك فلا ضرورة تدعو الى ما أحدثوه ثم مع ذلك ترتبت عليه المفاسد المتقدم ذكرها أعنى من التشويش على من هو فى المسجد ينتظر الجمعة وهم على مايعلم من حالهم منهم المصلى ومنهم الذاكر والتالى والمتفكر الى غير ذلك كما تقدم (وهذه البدعة) قد عمت بها البلوى فى الاقاليم لكن كل أهل اقليم قد اختصوا بعوائد كما مضى ذلك فى التسحير الا ترى ان التذكار فى الديار المصرية على ماهو مشاهد وفى المغرب ليس كذلك بل يجتمع جماعة من المؤذنين فيرفعون أصواتهم على المنار فيقولون الوضوء للصلاة ويدورون عليه مرارا وهو بدعة أيضا (وذلك) مكروه لوجوه (الاول) انه لم يكن من فعل من مضى (الثانى) ان العامة تسمعهم فيظنون ان الغسل للجمعة غير مشروع لها والغالب انهم لا يسألون العلماء فتندرس هذه السنة بينهم ولو قدرنا انهم ينادون الغسل لصلاة الجمعة فذلك يمنع أيضا لانه قد يكون من الناس من يتعذر عليه الغسل للجمعة وهو الغالب فقد يكون ذلك سببا لترك الجمعة لجهله وهو لا يسأل ويسمع الغسل للجمعة ولا يقدر عليه فيترك الصلاة لاجل ذلك (الثالث) ماترتب على ذلك من التشويش على من فى المسجد كما تقدم بيانه

(فصل) قد تقدم ان المؤذنين للفجر يكونون على الترتيب المتقدم ذكره وكذلك يكونون فى أذان الظهر فيعلم المؤذن الاول والثانى والثالث وهكذا الى الاخر الذى يصلى على آخر أذانه حتى يكون الناس على علم من الوقت فيتأهبون للصلاة بايقاع الطهارة والجلوس لانتظار الصلاة أو الجلوس فى دكاكينهم حتى يسمعوا المؤذن الاخر فيتركوا اذ ذاك بيعهم وشراءهم ويهرعون لصلاتهم حتى يقضوها (لكن) زاد بعض أهل المغرب هنا بدعة وهى انه اذا فرغ المؤذن الاخر الذى يصلون على آخر أذانه يجتمع

جماعة المؤذنين فينادون على صوت واحد حضرت الصلاة رحمكم الله ويدورون على المنار مرارا وكذلك يفعلون فى العصر وكذلك يفعلون فى صلاة الصبح اذا أذن المؤذن على الفجر اجتمعوا بجمعهم ونادوا اصبح ولله الحمد ويدورون على المنار مرارا وكل ذلك من البدع لانه لم يأت فى الشرع ولم تدع اليه ضرورة على ماتقدم ثم على الترتيب المذكور يترتبون جماعة فى العصر على ماتقدم بيانه وأما المغرب فليس لها الا وقت واحد وقتها ضيق لا يسع المؤذنين جماعة واحدا بعد واحد فيؤذن لها واحد ليس الا وقد تقدم أن المؤذنين اذا تزاحموا وكان ذلك منهم ابتغاء الثواب ولم يسبق أحدهم الآخر أذنوا جماعة كل منهم يؤذن لنفسه ولا يمشى على صوت رفيقه ويترتب المؤذنون فى العشاء كما فى الظهر والعصر

(فصل فى حكمة ترتيب الاذان) انظر رحمنا الله واياك الى حكمة الشرع فى الاذان واحدا بعد واحد كيف عمت منفعته للامة اذ أن صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من حكاه له مثل أجره فلو كان المؤذن واحدا ليس الا لفاتت هذه الفضيلة على كثير من الامة اذ أنه قد يكون المكلف قاعدا لقضاء حاجته أو فى سوقه مشغولا لا يسمعه أو فى أكله أو شربه أو نومه الى غير ذلك من الاعذار فلو كان المؤذنون جماعة يؤذنون فى فور واحد لفاتتهم حكايته فاذا أذنوا على الترتيب السابق واحدا بعد واحد فمن كان له عذر فى ترك حكاية المؤذن الاول أدرك الثانى وكذلك قد يتنبه النائم من نومه فيحكيه ويعلم فى أى وقت هو من ايقاع الصلاة فتعم المنفعة للامة (وقد ورد) أربعة مواضع لا يرد فيها الدعاء عند اصطفاف الناس الى الجهاد وعند اصطفافهم الى الصلاة وعند سماع النداء وعند نزول المطر (فاذا) حكى المكلف المؤذن ودعا بما يختاره استجيب له ان شاء الله تعالى للوعد الجميل (ومثل) هذه الحكمة البهية المباركة ما نقل عنه عليه الصلاة والسلام من قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه صم يوما وأفطر يوما فقال انى أطيق أفضل من ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا أفضل من ذلك ثم انه عليه الصلاة والسلام

لم يفعل ذلك فى حق نفسه الكريمة بل قال الواصف لصومه عليه الصلاة والسلام انه كان يصوم حتى نقول انه لا يفطر ويفطر حتى نقول انه لا يصوم وما أكمل صيام شهر قط الا رمضان (وذلك) منه عليه الصلاة والسلام توسعة على الامة وأخذ منه بالأفضل والأعلى ألا ترى انه لو صام يوما وأفطر يوما لفاتت تلك الفضيلة على كثير من الامة مثل المسافر والمريض والحائض وعلى ما فعله عليه الصلاة والسلام يدرك كل منهم الفضيلة بكمالها وذلك نصف الدهر (ومثل) ذلك أيضا ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن صلاة نبى الله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولم يفعله عليه الصلاة والسلام فى نفسه الكريمة بل قال الواصف لقيامه انه عليه الصلاة والسلام كان لا تريد أن تراه فى جزء من الليل قائما الا رأيته نائما ولا تريد أن تراه فى جزء من الليل نائما الا رأيته قائما وماذاك الا لرفقه عليه الصلاة والسلام بأمته حتى لا تفوتهم فضيلة اتباعه عليه الصلاة والسلام فمن نام منهم فى جزء من الليل أدرك الجزء الآخر فسبحان من أهله للرفق بأمته ورفع المشاق عنهم ويسر عليهم كيف لا وقد قال سبحانه وتعالى فى صفته معهم بالمؤمنين رؤف رحيم اللهم اجعلنا من أمته بحرمته عندك لا رب سواك

(فصل) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من وقوفهم على أبواب المساجد وقولهم الصلاة رحمكم الله حضرت الصلاة الصلاة يا أهل الصلاة الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد شرع للمكلف حضور الصلاة بسماعه الاذان فالزيادة عليه بدعة (هذا) وجه (الوجه الثانى) انه اذا فعل ذلك بقى الاذان الشرعى كأنه لا معنى له لان الناس اذا عهدوا ذلك يتكلون على وقوف المؤذن على ابواب المساجد وعلى قوله المتقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالغالب من الناس انهم اذا سمعوا الاذان الشرعى لم يهرعوا الى المسجد لاتكالهم على ما وصفنا وذلك كله من الحدث فى الدين (وقد كان) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ما رأى فى طريق بالبصرة فسمع المؤذن فدخل الى المسجد يصلى فيه الفرض فركع فيظنه هو فى أثناء الركوع واذا بالمؤذن قد وقف على باب المسجد وقال حضرت الصلاة

رحمكم الله ففرغ من ركوعه وأخذ نعليه وخرج وقال والله لا أصلي في مسجد فيه بدعة

(فصل) وكذلك ينهاهم عما أحدثوه من قراءة ان الله فالق الحب والنوى وقوله تعالى قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن عند ارادتهم الاذان للفجر وان كانت قراءة القرآن كلها بركة وخير لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا حيث وضعها صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه كما تقدم بيانه

(فصل في النهي عن النداء على الغائب بما لا ينبغي) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من النداء على الغائب بالالفاظ التي فيها التزكية والتعظيم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزكوا على الله أحدا والميت مضطر الى الدعاء والتزكية ضد ما هو مضطر اليه من الدعاء اذ أنها قد تكون سببا لعذابه أو توبيخه فيقال له أهكذا كنت وقد وقع هذا منهم كثيرا في منامات رؤيت لهم في هذا المعنى (ألا ترى) الى قولهم الصلاة على الرجل العالم العامل الصالح العابد الورع الزاهد الناسك الحاج الى بيت الله الزائر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان الدين الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم في هذا المعنى (فان) قال قائل ان مذهب الشافعي رحمه الله جواز الصلاة على الغائب (فالجواب) أننا لا ننكر مذهبه بل ننكر ما أنكره الشارع صلوات الله عليه وسلامه من التزكية المذكورة فلو قال المؤذن مثلا الصلاة على العبد الفقير الى الله النازل بفنائه المضطر الى رحمته واحسانه فلان باسمه الشرعي وما أشبه هذا من الالفاظ فان ذلك لا ينكر ولا يكره وهذا على مذهب من أجاز الصلاة على الغائب كما تقدم لكن يخاف أنه يكون ذلك نعيا لقول بعض الصحابة رضي الله عنهم اذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحدا فاني أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي

(فصل في النهي عن مشي المؤذنين أمام الجنازة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من مشيهم أمام الجنائز ورفعهم أصواتهم بالتكبير كتكبير العيد فان فعل ذلك أمام الجنائز بدعة قريبة العهد بالحدوث كان أول من

احدثها وال من الولاة قريب العهد جدا أحدثها على جنازة كانت له ثم سرى ذلك الى أن فعله بعض من له الرياسة فى الدولة ثم انتشر ذلك وشاع حتى صار عند الناس ان من لم يفعله ما قام بحق ميته وباليته لو وقف الامر على هذا الحد لكن زادوا على ذلك اعتقادهم انهم فى طاعة وخير وبركة وهم فى الحقيقة على ضد ما يظنون وقد تقدم ان المؤذن يكون متصفا بالديانة والامانة ومن اتصف بالبدعة فقد تعذر وصفه بذلك

(فصل فى عقد النكاح فى المسجد) وينبغى للامام أو المؤذن أن يتقدم الى نهى الناس عما احدثوه حين عقد الانكحة فى المسجد من اتيانهم بالمباخر المفضضة وذلك لا يجوز على كل حال فى بيت ولا غيره وان كان نفس البخور والطيب مندوبا اليه فى المسجد مع انه قد قال مالك ان الصدقة بثمن ذلك أفضل ولكن يمنع لاجل ظرفه لانه مفضض (واما) فرش البسط فى المسجد فهو بدعة ولو كانت فى البيوت لكان ذلك جائزا بشرط أن لا يقصد بفرشها المباهاة وماشاكلها وهذا كله من باب الجهالة وذلك اذا كان الفاعل لهذا من عامة الناس الذين لم يتلبسوا بالعلم ولا يسألوا عما وقع لهم واما ان كان ممن يقرأ العلم فهو من باب الغفلة عن احكام الله تعالى وعما يجب على المرء فى دينه من الامر والنهى والتشبه بمن تقدم ذكرهم من أهل الجاهلية والرعونة ثم ينضم الى ماذكر فى المسجد ما ينزه عنه من الالفاظ التى تقتضى التزكية والتعظيم لو كانت فى الشخص أو الكذب ان لم تكن فيه وكلاهما لا يجوز وكذلك ما يقع منهم من التماق والايمان والغالب ان الايمان اذا كثرت فان الحنث فيها واقع فيحذر من أن يسامح فى شئ من هذا جهده والله المستعان

(فصل فى تهيئ الامام للجمعة) ويتأكد فى حق الامام خصوصا الغسل للجمعة وان كان نظيفا فى نفسه لوجوه (الاول) أن الغسل للجمعة مختلف فى وجوبه وقد تقدم (الثانى) أنه قدوة للمقتدين فقد يراه أحد حين صلاة الجمعة بالوضوء وحده أو يسمع عنه ذلك فيقتدى به فى ترك هذه السنة المؤكدة (الثالث) ان الامام من صفته أن يكون أكملهم حالا ومن صلى الجمعة بغير غسل فهو أنقص حالا ممن اغتسل

(فصل فى ذكر الاشياء التى ينبغى للامام أن يجتنبها فى نفسه) قد تقرر فى الشريعة أن أحسن لباس الناس البياض (لقوله) عليه الصلاة والسلام خير لباسكم البياض انتهى فينبغى للامام أن يبادر اليه قبل غيره لانه قدوة كما تقدم (وقد) قال الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه ومن أفضل ما يلبس البياض ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضائل أن ينتظر الى لابسه انتهى (فان) كان الثوب جديدا فليمتثل السنة حين لبسه بأن يسمى الله تعالى ثم يقول ما ورد فى السنة من الدعاء عند لبسه الثوب الجديد وذلك أن يقول اللهم انى أسألك خير هذا الثوب وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له انتهى ثم يقول اللهم اجعله لى عونا على طاعتك (ويستحب) لمن رأى الثوب الجديد على غيره أن يقول له تبلى ويخلف الله تعالى (وقد ورد) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه تبلى وتخلفى (وقد) خرج أبو داود فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة زاد الترمذى أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (قال) أبو بصرة وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلى ويخلف الله تعالى (ومنه) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وان) كان غير جديد فالتسمية لا بد منها عند لبسه وعند خلعه كما تقدم (وينبغى) أن يكون غالب لباسه البياض سيما للخطبة وان كان لبس السواد جائزا لان النبى صلى الله عليه وسلم لبسه وخطب فيه لكن المواظبة على لبسه للامام للجمعة دون غيره بدعة فينبغى أن يلبس البياض ولو كان يوما ما حتى يخرج بذلك من هذه البدعة ما لم يؤد لبس البياض الى توقع فتنة أو ضرر يلحقه (وكذلك) الرئيس يتجنب ما يتجنبه الامام (وكذلك) يتحفظ من غرز الابر فيما يتطيلس به أو يتعمم على ما تقدم فى باب اللباس (وكذلك) لا يلبس الخفين وان كان

لبسهما

لبسهما جائزا سفرا وحضرا لكن لبسهما لاجل الخطبة وصلاة الجمعة بدعة أيضا (وكذلك) يتحفظ من جعل الأعلام السود على المنبر حال الخطبة فان ذلك من البدع أيضا اللهم الا أن يتوقع الفتنة بزوالها فيتعين عليه أن ينكر ذلك بقلبه والله أعلم

* (فصل فى خروج الامام على الناس يوم الجمعة) * وينبغى له أن يتحفظ من هذه البدعة التى يفعلها بعض الخطباء وهو أنه اذا خرج على الناس يوم الجمعة لا يسلم عليهم والسلام مشروع عند لقاء المسلم لاخيه المسلم وذلك سنة معمول بها مشهورة معروفة فكيف يتركها الامام وهو قدوة لغيره فيخالف السنة فى أول دخوله لبيت ربه وهذا لا يليق به ولا بمنصبه وينبغى له أن يتحفظ فى نفسه حين دخول المسجد فيفعل الآداب المتقدم ذكرها لانه قدوة كما تقدم فلو فعل غير ذلك مرة لاقتدى الناس به

* (فصل) * وينبغى له أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من أن الامام اذا خرج على الناس فى المسجد يقوم المؤذنون اذ ذاك ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم يكررون ذلك مرارا حتى يصل الى المنبر وان كانت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من أجل العبادات كما تقدم

* (فصل فى صعود الامام على المنبر) * وينبغى له أن يأخذ السيف أو العصا أو غيرهما بيده اليمنى اذ أنها السنة ولان تناول الطهارات انما يكون باليمين والمستقذرات بالشمال ولا حجة لمن قال انه يأخذه باليسار لكونه أيسر عليه فى مناولته اذا أراد أحدا غتياله لان هذا المعنى مما يختص بالامراء الذين يخافون على أنفسهم الغيلة وهذا مأمون فى هذا الزمان فى الغالب اذ أن الامام ليس له تعلق بالامارة فى الغالب حتى يغتاله أحد

* (فصل فى كيفية صعوده على المنبر) * وينبغى له اذا أراد أن يصعد المنبر أن يسمى الله تعالى ويقدم اليمنى كما تقدم (ويحذر) أن يضرب بما فى يده على درج المنبر لوجهين (أحدهما) انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم كما تقدم (الثانى) أن المنبر وقف والضرب عليه على الدوام مما يضربه ويخلقه وان كان قد قال بعض الناس بجوازه لكنه محجوج بما ذكر من الاتباع (وكذلك ينهى المؤذنين عن الصلاة والتسليم عند كل ضربة

يضر بها عليه فان ذلك من البدع أيضا ولا يطول على الناس فى رقيه المنبر الا لضرورة من كبر سن أو ضعف بدن فاذا وصل الى الموضع الذى يخطب عليه أقبل بوجهه على الناس وجلس من غير سلام من المؤذنين وان كان قد ورد فيه حديث لكن الذى استقر عليه عمل السلف رضوان الله عليهم تركه اذ ذاك وبعضهم يسلم ويزيد فيه بدعة وهو أن يشير بيده الى الناس ولا يقف مستقبل القبلة ويبسط يديه ليدعو اذ ذاك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد عدوا ذلك من البدع

(فصل فى فرش السجادة على المنبر) وليحذر أن يفرش السجادة على المنبر لان ذلك بدعة اذ أنه لم يأت عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الخلفاء بعده ولا عن أحد من الصحابة ولا السلف رضى الله عنهم أجمعين فلم يبق الا أن يكون ذلك بدعة ولا ضرورة تدعو اليها لانه ليس بموضع صلاة (وكذلك) ينبغى أن يمنع ما يفرش على درج المنبر يوم الجمعة فانه من باب الترفه ولم يكن من فعل من مضى فهو بدعة أيضا (وينهى الرئيس) عما أحدثه من ندائه عند ارادة الخطيب الخطبة بقوله للناس أيها الناس صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت أنصتوا رحمكم الله انتهى (والعجب) من بعض الناس انهم ينكرون على مالك رحمه الله أخذه بعمل أهل المدينة ويستحسنون هذا الفعل ويحتجون على صحته بأنه من عمل أهل الشام وعادتهم المستمرة وقد تقدم (وكذلك) ينهاهم أيضا عما أحدثوه من صعود الرئيس على المنبر مع الامام وان كان يجلس دونه وذلك يمنع لوجهين (أحدهما) أن الرئيس بهذا الفعل يخالف السنة فى استقباله للخطيب فى حال الخطبة ورمقه بعينيه لانه مستدبر له اذ ذاك (والثانى) أنه لم يرد أن أحدا ممن مضى جلس مع الخطيب على المنبر (والعجب) منه انه يأتى بنص الحديث المتقدم ثم يأمرهم بالانصات بعده بقوله أنصتوا رحمكم الله ثم يفعل ضد ذلك ويأمرهم بالكلام فيتكلم ويستدعى الكلام بقوله آمين اللهم آمين غفر الله لمن يقول آمين اللهم صل عليه صلى الله عليه وسلم وقوله رضى الله عنهم أجمعين (ولا حجة) لمن يقول ان مذهب الشافعى رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم

فلا بأس أن يصلى عليه السامع يرفع صوته بذلك لان رفع الصوت هو أن يسمع المرء نفسه ومن يليه على ما يعهد من عمل السلف فى جهرهم فى مواضع الجهر لا على ما يعهد من زعقات المؤذنين فان ذلك خارج عن حد السمت وحال الخطبة حال خشوع وحضور اذ أنها بدل عن الركعتين فى الظهر على قول بعضهم فلا يجوز فيها الا ما يجوز فى الصلاة أعنى الانصات عند قراءة الامام (ومذهب) مالك رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر الجنة أو النار أو ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ان السامع يسأل ويستعيذ ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عند سماعه لذلك سرا فى نفسه (زاد) أشهب ان الانصات أفضل له فان فعل فسرا فى نفسه ولو عطس فيحمد الله سرا فى نفسه ومن سمعه فلا يشمته فان جهل فشمته فلا يرد عليه والانصات على مذهب مالك رحمه الله واجب على الصفة التى ذكرت على من سمع الخطبة وعلى من لم يسمعها وعلى من كان فى المسجد أو خارجه ممن ينتظر صلاة الجمعة (ومذهب) الشافعى رحمه الله تعالى ان الانصات يجب على أربعين وما زاد على ذلك فالانصات مندوب فى حقهم ولا شك ان ترك المندوب فى هذا الوقت الفاضل يقبح سيما على ما تقدم من القول بان الخطبة بدل عن الركعتين فى الظهر وبالجملة ففعل السلف أولى ما يبادر اليه كان الفعل واجبا أو مندوبا وقد كانوا جميعا منصتين (وقد) قال مالك رحمه الله ليس العمل على فعل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما حين سمع رجلين يتكلمان فى حال الخطبة فحصبهما أن اصمتا قال لان حصبهما بمنزلة قوله لهما اسكتا فاذا كان عمل السلف على هذا الذى ذكره فالمبادرة الى اتباعهم أفضل وأعلى كما تقدم فانهم على الهدى المستقيم (وينبغى له) أن يجتنب التقعير فى خطبته والتصنع فيها (وكذلك) يجتنب تطويل الخطبة وتقصير الصلاة (لما) رواه مالك فى موطائه عنه عليه الصلاة والسلام انه قال أنتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطى يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدءون فيه أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتى على الناس زمان كثير قراؤه قليل فقهاؤه تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطى يطيلون فيه الخطبة ويقصرون فيه

الصلاة يبدءون فيه أهواءهم قبل أعمالهم انتهى (فهذا) دليل واضح لما ورد أن طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل فليتحفظ على هذا فانه من أكبر الاصول المعتبرة فى الخطبة والصلاة (وأما) ترضى الخطيب فى خطبته عن الخلفاء من الصحابة وبقية العشرة وباقى الصحابة وأمهات المؤمنين وعترة النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم أجمعين فهو من باب المندوب لا من باب البدعة وان كان لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا الصحابة رضى الله عنهم لكن فعله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لأمر كان وقع قبله وذلك ان بعض بنى أمية كانوا يسبون بعض الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين على المنابر فى خطبتهم فلما أن ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أبدل مكان ذلك الترضى عنهم وقد قال مالك رضى الله عنه فى حقه هو امام هدى وأنا اقتدى به (وينبغى) له أن يكون فى خطبته على حال خشوع وتضرع لانه يعظ الناس والمقصود من الموعظة حصول الخشوع والرجوع الى الله سبحانه وتعالى باتباع أمره واجتناب نهيه والخوف منه والخوف مما اوعد به وقوة الرجاء فيما وعد به وحسن الظن به سبحانه وتعالى فاذا كان الخطيب مستعملا فى نفسه ماذكر كان ذلك أدعى الى قبول ما يلقيه الى السامعين لاتصافه بما اتصف به هو فى نفسه كما مر فى المؤذن اذا أذن ينبغى له ان يكون على طهارة ليبادر لفعل ما نادى اليه أولا فيكون أدعى الى صدع القلوب لان العلم اذا خرج من عامل تشبث بالقلوب واذا خرج من غيره انساب عن القلوب على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم وقد تقدم انه يتجنب فى خطبته التصنع لان التصنع اذا وقع فهو الداء الذى ليس له دواء فى الغالب اذ أنه يشبه النفاق بل هو النفاق بعينه اذ أن معنى النفاق أن يظهر بلسانه وجوارحه ما ليس فى قلبه أسأل الله السلامة بمنه

(فصل فى اسلام الكافر فى حال الخطبة) وينبغى له أن يتجنب هذه البدعة التى يفعلها بعضهم وهى أن الكافر يأتى الى الخطيب فيسلم على يديه فى غير الجمعة ثم يعود ويأتى ثانيا والخطيب على المنبر حتى يتلفظ بالاسلام على رؤس الناس ويقطع الخطيب الخطبة بسببه وتقع ضجة فى المسجد ينزه المسجد عنها وهو قد كان اسلم قبل ذلك كما تقدم ولا يجوز له أن يقطع ترتيب

قوله مئنة بفتح الميم وكسر الهمزة وتشديد النون اى علامة اه

الخطبة

الخطبة لاجل هذا لانه كان مسلما قبل ولا عذر له فى أنه يجدد الاسلام اذ ذاك ليشتهر اسلامه بين المسلمين ويعرفوه بذلك حتى لا يعود الى ما كان عليه من الكفر لما تقدم من اسلامه لانه بنفس اسلامه جرت عليه أحكام المسلمين وعرفه من عرفه منهم فلا ضرورة تدعو الى ما يفعلونه من ذلك ولو قدرنا أنه الآن أسلم فيتعين على الخطيب أنه يأمره بالخروج من المسجد و يأمر من يخرج معه من المسلمين حتى يغتسل ان كان جنبا ولم تتقدم له جنابة فى حال كفره فيغتسل للاسلام فان ترك الغسل على قول بعضهم فالوضوء لا بد منه ليصلى به الجمعة

(فصل) فاذا فرغ من خطبته ودعائه فيها فليختمها بقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية أو بقوله اذكروا الله يذكركم او ما فى معناه فاذا فرغ منه فليقم المؤذن الصلاة فاذا دخل المحراب فينبغى له ان يصلى على ما هنالك من الحصير و يترك السجادة اذ أن اتخاذها للصلاة بدعة الا لضرورة التحفظ من النجاسة ولا ضرورة تدعو اليها فى هذا الموضع اذ أن المحراب له هيبة ولا يدخله أحد فى الغالب سيما الصبيان الصغار ومن لا يؤبه له فان الغالب من أحوالهم أنهم لا يقربون موضعه فهو على أصله من الطهارة (والامام) ينبغى له أن يكون أفضل القوم فى كل الاحوال ومن ذلك ان لا يسجد على حائل بينه وبين الارض فانه السنة ولما أدت الضرورة الى الحصر المفروشة هناك فعلت وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يباشر الارض بوجهه ويديه فى سجوده لا يحول بينه و بين الارض شئ وكذلك كان حال أكثر السلف رضى الله عنهم فمن قدر على ذلك فهو الاولى والافضل فى حقه اللهم الا أن تدعو ضرورة الى ذلك فارباب الضرورات لهم أحكام أخر ودين الله يسر (فاذا) استوى قائما فى المحراب فالسنة الماضية أن يكون قريبا من المأمومين (وقد) كان الامام من السلف رضى الله عنهم يقرب أن تمس ثيابه ثياب المأمومين (وقد قالوا) ان من فقه الامام قربه من المأمومين وذلك لفوائد ذكروها (منها) انه قد يطرأ عليه فى صلاته ما يوجب خروجه منها فلا يحتاج الى كلام ولا الى مسكثير عمل فى الاستخلاف بل يمد يده الى من يستخلفه فيقدمه (ومنها) انه قد يسهو

فى صلاته فيسبحون له فلا يسمعهم فاذا كان قريبا منهم سمعهم فى الغالب وتدار كوا ملافاة ذلك بسمعهم له وتنبيههم له عليه فيتدارك اصلاح ما اخل به (ومنها) أنه قد يكون فى ثوبه نجاسة لم يشعر بها فاذا كان قريبا منهم ادركوها فنبهوه عليها الى غير ذلك (ولم يكن) للسلف رضوان الله عليهم محراب وهو من البدع التى أحدثت لكنها بدعة مستحبة لان أكثر الناس اذا دخلوا المسجد لا يعرفون القبلة الا بالمحراب فصارت متعينة (لكن) يكون المحراب على قدر الحاجة وهم قد زادوا فيه زيادة كثيرة والغالب من بعض الائمة انهم يصلون داخل المحراب حتى يصيروا بسبب ذلك على بعد من المأمومين وذلك خلاف السنة (ثم) انه يخرج نفسه بذلك من الفضيلة الكاملة لان باقى المسجد أفضل منه (ألا ترى) ان علماءنا رحمة الله عليهم قالوا فيمن اضطر الى النوم فى المسجد انه ينام فى محرابه لانه أخف من باقى المسجد بل ينبغى له أنه اذا كان المسجد لم يضق بالناس فلا يدخل الامام الى المحراب فان ضاق بهم فليدخل على الصفة المتقدمة لانه اذا لم يدخل يمسك بوقوفه خارجا عنه موضع صف من المسجد وهو قد يسع خلقا كثيرا (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى التى يفعلها بعض الائمة وهو أنهم لا يعتنون بتسوية الصفوف ثم ان الامام يلتفت عن يمينه ويقول استووا يرحمكم الله ثم يلتفت عن شماله ويقول مثل ذلك ويقول له الرئيس أو أحد المأمومين كبر رضى الله عنا وعنك هذا فعلهم سواء كان فى الصف خلل أو لم يكن ولو كان ثم خلل لم يسده احد بيده وله وهذا كله من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم (وقد كان الائمة من السلف رضى الله عنهم يوكلون الرجال بتسويتها منهم عثمان ابن عفان رضى الله عنه ثم لا يكبرون حتى يأتى من وكلوهم بذلك فيخبروهم أنها قد استوت فيكبرون اذ ذاك (وقد) جاء فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم (وقد) نقل عن السلف رضى الله عنهم ان ثيابهم كانت تنقطع من جهة المناكب أولا شدة تراصهم فى صلاتهم وهذه السجادات تمنع من ذلك ضرورة لانها تبسط على موضع فى المسجد يزيد على قدر ما يحتاج اليه صاحبها فى قيامه

وسجوده

وسجوده اللهم الا أن يضم اليه من يحاذيه حتى يصلي معه عليها فيخرج عن باب الكراهة لكن يدخل على صاحبها وجه آخر وهو أنه اذا كان من يصلي الى جانبه متورعا أو في كسب صاحبها علة شبهة أو حرام وقد يكون كسبه حلالا لكن يمتنع من وجه آخر وهو تخريجه من دخول المنة عليه واذا كان ذلك كذلك فلا يفعل لانه يأتي الى فعل مندوب وهو التراص في الصف فيقع في محرم أو مكروه

(فصل في دخوله في الصلاة) فاذا استوت الصفوف فليتواذ ذلك الدخول في الصلاة بقلبه ولا ينطق بلسانه ولا يجهر بالنية فان الجهر بها من البدع (واختلف) في النطق باللسان هل هو بدعة أو كمال (فقال) بعضهم هو كمال لانه أتى بالنية في محلها وهو القلب ونطق بها اللسان وذلك زيادة كمال هذا ما لم يجهر بها (وقال) بعضهم ان النطق باللسان مكروه ويحتمل ذلك وجهين (أحدهما) أنه قد يكون صاحب هذا القول يرى ان النطق بها بدعة اذ لم يأت في كتاب ولا سنة (ويحتمل) أن يكون ذلك لما يخشى أنه اذا نطق بها بلسانه قد يسهو عنها بقلبه واذا كان ذلك كذلك فتبطل صلاته لانه أتى بالنية في غير محلها (الا ترى) ان محل القراءة النطق باللسان فلو قرأ بقلبه ولم ينطق بها لسانه لم تجزه صلاته وكذلك لو تلفظ بالنية بلسانه ولم ينوها بقلبه (ومن) صفة النية على الكمال أن ينوي بصلاته التقرب الى الله تعالى بأداء ما افترض عليه من تلك الصلاة بعينها وذلك يحتوي على خمس نيات وهي نية الاداء ونية التقرب الى الله تعالى ونية الفرض وتعيين الصلاة واحضار الايمان والاحتساب وهو شرط في صحة ذلك كله واختلف في تعيين الايام وعدد الركعات ويتعين على المأموم أن ينوي الائتمام لان المأموم يلزمه أن ينوي أنه مأموم فان لم يفعل بطلت صلاته بخلاف الامام فانه لا يلزمه أن ينوي الامامة الا في كل صلاة لا تصح الا في جماعة وهي خمس وذلك ما نحن بسبيله من صلاة الجمعة والثانية الصلاة على الجنازة والثالثة الجمع ليلة المطر والرابعة صلاة الخوف والخامسة المأموم المستخلف وما عدا ذلك لا يجب عليه فيه نية الامامة لكن ان نواها كان أعظم أجرا وأكثر ثوابا ممن لم ينوها (ثم) يستفتح القراءة فيقرأ بعد أم

القرآن فى الركعة الاولى بسورة الجمعة وأما الثانية فاختلفت الروايات فيها فقيل اذا جاءك المنافقون وقيل سبح اسم ربك الأعلى وقيل هل أتاك حديث الغاشية وهو الاكثر ولم يختلف المذهب فى الاولى انه لا يقرأ فيها الا سورة الجمعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عما يقرأ المسبوق بركعة فى الجمعة فقال يقرأ مثل ما قرأ امامه بسورة الجمعة فقيل له اقراءة سورة الجمعة فى صلاة الجمعة سنة قال لا أدرى ما هى سنة ولكن من أدركنا كان يقرأ بها فى الركعة الاولى من الجمعة انتهى وان كان قد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى الركعة الاولى من صلاة الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وفى الثانية بهل أتاك حديث الغاشية لكن الذى واظب عليه عليه الصلاة والسلام واستقر عليه عمل السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين ما تقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالمواظبة على ترك قراءة سورة الجمعة فى الركعة الاولى منها مما لا ينبغى فليحذر من هذا جهده وبعض الائمة فى هذا الزمان يقرأ بعد أم القرآن بآخر سورة الجمعة من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة الى آخرها وفى الثانية بآخر سورة المنافقين من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الى آخرها وهذا راجع الى ما تقدم من قصر الصلاة واطالة الخطبة وما كان السلف رضى الله عنهم يقرءون الا سورة كاملة بعد أم القرآن وان كان الشافعى رحمه الله قد أجاز الاقتصار على قراءة بعض السورة فذلك من باب الجواز والمندوب والافضل والاتباع قراءة سورة كاملة

(فصل) وما تقدم من أن النية لا يجهر بها فهو عام فى الامام والمأموم والفذ فالجهر بها بدعة على كل حال اذ انه لم يرو أن النبى صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء ولا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جهروا بها فلم يبق الا أن يكون الجهر بها بدعة (وينبغى له) أن ينهى المأمومين عما أحدثوه من قراءتهم بالجهر بايك نعبد وايك نستعين حين قراءة الامام اياها فيحذر من هذا جهده فانه بدعة (وينبغى له) أن ينهى عن الجهر خلفه بالقراءة فى صلاة السر لان ذلك خلاف السنة وفيه التشويش عليه وعلى من يقرب منه (وقد) ورد النهى عن أقل من هذا بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم

على

على بعض بالقرآن وكان كل واحد منهم يصلى لنفسه وهذه صلاة واحدة فمن باب أولى أن ينهى عن ذلك (وكذلك) اذا كانت الصلاة جهرية وقرأ المأموم أم القرآن خلفه فلا يجهر بها (وقد) ورد النهى عن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام انى أقول مالى أنازع القرآن فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان فى الجهر بها ما تقدم ذكره وهو من البدع أيضا لانه يترك سنة الاسرار فى الصلاة (ولا حجة) لمن يحتج بالحديث الوارد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمعهم الآية أحيانا اذ أن ذلك خاص بالامام مع انه عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك لكى يعلم الناس الحكم فى صلاة السر انه يقرأ فيها بسورة بعد أم القرآن حتى لا يجد أحدا السبيل الى ان يقول كان يسبح أو يدعو أو يفكر فكان جهره عليه الصلاة والسلام بالآية أحيانا لهذا المعنى والله أعلم (وينبغى) للامام أن لا يجهر بالتسبيح فى ركوعه أو سجوده ولا يجهر بالدعاء فى موضع الدعاء فى الصلاة أو عقبها وما يفعله فى حق نفسه فيحمل المأمومين عليه لان ذلك من السنة والجهر بذلك بدعة اذ انه لم يرو أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فسلم منها وبسط يديه ودعا وأمن المأمومون على دعائه وكذلك الخلفاء الراشدون بعده رضى الله عنهم أجمعين وكذلك باقى الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وشئ لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة فلا شك فى ان تركه أفضل من فعله بل هو بدعة كما تقدم (وكذلك) لا يمسح صدره عند قراءة القنوت فى الصبح وغيرها مما شرع فيه القنوت أو الدعاء لما تقدم (وكذلك) ينهى غيره عن فعل ذلك اذ أنه بدعة (وكذلك) ينهى من يفعل ذلك عند رفع الرأس من الركوع اذ أنه بدعة (وكذلك) لا يجهر بالدعاء بعد فراغه من التشهد وقبل السلام وينهى غيره عن فعله لانه بدعة (والاصل) الذى يبنى عليه صلاته ويعتمد عليه الخشوع والحضور فيها فيمثل نفسه انه واقف بين يدى الملك الجليل يخاطبه ويناجيه فان كان فى القراءة فهو يسمع كلام ربه عز وجل وان كان فى غيرها من دعاء أو ذكر فهو يناجى مولاه بدعائه ويذكر انه سبحانه وتعالى المولى العليم

يسمعه اذا نه أقرب اليه من حبل الوريد اعنى بالعلم والاحاطة فتخشع جوارحه كلها انقيادا منها لما حصل فى قلبه من الخشوع والحذر الحذر من خشوع جوارحه الظاهرة دون الجوارح الباطنة وقد تقدم هذا المعنى فى الخطبة وهو فى الصلاة أولى وقد ورد ان الصلاة فى الجماعة ترفع على أتقى قلب رجل منهم فينبغى أن يكون ذلك الرجل هو الامام اذا نه يعتبر فى حقه أن يكون أفضلهم وبحصول هذه الصفة تزكو صلاته ويعود من بركاتها على الحاضرين معه فيعمل على تحصيل هذه المزية جهده والله الموفق (والسنة المتقدمة) أن يلى الامام من الناس أفضلهم علما وعملا لقوله عليه الصلاة والسلام ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى (ومن فوائده) انه لو طرأ على الامام ما يوجب الاستخلاف لوجد من فيه أهلية لذلك بقربه من غير كلفة بتكلفها وهذه سنة معمول بها فى بلاد المغرب على ما كنت أعهد انه لا يستر الامام الا من فيه أهلية التقدم للامامة فى الغالب وقد تقدم بعض ذلك وهذه خصلة دائرة فى هذه البلاد فى الغالب فتجده من لا علم عنده يستر الامام وتجد أهل الفضل فى المواضع البعيدة عنه وذلك بدعة ومخالفة للسنة لما تقدم من أمره عليه الصلاة والسلام بقوله ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى ولفعله عليه الصلاة والسلام وفعل أصحابه رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى للامام أن يكون أول من يسبق الى المسجد ان أمكنه ذلك ليحصل هذه السنة ويخمد هذه البدعة ويقتدى الناس به وما زال الفضلاء والاكابر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الانصار هم الذين يبادرون الى المساجد فى أوائل الاوقات أو قبلها (حتى) انه قد حكى عن بعضهم انه جاء الى صلاة الجمعة فوجد رجلين قد سبقاه فجعل يعاتب نفسه ويقول أثالث ثلاثة أثالث ثلاثة فلو جاء الامام أو غيره من الفضلاء الى المسجد فوجدوا غيرهم ممن ليس فى منزلتهم قد سبقهم لتلك المواضع التى يعهدون الصلاة فيها أعنى من كان يستر الامام أو يقرب منه كان من سبق لتلك المواضع أحق بها منه وأولى ولا يقام منها اتفاقا واقامته ظلم له وبدعة (اللهم) الا أن يؤثر السابق بهذه القربة غيره من أهل الفضل والدين (فذلك) له بل هو مندوب اليه لوجهين (أحدهما) ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام

ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى والعمل الماضى المتقدم ذكره (والثانى)
من صلى خلف مغفور له غفر له فاذا قدمه لاحد هذين الوجهين كان مندوبا
اليه (وقد تقدمت) حكاية بعض السلف الذى كان يأتى الى المسجد أول
الوقت ليدرك فضيلة الصف الاول فاذا امتلأ بالناس تأخر الى الثانى وآثر
بمكانه غيره وهكذا الى أن يصلى فى آخر صف من المسجد فسئل عن موجب
ذلك فقال أبكر لأحوز فضيلة الصف الاول ثم أتأخر رجاء ان اكون قد صليت
خلف مغفور له فيغفر لى وليس هذا من باب الايثار بالقرب لان ذلك الخلاف
انما هو فيمن ترك قربة لابدل عنها أما من تركها الى هو أعلى منها وأولى فليس
من هذا الباب بل هو من باب ترك قربة الى هو أعلى منها كما تقدم وقد عد بعض
العلماء ترك التبكير يوم الجمعة من البدع الحادثة وذلك محمول على اختلاف
المذهبين فمذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان التبكير من غدوة النهار اليها
أفضل ومذهب مالك رحمه الله ان معناه التهجير ودليله عمل السلف الماضين
رضى الله عنهم أجمعين (وقد) استدل الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله على
صحة مذهبه من أن التبكير اليها أفضل من التهجير بان قال أول بدعة
حدثت ترك التبكير الى الجمعة وقد كانوا يأتونها بالمشاعل ليلا وقد كان بعضهم
يبيت فى المسجد ليلة الجمعة ليصلى الجمعة (وقد) كره مالك رحمه الله التبكير
اليها وعلله بانه لم يكن من عمل السلف قال ولم يكونوا يبكرون واهذا التبكير
وأخاف على فاعله ان يدخله شئ ولا يختلف أحد فى صحة نقل مالك عن السلف
رضى الله عنهم أجمعين (ويؤيده) ماجرى لعثمان بن عفان رضى الله عنه حين
دخل المسجد وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب للجمعة فلو كان التبكير
أفضل لما تأخر عثمان رضى الله عنه واشتغل بالسوق الى الوقت الذى أتى فيه
الى الجمعة (وينبغى له) اذا سلم من صلاته أن يقوم من موضعه ذلك ومعناه
أنه يغير هيئته فى جلوسه فى الصلاة يقبل على الناس بوجهه فاذا فعل ذلك
فقد أتى بالسنة لما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى صلاة
أقبل على الناس بوجهه فيحصل لفاعل ذلك امتثال السنة واستغفار الملائكة
له مادام فى المسجد بخلاف مالو قام من موضعه وخرج منه فانه يفوت على نفسه
استغفار الملائكة له هذا اذا كان فى المسجد فان كان فى بيته أو فى رحله فى
السفر فلا بأس بجلوسه فيه وتغييره الهيئة أولى كذا قال علماؤنا رحمة الله

عليهم وبعض الائمة يقعد فى مصلاه على هيئته التى كان عليها فى صلاته وذلك بدعة لانه عليه السلام لم يفعله ولا أحد من الخلفاء ولا من الصحابة بعده رضى الله عنهم أجمعين لانه قد يخاط على الداخل الى المسجد فيظن انه فى الصلاة وقد ذكر الفقهاء فى ذلك تعاليل أخر موجودة فى كتبهم (وهذا) بخلاف المأموم فان له أن يقعد من غير تغيير هيئة صلاته حتى يفرغ مما شرع فيه من الذكر والدعاء عقب صلاته ثم يتنفل بعد ذلك بما أحب لكن المستحب فى حقه أن لا يتنفل بعد الصلاة ان كانت الصلاة مما يتنفل بعدها فى موضعه الذى صلى فيه الفريضة بل ينتقل عنه الى جهة أخرى فيصلى فيها فان لم يفعل فلا حرج ويصليها فى موضعه والتنفل فى المساجد بتوابع الفرائض أفضل من فعلها فى البيوت لئلا يكون ذلك ذريعة لمن لا علم عنده بتأكدها فيقتصر على الفرائض دونها (وهذا كله) فيما عدا الركوع بعد المغرب وبعد الجمعة (أما المغرب) فلأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يركع بعدها فى بيته وحكمة ذلك على ما قاله بعض العلماء انه فعل ذلك عليه الصلاة والسلام على ما علم من عادته الجميلة فى رحمته بأمته اذ ان من كان منهم صائما وركع عقب المغرب فى المسجد لا ينتظره أكثرهم حتى ينصرفوا بانصرافه فقد يكون عند بعضهم الاولاد والعائلة فينتظرونه فيكون ذلك مشقة فأزالها عليه السلام عنهم بركوعه فى بيته انتهى على انه لو ركع فى المسجد لم يكره لان ذلك انما كان خشية من وجود المشقة على بعض الناس فاذا أمن منها جاز (وأما فى الجمعة) فلا يتنفل عقبها امام ولا غيره الا فى بيته بذلك ورد الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وقبل العصر ركعتين وبعد المغرب ركعتين فى بيته وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى ركعتين فى بيته (وقد ورد) أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا قام يتنفل بعد صلاة الجمعة فجذبه واقعده وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من صلاة الظهر والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يقل شيئا (فالتنفل) بعد الجمعة فى المسجد بدعة لما ذكر حتى ينصرف الى بيته فيصلى فيه فان كان غريبا أو ممن لا بيت له أو ممن يريد انتظاره صلاة العصر فى المسجد فاختلف علماؤنا رحمة الله عليهم

فيه

فيه فمنهم من يقول يخرج من باب و يدخل من آخر ومنهم من يقول ينتقل من مكانه الى غيره من المسجد فيركع فيه ومنهم من يقول اذا طال مجلسه أو حدثه بغير مما يسوغ الكلام به في المسجد كما تقدم فيجوز له أن يركع في موضعه من غير انتقال والله أعلم (والسنة الماضية) ان لا يترك الذكر والدعاء عقب الصلاة (ومن) آداب الدعاء أن يثني على الله تعالى بما هو أهله بما تيسر له ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو لنفسه أولا ولمن حضره من اخوانه المسلمين سرا في نفسه (وليحذر) أن يخص نفسه بالدعاء دونهم اذا كان اماما في الصلاة و بعدها فان فعل فقد خانهم هكذا ورد في الحديث على ما رواه أبو داود والترمذي (وكذلك) يستحب لكل واحد من المصلين أن يدعو لنفسه ولمن حضره من اخوانه المسلمين من امام ومأموم (وليحذر واجبعا) من الجهر بالذكر والدعاء وبسط الايدي عنده أعني عند الفراغ من الصلاة ان كان في جماعة فان ذلك من البدع لما تقدم ذكره اللهم الا أن يريد الامام بذلك تعليم المأمومين بأن الدعاء مشروع بعد الصلاة فيجهر بذلك ويبسط يديه على ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى حتى اذا رأى أنهم قد تعلموا أمسك (وبعض الائمة) اذا سلم من صلاته أقبل على الدعاء يجهر به قبل الذكر المشروع عقب الصلاة و يقتدي على ذلك كأنه مشروع له الجهر فيه لغير ضرورة التعليم وذلك من باب ترك الافضل الذي هو الذكر المأثور وقد يخفى على بعض الناس بما يفعله من الذكر المأثور عقب الصلاة فليحذر من هذا جهده وقد تقدم النهي عن القراءة جماعة والذكر جماعة (واذا) كان ذلك كذلك فينبغي له أن ينهى الناس عما أحدثوه من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جماعة في المسجد أو غيره وان كان قد ورد استحباب قراءتها كاملة في يوم الجمعة خصوصا فذلك محمول على ما كان عليه السلف رضي الله عنهم لا على ما نحن عليه فيقرأها سرا في نفسه في المسجد أو جهرا في غيره أو فيه ان كان المسجد مهجورا ما لم يكن فيه من يتشوش بقراءته والسر أفضل وأما اجتماعهم لذلك فبدعة كما تقدم والله تعالى أعلم

(فصل في الصلاة على الميت في المسجد) الصلاة على الميت في المسجد

جائزة على مذهب الشافعي رحمه الله لكن بشرط ان لا يتقدم على الجنازة ولا على الامام فان تقدم على أحدهما فصلاته باطلة (وأما) مذهب مالك رحمه الله فكره لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شئ له أخرجه أبو داود رحمه الله والعمل المتصل وهو أنهم كانوا لا يصلون على ميت في المسجد وما ورد من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فلم يحبه العمل والعمل عند مالك رحمه الله أقوى لان الحديث يحتمل النسخ وغيره والعمل لا يحتمل شيئا من ذلك بل هو على جادة الاتباع والاتباع أولى ما يبادر اليه لعدم الاحتمال فيه وهذا بشرط أن لا يتقدم على الامام ولا على الجنازة فان تقدم عليهما فقدار تكب ثلاث مكروهات أحدها الصلاة على الميت في المسجد الثاني التقدم على الامام الثالث التقدم على الجنازة ولا يتقرب الى الله تعالى بمكروه فكيف اذا تعدد وحد المكروه ما تركه أفضل من فعله (تنبيه) ويتعين عليه أن ينظر فيما بنى أو بني الى جانب المسجد من ميضأة أو سراب فما كان من ذلك يصل منه نداوة الى ارض المسجد أو جدرانه فيمنع من ذلك ويبطله على من فعله لان دخول النجاسة في المسجد محرم وان كان عليها حصير لان الارض هي المسجد لا الحصير وأيضا فان الحصير اذا بسط على تلك الارض تنجس بها وكذلك الجدران لان المصلين يستندون في غالب أحوالهم اليها فتنجس ثيابهم وسواء كان ذلك في مقدم المسجد أو مؤخره لا فرق بينهما وبعض الناس يفعل ذلك نظرا منه لتحصيل الحسنة بتيسير موضع الطهارة سيما في حق من كان منقطعا في المسجد أو من بيته بعيد منه فيقرب على الجميع أمر الوضوء للصلاة فيقع في محرمات جلة لما تقدم ذكره فيحذر من هذا جهده لان الحسنة التي توصل الى السيئة ما هي بحسنة بل هي السيئة نفسها والغالب على الشيطان أن يدس هذا المعنى لبعض من فيه خير وصلاح حتى يوقعه في السيئة وهو يزعم أنه في حسنة وهذا من بعض مكائد ابليس اللعين

(فصل في خروج الامام الى صلاة العيدين) والسنة الماضية في صلاة العيدين أن تكون في المصلى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال

صلاة

صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام
ثم مع هذه الفضيلة العظيمة خرج صلى الله عليه وسلم الى المصلى وتركه
فهذا دليل واضح على تاكد أمر الخروج الى المصلى لصلاة العيدين فهى
السنة وصلاتهما فى المسجد على مذهب مالك رحمه الله تعالى بدعة الا أن
تكون ثم ضرورة داعية الى ذلك فليس ببدعة لان النبى صلى الله عليه وسلم
لم يفعلها ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده ولانه عليه الصلاة والسلام أمر
النساء أن يخرجن الى صلاة العيدين وأمر الحيض وربات الخدور بالخروج
اليهما فقالت احداهن يارسول الله احدانا لا يكون لها جلباب فقال عليه
الصلاة والسلام تعيرها أختها من جلبابها التشهد الخير ودعوة المسلمين
فلما ان شرع عليه الصلاة والسلام لمن الخروج شرع الصلاة فى البراح
لاظهار شعيرة الاسلام وليحصل لهم عليه الصلاة والسلام ما قد أمر به
فى الحديث الآخر من قوله عليه الصلاة والسلام باعدوا بين أنفاس النساء
وأنفاس الرجال فلما أمر فى هذا الحديث وجعله فى صلاة العيد فكان النساء
بعيدا من الرجال ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام لما ان فرغ من خطبته
وصلاته جاء الى النساء فوعظهن وذكرهن فلو كن قريبا لسمعن الخطبة
ولما احتجن الى تذكيره لهن بعد الخطبة هذا وجه ووجه ثان وهو أن
المسجد ولو كبر فهم محصورون فى الخروج من أبوابه المعلومة وقد يجتمع
الرجال والنساء عند الدخول فيها والخروج منها فتقع الفتن فى موضع
العبادات والبراح ليس كذلك لاتساع البرية فلا يصل فيها أحد لاحد
فى الغالب وهذا بعكس ما يفعله بعض الناس اليوم وهو أن المسجد عندهم
كبير وله أبواب شتى فيخرجون منه الى البراح لكونه أوسع وهو السنة
فينوا فى ذلك البراح موضعا يكون فى الغالب على قدر صحن الجامع أو أصغر
وجعلوا له بابين ليس الا بابا للجهة القبلية والآخر فى مقابلته فيجتمع النساء
والرجال فى أحد البابين فى الدخول والخروج وتقف الخيل والدواب عليها
فاذا انصرفوا خرجوا منهما كذلك مزدحمين والغالب ان النساء اذا خرجن
لغير العيد يلبسن الحسن من الثياب ويستعملن الطيب ويتحلين الى غير ذلك
مما تقدم من زينتهن فكيف بهن فى العيدين والرجال أيضا يتجملون بما لا

يجوز لهم فتقع الفتن وتتلوث القلوب وهم قد خرجوا القربة فآل الامر الى ضدها وفى هذا البناء أمور أخر منها ان الباب بين المفتوحين لا باب عليهما فيبقى ذلك المكان مأوى لما لا ينبغى من قطاع الطريق واللصوص وغيرهما ممن يفعل القبائح المتوقعة فيها وقد قيل من العصمة أن لا تجد فاذا كان الانسان يهم بالمعصية ولا يجد من يوقعها معه ولا يجد موضعا فهذا نوع من العصمة فاذا وجدا الموضع متيسرا كان ذلك تيسيرا للمعصية لمن أرادها والموضع موضع عبادة فينبغى أن ينزه عن هذا فيترك مكشوفا لا بناء فيه فان كان لا يقدر على ازالة ما فيه من البنيان فيترك الصلاة فيما حواه البنيان ويصلى خارجا عنه فى البراح فهو الأولى والأفضل فى حقه بل المتعين اليوم لكن السنة أن لا ينصرف بعد الصلاة حتى يفرغ الامام من خطبته وان كان لا يسمعها كما تقدم فى الانصات لخطبة الجمعة وهذا كله من مكائد ابليس يأتى الى مواضع القرب فيدس فيها دسائس حتى ترجع الى الضد من ذلك نسأل الله العافية بمنه

(فصل فى التكبير عند الخروج الى المصلى) والسنة الماضية أن يكبر عند خروجه الى المصلى ان كان ذلك عند طلوع الشمس أو قرب طلوعها فان كان قبل ذلك وأتى الى المصلى لاجل بعد منزله فليس عليه تكبير حتى يدخل الوقت المذكور على المشهور وقيل يشرع له التكبير من بعد طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح اذا خرج فى وقته ذلك (والسنة المتقدمة) أن يجهر بالتكبير فيسمع نفسه ومن يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقه من البدع اذ انه لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم الا ما ذكر ورفع الصوت بذلك يخرج عن حد الصمت والوقار ولا فرق فى ذلك أعنى فى التكبير بين أن يكون اماما أو مؤذنا أو غيرهما فان التكبير مشروع فى حقهم أجمعين على ما تقدم وصفه الا النساء فان المرأة تسمع نفسها ليس الا بخلاف ما يفعله بعض الناس اليوم فكأن التكبير انما شرع فى حق المؤذنين دون غيرهم فتجد المؤذنين يرفعون أصواتهم بالتكبير كما تقدم وأكثر الناس يسمعون لهم ولا يكبرون وينتظرون اليهم كأن التكبير ما شرع الا لهم وهذه بدعة محدثة ثم انهم يمشون على صوت واحد وذلك بدعة لان المشروع انما هو أن يكبر كل

انسان لنفسه ولا يمشي على صوت غيره (ومما) أحدثوه من البدع أيضا وقودهم القناديل في طريق الامام عند خروجه الى صلاة الصبح يوم العيد ومما أحدثوه أيضا انهم يأتون الى باب دار الامام قبل صلاة الصبح يوم العيد فاذا اجتمعوا وخرج عليهم الامام شرعوا في التكبير على ما وصفناه من رفع الصوت به الخارج عن الحد المشروع فيمشون معه بالتكبير حتى يصلوا الى قرب المحراب فيتشوش من في المسجد كما تقدم وحينئذ يقطعون التكبير ويأخذون في الصلاة فاذا فرغوا من صلاة الصبح خرجوا مع امامهم بالتكبير على ما تقدم ذكره والناس سكوت لا يكبرون وهذا وان كان التكبير سنة ففعلهم ذلك محرم على ما يعلم من زعقات المؤذنين من البدع وكذلك تكبيرهم على صوت واحد وكذلك سكوت الناس لاجل اسماعهم وتركهم التكبير لانفسهم فهذه ثلاث بدع معارضة لسنة التكبير على ما مضى من انه يكبر كل من خرج الى صلاة العيد من الرجال كان اماما أو مؤذنا او غيرهما يسمع بذلك نفسه ومن يليه وفوق ذلك قليلا ولا يرفع صوته حتى يعقر حلقه لان ذلك محدث وقد تقدم ان احسن اللباس وافضله البياض فينبغي للامام أن يكون أفضل القوم حتى في ملبسه وزيه على ما تقدم في اللباس في الجمعة بشرطه (وينبغي) أن لا يقدم الصلاة فيوقعها في الوقت المنهي عن ايقاع الصلاة فيه وبعض الائمة يفعلون هذا وذلك منهي عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند الغروب حتى تغيب فيوقع بعضهم الصلاة عند بزوغ الشمس وهو موضع النهي فيخرج الى فعل برفيقع في ضده نعوذ بالله من ذلك (وبعض الناس) يفعلون ضد هذا فيؤخرون صلاة العيد حتى تسخن الشمس وهو خلاف السنة أيضا لان السنة وردت في الخارج الى المصلى أن يعجل الأوبة الى اهله لانه ان كان في عيد الاضحى فيضحي لهم ان كان ممن يضحي حتى يفطروا على أضحيتهم وان كان في عيد الفطر فيأكلون معه وان كانوا قد افطروا قبل خروجهم الى المصلى على تمرات أو الماء كما وردت السنة والغالب على كثير من الناس العيال والاولاد فيبقون متشوفين منتظرين له وقد تقدم هذا المعنى واذا كان ذلك كذلك فالافضل ما بين هذين وهو الوسط فالمختار أن لا يصلي عند طلوع

الشمس لما تقدم من نهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك ولا يؤخرها حتى ترتفع الشمس (فاذا) خرج الامام الى الصحراء وخطب فليكن بالارض لا على المنبر فانه بدعة (قال) الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتاب القوت له روينا ان مروان لما أحدث المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدري فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد انتهى (فان) فعل وخطب على المنبر فقد مضت السنة في خطبة الجمعة أن يكون الامام وحده على المنبر دون غيره (وقد) أحدثوا في منبر العيد اليوم بدعة أكثر من جلوس الرئيس مع الامام على المنبر في الجمعة لانهم زادوا أن الخطيب اذا خطب في صلاة العيد امتلأ المنبر كله من المؤذنين وغيرهم يرتصون عليه وكذلك فيما فوق المنبر (وينبغي) له اذا خطب ان يوجز في خطبته ولا يطيلها فان التطويل هاهنا أشد كراهة منه في الجمعة لما تقدم ذكره من انتظار الاهل لهم في العيدين والله أعلم

(فصل في التحفظ من النجاسة في المصلى) ويتعين على الامام وغيره ممن يصلي في المصلى التحفظ من الصلاة على موضع فيه نجاسة غيره معفو عنها سيما ان كان الموضع مما تطؤه الخيل والدواب فلا شك في نجاسته سيما وايقاع الصلاة يكون في أول النهار قبل أن تنزل الشمس على الارض فتنشف تلك الرطوبة فمن صلى عليها تنجس ما أصيب من بدنه أو ثيابه وان فرش عليها شيئا يصلي عليه تنجس فلا يصلي عليه بعد ذلك حتى يغسله وقد تكون الصلاة على موضع قبور وقد ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم الصلاة عليها دون حائل الا أن تكون المقبرة جديدة لم تبل بعد وقيل هي مكروهة مطلقا في الجديدة والقديمة الا على حائل والله أعلم

(فصل في سلام العيد) قد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم في قول الرجل لاخيه يوم العيد تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك على أربعة أقوال جائز لانه قول حسن مكروه لانه من فعل اليهود مندوب اليه لانه دعاء

ودعاء المؤمن لاخيه مستحب الرابع لايقتدى به فان قال له أحد رد عليه مثله واذا كان اختلافهم فى هذا الدعاء الحسن مع تقدم حدوثه فما بالك بقول القائل عيد مبارك مجردا عن تلك الالفاظ مع انه متأخر الحدوث فمن باب أولى ان يكره وهو ومثل قولهم يوم مبارك وليلة مباركة وصبحك الله بالخير ... اك بالخير وقد كره علماؤنا رحمة الله عليهم كل ذلك وقد تقدم بعضه (وأما المعانقة) فقد كرهها مالك وأجازها ابن عيينة أعنى عند اللقاء من غيبة كانت (وأما) فى العيدان هو حاضر معك فلا (وأما) المصافحة فانها وضعت فى الشرع عند لقاء المؤمن لاخيه (وأما) فى العيدين على ما اعتاده بعضهم عند الفراغ من الصلاة يتصافحون فلا أعرفه (لكن) قال الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله انه أدرك بمدينة فاس والعلماء العاملون بعلمهم بها متوافرون انهم كانوا اذا فرغوا من صلاة العيد صافح بعضهم بعضا فان كان يساعده النقل عن السلف فياحبذا وان لم ينقل عنهم فتركها أولى

*(فصل فى خروج النساء الى صلاة العيد) قد تقدم ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر النساء بالخروج الى صلاة العيد فى المصلى حتى الحيض وربات الخدور وذلك محمول على ما كان دليه فى وقته عليه الصلاة والسلام من التستر وترك الزينة والصيانة والتعفف وان مرورهن فيجر خلفهن من شبر الى ذراع وبعدهن من الرجال وقد قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى اسرائيل واذا كان ذلك كذلك فيتعين منعهن فى هذا الزمان على كل حال لما فى خروجهن من الفتن التى لا تكاد تخفى ومايقع من ضد العبادة المأمور بها

(فصل فى انصراف الناس من صلاة العيد) قد تقدم ان السنة فى الخروج الى صلاة العيدين سرعة الاوبة الى الأهل فلا يشتغل بزيارة القبور وله أن يزور اخوانه من الاحياء لكن ان كان له أهل فليبدأ بهم ويزيل تشوفهم اليه ثم بعد ذلك يمضى لما يختاره من زيارة من ذكر وان لم يكن له أهل فليمض الى اخوانه ومعارفه المتقين من الاولياء والصالحين للتبرك برؤيتهم والتماس الدعاء منهم لكن يتحرى وقت زيارتهم

اذ أن الغالب من اخوانه انهم يضحون والسنة فيها أن يتولى المكلف ذلك بنفسه فاذا خرج الوقت الذى هو معد للذبح غالبا فليمش عليهم كما تقدم ذكره وان علم أن فيهم من لم يذبح قله أن يأتى اليه فى أى وقت شاء لعدم المانع

(فصل فى صلاة العيد فى المسجد) فان صليت صلاة العيد فى المسجد لاجل ضرورة المطر أو غيره من الاعذار الشرعية فالسنة فيها كما تقدم فى المصلى لكن فى المسجد يخفضون أصواتهم أكثر مما ذكر فى البرية تنزيها للمسجد من رفع الاصوات فيه كما تقدم ولا بد من الخطبة بعد الصلاة وينبغى أن يكون النساء بمعزل بعيد عن الرجال بخلاف ما هن اليوم يفعلنه لانهن يخالطن الرجال فى الغالب فتجد المسجد غالبه مملوءا يوم العيد بالنساء وغالب خروجهن على ما يعلم كما تقدم غير مرة ولو منعن من الخروج لكان أحسن بل هو المتعين فى هذا الزمان ويتعين عليه أن يتقدم الى الوعاظ الذين يعملون فى المسجد فيمنعهم من الكلام وقد تقدم منعه فى حق الرجال ففى حق النساء من باب أولى اذ أن مفاسدهن تزيد على مفاسد الرجال وقد تقدم منع الوعاظ من المسجد مطلقا

(فصل فى التكبير اثر الصلوات الخمس فى أيام العيد) وقد مضت السنة ان أهل الآفاق يكبرون دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فى أيام اقامة الحج بمنى فاذا سلم الامام من صلاة الفرض فى تلك الايام كبر تكبيرا يسمع نفسه ومن يليه وكبر الحاضرون بتكبيره كل واحد يكبر لنفسه ولا يمشى على صوت غيره على ما وصف من أنه يسمع نفسه ومن يليه فهذه هى السنة (واما) ما يفعله بعض الناس اليوم من أنه اذا سلم الامام من صلاته كبر المؤذنون على صوت واحد على ما يعلم من زعقاتهم فى المآذن ويطيلون فيه والناس يستمعون اليهم ولا يكبرون فى الغالب وان كبر أحد منهم فهو يمشى على أصواتهم وذلك كله من البدع اذ أنه لم ينقل أن النبى صلى الله عليه وسلم فعله ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده وفيه اخراق حرمة المسجد برفع الاصوات فيه والتشويش على من به من المصلين والقالين والذاكرين

(فصل فى صلاة التراويح فى المسجد) قد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم صلى فى رمضان فى المسجد ثلاث ليال فلما ان اجتمعوا جلس فى الرابعة ولم يخرج اليهم فلما ان أصبح قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت الذى رأيت من صنيعكم وما منعنى من الخروج اليكم الا خشية أن تفرض عليكم (فلما) أن مضى لسبيله عليه الصلاة والسلام أمن مما ذكره من الفرض على الامة (فلما) أن ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة وتفرغ للنظر فى مثل هذه الاشياء وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقومون فى ليالى رمضان أوزاعا متفرقين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو جمعتهم على قارئ واحد لكان أحسن فجمعهم على أبى بن كعب رضى الله عنه فخرج عليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة أخرى وهم يصلون على ما أمرهم به فقال نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل وقد تقدم ذكر أصل فعلها وما كان كذلك فلا يكون بدعة (وانما) عنى بذلك والله أعلم أحد أمرين أحدهما جمعهم على قارئ واحد الثانى أن يكون أراد بذلك قيامهم أول الليل دون آخره وأما الفعل فى نفسه فهو سنة لا يختلف فيه (وما) قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانما هو محمول على غيرهم لا عليهم اذ انهم رضى الله عنهم جمعوا بين الفضيلتين من قيام أول الليل وآخره ألا ترى الى ما حكاه مالك رحمه الله فى موطئه انهم كانوا اذا انصرفوا من صلاة التراويح استعجلوا الخدم بالطعام مخافة الفجر وكانوا يعتقدون على العصى من طول القيام فقد حاز وا رضى الله عنهم الفضيلتين معا قيام أول الليل وآخره فعلى منوالهم فانسج ان كنت متبعا ان المحب لمن يحب مطيع وهم سادتنا وقدوتنا الى ربنا فينبغى لنا الاتباع لهم والاقتفاء لآثارهم المباركة لعل بركة ذلك تعود على المتبع لهم (لكن) هذا قد تعذر فى هذا الزمان فى الغالب أعنى قيام الليل كله فى المسجد لما يختلط به مما لا ينبغى واذا كان ذلك كذلك فيتعين على المكلف اليوم أن لا يخلى نفسه من هذه السنة البتة بل يفعلها فى المسجد مع الناس على ما هم يفعلون اليوم من التخفيف فيها فاذا فرغوا ورجع الى بيته فينبغى له أن يغتنم بركة اتباعهم فى قيام الليل الى آخره ان أمكنه ذلك فيصلى فى بيته بمن تيسر معه من أهله أو وحده فتحصل الفضيلة الكاملة ان شاء الله تعالى ويكون وقوعه آخر تنفله اقتداء

بهم (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى حين كان يصلى مع الناس فى المسجد وكان الامام ممن يوتر بثلاث لا يفصل بينهما بسلام اما انا فاذا أوتر واخرجت وتركتهم فلا انسان بمالك رحمه الله اسوة فى ترك الوتر معهم حـ يوتر فى بيته بعد تنفله آخر الليل الا أن يكون ممن يحتاج الى النوم اذا أتى الى بيته ويخاف أن يستغرقه الى طلوع الفجر فلا يغرّ ويترك الوتر بعد نومه وليوقعه قبله فان أدرك من آخر الليل شيئا قامه ولم يعد وتره على المشهور من مذهب مالك رحمه الله وان لم يدرك شيئا فقد حصل له الوتر فى وقته ولا حرج عليه (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يصلى فى المسجد مع الناس صلاة القيام ويوتر معهم فاذا رجع الى بيته صلى ما قدر له ولا يعيد الوتر وكان رحمه الله يقول ان شيخه سيدى الشيخ أبا الحسن الزيات رحمه الله كان يفعل ذلك (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ينبغى للمكلف انه اذا صلى المغرب يجعل فطره ثم يقوم فيصلى بحزبين ونصف أو أكثر قبل العشاء ثم يخرج فيصلى مع الناس القيام ويوتر معهم ثم اذا رجع الى بيته صلى لنفسه بحزبين ونصف أو أكثر فيجتمع له من ذلك ثمن الختمة أو أكثر منه فى الغالب ثم ينام ما قدر له ثم يقوم لتهجده فيصلى ما تيسر له مما بقى عليه من الليل (فان) قال قائل قد قرر تم ان قيام رمضان فى المسجد سنة فما وجه ترك أبى بكر لها (فالجواب) ان أبا بكر رضى الله عنه كان مشتغلا بما هو أعظم من ذلك وأهم فى الدين وهو قتال أهل الردة ومانعى الزكاة وبعث الجيوش الى الشام وغير ذلك وما جرى له مع مسيلمة الكذاب وغيره وتراكم الفتن عند انتقال النبى صلى الله عليه وسلم مع شغله بجمع القرآن وتدوينه مع قصر مدته رضى الله عنه فلم يتفرغ لما تفرغ له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبان ما ذكرناه والله الموفق

(فصل فى صفة الامام فى قيام رمضان) وينبغى ان يكون من اهل العلم والخير والديانة بخلاف ما يفعله بعضهم اليوم لان الغالب منهم انهم انما يقدمون الرجل لحسن صوته لا لحسن دينه وقد قال مالك رحمه الله فى القوم يقدمون الرجل ليصلى بهم لحسن صوته انما يقدموه ليغنى لهم وهذا اذا كان على ما يعلم من التطريب فى القراءة ووضعها على الطرائق التى

اصطلح وا

اصطلحوا عليها التي تشبه الهنوك وأما الوقد موه لدينه وحسن صوته وقراءته على المنهج المشروع فلاشك ان هذا أفضل من غيره (وينبغي) أن لا يقدم للامامة الا من تطوع بها دون من يأخذ عليها عوضا فان لم يوجد الا به فقيل تباح وقيل تكره وهي في الفريضة أشد كراهة (وأجاز ذلك) الشافعي رحمه الله تعالى من غير كراهة (وقال) الاوزاعي الصلاة خلفه باطلة (وكره ذلك) أبو حنيفة وأصحابه (وينبغي) للامام كما تقدم غير مرة ان يكون افضل القوم ومن جملة فضيلته ان يتقدم لا لعوض يأخذه على صلاته فان كان ثم عوض فينبغي له أن لا ينظر اليه وأن يصلي هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض فان جاءه شيء وكان محتاجا اليه قبله لضرورته وهذا عام في الفرض والنفل وان لم يكن محتاجا اليه وأخذه وتصدق به فلا بأس بذلك (وقد) كان بجامع مصر بعض الفضلاء من الائمة يصلي بالناس فيه وكان بعض الفضلاء من المغاربة يجيء المسجد بعد سلام الامام من صلاته فيصلي في آخر المسجد لنفسه فيصلي بصلاته ناس ثم كذلك ثم كذلك حتى علم به الناس فرجع أكثرهم وتركوا الصلاة خلف الامام الاصلي وصلوا خلف هذا لاعتقادهم فيه فتشوش الامام من ذلك لقلة من يصلي خلفه وكثرة من يصلي خلف الآخر فاجتمع به وسأله ما يمنعه من الصلاة خلفه فاخبره انه يأخذ على صلاته اجرة فقال له والله ما أكلت منها شيئا قط ولكني اتصدق بها فقال له الان اصلي خلفك فرجع فصلى خلفه (فاذا) اخذ العوض لا لنفسه بل لغيره فلا حرج عليه ان شاء الله تعالى وانما المكروه ان يأخذه لنفسه والذي يتبين به ذلك ويتضح انه اذا قطع عنه العوض فان تبرم وتضجر أو ترك الامامة فلاشك في كراهة ذلك في حقه وان بقي على ما كان عليه من الملازمة والسكوت والرضا فلا يضره ما اخذه ان شاء الله تعالى والحاصل من هذا ما تقدم في حال العالم في اخذه الجامكية على التدريس وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فأغنى عن اعادته

(فصل في الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح) وينبغي له ان يجتنب ما أحدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح ومن رفع اصواتهم بذلك والمشي على صوت واحد فان ذلك كله من البدع (وكذلك)

ينهى عن قول المؤذن بعد ذكرهم بعد التسليمتين من صلاة التراويح الصلاة يرحمكم الله فانه محدث أيضا والحدث فى الدين ممنوع وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء بعده ثم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولم يذكر عن أحد من السلف فعل ذلك فيسعنا ما وسعهم

(فصل فيما يفعل فى ليلة الختم) وينبغى له أن يتجنب ما أحدثه بعضهم فى الختم من أنهم يقومون فى ليالى رمضان كلها فى الغالب بحزبين فما فوقهما فاذا كانت ليلة الختم التى ينبغى أن يزاد فيها على القيام المعهود لفضيلتها فيصلى بعضهم فيها بنصف حزب ليس الا وهو من سورة والضحى الى آخر الختمة وكان السلف رضوان الله عليهم يقومون تلك الليلة كلها فجاء هؤلاء ففعلوا الضد من ذلك كما تقدم

(فصل فى صفة قيام العشر الاواخر من شهر رمضان) وينبغى للمكلف أن يمتثل السنة فى قيام العشر الاواخر من شهر رمضان اذ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى فراشه وشد مئزره وأيقظ أهله وأحيا الليل كله وهذه سنة قد تركت فى الغالب فى هذا الزمان فتجد بعضهم يقومون من أول الشهر فاذا دخل العشر الاواخر تركوه لانهم يختمون فى أوله أو فى أثنائه ثم لا يعودون للقيام بعد ختمهم وهذه بدعة ممن فعلها وهى مصادمة لفعله عليه الصلاة والسلام وان قام بعضهم فيالشئ القليل مع انه قد أحيا بعضهم هذا العشر فى المسجد الجامع وهى سنة حسنة لو سلمت مما طرأ عليها من المفاسد فمنها ان الائمة يأخذون عليها عوضا معلوما الثانى ان المسجد يبقى فى ظلام الليل مفتوح الابواب يدخل اليه منها من يقوم ومن لا يقوم وظلام الليل يستر هم فلو كان من وقف على الائمة وقف على زيت يعم المسجد كله بضوئه وعلى رجال يطوفون بالمسجد طول ليلهم فمن رآه فيه فى غير عبادة أخرجوه لكان ذلك حسنا وامامع عدم هذا ففاسده كثيرة وفى التلويح ما يغنى عن التصريح أسأل الله السلامة بمنه

(فصل فى الخطبة عقب الختم) والخطب الشرعية معروفة مشهورة ولم يذكر فيها خطبة عند ختم القرآن فى رمضان ولا غيره واذا لم تذكر فهى بدعة ممن فعلها سيما ان كان الموضع معروفا مشهورا مثل أن يكون المسجد الجامع

أو يكون المسجد منسوبا الى عالم أو معروف بالخير والصلاح أو يكون منسوبا الى المشيخة الى غير ذلك ففعل ذلك فيه أشد كراهة لاقتداء كثير من عامة الناس به وان كان ذلك ممنوعا في حق المساجد كلها لكن يتأكد المنع في حق من يقتدى به (وينبغي له) أن يتجنب ما أحدثوه بعد الختم من الدعاء برفع الاصوات والزعقات قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز ادعوا ربكم تضرعا وخفية وبعض هؤلاء يعرضون عن التضرع والخفية بالعياط والزعقات وذلك مخالف للسنة المطهرة (وقد) سئل بعض السلف رضي الله عنهم عن الدعاء الذي يدعو به عند ختم القرآن فقال أستغفر الله من تلاوتي اياه سبعين مرة (وسئل غيره) عن ذلك فقال أسأل الله أن لا يمقتني على تلاوتي (وقد قالت) عائشة رضي الله عنها كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم اه (ولا) يظن ظان أن الظلم انما هو في الدماء أو الاعراض أو الاموال بل هو عام اذ قد يكون ظالما لنفسه فيدخل اذ ذاك تحت الوعيد (وبالجملة) فالموضع موضع خشوع وتضرع وابتهال ورجوع الى المولى سبحانه وتعالى بالتوبة مما قارفه من الذنوب والسهو والغفلات وتقصير حال البشرية فينبغي ان يبذل العبد جهده كل على قدر حاله ومرتبته (ومن) دعائه عليه الصلاة والسلام قوله اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (ومن ذلك) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ٣ (ومن ذلك) الدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام لآدم عليه السلام حيث قال له قل اللهم تمم على النعمة حتى تهنئني المعيشة وحسن لي العاقبة حتى لا تضرني ذنوبي وخلصني من شبائك الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة بسلام (ومن ذلك) ما رواه مالك رحمه الله في موطائه عنه عليه الصلاة والسلام انه كان من دعائه عليه السلام اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضني اليك غير مفتون (وقد) قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه المسمى بالاذكار والدعوات مر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما

٣ وتمامه كما في الجامع الصغير واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر اه

يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف ببركة دعائه (وقال) بعضهم ادع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق (وقيل) ان العلماء والابدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها (ويشهد له) آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك انتهى (هذا) هو المستحب في الجماعات أو من كان في موضع من موضع العبادات (وأما) ان كان الانسان وحده أو في جماعة يؤثرون تطويل دعائه فالمستحب أن يمضي فيه لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الملحين في الدعاء اه (وهذا) في غير المسجد ويجوز في المسجد بشرط أن لا يكون الجهر والتطويل بالدعاء عادة (فالحاصل) من هذا أن يمضي فيما فتح له فيه في أي وجهة كانت من صلاة أو صوم أو علم أو دعاء أو تضرع أو ابتهال أو خشوع حتى انهم قد قالوا أخذه الخشوع في صلاة النافلة فليمض في ذلك ولو ختم الختمة في ركعة واحدة وكذلك لو وجد الخشوع في آية واحدة فانه يكررها ما دام على ذلك حتى الصباح ولا يقطعها الا لفرض تعين وكذلك اذا فتح له في الدعاء فالمستحب في حقه أن لا يقطعه أيضا فمن له عقل فليرجع الى عمل السلف رضي الله عنهم ويترك الحدث في الدين والله المستعان (قال) الشيخ الجليل أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المشهور بالطرطوشي رحمه الله فان قيل هل يأثم فاعل ذلك (فالجواب) أن يقال ان كان ذلك على وجه السلامة من اللغط ولم يكن الا الرجال أو الرجال والنساء منفردين بعضهم عن بعض يسمعون الدعاء فهذه البدعة التي كره مالك رحمه الله وأما ان كان على الوجه الذي يجري في هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء ومصادمة اجسادهم ومزاحمة من في قلبه مرض من أهل الريب ومعانقة بعضهم لبعض كما حكي لنا أن رجلا وجد رجلا يطأ امرأة وهم وقوف في زحام الناس وحكت لنا امرأة ان رجلا واقعها فما حال بينهما الا الثياب وأمثال ذلك من الفسق واللغط فهذا فسوق ففسق الذي كان سببا في اجتماعهم (فان قيل) أليس قد روى عبد الرزاق في التفسير أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان اذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله (قلنا)

فهذا

فهذا هو الحجة عليكم بانه كان يصلى فى بيته ويجمع أهله فأين هذا من تلفيق الخطب على رؤس الاشهاد وتخليط الرجال والنساء والصبيان والغوغاء وتكثير الزعقات والصياح ويختلط الامر ويذهب بهاء الاسلام ووقار الايمان (وأيضا) فانه ماروى انه دعا وانما جمع أهله فحسب (ولما) روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع رجلا يقول يا حبذا صفرة ماء ذراعيها الماء كان قد توضأت به امرأة فبقى فيه من أثر الزعفران فعلاه بالدرة (وروى) انه نهى أن يجلس الرجل فى مجلس المرأة عقب قيامها وكل من قال بأصل الذرائع يلزمه القول بهذا الفرع ومن أبى أصل الذرائع من العلماء يلزمه انكاره لما يجرى فيه من اختلاط الرجال والنساء اه

(فصل فى القيام عند الختم بسجدات القرآن) وينبغى له ان يتجنب ما أحدثه بعضهم من البدع عند الختم وهو أنهم يقومون بسجدات القرآن كلها فيسجدونها متواليه فى ركعة واحدة أو ركعات فلا يفعل ذلك فى نفسه وينهى عنه غيره اذانه من البدع التى أحدثت بعد السلف وبعضهم يبدل مكان السجدات قراءة التهليل على التوالى فكل آية فيها ذكر لا اله الا الله أو لا اله الا هو قرأها الى آخر الختمة وذلك من البدع أيضا

(فصل فى قيام السنة كلها) قال الباجى رحمه الله فى شرح الموطا ان هذا القيام الذى يقوم الناس به فى رمضان فى المساجد هو مشروع فى السنة كلها يوقعونه فى بيوتهم وهو أقل ما يمكن فى حق القارى وانما جعل ذلك فى المساجد فى رمضان لكى يحصل امامة الناس فضيلة القيام بالقرآن كله وسماع كلام ربهم فى أفضل الشهور انتهى ولكونه أنزل فيه القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ولكون جبريل عليه السلام كان يدارس القرآن النبى صلى الله عليه وسلم فيه فلاجل هذه الوجوه وما شابهها ناسب محافظة جميع الناس على قيامه وان كان القيام فى السنة كلها مشروعا لمن حفظ القرآن ومن لم يحفظه فمن حفظه قام به فى بيته جهرا ولا يقوم به فى المسجد أعنى فى جماعة كما فى رمضان وغير الحافظ يستحب له أن يصلى عدد الركعات بأم القرآن وبما تيسر معها من السور فى بيته أيضا هذه هى السنة الماضية فى الامة خلافا لما فعله بعض الناس من انه جعل

القيام المعهود فى رمضان دائما فى زاويته فى جميع السنة ثم نقلت عنه واشتهرت فصارت تعمل فى بعض المواضع المشهورة (وقد) قال ابن حبيب وغيره من العلماء انهم يمنعون من ذلك فى المساجد وفى كل موضع مشهور وكذلك لو تواعدوا على انهم يجمعون فى موضع مشهور فانهم يمنعون منه فان فعلوا فهى بدعة ممن فعلها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما تقدم نعمت البدعة هذه يعنى فى جمعهم على قارئ واحد فى رمضان على ما تقدم بيانه فذكره رضى الله عنه ذلك للتنبيه على أن من فعله على تلك الصفة فى غير شهر رمضان فانه بدعة

(فصل فيما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغى) قد تقدم ان الدعاء بعد الصلاة يستحب على الصفة المذكورة قبل وعند الختم مثله (قال مالك) فى المدونة الامر فى رمضان الصلاة وليس بالقصص فى الدعاء (قال الطرطوشى) رحمه الله فقد نهى مالك أن يقص أحد بالدعاء فى رمضان وحكى ان الامر المعمول به فى المدينة القراءة من غير قصص ولا دعاء (ومن المستخرجة) عن ابن القاسم قال سئل مالك عن الذى يقرأ القرآن فيختمه ثم يدعو قال ما سمعت انه يدعو عند ختم القرآن وما هو من عمل الناس (ومن) مختصر ما ليس فى المختصر قال مالك لا بأس أن يجتمع القوم فى القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم فيما يقرأ قال ويكره الدعاء بعد فراغهم (وروى) ابن القاسم أيضا عن مالك أن أبا سلمة بن عبد الرحمن رأى رجلا قائما يدعو رافعا يديه فانكر ذلك وقال لا تقلصوا تقليص اليهود قال مالك التقليص رفع الصوت بالدعاء ورفع اليدين (وروى) ابن القاسم أيضا قال سئل مالك عما يعمل الناس به من الدعاء حين يدخلون المسجد وحين يخرجون ووقوفهم عند ذلك فقال هذا من البدع وأنكر ذلك انكارا شديدا (قال) بعض أصحابنا انما عنى بهذا الوقوف للدعاء فاما الدعاء عند دخوله وخروجه ما شيا فانه جائز وقد وردت فيه آثار عن النبى صلى الله عليه وسلم (وسئل مالك) عن الرجل يدعو خلف الصلاة قائما قال ليس بصواب ولا أحب لأحد أن يفعله (وذكر) ابن شعبان فى كتابه عقب ذكره جملا من هذه الامور المحدثة قال انما كرهه مالك خيفة أن يلحق بما يجب فعله حتى

يتخذ

يتخذ أمرا ماضيا ومالنا نقدر ذلك بل قد وجدنا ما كنا نحذر فاكثر
المسلمين اليوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما شرع قيام رمضان على
هذا الوجه وان ترك ذلك بدعة مع القطع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يجمع فى رمضان الا ليلتين اهفاذا تقرر هذا من مذهب الامام مالك رحمه الله
تعالى فاعلم ان الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت فى جماعة
وأما الدعاء فى السر فهو جائز أو مندوب بحسب الحال وعلى هذا درج
السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله اذا ختم
عنده فى شهر رمضان فى المسجد فى جماعة لم يزد على ما يعهد منه خلف
المكتوبة شيئا وكنا لا نعرف دعاءه بعد الصلاة الا حين يرمق السماء بعينيه
وهذا ضد ما يفعلونه فى هذا الزمان عقب الختم من قراءة القصائد
والكلام المسجع حتى كأنه يشبه الغناء لما فيه من التطريب والهنوك وخلوه
من الخشوع والتضرع والابتهال للمولى الكريم سبحانه وتعالى قال عز
وجل فى كتابه العزيز أمن يجيب المضطر اذا دعاه ولم يقل أمن يجيب
القوال وقد جمع ذلك من البدع أشياء جلية يعرفها من له اطلاع على فعل
السلف الماضين فان خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وما مضى
عليه سلف الامة الماضين رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك
فيتعين عليه أن يمنع ما يفعله بعض الناس بعد الختم وما انضاف اليه مما
لا ينبغى (فمن ذلك) اجتماع المؤذنين تلك الليلة فى موضع الختم فيكبرون
جماعة فى حال كونهم فى الصلاة لغير ضرورة داعية الى المسمع الواحد فضلا
عن جماعة بل بعضهم يسمعون وليسوا فى صلاة وهذا فيه ما فيه من القبح
والمخالفة لسنة السلف الماضين وقد تقدم ذلك ويؤذنون أيضا كذلك (ثم)
انهم زادوا على ذلك اذا خرج القارئ من الموضع الذى صلى فيه أتوه ببغلة أو
فرس ليركبها ثم تختلف أحوالهم فى صفة ذهابه الى بيته (فمنهم) من يقرأ
القرآن بين يديه كلهم يفعلونه أمام جنائزهم وأمامهم المدير على عادتهم
الذميمة والمؤذنون يكبرون بين يديه كتكبير العيد (قال) القاضى أبو الوليد
ابن رشد رحمه الله كره مالك قراءة القرآن فى الاسواق والطرق لوجوه
ثلاثة (أحدها) تنزيه القرآن وتعظيمه من أن يقرأ وهو ماش فى الطرق

والاسواق لما قد يكون فيها من الاقذار والنجاسات (والثانى) أنه اذا قرأ القرآن على هذه الاحوال لم يتدبره حق التدبر (والثالث) لما يخشى أن يدخله ذلك فيما يفسد نيته انتهى (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالفقراء الذاكرين بين يديه (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالاغانى وهو أشدها وان كانت كلها ممنوعة (وبعضهم) يضيف الى ذلك ضرب الطبل والابواق والدف (وبعضهم) الطار والشبابة فى بيته (وبعضهم) يجمع ذلك كله او أكثره ويحضر اذ ذاك من اللهو واللعب تلك الليلة ما هو ضد المطلوب فيها من الاعتكاف على الخير وترك الشر وترك المباهاة والفخر وغير ذلك مما شاكله ثم انهم يعملون أنواعا من الاطعمة والحلاوات فسبحان الله ما أضر البدع وما أكثر شؤمها (حتى) لقد رأيت بعض المشايخ عمل لولده ختما يبعض ما ذكر فلما جاءت السنة الثانية سألته عن ولده فى أى موضع صلى القيام فقال لى أنا منعته من القيام فقلت له ولم قال لان الاصحاب والاخوان والمعارف يطالبونى بالختم فأحتاج الى كلفة كثيرة (فانظر) الى شؤم البدع كيف جرت الى ترك الطاعات وترك المحافظة على حفظ الختمة لان الصبى اذا كان يصلى بالقرآن فى كل سنة بقيت الختمة محفوظة عليه لم ينسها فى الغالب (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت والغالب فى الصبيان انهم لا يقومون فى الليل فاذا لم يصلوا به فى الليل ولم يقوموا به فى رمضان والغالب من حالهم الاشتغال بامر الدنيا والاسباب التى تعوقهم عن معاهدة الختمة فيكون ذلك سببا لنسيانها لا كثرهم

(فصل فى وقود القناديل ليلة الختم) وينبغى فى ليالى رمضان كلها أن يزاد فيها الوقود قليلا زائدا على العادة لاجل اجتماع الناس وكثرتهم فيه دون غيره فيرون المواضع التى يقصدونها وان كان الموضع يسعهم أم لا والمواضع التى يضعون فيها أقدامهم والمواضع التى يمشون فيها الى غير ذلك من منافعهم (ولا يزاد) فى ليلة الختم شئ زائد على ما فعل فى أول الشهر لانه لم يكن من فعل من مضى بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن حد الشرع لما فيها من اضاعة

المال والسرف والخيلاء سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه فان كان فيه شئ من الفضة أو الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة اليه وان كان بغيرهما فهو اضاعة مال وسرف وخيلاء (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو انهم يعلقون ختمة عند الموضع الذى يختمون فيه (ويختلف) أحوالهم فيها فبعضهم يتخذها من الشقق الحرير الملونة (وبعضهم) من غيرها لكنها تكون ملونة أيضا ويعلقون فيها القناديل وذلك محرم وسرف وخيلاء واضاعة مال واستعمال لما لا يجوز استعماله من الحرير وغيره (وبعضهم) يجعل الماء الذى فى القناديل ملونا (وبعضهم) يضم الى ذلك القناديل المذهبة أو الملونة أو هما معا وهذا كله من باب السرف والخيلاء والبدعة واضاعة المال ومحبة الظهور والقيل والقال فكيفما زادت فضيلة الليالى والايام قابلوها بضدها أسأل الله تعالى العافية بمنه (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يستعيرون القناديل من مسجد آخر وهو لا يجوز لان قناديل هذا المسجد وقف عليه فلا يجوز اخراجها منه ولا استعمالها فى غيره (ومنهم) من يفعل ما هو أشد مما ذكر وهو أن من كان عنده فرح فى طول السنة استعار القناديل من مسجد واستعملها فى بيته للسماع والرقص وما شاكل ذلك ثم أفضى ماذكر من الوقود الى اجتماع أهل الريب والشك والفسوق ومن لا يرضى حاله حتى جر ذلك الى اجتماع الرجال والنساء فى موضع واحد مع اختلاط بعضهم ببعض وانضاف الى ذلك بسبب كثرة الوقود اجتماع اللصوص وتشويشهم على بعض الحاضرين وانضاف اليه أيضا كثرة اللغط فى المسجد ورفع الاصوات فيه والقيل والقال اذ انه يكون الامام فى الصلاة وكثير من الناس يتحدثون ويخوضون فى الاشياء التى ينزه المسجد عن بعضها فى غير رمضان فكيف بها فى شهر رمضان العظيم فكيف بها فى ليلة الختم منه فليتحفظ من هذا كله وما شاكله جهده (وهذا) اذا كان الزيت من مال الانسان نفسه (وأما) ان كان من ريع الوقف فلا يختلف أحد فى منعه (ولو) شرط الواقف ذلك لم يعتبر شرطه (لقوله) عليه الصلاة والسلام كل شرط ليس فى كتاب الله تعالى فهو باطل وان كان مائة شرط انتهى (ولانه) من باب السرف والخيلاء وقد تقدم

وهذه عادة قد استمر عليها بعض أهل الوقت سيما في المسجد الجامع سيما
في مسجد دمشق فانهم يفعلون فيه افعالا لا تليق بسبب سكوت بعض العلماء
عن ذلك فانا لله وانا اليه راجعون على انقلاب الحقائق اذ انهم لو فعلوا ذلك
وهم يعتقدون أنه سرف وبدعة كما تقدم لرجيت لهم التوبة والاقلاع ولكن
زادوا على ذلك اعتقادهم ان فعل ذلك من اظهار شعائر الاسلام واذا تقرر
هذا عندهم فلا يتوب أحد من اظهار الشعائر وفعلها فمن أراد السلامة
من هذا الامر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع جهده فان عدم الاستطاعة
فلا يصلي فيه تلك الليلة لان بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون
حجة ان كان قدوة للقوم بان ذلك جائز غير مكروه لقول من يقول قد كان
سيدي فلان يحضره ولا يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضي به وهذا
والحالة هذه زيادة في الدين وهي مسئلة معضلة اذ أن اثم ذلك كله على من
فعله أو امر به أو استحسنه أو رضي به أو اعان عليه بشيء ما أو قدر على تغييره
بشروطه فلم يفعل وكذلك الحكم في كل شيء أحدث في الدين فليجتنب هذا
جهده والله الموفق (ولا حجة) ان يقول انه مضطر للصلاة فيه لتحصيل فضيلة
الجماعة اذ أن الفضيلة موجودة في غيره من المساجد ان كان سالما مما ذكر
ويتأكد الترك في حق من هو قدوة لقول مالك رحمه الله اذا حضرت أمرا
ليس بطاعة لله ولا تقدر أن تنهى عنه فقبح عنهم واتركهم لقوله عليه الصلاة
والسلام لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق اذا شهده أو علمه نقله
ابن يونس في كتابه (فان فرض) انه لا يجد مسجدا سالما مما تقدم ذكره
فليصل في بيته فهو أفضل له وأقرب الى رضاء ربه سيما في هذا الزمان اذ
أن أقرب ما يتقرب به المتقربون الى الله سبحانه وتعالى اليوم بغض البدع
ومحبة السنن والعمل عليها ومحبة أهلها وموالاتهم اذ أن هذا الفن قد
اندرس الا عند من وفقه الله وقليل ما هم (وينبغي له) أن يتجنب في نفسه
وينهى غيره عما أحدثه بعضهم من احضارهم الكيزان وغيرها من أواني
الماء في المسجد حين الختم فاذا ختم القارئ شربوا من ذلك الماء ويرجعون به
الى بيوتهم فيسقونه لأهليهم ومن شاءوا على سبيل التبرك وهذه بدعة
لم تنقل عن أحد من السلف رضي الله عنهم (وهذا) الذي ذكر لا يختص بليلة

الختم بل هو عام فى كل ليلة فعلوا ذلك فيها مثل ما يفعلونه فى ليالى الاعياد والتهاليل والمآتم وليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب وآخر أربعاء من السنة التى اتخذوها لزيارة القبور فمن لم يحضر ذلك منهم كأنه فاتته شعيرة من شعائر الدين وذلك كله على ما يعلم منهم من صفة خروجهم واجتماعهم رجالا ونساء وشبانا الى غير ذلك على ما تقدم فان توقع شيئا مما يخالف السنة على ما تقدم فصلاته فذ فى بيته أفضل له من الصلاة فى المسجد اذ ذاك ان لم يقدر على تغيير ما هنالك والله المستعان (وينبغى له) أن يتجنب ما أحدثوه من البدع فى تواعدهم للختم فيقولون فلان يختم فى ليلة كذا وفلان فى ليلة كذا ويعرض ذلك بعضهم على بعض ويكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غالبا من انتصاف شهر رمضان الى آخر الشهر فليحذر من ذلك فى نفسه وينهى غيره عنه اذا نه لم يكن من فعل من مضى أعنى فى مواعدتهم فى الختم فى شهر رمضان (وأما) ان كان انسان يريد أن يختم لنفسه فى أى وقت كان من السنة فيجمع أهله لتعمهم الرحمة لان الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم فذلك جائز لفعل أنس رضى الله عنه وقد تقدم (وانما) نهى عن ذلك فى شهر رمضان لوجهين (أحدهما) ما تقدم من كونه لم يكن من فعل من مضى (والثانى) خيفة مما قد وقع وهو أن يعتقد أنها شعيرة من شعائر الدين ولو فعلوا ذلك فى بيوتهم فى طول السنة لكان ذلك بدعة أيضا اذ أن السنة الماضية فى هذا وأمثاله اخفاؤه مهما أمكن فهذا ذكر بعض ما أحدثوه فقس عليه كل ما رأيته مما لم نذكره تصب ان شاء الله تعالى

(فصل فى ذكر آداب المؤدب) اعلم رحمنا الله وإياك ان ما تقدم ذكره من الآداب فى حق من تقدم انما ذلك كله فرع عن هذا الاصل اذ أن أصل كل خير وبركة انما هو كتاب الله عز وجل اذ هو معدن الجميع وهو ينبوع كل علم نافع (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن يكون حامله من أكثر الناس فى التعظيم لشعائره والمشى على سنن من تقدمه فى تعظيمه ذلك واكرامه (واذا) كان ذلك كذلك فهو مضطر محتاج الى تحسين النية فيه أكثر من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به

عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة اه ومعلوم على ما تقدم ان أصل الخير انما هو القرآن فهو أعلى أعمال الآخرة فيحفظ نفسه من أن يجلس لسبب الاستجلاب للرزق لأنه ان فعل ذلك فقد أراد به عرضا من الدنيا فيدخل تحت هذا الوعيد العظيم أسأل الله تعالى السلامة من ذلك بمنه اذا ان استجلاب الرزق لا يسوقه حرص حريص (واذا) كان ذلك كذلك فان هو جلس له فهو تحصيل حاصل اذ أن الرزق لا يزيد ولا ينقص بذلك وقد حرم نفسه خيرا عظيما وثوابا جزيلا (ولا) يظن ظان ان الترك انما يكون بالانتقال عما هو فيه بل يستصحب الحال على ما هو عليه لكن ببذل النية يستقيم الحال ان شاء الله تعالى (وكيفية ذلك) بتوفيق الله تعالى أن ينوي بما يفعله من ذلك الامتثال لأمر الله تعالى وارشاد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه اه والمراد بالخير هنا خير الآخرة أي ان عمال الآخرة كلهم هذا هو مقدمهم اذ أن منه انفتح سلوك طريق الآخرة وهو الطريق الى الله تعالى لان أصل ذلك معرفة الخط والاستخراج والحفظ والضبط والفهم للمسائل وذلك كله مفتاحه المؤدب فهو أول باب من أبواب التوفيق دخله المكلف واذا كان ذلك كذلك فقد ظهرت مزيته وكيف لا وهو حامل كلام الله الذي ليس كمثله شئ (وقد) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت اه (وهذا منه) رضي الله عنه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون تلفظه بالسبعين كناية منه عما لا نهاية له اذ أن من عادة العرب أنها تطلق السبعين على ما لا نهاية له ومنه قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان نزل عليه ذلك حمل الامر على ظاهر اللفظ فقال عليه الصلاة والسلام والله لأزيدن على السبعين ما لم أنه فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم (والوجه الثاني) أن يكون ذلك منه على وجه التقريب والا فالامر يجل عن أن يأخذه حصر أو حد (وانظر) بعين الحقيقة الى قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فانك اذا نظرت الى هذا وجدته مشاهدا مرئيا بالعلم القطعي اذ أن البحار كلها على عظمها

وكثرتها

وكثرتها ومددها الدائم مفتقرة الى من يمدها لان كل نقطة منها محتاجة
لكتب ما يجرى عليها من الاحكام من حين بروزها من العدم الى الوجود
ومن اى موضع برزت ومن اى شئ أصلها وعلى اى موضع تسلك ومن ينتفع
بها وما يطرأ عليها من الأعراض وفى اى موضع تستقر فهى لا تقوم بنفسها
لما تحتاج اليه فبقيت العوالم كلها دون شئ تكتب به وهذا معنى كلام
سيدى أبى محمد رحمه الله تعالى وهذا تنبيه لمن له يقظة فينظر ويعتبر
(وقد) يجتمع للمؤدب خير الدنيا والآخرة وهو الغالب لما ورد فى الاثر اخبارا
عن رب العزة عز وجل حيث يقول يا دنيا اخدمى من خدمنى وأتعبى من
خدمك اه (فاذا) كانت نيته بجلوسه لله تعالى لأن يعلم آية مجاهل بها
ولكى يصح صلاة المسلمين بتعليمه أم القرآن الى غير ذلك من نفعه العام
للصغير والكبير فهو قد بدأ بحظه من آخرته وقد قال عليه الصلاة
والسلام من بدأ بحظه من دنياه فانه حظه من آخرته ولم ينل من دنياه
الا ما كتب له ومن بدأ بحظه من آخرته نال حظه من آخرته ولم يفته من
دنياه ما قسم له أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) تقرر أن الدنيا تجيء
راغمة لطلاب الآخرة فكم من زاهد فيها ومتورع وفقير ومتوجه صادق
فى تنزهه وتوجهه وعالم صادق فى علمه وطالب علم صادق فى تعلمه وعارف
ومبتدئ ومنتهى أتتهم الدنيا وهى راغمة مع فراغهم لها بهم بصدده (كل
ذلك) أصله ما جلس هذا اليه فالكل فرع عنه وراجع اليه (فينبغى له) أن
يعظم ما اكرمه الله تعالى به من هذا المجلس الشريف وان لا يشينه بشين
المخالفة والاعتقاد الردىء والدسائس والنزغات التى تطرأ على بعض الناس
فى ذلك وهى كثيرة (ودواء ذلك) ان وقع صدق الافتقار الى الله تعالى وقوة
الثقة بمضمونه والنزول بساحته والاتصاف بصفات المحتاجين المضطرين
الذين لا رب لهم ولا اختيار الا مولاهم فهو مقصودهم ومطلوبهم الذى عليه
يعولون واليه يلجئون وعليه يتوكلون اذ انه سبحانه وتعالى لا يرد قاصده
ولا يخيب من سأله وهو اكرم واجل من ان لا يعطى حتى يسئل فكيف بمن
نزل بساحته وتضرع اليه والقى كنفه بين يديه فاذا فعل ماذكر عادت بركة
ذلك عليه سرا وعلنا اما حسا واما معنى او كلاهما (وقد) ذكر الشيخ ابو عبد

الله القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب التفسير له حديثا قال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الارض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للمعلم وبراءة للصبي وبراءة لأبويه من النار اه (واذا) كان ذلك كذلك فينوي في جلوسه للتعليم ما تقدم ذكره في حق العالم وآدابه وهديه وهذا من باب أولى أن يكون مطلوبا بذلك كله لانه الاصل كما تقدم وغيره فرع عنه (وانما) وقع تأخير ذكره الى هنا وان كان هو الاصل كما تقدم لما مضى أول الكتاب ان العالم نفعه عام لاجل ما احتوى عليه من مصلحة الدين واقامة منار الاسلام وفتاويه التي يعبد الله تعالى بها ولا يعصى وقد تقدم في العالم ان نيته تكون لاظهار دين الله تعالى ومعرفة أحكامه اللازمة له ولغيره ولا ينظر الى المعلوم ولا يلتفت اليه فان جاءه شيء من ذلك أخذه على سبيل انه فتوح من الله تعالى ليستعين به على ما هو بصدده وكذلك ما هنا سواء بسواء (فيركب) الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية و يكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة لا يشرف بعضهم على بعض فابن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم وكذلك من أعطاه ومن منعه اذ بهذا يتبين صدق حاله فيما هو بصدده فان كان يعلم من أعطاه أكثر ممن لم يعطه فذلك دليل على كذبه في نيته كما تقدم في العالم اذا تعذر عليه المعلوم فتسخط وتضجر دل ذلك على فساد نيته فكذلك ما هنا بل يكون من لم يعطه أرجى عنده ممن يعطيه لان من لم يعطه تمحض تعليمه لله تعالى بخلاف من أعطاه فانه قد يكون مشوبا بدسيسة لا تعلم السلامة فيه معها والسلامة أولى ما يغتنم المرء فيغتنمها العاقل (فاذا) جلس لما ذكر فلا ينبغي له أن يبوح بنيته لأحد ولا يذكرها له في هذا الزمان بل يفعل ذلك سرا في نفسه مع ربه عز وجل لا يطلع عليه غيره فانه سبحانه وتعالى يعلم ما تخفي الصدور وقد تقدم ان النية لا يجهر بها في الصلاة فان جهر بها فقولان هل تكره أم لا (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم أجمعين مع كثرة معرفتهم لا يبالون أين يضعونه فكيف بقارئ القرآن فكيف بمن انقطع لتعليمه

لله سبحانه وتعالى وكثير من أهل هذا الزمان على عكس حال من تقدم
(فاذا) تقرر عند أحد من الناس اليوم فى الغالب ان المعلم يعلم كتاب الله لله
عز وجل فقل من يعطيه شيئا فيجيء من ذلك ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله
تعالى يقوله اذا وجد الفقير فى هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لاحد
فهو من اكبر الكرامات وكان يعلل ذلك ويقول ان الناس قد انقسموا
فى هذا الزمان على قسمين فى الغالب فمنهم معتقد ومنهم مسيء الظن فالمسيء
الظن ان لم يضرك لا ينفعك والمحسن الظن قد خرج بحسن ظنه عن الحد فيمدّ
من الملائكة والملائكة لا تأكل ولا تشرب فما يصلك منه نفع أصلا فاذا وجد
الفقير القوت فى زمان من هذا حالهم كان ذلك كرامة فى حقه اذ أن الكرامة
انما هى خرق العادة وما جرى لهذا فيه خرق عادة والمؤدب مثله سواء بسواء
فاذا شعر وامنه أنه يعلم لله تعالى فالغالب عليهم انهم لا يعطونه شيئا لعدم
مطالبته اياهم هذا حالهم فى أمور آخرتهم بخلاف أسباب دنياهم عكس
ما تقدم من أحوال السلف رضى الله عنهم (الا ترى) الى ما حكى عن الشيخ
أبى محمد بن ابى زيد رحمه الله تعالى انه لما ان دخل ولده المكتب وقرأ الحمد
لله رب العالمين جاء الى والده بلوح الاصرافة فأعطاه مائة دينار يعطيها
للفقيه فلما ان حصلت عند الفقيه اجتمع بالشيخ وقال له ياسيدى وأى شيء
عملته حتى تقابلنى بهذا العطاء فقال له والله لا قرأ عليك ابنى شيئا بعد اليوم
فقال له ولم ذلك فقال لانك استعظمت ما حقر الله تعالى وهو الدنيا
واستصغرت ما عظم الله تعالى وهو القرآن والغالب على الناس اليوم هذا
الحال وهو استعظام الدنيا فى قلوبهم واستصغار ما كان من امر الآخرة فاذا
تقرر ذلك فلا يظهر المؤدب فى هذا الزمان انه جاس يقرئ لله عز وجل بل
يظهر انه جاس للعلوم ونيته لله تعالى كما تقدم

(فصل فى ذكر اسباب اولياء الصبيان) وينبغى له انه اذا كان عنده
احد من اولاد من يتسبب بسبب حرام على انواعه من مكس او ظلم او
غيرهما فلا يأخذ مما اتى به الصبى من تلك الجهة شيئا اللهم الا ان يكون
يأتيه من غير تلك الجهات المحذور منها من جانب الشرع فلا بأس به مثل ان
يأتيه بشيء من جهة امه او جدته او غيرهما من وجه مستور بالعلم لكن

يشترط فى اقرائه للولد الذى يكون متصفا وليه بما ذكر ان لا يبالى والد الصبى باقبال عليه ولا بسلام ولا بكلام ولا جواب اذ انه يجب عليه التغيير عليه وعلى امثاله بشروطه فاذا لم يسمع ولم يرجع لم يبق فى حقه من التغيير الا الهجران له واذا سلم عليه فقد خرج بذلك عن هجرانه وذلك حرام (وقد رأيت بعض من له تحرز عنده ولده والد وكيل على بعض الجهات الممنوعة شرعا اذا جاءه وسلم عليه لا يرد عليه سلاما واذا كلمه لا يرد عليه جوابا وكان لا يأخذ من الصبى شيئا الا من جهة امه أو جدته أو غيرهما ممن هو سالم مما تقدم ذكره فان تعذرت جهة الحلال فلا يأخذ شيئا ويحذر من هذا جهده فانه من باب أكل أموال الناس بالباطل اذ أنهم يأخذونه من أربابه بالظلم والمصادرة والقهر وهو يأخذه على ظاهر انه حلال فى زعمه وهذا أعظم فى التحريم من الاول وان كان كله حراما وهذا الذى ذكر فى نيته على سبيل الاولى والأرجح (ويجوز له) أن يقرئ الناس القرآن بعوض لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق ما أخذتم عليه اجرا كتاب الله أخرجه البخارى فهذا نص صريح على انه أحل شئ يكون (ومن كتاب البيان والتحصيل) سئل مالك رحمه الله عن اجارة المعلمين فقال لا بأس بذلك يعلم الناس الخير فيعطى قيل له انه يعلم مشاهرة ويطلب ذلك فقال لا بأس به ما زال المعلمون عندنا بالمدينة يفعلون ذلك انتهى لكن ما قدمناه أولى ان أمكنه ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن أو كما قال عليه الصلاة والسلام ومن أكبر الزهد فى الدنيا خلو القلب عنها وترك النظر اليها وترك السبب هذا هو الذى ينبغى أن يكون عليه حال حامل القرآن اذ أنه اكمل الاحوال فينبغى ان يكون حاله اكمل الاحوال وان كانت نفسه تتشوف الى المعلوم فالاقتداء بالكرام فى الصورة الظاهرة نعمة شاملة والمرجو من الذى انعم عليه بذلك ان يتمم نعمته بالاتباع فى الباطن ومن نزل ساحة الكرام فهو محمول نسأل الله تعالى الكريم ان يحملنا بفضله ويحمل عنا بمنه لا رب سواه

(فصل فى صفة توفيته بما نواه) وينبغى له أنه اذا نوى ما ذكر فليجتهد فى التعليم اكثر من تعليم من يأخذ العوض على ذلك لانه اذا كان يقرئ بغير

عوض تمحض لله تعالى فكان أرجى فى صحة اخلاصه وبعض الناس يفعل
ضد هذا وهو أنه اذا كانت نيته لله تعالى لا لأخذ عوض يفعل ذلك على
سبيل الاستراحة والتوانى ان تفرغ لذلك فعله والا تركه محتجا بأن ذمته
برئت لعدم أخذ العوض عليه وما يشعر انه قد أوقع نفسه فى امر خطر لقوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا
مالا تفعلون وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود فاذا كان ذلك
كذلك فيكون حرصه على العمل الذى نواه لله تعالى ان يوفى به اكثر مما
يأخذ العوض عليه كما تقدم وذلك مثل من يصلى بالناس بغير عوض وآخر
يصلى بعوض فيكون الذى يصلى بلا عوض أحرص على المواظبة والمبادرة
من الذى يصلى بالعوض بل يزيد عليه فى ذلك المعنى حرصا منه على التوفية
بما التزمه لله عز وجل فلو قال نويت بتعليمى لله عز وجل ان قدرت على
ذلك فان فعله حصل له الثواب وان تعذر فلا حرج عليه ولا يدخل فى الآية
الكريمة المتقدم ذكرها وهذا عام فى جميع افعال البر التى يفعلها المسلم
فليحافظ على ذلك جهده والله المسئول فى التجاوز عن التقصير بمنه (وقد)
يضطر بعض المؤدبين الى أخذ العوض واذا كان ذلك كذلك فينبغى ان
يكون باجرة معلومة وهو احل ما يأكله المرء لقوله عليه الصلاة والسلام
ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله وقد تقدم اه واذا اخذ العوض
فليحترز فى نفسه ان يزيد على ذلك شيئا من جهة الصبى من غير ان يأذن وليه
فى ذلك فان فعل من غير اذنه فهو حرام عليه واكله لذلك سحت لان الصبى
محجور عليه وليس له تصرف فى ماله ان كان له مال

* (فصل فيما يأمر به المؤدب الصبى من الاداب) * وينبغى له بل يتعين عليه ان
لا يترك احدا من الصبيان يأتى الى الكتاب بغذائه ولا بفضة معه ولا فلوس
ليشترى شيئا فى المكتب لان من هذا الباب تتلف احوالهم وينكسر خاطر
الصغير الفقير منهم والضعيف لما يرى من جدة غيره فيدخل بذلك فى قوله
عليه الصلاة والسلام من ضار مسلما ضاره الله تعالى به انتهى لان ولد الفقير
يرجع الى بيته منكسر الخاطر مشوشا فى نفسه غير راض بنفقة والديه عليه
لما يرى من نفقة من له اتساع فى الدنيا ويترتب على ذلك من المفاسد جملة قل

أن تحصر وفيما أشرنا اليه كفاية (وينبغي له) أن لا يدع أحدا من البياعين يقف على المكتب ليبيع للصبيان اذ فيه من المفاسد ما أشرنا اليه ان اشترى منه (وينبغي) للمؤدب أن لا يكثر الكلام مع من مر عليه من اخوانه اذ ما هو فيه آكد عليه من الحديث معه لانه مشتغل بأكبر الطاعات لله تعالى اللهم الا أن يتعين عليه فرض أو أمر هو أهم في الوقت مما هو فيه ففعم وكثير من المؤدبين تجدهم بضد هذا الحال يتحدثون كثيرا مع الناس من غير ضرورة شرعية والصبيان يبطلون ما هم فيه ويلهون عنه ويلعبون فليحذر من هذا أن يقع منه (وينبغي له) ان يكون موضع الكتاب بالسوق ان امكن ذلك فان تعذر ذلك فعلى شوارع المسلمين او في الدكاكين ويكره ان يكون بموضع ليس بمسلوك للناس فان الصبيان يسرع اليهم القيل والقال فاذا كان بالسوق او على الطريق او في الدكاكين ذهب عنهم ذلك وفيه فائدة أخرى عظيمة وهي اظهار الشعائر لأنه أجلها (وكذلك) يحذر ان يتخذ الكتاب في المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم اه (ولا) ينبغي أن يكون المكتب في موضع يخفى عن أعين المارين في الطريق اذ في ذلك من المفاسد ما لا يخفى (وقد تقدم) ان الصبيان يكونون عنده على حد واحد فابن الفقير وابن الغني سواء واذا كان ذلك كذلك فلا يترك دكة تدخل له الكتاب لان في ذلك ترفيعا لابن الغني على غيره وانكسار الخاطر الفقير واليتيم والموضع موضع جبر لا موضع كسر اذ اللائق بحامل القرآن أن يكون بموضع من العدل والتواضع والخير فتكون بداية أمر الصبيان على المنهج الاقوم والطريق الأرشد (وينبغي) أن يكون الموضع الذي يتصرف فيه الصبيان لضرورة البشرية معلوما اما أن يكون وقفا واما أن يكون ملكا اباحه صاحبه ويؤمن على الصبيان فيه فان عدما معا وعدم الأمن فكل واحد يمضي الى بيته ليزيل ضرورته ثم يعود واذا خرج أحد من الصبيان لقضاء حاجته فلا يترك غيره يخرج حتى يأتي الاول لانهم اذا خرجوا جميعا يخشى عليهم من اللعب بسبب الاجتماع وقد يبطئون في الرجوع الى المكتب وهو الغالب على حالهم (وينبغي له) اذا احتاج الصبي الى غذائه أن يتركه يمضي الى بيته لغذائه ثم يعود لانه ستر على الفقير وفيه أيضا تعليم الادب

للصبيان فى حال صغرهم لان الاكل ينبغى أن لا يكون الا بين الاخوان والمعارف دون الاجانب فاذا نشأ الصبى على ذلك كان متأدبا بآداب الشريعة فيذهب عنه ما يتعاطاه بعض عامة الناس فى هذا الزمان من الاكل على الطريق وفى الاسواق وبحضرة من يعرفه ومن لا يعرفه لان ذلك ليس من السنة ولا من شيم الكرام وقد قيل لا يأكل على الطريق الا كريم او لئيم وقد وقع النهى عن الاكل والعينان تنظران (فاذا) مضوا الى ذلك فينبغى أن يقيم السطوة عليهم اذا غابوا اكثر مما يحتاجون اليه لئلا يكون ذلك ذريعة الى اجتماع بعضهم مع بعض ووقوع ما لا ينبغى منهم (وينبغى له) أن يتولى تعليم الجميع بنفسه ان أمكنه ذلك فان لم يمكنه وتعذر عليه فليأمر بعضهم أن يقرئ بعضا وذلك بحضرته وبين يديه ولا يخلى نظره عنهم لانه اذا غفل قد تقع منهم مفاسد جملة لم تكن له فى بال لان عقولهم لم تتم ومن ليس له عقل اذا غفلت عنه وقتا ما فسد أمره وتلف حاله فى الغالب سيما فى هذا الزمان كما هو معلوم (وينبغى) له اذا وكل بعضهم ببعض أن لا يجعل صبيانا معلومين لشخص واحد منهم بل يبدل الصبيان فى كل وقت على العرفاء مرة يعطى صبيان هذا لهذا وصبيان هذا لهذا لانه اذا كان لواحد صبيان معلومون فقد تنشأ بينهم مفاسد بسبب الود لا يشعر بها فاذا فعل ما تقدم ذكره سلم من هذا الامر ويفعل هو فى نفسه مثل ذلك فيأخذ صبيانهم تارة ويدفع لهم آخرين فان كان الصبيان كلهم صغارا فلا بد من مباشرة ذلك كله بنفسه فان عجز عنه فليأخذ من يستنيبه من الحفاظ المأمونين شرعا باجرة أو بغيرها (وينبغى له) أن يمتثل السنة فى الاقراء ومن جملة ذلك ان السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين انما كانوا يقرئون أولادهم فى سبع سنين لانه زمن يؤمر الولى أن يكلف الصبى بالصلاة والآداب الشرعية فيه فاذا كان الصبى فى ذلك السن فهو غير محتاج الى من يأتى به الى المكتب ان أمن عليه غالبا فان لم يأمن عليه فيرسل معه وليه من يثق به فى ذهابه الى بيته لضرورته وغذائه ومن يأتى به الى المكتب فهو أسلم عاقبة من أن يكون الذى يتولى ذلك من المكتب والغالب فى هذا الزمان انهم يدخلون أولادهم المكتب فى حال الصغر بحيث انهم يحتاجون

الى من يربيهم ويسوقهم الى المكتب ويردهم الى بيوتهم بل بعضهم يكون سنه بحيث لا يقدر أن يمسك ضرورة نفسه بل يفعل ذلك فى المكتب ويلوث به ثيابه ومكانه فليحذر من أن يقرى مثل هؤلاء اذ لا فائدة فى اقرائه لهم الا وجود التعب غالبا وتلويث موضع القرآن وتنزيهه عن ذلك متعين أعنى بالنسبة الى عدم انتفاع الصبيان بالقراءة فى ذلك السن غالبا الا ترى أن الغالب منهم انهم يرسلون أولادهم الى المكتب فى حال صغرهم لكى يستريحوا من تعبهم لاجل القراءة وحامل القرآن يجل منصبه الرفيع عن تربيته من هذا حالهم وفى اقرائه لغيرهم سعة وفائدة (وينبغى) أن يعلمهم آداب الدين كما يعلمهم القرآن فمن ذلك انه اذا سمع الاذان أمرهم أن يتركوا كل ما هم فيه من قراءة وكتابة وغيرهما اذ ذاك فيعلمهم السنة فى حكاية المؤذن والدعاء بعد الاذان لانفسهم وللمسلمين لان دعاءهم مرجو الاجابة سيما فى هذا الوقت الشريف ثم يعلمهم حكم الاستبراء شيئا فشيئا وكذلك الوضوء والركوع بعده والصلاة وتوابعها ويأخذهم فى ذلك قليلا قليلا ولو مسئلة واحدة فى كل يوم أو يومين (وليحذر) أن يتركهم يشتغلون بعد الاذان بغير أسباب الصلاة بل يتركون كل ما هم فيه ويشتغلون بذلك حتى يصلوا فى جماعة وقد تقدم انهم فى قضاء حاجتهم يمضون الى موضع وقف أو موضع ملك أبيح لهم أو الى بيوتهم فكذلك ههنا سواء بسواء ويصلون جميعا فى المسجد الذى يصلى فيه مؤدبهم فان خاف عليهم من اللعب او العبث فيصلون فى المكتب جميعا ويقدمون اكبرهم فيه فيصلى بهم جماعة (وينبغى له) أن يعودهم الصلاة فى المسجد مع الجماعة ولا يسامحهم فى ترك الصلاة فيه ولا يعودهم الصلاة افذا ذا الان المسئلة مختلف فيها أعنى شهود الجماعة هل هى فرض او سنة فذهب جماعة من العلماء الى أن الصلاة لا تصح الا فى جماعة (فاذا) فرغوا من الصلاة وتوابعها رجعوا الما بقى عليهم من الوظائف فى المكتب (وينبغى) ان يكون وقت كتبهم الالواح معلوما ووقت تصويبها معلوما ووقت عرضها معلوما وكذلك قراءة الاحزاب حتى ينضبط الحال ولا يختل النظام ومن تخلف عن ذلك الوقت منهم لغير ضرورة شرعية قابله بما يليق به فرب صبى يكفيه عبوسة وجهه عليه وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ

والتهديد

والتهديد وآخرا لا ينزجر الا بالضرب والاهانة كل على قدر حاله (وقد جاء) ان الصلاة لا يضرب عليها الا لعشر فاسواها اخرى فينبغي له ان يأخذ معهم بالرفق مهما أمكنه اذ أنه لا يجب ضربهم في هذا السن المتقدم ذكره فاذا كان الصبي في سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه ضربه ضربا غير مبرح ولا يزيد على ثلاثة أسواط شيئا بذلك مضت عادة السلف رضي الله عنهم فان اضطر الى زيادة على ذلك فله فيما بين الثلاثة الى العشرة سعة (لكن) لا بد أن تكون الآلة التي يضرب بها دون الآلة الشرعية التي تقام بها الحدود وهي ما ذكره مالك رحمه الله تعالى في موطائه عن زيد بن أسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فأتي بسوط مكسور فقال فوق هذا فاتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فاتي بسوط قد ركب به ولان فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد اه ولا يكون الادب بأكثر من العشرة وهو ضامن لما يطرأ على الصبي ان زاد على ذلك (وليحذر) الحذر الكلي من فعل بعض المؤدبين في هذا الزمان وهو انهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس والجريد المشرح والاسواط النوبية والفلقة وما أشبه ذلك مما أحدثوه وهو كثير ولا يليق هذا بمن ينسب الى حمل الكتاب العزيز فاذا أن حاله كما ورد في الحديث من حفظ القرآن فكأنما ادرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه اه (وينبغي له) ان يعلمهم الخط والاستخراج كما يعلمهم حفظ القرآن لانهم بذلك يتساطون على الحفظ والفهم فهو اكبر الاسباب المعينة على مطالعة الكتب وفهم مسائلها (وينبغي له) بل يجب عليه ان يكون لمسح الالواح موضع طاهر مصان نظيف لا يمشى فيه بالاقدام ثم مع ذلك ياخذ الماء الذي يجتمع من المسح فيحفر له في مكان طاهر مصان عن ان يطأه قدم ويجعل فيه او يلقى في البحر او البئر او يجعل في اناء طاهر لكي يستشفى به من يختار ذلك وكذلك الماء الذي يغسل به الخرق بعد المسح يجعل في موضع بحيث لا يمتهن ويشترط في الخرق التي يمسح بها الالواح ان تكون طاهرة وان يكون الماء الذي تبل منه حين يمسح به طاهرا والافضل ان يكون الماء غير مستعمل وان

الآخر فى المطعم والصبى محجور عليه كما تقدم ووليه لم يرض بذلك سيما ان كان ليتيم فلا يجوز ابداله ولا يجوز لوليه أن يأذن فى مثل ذلك (وبعض) المؤدبين يفعل فعلا قبيحا شنيعا محرما وهو أنه يأكل مع الصبيان من أغذيتهم ويطعم من يختاره ومن يجتمع به ويرسل منها الى بيته ما يختار وهذا نوع من الخلسة (ولو) فرضنا ان الصبيان بقى لهم غذاؤهم ولم يمسه غيرهم فأكلوا منه ما شاءوا وبقيت منه بقية وتركوها فى المكتب رغبة عنها جاز للمؤدب أن يأخذها وينتفع بها وينبغى له أن يعلم أولياء الصبيان بذلك أن كانوا جماعة أو واحدا ان انفرد هذا ما لم يكن ليتيم كما تقدم اللهم الا أن يكون الصبى لم يأكل شيئا من غذائه وتركه كله فى المكتب فلا يجوز للمؤدب أن يقدم على أخذه الا باعلام والد الصبى والا فلا بخلاف ما تقدم لانها فضلات عن شبعهم (وأما) ما يحتاجه الصبيان من الماء للشرب فجائز أن يأخذ من كل واحد منهم شيئا بقدر الحاجة ويكون ذلك بينهم بالسوية فيشترى به ماعون الماء والماء ولا يمكن الصبيان من الذهاب الى بيوتهم للشرب وان كان بيت بعضهم قريبا لان ذلك مما يتكرر فى الغالب (واذا) كان الامر كذلك فينبغى بل يتعين أن لا يشرب معهم غيرهم الا ان يأذن فى ذلك آباؤهم فان كان فيهم يتيم فلا يأخذه منه شيئا ثمن الماء ولا غيره والحالة هذه ويصير من جملة من أذن له فى الشرب ويستحق ذلك فى حق مؤدبهم (وقد تقدم) ان سكنى دور القرافة تمنع واذا كان ذلك كذلك فلا يتخذ فيها مكتبا للعلة المذكورة ومن فعل ذلك فقد خالف ولا حاجة تدعو الى تفصيله فان الحكم فيه معلوم لمن وفق له

(فصل فى انصراف الصبيان من المكتب) وانصراف الصبيان واستراحتهم يومين فى الجمعة لا بأس به وكذلك انصرافهم قبل العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة وكذلك بعده بل ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فاذا استراحوا يومين فى الجمعة نشطوا لسماعها (وينبغى له) أن لا يدع أحدا عنده من الصبيان ممن فيه رائحة ما من الخصال الذميمة اذ أن ذلك سبيل للوقيعة فى حق بعض من فى المكتب عنده وقد يفضى ذلك الى أن يشتهر مكتبه بما لا ينبغى فقد ينسب الى المؤدب ما لا يليق بمنصبه وفيه مفسدة أخرى وهو أنه قد يكون سببا الى

عدم

عدم مجيء الصبيان اليه أو قلتهم فيحصل بذلك تمزيق العرض وقلة الرزق فليحذر من ذلك جهده والله المستعان (وينبغي له) أن يتجنب ما يفعله بعض عوام المؤدبين من أنه اذا قل عنده الصبيان أو فتح مكتبا وليس فيه أحد فانه يكتب أوراقا ويعلقها على باب المكتب ليكثر مجيء الصبيان اليه وهذا لا يفعله الا سفهاء الناس وفيه استشراف النفس لتحصيل الدنيا وقد تقدم ومنصب المؤدب يجل عن هذا واشباهه (وينبغي) أن لا يقبل من أحد من الصبيان شيئا ممن يأتي به اليه من الاطعمة التي يعملها بعض الناس في مواسم أهل الكتاب فان قبوله لذلك من باب التعظيم لمواسمهم وفي التعظيم لمواسمهم تعظيم لهم وتعظيمهم فيه ما فيه (وقد) يكون ذلك سببا الى أنهم يعتقدون أن دينهم هو الحق وان غيره هو الباطل ما يرون من تعظيم المسلمين لهم كما تقدم (وفيه) عدم الانكار والتغيير على من فعل ذلك من المسلمين واتاه به بل يرده عليه ويزجره عن فعله ويبين له ولغيره ان ذلك لا يجوز لما تقدم (وبعض المؤدبين) في هذا الزمان يفعل ما هو أشنع من هذا وهو أنه يطلب ذلك بنفسه (وبعض المؤدبين) يطلب من بعض الصبيان الذين عنده فلوسا يأتون بها اليه حتى يصرفها في مواسم أهل الكتاب وهذا أشنع مما قبله وبعض المسلمين يطلبون من أهل الكتاب من أطعمتهم التي يعملونها في أعيادهم ومواسمهم وهذا أقبح مما ذكر من فعل بعض المؤدبين (وينبغي له) أن يصرف الصبيان لغذائهم كما تقدم ويترك لهم مع ذلك وقتا يستريحون فيه في بيوتهم وليحذر ان يبيح لهم فعل ذلك في المكتب لان الصبيان اذا خرجوا عما بنى المكتب له عاد ذلك بالضرر غالبا عليهم وعلى غيرهم وما بني المكتب الا لاجل الدرس والحفظ والعرض والكتابة فان كان غير ذلك فليكن في بيوتهم ولا يتركهم ينامون فيه وقتا ما في الحر وقد تقدم المنع مما هو أخف من هذا وهو أنهم يمضون الى بيوتهم ويأكلون فيها ولا يأكلون في المكتب (وينبغي له) اذا اشتكى أحد من الصبيان وهو في المكتب بوجع عينيه أو شيء من بدنه وعلم صدقه في ذلك أن يصرفه الى بيته ولا يتركه يقعد في المكتب بغير قراءة لان ذلك سبب لبطالة غيره في الغالب (وينبغي له) ان كان له ولد صغير ان لا يترك أحدا من صبيان مكتبه يحمله ذكرا كان أو انثى والمنع في الانثى أشد

ولا يستأذن فى مثل هذا الآباء بخلاف ما تقدم فى استقضائهم حوائجه فانه يستأذن الآباء (وينبغى له) أن لا يغيب عن المكتب اصلا مادام الصبيان فيه اذ انهم لا عقل لهم يمنعهم مما يخطر لهم فعله فلابد لهم من راع يرعاهم بنظره ويسوسهم بعقله ويؤدبهم بكلامه (الا ترى) ان الراعى اذا غفل عن الماشية قليلا اختل نظامها وتغير حالها فى الغالب وربما تلف بعضها وماذاك الا لعدم العقل عندها (ولاجل ذلك) ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الصبيان مع المجانين حيث قال عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم الحديث وقد تقدم (ولا باس) أن يغيب الغيبة اليسيرة لضرورته ولا يفعل ذلك الا أن لا يجد من يقوم بها عنه مثل خبزه اذا اختمر لكنه يشترط فيه أن يستنيب عليهم أكبرهم سنا وأعقلهم بشرط أن يامره أن لا يضرب أحدا منهم فى غيبته ولا ينهره الا أنه من فعل منهم شيئا كتب اسمه حتى يأتى المؤدب فيعلمه به فيرى فيه رأيه (وينبغى له) أن يجتنب ما يفعله بعض المؤدبين من كتبهم أوراق المستأذنات للافراح فيكتب فيها بخطوقوله الى الحجاب المنيع والستر الرفيع الى غير ذلك من التزكية وماشاكلها والشعر الذى ينزه غير المؤدب عن الكلام به فكيف بالمؤدب (وله) أن يكتب الحروز لاطفال المسلمين ولكبارهم (وكذلك) الصحيفة فيها آيات من كتاب الله عز وجل والرقى بالكلام الطيب (وليحذر) أن يكتب شيئا بالعبرانية فان ذلك لا يجوز ولو قيل ان فيه من المنافع ما لا يحصى فانه ممنوع وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عنه فقال وما يدريك لعله كفر (وينبغى) لآباء الصبيان أن يتخيروا لأولادهم أفضل ما يمكنهم فى وقتهم ذلك من المؤدبين وان كان موضعا بعيدا فيختارون لهم أولا أهل الدين والتقوى فان كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو أحسن فان زاد على ذلك بالفقه فهو أولى فان زاد عليه بكبر السن فهو أجل فان زاد عليه بورع وزهد فهو أوجب الى غير ذلك اذ انه كيفما زادت الخصال المحمودة فى المؤدب زاد الصبى به تجملا ورفعة واذا كان ذلك كذلك فيتعين النظر فيما ذكر والله تعالى أعلم (وينبغى للمؤدب) أن يتجنب ما أحدثه بعض المؤدبين وبعض مشايخ القرآن من القراءة عليهم فى الاسواق والطرق لانه لم يكن من فعل من مضى (وفيه) مفاسد جلة

منها

(منها) وطء الاعقاب وهو منهى عنه وقد ضرب عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ذلك بالدرة وقال فيه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع اه (ومنها) ان السوق موضع اللغط والكلام والقرآن ينزه عن أن يقرأ فى مثل هذه المواضع (ومنها) ان القرآن اذا تلى تعين الانصات أو يندب اليه فيقع من سمعه ممن فى الاسواق أو الطرق فيما لا ينبغى والمسلم يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه (ومنها) ان قراءة القرآن والحالة هذه لا يسلم القارئ غالبا من أن يقرأ وهو فى موضع النجاسة والاماكن التى تنزه قراءة القرآن عنها (ومنها) اذا قرأ القارئ ينبغى لقارئه ولسامعه ان يتدبره ويتفكر فيه وذلك متعذر فى الاسواق والطرق غالبا وله ان يقرأ خارج البلد اذا لم تعاين النجاسة وفى الانتقال من قرية الى قرية مع عدم معاينة النجاسة ايضا ولا فرق فيما ذكر بين أن يكون راكبا أو ماشيا اذا المعنى فيهما واحد (وينبغى له) ان يتجنب ما احدثه بعض العوام من المؤذنين وهو أنه اذا دخل وقت الصلاة يؤذنون على باب المكتب او فوق سطحه او فيه وذلك كله من البدع الممنوعة لان الاذان انما شرع فى الاماكن التى يهرع الناس اليها لاداء فرضهم وهى المساجد والمكتب ليس بمسجد حتى يأتى الناس اليه للصلاة فيه ومثله من يؤذن فى بيته او بستانه فانه يدخل تحت قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لانه ينادى الناس بلسانه حى على الصلاة حى على الفلاح ومعنى ذلك هلموا الى الصلاة هلموا الى الفلاح ثم مع هذا النداء يغلق الباب دونهم وذلك ممنوع لانه جمع مفاسد (منها) انه من باب الغش لانه قد يسمعه من يسمعه فيأتى الى موضع الاذان فلا يجد السبيل الى دخول المكان الذى سمع فيه الاذان (ومنها) انه كلفهم المشى باذانه الى ان اتوا سيما الغريب الذى هو عابر سبيل الى غير ذلك وهذا بخلاف لو اذن خارج البلد فان ذلك جائز لانه فى برية فمن اتى اليه صلى معه (وهذا) القسم الاخير من باب المندوب (ما ورد) فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى انه قال لبعض من اعتنى به يا بنى انى اراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت فى غنمك او باديتك فاذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة قال ابو سعيد سمعته من رسول

الله صلى الله عليه وسلم اه (والاول) من باب البدعة والوقوع فى النهى للآية الكريمة المتقدم ذكرها (ويتعين عليه) أن لا يشتم من استحق الأدب من الصبيان وكثيرا ما يفعل بعض المؤدبين هذا وهو حرام وذلك أنه اذا حصل للمؤدب غيظ ما على الصبى شتمه وتعدى بذلك الى والديه وربما حصل لبعضهم فى ذلك الوقت قذف يجب عليه فيه الحد سيما من كان منهم فى خلقه حدة أو فيه غلظة وفظاظة فيتعين عليه اذا أدركه شئ مما ذكر أن لا يؤدب الصبى فى وقته ذلك بل يتركه حتى يسكن غيظه ويذهب عنه ما يجده من الحنق عليه وحينئذ يؤدبه الادب الشرعى على ما تقدم ذكره لانه ان ادبه فى حال غيظه يخاف عليه أن يتعدى الادب المتقدم ذكره (ولاجل) هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضى القاضى حين يقضى وهو غضبان وعداه علما ؤنا رحمة الله عليهم الى كل ما يشوش عليه كحقنة يبول أو غيره ولا فرق بين القاضى والمؤدب الا أن القاضى يحكم بين الكبار وهذا يحكم بين الصغار وحامل القرآن ينزه عن هذا كله فيقيم الادب على الصبى من غير أن يتناول عرضه ولا شتم أبويه بل يؤدبه كما يؤدبه والداه وهما يرحمانه ويشفقان عليه ويذبان عنه فى كل أحواله وقد تقدم انه ينبغى للآباء أن ينظروا الاولادهم من المؤدبين من هو أورع وأزهد وأتقى الى غير ذلك مما تقدم لانه رضاع ثان للصبى بعد رضاع الام (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر أن يفعل ما أحدثه بعض عوام المسلمين بأولادهم من انهم يخرجونهم من المكتب الذى يقرءون فيه كتاب ربهم عز وجل ويتعلمون فيه شريعة نبيهم عليه الصلاة والسلام ويذهبون بهم الى كتاب النصارى لتعليم الحساب وهذا رضاع ثالث بعد رضاع المؤدب وقد قيل الرضاع يغير الطباع فهذا أمر شنيع قبيح من الفعل لان الولد لم تحصل له قوة الايمان بعد ولم يقرأ العلم ولم يعرف أقوال العلماء وقد تسبق اليه الدسائس من النصرانى الذى يقرأ عليه الحساب أو من الجماعة الذين عنده صغارا كانوا أو كبارا ثم ان النصرانى مع ذلك يؤدبه على ما يخطر له ويمر بباله من كفره وطغيانه ويظهر أن ذلك من قبل تعليمه الحساب وهذا لا يرضى به عاقل ولا من فيه مروءة من المسلمين والصبى فى هذا السن قابل لكل ما يلقى اليه مثل الشمع اى شئ عملت عليه

طبع فيه فيخاف على الولد وهو الغالب أن يتغير حاله فيرجع مكان الصدق كذبا وبهتانا وموضع النصيحة غشا وخديعة وموضع الالفة بالمسلمين انقطاعا ووحشة ومكان الاستسلام والانقياد خبثا ومداهنة الى غير ذلك من مكرهم وخصالهم الرديئة (واذا) كان ذلك كذلك فيخشى عليه أن يركن الى قول النصراني اوالى شئ مما من اعتقاده أو استحسان حال من أحواله (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى لا تمكن زائغ القلب من أذنيك لا تدري ما يعلقك من ذلك (ولقد) سمع رجل من الانصار من أهل المدينة شيئا من بعض أهل القدر فعلق قلبه به فكان يأتي اخوانه الذين استصحبهم فاذا نهوه قال كيف بما علق قلبي لو علمت ان الله راض ان ألقي نفسي من فوق هذه المنارة لفعلت (ومن) قول أهل السنة لا يعذر من أداه اجتهاده الى بدعة لان الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يعذروا اذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة فسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم مارقين من الدين نقله ابن يونس (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال بشر بن الحارث أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى لا تخاصم أهل الاهواء فيلقوا في قلبك شيئا فيردك فيسخط الله عليك (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من جعل دينه غرضا للخصومات فقد اكثر التنقل (وقال) جعفر بن محمد رحمه الله اياكم والخصومات في الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق اه وقد كان السلف رضي الله عنهم يتحفظون على الرضاع الثالث أكثر من الرضاعين المتقدمين وهما رضاع الام ورضاع المؤدب لان الصبي قد جمع له عقل ومعرفة بالامور وقابلية لقبول ما سمعه أو رآه (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين ان يكون بعد رضاع المؤدب رضاع العلماء العاملين بعلمهم المتبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم المبينين لها الكاشفين عن غامضها والمخرجين لخبايا ها فاذا ارتضع الصبي هذا الرضاع الثالث فالغالب انه ان وقع له غير ما سبق اليه سارع بسبب علمه وما انطبع عليه من معرفة ما تحصل عنده من الكتاب والسنة ومحبتهما وايثارهما الى انكاره وعدم قبوله لذلك (وقد) جاء بعض الناس بولده الى بعض السلف رحمه الله يريد أن يقرئه فقال له أقرأ قبل هذا

علما غير ما نحن فيه يعني من علم الكتاب والسنة قال نعم قال وما هو قال العربية قال له اذهب بولدك فانه لا يجيء منه شيء قال ولم قال لانه قد سبق اليه تغزلات العرب وأشعارها وجبل على ذلك فكيف يمكن صلاحه فلم يقرئه ومعلوم بالضرورة ان العربية مطلوبة في الدين لاجل فهم الكتاب العزيز وفهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم لكن ما وقع لوم هذا السيد له الا لما سبق له من تغزلات العرب وأشعارها فلو سبق له العلم بالكتاب والسنة أو بعضه من حيث انه يعلم ما يجب عليه وما يسن وما يندب اليه لما عذله فاذا كان هذا تحفظهم على سبق العربية مع وجود الاحتياج اليها في الشرع كما تقدم فما بالك بغيرها (وما) قدمناه في حق المؤدب من انه اذا كان عنده علم من العربية فهو أحسن أعني انه يكون عالما بالعوامل وهو لم رفع هذا ونصب هذا وخفض هذا وما أشبه ذلك لان علوم العربية على أربعة أقسام أحدها علم العوامل وهو ما تقدم ذكره والثاني علم اللغة والثالث علم الأدب والرابع علم البديع فالأول هو الذي يحتاج اليه المؤدب وليس فيه كبير أمر في الغالب (ثم نرجع) الى تمام ما بقي من المفاسد التي في دخول الصبي لكتاب النصارى (فمن ذلك) ما في ظاهره من الذلة للمسلمين بسبب ما فعل هذا بولده وفيه تعظيم النصارى فانهم اذا رأوا أولاد المسلمين يأتون اليهم ليتعلموا هذه الفضيلة منهم رأوا أن لهم رفعة وسوددا وفضيلة على المسلمين وهذا كله ممنوع شرعا وعقلا فيا لله ويا للعجب كيف يترك التعليم من المسلمين وهم متوافرون في هذا العلم وغيره من العلوم الشرعية ويؤتى الى نصراني عدو للدين وعدو لله ولرسوله مظهر لذلك معاند للمسلمين فهذا من الخسف الباطني الذي لا يرتاب فيه ولا يشك (فان) قال قائل ان النصارى في علم الحساب والطب أحذق وأعرف بالتعليم من غيرهم من المسلمين (فالجواب) ان هذا باطل لانه لو كان الصبي علم كل ما عند المسلمين من العلم الذي يريد أن يتعلمه من النصراني حتى فاق المسلمين في ذلك ثم اتى بعد ذلك الى النصراني لزيادة عنده فيه لكان هذا القول فيه شيء ما من الميل الى ذلك فكيف والصبي بعد لم يلم بشيء من الحساب ولا غيره ولو عرفه لكان والحمد لله في المسلمين من يعرف اكثر من النصراني وامثاله فلا حاجة تدعو الى التعليم من اهل الكفر والضلال (وقد اقامهم) عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال

قد

قد اغنى الله عنكم بالمسلمين (وقد) نهى رضى الله عنه أن يتخذ أحد من أهل الكتاب كاتبا (وقال) جوابا لمن أثنى على نصرانى بالمعرفة والحذق فى الحساب مات النصرانى والسلام (وقال أيضا) لا تكرموهم وقد أهانهم الله تعالى ولا تؤمنوهم وقد خونهم الله تعالى ولا تستعملوا على أنفسكم وأموالكم الا المسلمين الذين يخشون الله تعالى أو كما قال (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى اشتراط أمير المؤمنين رضى الله عنه الخشية فيمن تولى من المسلمين على المسلمين فما بالك فى حق أعداء الدين وانما هى حجج شيطانية ونفسانية وركوب للهوى وركون للعوائد الرديئة وترك للنظر الى أمر الشريعة وما يندب اليه من الفوائد الجمة العظيمة والاخلاق الجميلة أسأل الله السلامة بمنه وفيه من المفاسد التى يأباها الاسلام ومن فيه هذوبة طبع وانقياد للشريعة المطهرة (وهى) أن المعلم النصرانى يجلس على موضع مرتفع وأولاد المسلمين دونه ويقبلون يده أو ركبته حين اتيانهم اليه وانصرافهم ويقيم السطوة عليهم وقد تقدم بعض ذلك (وفيه أيضا) ان الولد يتربى على ترك التحفظ من النجاسة لانهم ليس عندهم نجاسة فيما يعتقدونه الا دم الحيض ليس الا وأبوالهم وفضلاتهم كلها طاهرة عندهم وقد يسقون الادوية بالنجاسات ويكتبون منها فتنجس أجسادهم وأثوابهم من ذلك (ومنها) ان المعلم يشرب الخمر بحضرتهم وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم حاملها وحاضرها فى جملة من لعن بسببها والولد المسلم هو حاضرها والحالة هذه ويكون حاملها فى بعض الاحيان فان كان الولد بالغا ومراهقا فهو داخل تحت اللعنة وان كان صبيا صغيرا فاللعنة عائدة على والديه اوليه أو من اشار عليه بذلك وقل أن يسلم الولد من شؤم ذلك وان كان صغيرا غير مكلف وربما امرهم المعلم بحمل الخمر اليه أو الى بيته لان من عادته أن يستقضيهم فى حوائجه وضروراته (ومنها) ان الولد لا يقدر على الصلاة بحضرته ويمنعهم من الانصراف فى وقت صلاة الظهر والعصر أو هما معا وقد يموت عليهم فى صلاة الجمعة حتى يخرج وقتها او يفوته بعضها (ومنها) ان الولد فى صوم رمضان يعيبون عليه فى ذلك ويضحكون منه ويستهزؤن (ومنها) انهم اذا كان صومهم يمنعون الماء ان يؤتى به الى ذلك الموضع فيبقى اولاد المسلمين بالعطش غالبا

(ومنها) أنه يخاف على الولد وهو الغالب أن يقع فى اعتقادهم الباطل أو فى بحث بعضهم مع بعض فى ألواحهم فان أكثرها مكتوب بالعربية ويتكلمون باللسان العربى بحضرته فقد يسبق الى الولد ويتعلق بذهنه ما هم عليه فان وقع له شئ من ذلك قل أن يتأتى خلاصه منه غالبا (وسبب) وقوع هذه النازلة ما أخبر به عليه الصلاة والسلام فى الحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذا الامر المخوف وهو أنه ما كان سبب اتيان الولد الى النصرانى لتعليم الحساب الا حب الدنيا غالبا لاجرم أنهم عوقبوا على ذلك بنقيضه فوقعوا فى الفقر والفاقة والوقوف على أبواب الظلمة من الكتبة وغيرهم (واذا) تربى الولد على مثل هذا الحال يخاف عليه من أحد أمرين (أولهما) وهو أشدهما أن يدخل عليه شئ فى اعتقاده كما تقدم (والثانى) أن يقل اهتباله بامر دينه فى حق نفسه وفى حق غيره فاى شئ وقع منه من المخالفات أو من غيرها فلا يكترث به ولا يندم فى حق نفسه ولا يغير على غيره وهذه خصلة تنافى اخلاق المسلمين وهديهم وآدابهم (وقد) قال الشيخ أبو محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى فى كتاب الرسالة له واعلم ان خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر اليه وأولى ما عنى به الناصحون ورغب فى أجره الراغبون ايصال الخير الى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فانه روى ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله وان تعليم الشئ فى الصغر كالنقش فى الحجر اه (واذ) كان ذلك كذلك فيخاف على الولد الذى يدخل كتاب النصارى أن ينتقش فى قلبه ما هم عليه أو بعضه ولا أعدل بالسلامة شيئا نسأل الله السلامة بمنه (ومن) أقبح ما فيه وأهجنه وأوحشه أن الولد يتربى على تعظيم النصارى والقيام لهم الذى قد تقدم منعه فى حق أهل الخير والصلاح من المسلمين وعدم الاستيحاش من عوائدهم وسماع اعتقاد أديانهم الباطلة حتى لو خرج الصبى من مكتبهم لبقى على عادتهم فى التعظيم لهم وعدم الاستيحاش منهم ومن أديانهم الباطلة وأنه اذا رأى معلمه الذى علمه الحساب أو الطب قام اليه وعظمه كتعظيم ما اصطلح عليه بعض المسلمين مع

قوله اهتباله أى اهتمامه اه

بعض

بعض أو اكثر غالبا وكذلك يفعل مع كل من صحبه فى مكتب معلمه النصرانى من جماعة اهل دينه فيالف هذه العادة الذميمة المسخوطة شرعا ولا يرضى بهذه الاحوال من له عقل او غيرة اسلامية او التفات الى الشرع الشريف (الا ترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى غير ذلك من الآيات والاحاديث وهى كثيرة متعددة وفيما ذكرته تنبيه على ما عداه

(فصل فى تزويق الالواح) واما تزويق الالواح فى الاصرافات والاعياد فى بعض البلاد فهو من باب المباح الجائز وفيه ادخال السرور على الاولاد وادخال السرور فيه من الاجر ما قد علم وفيه التنشيط للصبيان على الاعتناء بالمواظبة على القراءة (لكن) يتعين عليه ان يتجنب ما احدثوه من المفاسد فى الاصرافات وهى كثيرة متعددة (فمنها) تزيين المكتب فى الاعياد والاصرافات بالحرير وغيره ارضا وحيطانا وسقفا وقد تقدمت شناعة ذلك وقبحه فى زينة الاسواق للحمل او غيره سيما اذا انضاف الى ذلك ان يكون فيه صور رجالها روح فيكون فى ارتكاب ذلك نقيض ما جلس المؤدب اليه فاذا كان السوق يمنع فيه ذلك فمن باب اولى موضع يتلى فيه كلام الله عز وجل فمنعه فيه اوجب (ثم) بقيت افعال يفعلها بعضهم فى الاصرافات وهى قبيحة مستهجنة (فمنها) انهم يجعلون لوح الاصرافة مكفتا بالفضة فى خرقة من حرير واستعمال الحرير لا يجوز الا للنساء حيث اجيز لهن ذلك (واما) تكفيت اللوح بالفضة فلا يجوز لوجهين (احدهما) لما فيه من السرف (والثانى) لما فيه من الخيلاء وقد ورد ان النبى صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء وبعض هؤلاء يأخذون الصبى الذى له الاصرافة فيزينونه كما يزينون النساء فيحففونه ويخططونه ويلبسونه الحرير

ويحملونه بالقلائد من الذهب وغيره مع قلائد العنبر كأنه عروس تجلى ويركبونه على فرس أو بغلة مزينة باللباس من الحرير والذهب وغيرهما فيحملون عليها كنبوشا من الحرير المزركش بالذهب ويلبسون وجهها أو جهها من ذهب (ثم) يضيفون الى ذلك أشياء رذيلة (منها) انهم يحملون أمامه اطباقا فيها ثياب من حرير وعمائم معممة على صفة (ثم) هم يختلفون فيما يفعلون بين يديه (فمنهم) من يمشي بين يديه صبيان المكتب وينشدون في طريقه الى أن يوصلوه الى بيته (ومنهم) من يضيف الى ذلك القراء يقرءون كتاب الله عز وجل بين يديه فيزيدون فيه وينقصون كما تقدم في الجنائز (ثم) يضيفون اليه المكبرين والمؤذنين على عادتهم الذميمة في جنائزهم (ثم بعد) ذلك يمرون في الاسواق ويلقاهم من ينسب الى العلم أو الخير والصلاح أو المجموع وقل ان تجد من يغير عليهم شيئا من ذلك في الغالب فانا لله وانا اليه راجعون (ومنهم) من يعوض عما ذكر بما هو أشنع وأقبح وهو أن يضرب بين يديه بالطبل والبوق (وبعضهم) يمشون الفيل والزرافة بين يديه مع رمي النفط (وبعضهم) يمشي بين يديه المغنية وطائفتها مكشوفة على ما يعهد من حالها مع ضرب الطار والشبابة والغناء وترفع عقيرتها على ما يعهد من فتنتها فكان الامر أولا للفرح بكتاب الله تعالى فصاروا في قربة فعكسوه بما هو ضده أسأل الله تعالى السلامة بمنه ولو كلف أحدهم ان يتصدق ببعض ما صرفه فيما لا يجوز مما صنعه في الاصرافة لشق ذلك عليه في الغالب لانه محض طاعة لله تعالى سر ليس فيه هو ولا لعب ولا رياء ولا سمعة وذلك شاق على النفوس الا من رحم ربك (ثم) يضيفون الى ذلك فعلا قبيحا وهو أن بعض المؤذنين يدخلون مع صاحب الاصرافة البيت ويجلسون مع النساء وهن متبرجات على ما يعلم من عادتهن في بيوتهن ويعطي اللوح لام صاحب الاصرافة أو لاخته أو لخالته أو لعمته أو لجارته الى غير ذلك من أقارب الولد ومعارفه حتى تنقط كل واحدة منهن من الفضة بما أمكنها وذلك محرم لا يجوز لانه أجنبي عنهن فلا يجوز لهن أن يظهرن عليه ولا ان يسمع كلامهن الا لضرورة شرعية والضرورة هنا معدومة والله تعالى الموفق (وينبغي) لوالد الصبي بل يتعين عليه أن يتجنب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان

وهو أن الصبي اذا ذهب أكثر التعب به وقرب من ان يختم القرآن نقله والده الى كتاب آخر حتى يفوت الاول ما استحقه من الاصرافة (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى في الصبي اذا دخل سورة الاعراف عند مؤدب ثم انتقل الى غيره فاصرافة البقرة قد استحقها المؤدب الاول واختلف قوله فيما اذا دخل سورة يونس عليه الصلاة والسلام هل يستحقها الاول او الثاني قولان ولا يختص هذا باصرافة سورة البقرة ليس الا بل هو عام في كل اصرافة من القرآن قرب اليها الصبي فان المؤدب الاول يستحقها (ومن) كتاب البيان والتحصيل سئل مالك رحمه الله تعالى عن تعليم أولاد اليهود والنصارى الكتابة بغير قراءة قرآن فقال لا والله ما أحب ذلك يصيرون الى أن يقرءوا القرآن قال وسألته عن تعليم المسلم عند النصراني كتاب المسلمين أو كتاب الاعجمية فقال لا والله لا أحب ذلك وكرهه قال ولا يتعلم المسلم عند النصراني ولا النصراني عند المسلم لقول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم (قال) ابن رشد رحمه الله تعالى اما تعليم المسلم أبناء اليهود والنصارى أو تعليمهم عندهم فالكراهة في ذلك بينة (وقد) قال الامام ابن حبيب رحمه الله تعالى ان ذلك سخطة ممن فعله مسقطة لامامته وشهادته (وقال) ابن رشد في الحذاقة يعني الاصرافة انه يقضى بها وذكر عن ابن حبيب أنه فرق بينها وبين الاحضار فقال انه لا يقضى بالاحضار في الاعياد وان كان ذلك مستحبا فعله في أعياد المسلمين ومكروها في أعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان ولا يجوز ان فعله ولا يحل ان قبله لانه من تعظيم الشرك

(فصل في ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه) قد تقدم رحمنا الله واياك آداب العالم وهديه وما احتوت عليه نيته فالمجاهد وغيره تبع له في ذلك كله الا شيئا قليلا اختص به العالم وشيئا قليلا اختص به المجاهد يقع ذكره ان شاء الله تعالى (ولتعلم) ان الجهاد ينقسم الى قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر فالجهاد الاكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام هبطتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والكلام عليه يأتي ان شاء الله تعالى في ذكر آداب الفقير المنقطع (والكلام هنا) انما هو على الجهاد الاصغر وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات

وأعظمها وقد تقدم ان أفضل الاعمال طلب العلم لان به يعرف المجاهد فضيلة الجهاد وكيف يجاهد وبماذا يصح له الجهاد وبماذا يفسد وكذلك غيره من أمور الدين فكان أفضل الاعمال لما جاء في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على عمومه لان ذلك راجع الى أحوال الناس فرب شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد في حق هذا يتأكد امره وآخر يكون فيه ذكاء وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب والطعن فطلب العلم لمثل هذا يتعين وقد يتعين عليه الجهاد بحسب حال الوقت (وبالجملة) فالجهاد فيه فضل كبير جاء به الكتاب العزيز والحديث الصحيح (لكن) ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى يسأل أهل العلم عما يلزمه في جهاده ان لم يعلمه (لقوله) عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم (قال) العلماء المحققون في معناه ما وجب عليك عمله وجب عليك العلم به اه فيعرف أولا الاحكام اللازمة له وحينئذ يدخل فيه فيجاهد بما ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم من الاحكام اللازمة فمن ذلك انهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا حرا مستطيعا بصحة البدن والمال وفرائضه ستة النية وطاعة الامام وترك الغلول والوفاء بالامان والثبات عند الزحف وأن لا يفر واحد من اثنين

(فصل في الغنيمة) والغنيمة يستحقها من اتصف بعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وان يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وأن تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب

(فصل في حكم الاسارى) والامام مخير في الاسارى بين خمسة أشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

(فصل في الاوصاف الموجبة للجزية) الجزية واجبة بعشرة أوصاف الكفر والاقامة عليه بدار الاسلام وأن يكون عاقلا بالغا ذكرا حرا غير معتق لمسلم قادرا على أدائها ولا يكون قرشيا ولا مرتدا

(فصل في حكم المرتدين) دار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه

احدها

أحدها أنهم لا يهادنون على الاقامة ببلدهم الثانى انهم لا يصالحون على مال يقرون به على رقبتهم الثالث لا تسترق رجالهم ولا تسبى نساؤهم الرابع لا يملك الغانمون أموالهم وهى أيضا تفارق دار الاسلام من أربعة أوجه أحدها أنه يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين كالمشركين الثانى اباحة دمائهم أسرى وممتنعين الثالث ان أموالهم تصير فيئا للمسلمين الرابع بطلان مناكحتهم

(فصل فى قتال الفئة الباغية) وهى التى تفارق الامام ورأى الجماعة وتنفرد بمذهب مبتدع وتنعزل بدار ويفارق قتالهم قتال المشركين من ثلاثة عشر وجها (أحدها) انهم يقاتلون بنية ودعهم ولا يتعمد به قتالهم (الثانى) يقاتلون مقبلين ويكف عنهم مدبرين (الثالث) لا يجهز على جريحهم (الرابع) لا تقتل أسراهم (الخامس) لا تسبى نساؤهم (السادس) لا تسبى ذراريهم (السابع) لا تغنم أموالهم (الثامن) لا يهادنون على الاقامة ببلدهم (التاسع) لا يصالحون على مال يقرون به على بدعتهم (العاشر) لا يستعان على قتالهم بمشرك (الحادى عشر) لا ينصب عليهم الرعادات (الثانى عشر) لا تحرق عليهم بيوتهم (الثالث عشر) لا تقطع أشجارهم

(فصل فى حكم المحاربين) قتال المحاربين كقتال الفئة الباغية فى عامة أحوالهم الا فى خمسة أشياء يخالفونهم فيها (أحدها) انهم يقاتلون مقبلين ومدبرين (الثانى) يجوز أن يتعمد فى الحرب قتلهم (الثالث) أنه يجوز حبس أسراهم لاستبراء حالهم (الرابع) انهم ضامنون لما استهلكوه من دم أو مال فى الحرب وغيره ولا يجوز ذلك فى الفئة الباغية بعد انجلاء الحرب (الخامس) ان ما أخذوه من خراج وصدقات فهو كالمأخوذ غصبا فعلى من أخذه من يده غرمه (فاذا) تحصل عنده معرفة ما ذكر فليكن عالما بأحكام صلاة الخوف فى الحالتين من قتال وغيره وكيفية ما يلزمه من ذلك كله (وكذلك) يتعين عليه معرفة أحكام التيمم وفى أى وقت يلزمه وفى أى وقت يحرم عليه ومسائله وقد تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المرأة فى بيتها وكذلك ينبغى له ان يعرف احكام صلاة المسافر وفى اى وقت يقصر وفى اى وقت يتم وذلك كله موجود فى كتب الفقهاء متيسر على السنتهم لمن جاء اليهم

مستفتيا لان الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها او بركن من أركانها كان تركه للجهاد اولى به بل أوجب عليه اذا لم يتعين فاذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وان كان مجاهدا (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى لا تارى ونباشر من يخرج الى الجهاد وغالب احوالهم عدم الفقه وعدم المعرفة بكل ماذكرأو باكثره وقل من تجده منهم يجتمع باحد من أهل العلم ويسأل عما يلزمه من الاحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف التي ما بقيت تعرف عندهم في الغالب ولا تذكر الا في كتب الفقهاء كأنها حكاية تحكى سيما صلاة السايفة فانها كادت لا تعرف أيضا لعدم فاعلها وقلة السؤال عنها فيخرج المجاهد وهو عند نفسه انه في طاعة وهو يقع في مخالفات جمة لعدم التلبس بمعرفة ماذكر وقد يكون سببا الى وقوع الرعب في قلبه من العدو وانهزامه عند رؤيته فان العدو انما يستعد له باقامة هذا الدين قال الله تعالى في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم قال علماؤنا رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع أمره واجتناب نهيه فاذا فعل ذلك كان سببا لنصرة الله تعالى له وامنه مما يخاف سيما والمجاهد انما يجاهد لاجل الدين والصلاة هي عماده وبها قوامه (وقد ورد) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه بأنهم قد افتتحوا البلدة التي نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين اهلها من اول النهار الى الزوال فبكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له اتبكى والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف أمام الاسلام من غدوة الى الزوال الا من امر احدثموه انتم اوأنا (فانظر) الى ماقرره عمر رضي الله عنه ما نظر في النصر وعدمه الا بصلاح الحال وفساده فيما بين العبد وربه فأين هذا الحال الذي ذكر من حال اكثر الناس اليوم في كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ويقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين أعني جواز اخراجها عن وقتها عمدا من غير عذر شرعي والعذر الشرعي انما هو زوال العقل او استتاره الا ترى ان المسايف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له ان يتكلم ان اضطر الى ذلك وهو يصلي ويجوز له ان يصلي لاي جهة كانت ويكبر ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه في حال غرقه والمصلوب الى غير ذلك

فكل هؤلاء صلاتهم انما هي بالايماء واللسان واغتفر في حقهم ومن شابههم
ترك فرائض الصلاة جملة في حال صلاتهم اذ ذاك خيفة على الوقت أن يخرج
فلو ترك أحدهم ما لزمه من الاتيان بالصلاة في الوقت على الصفة المذكورة
كان عاصيا وان قضاها بعد خروج وقتها الان علماءنا رحمة الله عليهم قد اختلفوا
فيمن أخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه قضاء أم لا فالمشهور ان
القضاء واجب عليه وانه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضهم الى انه
لا قضاء عليه بناء منهم على انه مرتد وحكمه معروف (وماذكر) في حق
المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود بعينه في كثير من
الحجاج كما هو مشاهد من أحوالهم وأنهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون
اليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فقل من يسأل
عن مسائل التيمم وقصر الصلاة واتمامها واحكام الحج ومناسكه وان وجد
ذلك من بعضهم فالغالب منهم انهم يعتنون في المناسك بأدعية معلومة على
قانون معروف فيعولون عليها ويتركون ذكر الاحكام في الغالب (وقد)
كره مالك رحمه الله تعيين الدعاء لبعض الاركان وقال هذه بدعة انما يذكر
الله ويدعو بما يعن له اوكما قال (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من امر الجهاد
فمن اهم ما يقدم فيه قبل الخروج اليه وعنده حسن النية واهتمامه بها
والتعويل عليها وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بيانها اتم بيان حين
جاءه الاعرابي فقال له يارسول الله ما القتال في سبيل الله فان احدنا يقاتل
غضبا ويقاتل حمية فرفع اليه رأسه قال وما رفع اليه رأسه الا انه كان قائما
فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اه (فقد) اتضح
وبان ما ينوي المجاهد حين خروجه وتلبسه بالقتال واما ما يقع له بعد تصحيح
نيته فغير ما نواه لا عبرة به ولا يؤاخذ به لان الاعرابي قال فان احدنا يقاتل
غضبا ويقاتل حمية فاجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على انه
اذا نوى ان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا يضره ما اعتراه بعد ذلك من
قتاله غضبا او حمية او ما اشبههما الان هذا كله من وساوس الشيطان ونزغاته
وهواجس النفوس التي لا تملك والله عز وجل قد رفع ذلك عنا ومن علينا
بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبي الكريم على ربه عز وجل سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم وذلك انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية ضج الصحابة رضى الله عنهم من ذلك وأتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله كلفنا الصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلناه وأما ما يقع فى نفوسنا فلا نقدر على ذلك أو كما قالوا فعلمهم عليه الصلاة والسلام الادب مع الربوبية فقال أتقولون مثل ما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة فرفع الله تعالى الاصر عنهم وعدم المؤاخذة بالوساوس والهواجس (ولاجل) هذا المعنى الذى نحن بسبيله قال عليه الصلاة والسلام لما ان جاءه أصحابه يشكون له مما وقع لهم من هذا المعنى فقالوا انا نجد فى انفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به فقال صلى الله عليه وسلم أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان الحمد لله الذى رد كيده لهذا فقوله عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الايمان يعنى فى دفعه وتعاظم الامر عندهم لا فى نفس وقوعه وقوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى رد كيده لهذا وذلك ان ابليس اللعين لم يقنع منهم فى الجاهلية حتى جعلهم ينشرون خشبا وينحتون حجارة ويعملونها صورا يعبدون لها ويعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعوها بأيديهم فلما ان جاء الاسلام وظهر أمره وانتشر أيس ابليس اللعين أن يردهم الى ما كانوا عليه فلم تبق له حيلة الا الوسواس والهواجس المشوشة على قلوب المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى رد كيده لهذا فحمد صلى الله عليه وسلم ربه على كون اللعين عجزت قدرته عن جميع الحيل اذ أن ما بقى له من الحيل الا الوسواس والهواجس وذلك غير مؤاخذ به من وقع له ولو وقف المكلف مع ما يقع له من الهواجس قل أن يتأتى له أداء عبادة بسبب تسليطه (فالحاصل) انه يقاتل أولا بنية أن تكون كلمة الله هى العليا كما تقدم وأن يحتسب نفسه وماله لله عز وجل لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى آخر الآية وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (وقد) نقل الشيخ الامام أبو محمد عبد الحميد الصدفى المشهور بابن أبى الدنيا قال روى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف

رضى

رضى الله عنه قال عبانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ليلا والتعبية هى تسوية الصفوف وتقدمة العمل الصالح بين يدى القتال من الامام والناس من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره (ثم) الادارة على العدو والخديعة له من أسباب الظفر (أخرج) مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوا ورّى عنه بغيره (ومن) الخدع فى الحرب ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاحزاب روى أن رجلا من المسلمين كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الاحزاب وكان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يوما للنبى صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة قد مالوا عليك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلنا أمرناهم بذلك فأتى الرجل اباسفيان فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه يقول فى بنى قريظة لعلنا أمرناهم بذلك قال سننظر فارسل الى بنى قريظة قال نخب ان تعطونا رهائن ووافق ذلك أن كان ليلة السبت للقدر المقدور فقالوا نحن فى السبت فان انقضى فعلنا فقال ابوسفيان نحن فى مكر بنى قريظة فالقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم تروها وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكانت هذه من الخدع التى خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن ابن أبى اوفى قال سمعته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو على الاحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فهذا الدعاء ينبغى أن يدعى به عند ملاقاة العدو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن المهلب بن أبى صفرة عمن سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان يأتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون (ومنه) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض (ومنه) عن أبى الدرداء قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ابغونى فى ضعفائكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ابغونى فى ضعفائكم اى اطلبونى اى انه يكون معهم ويؤيد ذلك ما روى عن النبى

صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى أنا مع المنكسرة قلوبهم من أجلى فاذا كان الله معهم فهم منصورون ويريد بالضعفاء والله أعلم الذين لم يكن لهم ظهور فى الدنيا ولا هم طالبون لها وهم زاهدون فى دنياهم راغبون فى آخرتهم طائعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصورون قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقال والله مع الصابرين أى بالنصر والمعونة أى مع الصابرين عن المشتهيات من المحرمات والصابرين على الطاعات وجهاد الكفار فالله ناصرهم ومعينهم (روى) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة (وجه) أبو مسلم قوما الى الغزو فقال الزموا قلوبكم الصبر فانه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فانها تحض على الاقدام والزموا الطاعة فانها حصن المحارب (ومن الحكمة) قوة النفس فى الحرب علامة الظفر (ومنها) تقحم الحرب ينجع القلب (ومنها) المزعة تحل العزيمة (ومنها) الحيل أبلغ من العمل (ومنها) الراى السديد اجدى من الأيد الشديد (ومنها) شدة الصبر فاتحة النصر (وينبغى) المشورة فى القتال وفى كل امر يعرض (وفى الترمذى) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ما رايت احدا اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه ينبغى مشورة من له عقل ودين وتجارب (من كلام الحكمة) توق مشورة الجاهل (ومنها) لا تشاور من تميل به رغبته او رهبته (اخرج) مسلم بن الحجاج فى صحيحه بالاسناد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله (ومنه) عن جابر بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (ومنه) عن سعد ابن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال البخارى رضى الله عنه ورجح هذه الطائفة هم اهل العلم وقال القاضى عياض هم اهل السنة والجماعة اه كلامه بلفظه (ثم) نرجع الى ذكر بعض فضيلة الجهاد (فمن ذلك) ما تقدم من قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة

الأيد بوزن السيد معناه القوى الشديد اه

يقاتلون

يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (قال الشيخ) أبو محمد عبد الحميد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال جعل الله تعالى للجاهدين فى سبيله الصفقتين جميعا (بيانه) قول الحسن رضى الله عنه أنفسها وخلقها وأموالها ورزقها ومع ذلك أقول ايضا هو خالق فعل المجاهد فى قدرته وعزمه على الجهاد فى سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومنته قل كل من عند الله تبارك وتعالى يسدى على أيدينا الخير ويمنح عن أياديه الجزاء (وروى) فى معنى الآيتان الانصار رضى الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال أشترط لربى أن تعبدوه لا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل (ومر) برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم الآية فقال الاعرابى كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله صريح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى (فقوله تعالى) وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكد أخبر الله تعالى ان هذا الوعد الذى وعده للجاهدين فى سبيله وعد ثابت وقد أثبته فى التوراة والانجيل كما أثبته فى القرآن (وعن) الجوهرى رحمه الله تعالى ناهيك من صفقة البائع فيها رب العالمين والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك قيل

أكرم بها صفقة فالرب عاقدها * على لسان رسول الله من مضر
اثمانها جنة ناهيك من نزل * دار بها نعم تحفى عن البشر
أنواع مطعمها من كل شهوتنا * شرابها عسل صاف من الكدر
من كل مالذة طابت مواردها * وحورها در رتز وعلى القمر
انى لها ثمن دنيا بها ثمن * لم يصف مشتريها يوما المعتبر

ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الوعد انما يطرأ على البشر لأحد امور أو مجموعها وذلك لبخل أو شح خوف الفقر أو محبة الازدياد

من الشهوات أو لعجز أو لنسيان وذهول أو غير ذلك من الآفات وكل ذلك محال على خالق الارض والسموات (فهذه الآية) اذا فهمت معانيها وحضرت بجلوا القلب وشروط الاستماع لتاليها الا تطلب فى الترغيب فى الجهاد زيادة عليها * ولا انضمام شئ من المؤكدات اليها (وذكر) بسنده الى مالك بن انس فى موطائه عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم الذى لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع (وقال) الله تعالى ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فهذا وعد من الله سبحانه مؤكدا بالقسم اذا أن القتل فى سبيله أو الموت مقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تعالى ووعده حق وتأكيده بالقسم للترغيب فى الجهاد وتحقيق لفضله فى قلوب العباد (أخرج مسلم) فى صحيحه باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله ان خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسولى فهو على ضامن ان أدخله الجنة ان مات أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا ان أشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت انى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل (قوله) صلى الله عليه وسلم لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسولى فى هذا حض على النية وتخليصها من الشوائب الدنيوية والمأمور به من النية ان تكون كلمة الله هى العليا وهى الشهادتان وعلوا المستمسك بهما من اهل الايمان لان الكفر اذا علا بالضرورة فتكون الشهادتان وشريعة الاسلام السفلى فيقصد بالخروج من بيته هذا مخلصا وبيع نفسه من الله تعالى بالجنة التى وعدها فى القرآن او مجموع الامرين ابتغاء الجنة وعلو الكلمتين فاذا صح قصده نال من الله ما وعده (وقوله) فهو على ضامن قيل معناه مضمون (وقوله) أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة او

بمعنى

بمعنى الواو ورواه أبو داود من أجر وغنيمة (والكلم) الجرح (وباسناده) الى مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك في هذا تنبيه على النية (ومنه) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (وفي حديث) أبي أيوب خير مما طلعت عليه الشمس (الغدوة) بفتح الغين السير الى الزوال مرة واحدة (والروحة) السير من الزوال الى الغروب مرة واحدة (فالمعنى) ان ثواب هذه الغدوة والروحة الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارتها وخفتها خير من نعيم الدنيا كلها على كثرتها فان نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية (أو المعنى) ان الدنيا ونالها ملك بأسرها وأنفقها الثواب الآخرة وأجرها لكان جزاء هذه الغدوة أو الروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر (ومن) صحيح مسلم متصلا عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله ففعل ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله (الدرجات) المنازل في الجنة بعضها فوق بعض على ما ورد به القرآن والسنة قال تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية (ومنه) عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقي الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت لأستفتيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله الآية (وعن) أبي سعيد الخدري ان رجلا سأل النبي

قوله يثعب بفتح الياء والعين المهملة بينهما مثلثة ساكنة معناه يسيل اه

(فصل فى الرمى وفضيلته) اخرج الترمذى وابوداود والنسائى عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومنبله (وفى الترمذى) كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته أهله (ومن) مسند الترمذى عن أبى نجيح الاسلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم فى سبيل الله فهو له عدل محرر (وروى) البخارى عن سلمة بن الاكوع قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على نفر ينتضلون فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا وأنا مع بنى فلان قال فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون قالوا كيف نرمى وأنت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم (ومن) صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم ارضون ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم أن يلهو بأسهمه (ومنه) عن عبد الرحمن بن شماسة ان نعيما اللخمى قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه فقيل لابن شماسة وماذاك قال انه قال من علم الرمى ثم تركه فليس منا او قد عصى وقوله صلى الله عليه وسلم فليس منا اى ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمى (وكتب عمر) رضى الله عنه لاهل حمص علموا اولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الاغراض واياكم ولباس العجم البسوا الازر والاردية وألقوا السراويلات واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم فانها شامات العرب واطرحوا الخفاف والبسوا النعال

(فصل فى الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها) اخرج البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد انه قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا ومافيها (وروى) الترمذى عن فضالة بن

قوله وتمعددوا قيل انه من التشبه بعيش معد وكانوا أهل شظف وغلظ فى العيش يقول كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزى العجم كما هو فى حديث عليكم باللبسة المعدية وقيل انه من قولهم للغلام اذا شب وغلظ قد تمعدد اه مختار

عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى
يموت مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر
(أخرج مالك) فى موطائه وغيره عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذى هى
له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت
فى طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها
ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها
مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك له حسنات فهى له أجر
ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى
لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك وزر
(ومنه) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى
نواصيها الخير الى يوم القيامة (ومنه) عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك فقال انى عوتبت
الليلة فى الخيل (وروى) القعنبى عن مالك انه سأله بعض أهل ثغر
الاسكندرية هل الرجوع لثغرهم والكون فيه للحرس وسده أفضل ام
المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وازكى التحيات لطالب العلم أفضل
فرجح لهم الرجوع الى الاسكندرية والكون فيها على ذلك (وروى) عن
ابن عمر أنه كان يقول الحرس افضل من الغزو لأن الحرس فيه حفظ دماء
المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المشركين فحفظ دماء المسلمين أولى (أخرج)
الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى
سبيل الله (ومن) الترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة (ومنه) عن ابى صالح
مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول انى
كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية نفوركم عنى ثم
بدا لى أن احدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول رباط يوم فى سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح (ومنه) عن ابى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أحب الى الله عز وجل من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى وأما الاثران فاثر فى سبيل الله تعالى واثر فى فريضة من فرائض الله تعالى (قال) ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد (وقيل) من رابط فواق ناقة حرمه الله على النار (قال) ابن حبيب فواق ناقة قدر ما تحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين (وعن) ابى هريرة رضى الله عنه انه قال لحرس ليلة أحب الى من صيام الف يوم أصومها وأقوم ليلها فى المسجد الحرام وعند قبر النبى صلى الله عليه وسلم (وعن) مالك بن انس رحمه الله تعالى ينبغى لكل قوم أن يرابطوا فى ناحيتهم وان يعسكروا سواحلهم الا أن يكون مكانا مخوفا يخاف فيه على العامة بريد فليذهب اليه (ومن) الحرس فى الثغور حفر الخنادق والاحتساب فى حفرها مستقين فى ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذى اعيت الصحابة الحيلة فى كسره (اخرج) النسائى عن البراء بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذه المعول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى ثوبه واخذ المعول وقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر الى قصرها الاحمر الآن من مكانى هذا قال ثم ضرب اخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله لأبصر خضراء المدائن والى القصر الابيض ثم ضرب الضربة الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر باب صنعاء من مكانى الساعة

(فصل فى فضل الشهادة) اخرج مسلم فى صحيحه عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل (ومنه) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال ما من

أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له بها ما على الارض من شئ غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا (ومن الموطأ) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال الغزو وغزوان فغزو تنفق فيه الكريمة ويياسر فيه الشريك ويطاع فيه ذو الامر ويجتنب فيه الفساد فذلك الغزو خير كله وغزو لا تنفق فيه الكريمة ولا ييسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الامر ولا يجتنب فيه الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافا (ومن) صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن (ومن) صحيح الترمذى عن المقدام بن معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر الله له فى أول قطرة تقطر من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب (ومنه) عن أبى هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فاعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت عن الناس فاقمت فى هذا الشعب وان أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (ومنه) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد

احسن عبادة الله تعالى وفصح اواليه (ومنه) عن أبي ادريس الخولاني انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال فما ادري اقلنسوة عمر اراد ام قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فكانما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن اتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن اسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة (وفضيلة) الجهاد قد جاء فيها ما هو اكثر من هذا (ولكن) ذلك متعذر على المرء وحده اذ لا بد فيه من جماعة وامام تنعقد كلمتهم عليه ولا يخالفونه (وقد) ذكر العلماء رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام وحال الجماعة التي تكون معه وصفة هديهم وطريقتهم وآدابهم وما يتجنبوا فيه من المفاسد وهذا النوع كثير قل ان يحصر اعني ما احدث فيه من المفاسد شرقا وغربا فمن اراد الجهاد فليتوقف حتى يسال اهل العلم والنهى عما يجب عليه فيه وما يندب له وما يحرم عليه او يكره وما يتجنب فيه من المفاسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعة والعصر فلا يمكن الكلام على معنى من معانيها لكثرتها واختلاف الاحوال والازمان فيما السؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى انه لا بد من خلل يرتكبه بسبب جهاده فالترك له اولى اللهم الا ان يتعين الجهاد فلا سؤال اذ ذاك لانه لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالدة ولا اذن السيد اذ ان النفير واجب متعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما (ثم) الاصل الذي يعول عليه في جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق بجناب اولياء الله تعالى والرجوع اليهم والصدور عن رايهم (الا ترى) الى ما حكى عبد الملك بن مروان لما ان خرج لبعض غزواته قال انظروا الى محمد ابن الحنفية فذهبوا اليه ثم رجعوا فقالوا وجدناه في المسجد يصلي فقال

اذهبوا

اذهبوا فقد نصرنا سبابته فى القبلة عندى خير من كذا وكذا الف فارس
فضوا لما كانوا بسبيله فنصروا وغنموا (وقد تقدم) قوله عليه الصلاة
والسلام ابغونى فى ضعفائكم (ومع ذلك) فلا ينبغى أن يتمنى المرء لقاء العدو
امتثالا للسنة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله
العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف خرجه
البخارى وغيره فشأن المكلف امتثال الادب بترك الدعاوى وغيرها حتى
اذا تعين عليه الامر استعان بربه تعالى وامتثل أمره مبتغيا بذلك مرضاته وما
وعد عليه من جزيل الثواب لفاعله (وهذا) عام فى كل الاحوال دقيقها
وجليلها فليكن المرء متيقظا لها فانه يحشر يوم القيامة على ما مات عليه
والجهاد مظنة الموت غالبا (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام واعلموا
ان الجنة تحت ظلال السيوف قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه أن روح
المؤمن تنقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الاصل لهذا
الاصل المتقدم ذكره وانما هى أسباب وبقى الامر الى الله تعالى ما شاء فعل
فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب (ألا ترى) الى قوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمى عن نبيه عليه الصلاة والسلام
أولا بقوله وما رميت ثم أثبته له بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنبيه عليه
الصلاة والسلام فى ذلك بين الحقيقة والشريعة أما الشريعة فلكونه عليه
الصلاة والسلام أخذ كفا من تراب بيده الكريمة ورمى به فى وجوههم وقال
شاهت الوجوه وأما الحقيقة فلوصول ذلك التراب لعين كل واحد من
العدو حتى انه لم يقدر أحد منهم أن يفتح عينه لملئها بالتراب وهذا شئ يعجز
البشر عنه (وكذلك) كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لا بد فيها من امتثال
الحكمة ثم يظهر الله سبحانه قدرته عيانا للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم
(ألا ترى) الى ما جاء فى نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فانه عليه الصلاة
والسلام لم يفعل ولم يمد يده دون ماء بل امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة
فى اناء فيه ماء ثم أمرهم أن يسقوا ويشربوا ويملئوا والماء يتفجر من بين
أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء (ومن ذلك) أمره
عليه الصلاة والسلام بجمع ما بقى مع أصحابه من الازواد حين فنيت فجمعت

وبارك فيها فاكل الجميع منها حتى شبعوا (ومن ذلك) فعله عليه الصلاة والسلام فى قصة جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى الداجن الذى ذبحه والجبن الذى خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام بصق فيهما وبارك ثم أذن لعشرة فى الاكل ثم عشرة من بعدهم ممن كان يعمل فى الخندق حتى أكل الجميع وشبعوا وكانوا ألفا والبرمة تفور كما هى والجبن يخبز كما هو (ومن ذلك) خروجه عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فانه كان يعتد لذلك بجمع أصحابه وباتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاجون اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الامر كله لله عز وجل لا لغيره بقوله آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده (فانظر) رحمنا الله واياك الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الاحزاب وحده فنفى عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو سبحانه وتعالى الذى خلق ودبر وأعان وأجرى الامور على يد من شاء واختار من خلقه فكل منه وكل اليه راجع ولو شاء الله عز وجل أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل وقد نطق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (فعلى المكلف) الامتثال فى الحالين أعنى فى امتثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه والنزول بساحة كرمه أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الى غير ذلك مما جاء فى هذا المعنى وهو كثير فتجده عليه الصلاة والسلام فى كل ذلك يمتثل الحكمة أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضة الخباة التى ادخرها له عليه الصلاة والسلام (وما) جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم ذكره فهو جار لامته ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كتكثير القليل وقلب الاعيان والمشى على الماء والطيران فى الهواء وما أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده (وقد)

قال

قال علماؤنا رحمة الله عليهم كل كرامة ظهرت لولي فهي معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام اذ أنه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بقيت هذه البركات في هذه الأمة لا تنقطع وكيف لا والله تعالى يقول في كتابه العزيز كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله ما يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهذا عام فيما نحن بسبيله وفي غيره

(فصل) وينبغي للمجاهد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار ليس الا بل يجاهد في سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واظهارها واخماد كلمة الكفر وابطالها (وينبغي) للمجاهدين اذا كانوا مع الامام أو في سرية وأدربوا بلاد العدو أنهم اذا صلوا الخمس يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين وفعل ذلك في غير هذه الحالة على هذه الصفة بدعة وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية والله الموفق والناصر والهادي لا رب سواه ولا مرجو الا اياه

(فصل في آداب الفقير المنقطع التارك للأسباب وكيفية نيته وهديه)

قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر وقد تقدم الكلام على الجهاد الأصغر وبقي الكلام على الجهاد الأكبر وهو هام في كل الناس الا أن الفقير أحوج الناس اليه اذ أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته اشغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغيرة فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح وكل قالب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلي والمخاطبة في سره بما يليق بجماله وهذا مقام لا يعرفه الا أهله المختصون به (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج المريد الى مجاهدة عظيمة لكي يصفو قلبه ويتجهز لتحصيل الفوائد الربانية لعله أن يظفر بها أو بشيء منها فيحصل بذلك في جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا لا يزال في جهاد (فأول) جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان الجهاد ينقسم على أربعة أقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهاد باليد وجهاد بالسيف اه وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقي الكلام هنا على باقي أقسام الجهاد

(فالجهاد بالقلب) جهاد الشيطان وجهاد النفس عن الشهوات والمحرمات قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى (وجهاد اللسان) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (ومن ذلك) ما امر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لانه عز وجل قال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير فجاهد صلى الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد المنافقين باللسان لان الله عز وجل نهاه أن يعمل بعلمه فيهم فيقيم الحدود عليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل ان يؤمر بقتالهم بالقول خاصة (وجهاد اليد زجر ذوى الامر أهل المناكر عن المنكر والباطل والمعاصى والمحرمات وعن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما يؤدى اليه الاجتهاد فى ذلك ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر (ثم) أول ما يحتاج اليه فى مجاهدته الزهد فى الدنيا لان محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها يعمى عن أمور الآخرة ويطمس القلب ويكثر فيه الوساوس والنزغات لان الشيطان وجد السبيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لانها رأس كل خطيئة (وقد) مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم فى السحر فوكزه وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال يا روح الله دعنى فقد عبدته باحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وماذاك قال بالزهد فى الدنيا قال له عيسى نم نومة العروس فى خدرها اه (ثم) ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد فى الدنيا ليس الا بل هو عام فى كل الحركات والسكنات وضابطه ان كل حركة وسكون ونفس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فليمضه وما كان لغيره فليدعه (وقد) قالوا الزهد فى فضول الكلام أفضل من الزهد فى غيره (يشهد لذلك) قوله عليه الصلاة والسلام جوابا لاصحابه رضى الله عنهم لما أثنوا على رجل قدمات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله تعالى أقل فائدة فى السكوت تسبيح الاعضاء اه فاذا كانت هذه أقل فوائده فما بالك بما هو أكبر منه ولو لم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمة عظيمة (وقد)

تقدم

تقدم فى أول الكتاب أن الاعضاء تصبح فى كل يوم تناشد اللسان أن يسامها من آفاته لانه اذا عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الاعضاء بسببه (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فوجده يمسك لسانه فقال له عمر رضى الله عنه ما هذا قال هذا الذى أوردنى الموارد فاذا كان الصديق رضى الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره (واذا) كان ذلك كذلك فليشمر الفقير الى سلوك هذه المفازة ليقطعها فانها عقبة كؤود لا يجاوزها الا المشمرون أعاد الله علينا من بركاتهم (ثم) ان الزهد فى الرياسة أعظم من الزهد فى كل ما تقدم ذكره لان النفس والمال ينفقان فى الرياسة والرياسة لا تنفق فيهما فالزهد فيها متعين (ثم) لا يظن ظان أن الرياسة انما هى فى رتب الدنيا ليس الامر هى عامة فى رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شئ فهو عند الله لا شئ ومن كان عند نفسه لا شئ فهو عند ربه شئ ولاجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفعنا الله تعالى به من رأى انه خير من الكلب فالكلب خير منه وما قاله بين الا ترى أن الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الآدميين فانه محتمل لاحدى الدارين فان كان هذا الآدمى من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وان كان من أهل الجنة فلا شك أنه خير من الكلب (ولاجل) هذا المعنى حكى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته انه كان جائعا ووجد فضلة طعام على مزبلة فجعل يأكل منه واذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الاخرى ثم نبح الكلب على ابراهيم فقال ابراهيم لا تنبح على ولا أنبح عليك كل من جهتك وأنا آكل من جهتى ان دخلت انا الجنة فانا خير منك وان دخلت النار فانت خير منى تصير لحما منه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره (وقد) قال الشيخ الامام ابو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله تعالى ان كانت نفسك فى هذه الارض فسرك فى سماء الدنيا فان نزلت الى الارض الثانية فسرك فى السماء الثانية فان نزلت الى الارض الثالثة فسرك فى السماء الثالثة فان نزلت الى الارض الرابعة فسرك فى السماء الرابعة فان نزلت الى الارض الخامسة فسرك فى السماء الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فسرك فى السماء السادسة فان نزلت الى الارض

السابعة فسرك فى السماء السابعة فان نزلت عن الارض السابعة الى ظاهر الثور الذى عليه قرار الارضين فسرك ناظر الى العرش اه (فقوله) رحمه الله انه بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسمو امره ويعلو قدره فمن أراد الفوز فليعمل على اشارته يحظ بالسلامة (واعنى) بالزهد فى مراتب الآخرة انه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لا لعوض قال الله تعالى يريدون وجهه وصاحب هذا الحال يرى نفسه انها ليست أهلا لشئ لاستحقاره نفسه وترك النظر اليها وصغارتها عنده لعظيم ما هى فيه من الخطر (وقد روى) أنه كان فى بنى اسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم أعنى من كان فى وقته من العباد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل لفلان يعبدنى ما شاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام فأخبر بنى اسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا ليس فينا أحد مثله فى العبادة والخير فبينما هم كذلك واذا بالرجل قد أتى فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بما قد وقع فقال أهلا بقضاء ربى ومضى لسبيله فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال اللهم انى كنت أعبدك ولست عند نفسى أهلا لشئ والآن قد منت على وجعلتنى أهلا لنارك فوعزتك لا زال هذا مقامى بين يديك شكرا لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام ان الله قد أوحى الى أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه بنفسه (وقد) حكى ان ابراهيم بن أدهم رحمه الله ونفع به عذله بعض الناس فى كونه لم يجلس اليهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لانه رحمه الله من أفاضل العلماء والمحدثين فقال شغلنى أربع لو فرغت منها جلست اليكم وحدثتكم فقالوا له وما هى فقال افتكرت فى نزول الملك لتصويرى فى الرحم وندائه يا رب اشقى أم سعيد فما أعرف كيف خرج جوابى الثانية انى افتكرت فى نزول ملك الموت لقبض روحى وندائه يا رب اقبضه على الاسلام أم على الكفر فما أعرف كيف خرج جوابى الثالثة انى افتكرت فى قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فما أعرف فى أى الفريقين أمتاز الرابعة انى افتكرت فى المنادى الذى ينادى حين حصول أهل

الجنة

الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يا أهل الجنة خلود لا موت فيها ويا أهل النار خلود لا موت فيها فما أعرف فى أى الدارين أكون اه (فمن) كان يتقلب بين هذه الاحوال كيف يقر له قرار أو يأوى الى عمران وانما هى غفلات والمريد مبرء من الغفلات متيقظ لما بين يديه من الامور القاطعات ناظر للناس نظر رحموم يراهم هلكى فيرحمهم ويستغفر لهم قد شمر عن ساعده خوفا منه أن يلحقه ما لحقهم اذ أن الدنيا لولا الحمق ما عمرت وطول الامل فى الانسان من أكبر الحمق والمريد ناظر الى زمانه وهو ينقسم على ثلاثة أقسام ماض ومستقبل وحال فان نظر الى الماضى فهو كندب الاطلال بطالة لا تغنى ولا فائدة فيها وان نظر الى المستقبل فالقدر ليس بيده والحياة ليست بحكمه فلم يبق الا النظر فى الحال والنظر فى الحال هو ما قاله بعض الشيوخ رحمه الله تعالى الفقير ابن وقته انتهى لان الموت متوقع مع الحركات والسكنات والانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه واذا رجع اليه فقد لا يخرج منه (واذا) كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه التكاليف والنظر فى الملبس والقوت والمسكن وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ أن نفسا واحدا لا ثمن له ولا يعتبر أمره فى الاقامة فى الدنيا اذ أن من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهو أن الموت نصب عينيه فقد انقطعت فكرته وهمومه وحسراته فى كيفية موته على الاسلام وفى قبره ووحشته وجوابه حين السؤال فيه وما بعده من الاهوال العظام فأى راحة تبقى ان هذا حاله وفكرته (كما حكى) أن انسانا جاء لبعض اخوانه يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فقال له الزائر ان تلتفت فقال أنظر الملك الموت من أى ناحية يأتينى (وقد) جاء بعضهم الى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض أصحابه فعزم عليه فقال انى صائم فاعطاه سبع تمرات أو لوزات على انه يفطر عليها فربط ذلك فى طرف كسائه فلما دق الباب وخرج له شيخه ليسلم عليه قال له الشيخ ما هذا الذى فى طرف كسائك فاخبره بما جرى فقال له الشيخ وأنت تظن أنك تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها أبدا (ولاجل) هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك اه وها هو ظاهر بين فمن كان

حاله على ما تقدم وصفه فلا راحة له دون لقاء ربه (وقد) ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح على ما نحن بسبيله حيث قال عليه الصلاة والسلام لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ومعنى ذلك والله تعالى أعلم ان المؤمن طالما هو في دار التكليف لا يزال في مكابدات وأهوال وأخطار حتى يخرج منها فيلقى ربه عز وجل فيرى ماله عنده من الكرامات فحينئذ تحصل له الراحة الحقيقية الدائمة التي لا انفصام لها (وقد) ذكر الشيخ الامام القدوة المحقق يمن بن رزق رحمه الله تعالى ونفع به في حال الفقير وزهده ما هذا لفظه (اعلم) ان الناس في الزهد على طبقات فمنهم آخذ وهو تارك ومنهم تارك وهو آخذ وانما يحمد ويصح هذا الامر لمن ترك الدنيا وزهد فيها بعد قدرته عليها (ومن الناس) من يكون مصليا نائما وآخر نائما مصليا ومفطرا صائما وصائما مفطرا وكاسيا عاريا وعاريا كاسيا وانما ذلك كله على تصرف ارادة القلب وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية والسلامة من الكسب الخبيث والقول الخبيث وفي هذا كلام كثير الا أن من صدق أبصر وتحقق ذلك وينبغي للعالم بالله وبما أمره الله تعالى به ونهاه عنه أن يكون قد ملأت قلبه عظمة الله تعالى فاشتغل بالقيام بحقوق الله تعالى عن كل فضول الدنيا من الاكل والشرب واللباس والبنيان والمركب والازواج والاولاد والخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد وأشياء مما ذكر لم يأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن ووعيده (واعلم) ان القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يغتروا بدار الغرور ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ما شوق اليه وعد القرآن ووعيده من الخلود في دار النعيم أو دار الهوان ان في هذا البلاغا لقوم عابدين انما دعا الى دار السلام من خلقها وزينها وجلاها فخض أيها المريد الغمرات شوقا الى نعيمها وأجب الداعي الصادق الوفي الى ما وعد ودعاك اليه فانه قد حذرك نفسك وهواك وأنذرك حلول دار سخطه والتخلص من ذلك كله والوصول الى نعيم دار الخلود رفض المحبوب من اتباع الهوى فارفضه واجعل الموت ضجيعك والزهد قرينك والجد سلاحك والصدق مركبك والاخلاص زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق الى الجنة صاحب لوائك

والمعرفة

والمعرفة على ميمنتك واليقين على ميسرتك والثقة على ساقتك والصبر امير جندك والرضى وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والشكر خليلك ثم انقر الى عدوك وصافقه بجميع ماذكرت لك وطب نفسا عن دار الهموم والاحزان الى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

(فصل) ثم قال رحمه الله فلينظر العبد الى الله تعالى فى كل أمره فانه من نظر الى نفسه أو الى أحد من المخلوقين بأمل رجاء منفعته كان عز وبا اقلبه عن الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين وقد قال الله عز وجل لداود عليه السلام يا داود انى قد آليت على نفسى أن لا أثيب عبدا من عبادى الا عبدا قد علمت من طلبته وارادته والقاه كفه بين يدى انه لا غنى له عنى وانه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكلته اليها أضف الاشياء الى فانى أنا منت بها عليك (واعلم) ان العباد انما تفاوتوا وتباينوا فباختيارهم نظر الله تعالى على اختيار أنفسهم زادهم ذلك سرعة وقربا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم وبالسهو عنه واختيارهم نظرا نفسهم على نظر الله تعالى زادهم ذلك بطاءو بعدا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم فكن فى نظرك الى ربك ناظرا بأن لا تؤمل غير صنعه ولا ترجو غير معونته واثقا باختياره فان ذلك أقرب وأسرع فى معونته لك فان الذين قلدوا أمورهم ربهم ووثقوا به ولجئوا اليه قدأماتوا من قلوبهم تدبير أنفسهم وجعلوا الامور عندهم أسبابا مع قيامهم بها والمحافظة عليها فاولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم بما طمئنانهم به وسكونهم اليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على منهاجه فما تقلبوا فيه من الامر فعلى الرضى والطمأنينة ومن سواهم من الخلق فى مؤنة وتعب من أنفسهم حيث اختاروها وتوكلوا عليها فاورثتهم الهم والغموم وأما أهل العبودية لله فهم الذين قلدوه أمورهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين لهم من خطإ من اختار نفسه فجعلوا اختيارهم الرضى بما صيرهم اليه مولاهم من أمورهم فزالت الغموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق فى أحوالهم وأورثهم الغنى والعز فى قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجات الى

المخلوقين وأنتهم لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به ونزه أنفسهم عما سوى ذلك اكراما لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن التشاغل بما أغناهم عنه فصنهم من كل دنس وأمشاهم في طرقات الدنيا طيبين موالين له فهم في السموات أشهر منهم في الارض ولأصواتهم هناك دوى ونور يعرفون به ويحبون عليه وقد رفع أبصار قلوبهم اليه فهي ناظرة اليه بتلك القلوب غير محجوبة عنه بلا ادراك منهم لصفة ولا صورة ولا حد ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأحبهم وحببهم الى ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى يا داود تفضل على عبادي أكتبك من أوليائي وأحبائي وأباهي بك حملة عرشي وأرفع الحجب بيني وبينك فتنظر الى ببصر قلبك لا أحجبك عن ذلك ما كنت متمسكا بطاعتي (وذكر) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه انه قال قل لاهل محبتي يشتغلوا بي فاذا علمت أن الغالب على قلوبهم الاشتغال بي والانقطاع الي كان حقا علي أن أرفع الحجب بيني وبينهم ينظرون الي بأبصار قلوبهم فهم يتنعمون بذكري قد أغناهم ذلك عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة (فهؤلاء) قد ملأ الله اسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه فأدبوا أنفسهم بالعبودية له والدخول في محبته وذلك ان تأديب الرجل نفسه في مطعمه ومشربه وملبسه يزيد في صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه ويقهر هواه فيقوم عند ذلك مقام أهل القوة الى أن يرفعه الله الى منزلة فوقها حتى يستوي عنده الاخذ والترك فلا يأسفوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما أتاهم للغنى الذي وقر في قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكرا له في العلم به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم الى ما قل من الدنيا وكفى فهي لا تطلع الى غير ذلك ناظرين الى ربهم في أمورهم كلها الى الاسباب نظرهم من غير تفريط في اقامة الاسباب الخالصة من أعمال البر فان لبسوا خشنا أو لينا أو حسنا أو قبيحا أو أكلوا طيبا أو كريها أو حلوا أو مرا أو حامضا أو قليلا أو كثيرا لم يغير ذلك من قلوبهم من الحال التي هي عليها من ذكر ربهم وتعظيمه وذلك ان قلوبهم عامرة من ذكر الخالق وليس لشئ سواه في قلوبهم ثبوت الا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت فلم يقم الناس مقاما

أشرف من أن يعلقوا قلوبهم بربهم ولا أولى بهم من ذلك لانهم أشد الناس محافظة على جمع همومهم فى صلاتهم وجميع ما يتقربون به من ربهم ان قاموا عرفوا بين يدى من هم قيام له وكذلك ان ركعوا وسجدوا أو تلوا القرآن أو دعوا ربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك فبه زكت أعمالهم وصوبت عقولهم فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند ذلك خطأهم وكثر صوابهم فمن كان يريد الدخول فى محبة طاعة الله فلا يكن له ثقة الا الله ولا غنى الا به ولا أمل غيره يرجوه ويتخذه وكيلا فى أموره كلها راضيا بقضائه فيما نقله اليه من أموره راضيا باختيار الله له متهما رأيه ولما تسول له نفسه مسلما راضيا عن الله غير متخير ولا متملك فيما أحدث الله من مرض أو صحة أو رخاء أو شدة مما أحب أو كره وليكن قلبه بذلك راضيا لوضع الثقة بربه وحسن الظن به (فاذا) كان العبد كذلك ردت الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى منزلة الرضى بما كفاه وحماه من الدنيا وان قل وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله فجعله الله من أولى الالباب ثم ألهمه مولاه علما من علمه فعرفه ما لم يكن يعرفه وعلمه ما لم يكن يعلمه فعن الله أخذ علمه وبأمر الله جل ذكره تأدب فطهرت أخلاقه لما آثر أمر الله ولجأ اليه فتمت عليه نعمة الله فى الدنيا والآخرة فاولئك المحبوبون فى أهل السموات المعروفون فيها خفى أمرهم على أهل الارض وظهر أمرهم لاهل السموات لكلامهم هناك دوى ولبكائهم حنين تقعقع له أبواب السماء من سرعة فتحها اجابة لدعائهم فأعظم بهم عند الله جاها ومنزلة وأعظم بهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون بربهم قريرة أعينهم طربة قلوبهم بذكره مشتاقة ساكنة مطمئنة اليه قد تقدموا الناس وانقطع الناس عنهم وأشرفوا على الناس واشتغل الناس عنهم فعجبوا من الناس وعجب الناس منهم انقطعوا الى الله بهمومهم وأهوائهم وعلموا به قلوبهم ولجئوا الى الله لجأ المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخاصت اليه عقولهم بالمودة فانزلوا نفسه انه معصية محرمة عليهم فقبلهم واجتباهم ونعمهم وخصهم وكفاهم وآواهم وعلمهم وعرفهم وأسمعهم وبصرهم وحجبهم عن الآفات وحجب الآفات عنهم واقامهم مقام الطهارة وأنزلهم منازل

السلامة وأقام قلوبهم بذكره فلم يريدوا به بدلا ولا عنه حولا صبابة لديه وطربا واشتياقا اليه قد أذاقهم من حلاوة ذكره والمقهم من لذاذة مناجاته وسقاهم بكاسه فهم والهون به ليس لهم مسكن غيره تضطرب قلوبهم عند فقده حتى ترجع الى موضع حنينها يحتملون الاشياء له ولا يحتملون شيئا من غير امره ولهم في كل يوم وليلة منه هدايا مجددة فتارة يغلب على قلوبهم تعظيم ربهم وجلاله وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب على قلوبهم آلاؤه ونعماؤه وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه وتارة يغلب على قلوبهم رأفته ورحمته وتارة يصيرون الى حنينه ولهم في كل تارة دمعة ولذة وفي كل دمعة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم في كل فكرة وعبرة مهتاجة طربة هائمة لذكر الله مشتغلة به عما سواه فهم يسقون من كل تارة مشربا سائغا يذيقهم لذته ولهم في كل مقام علم زيادة يعرفهم ما يحدث لهم في قلوبهم من الزيادة فلورأيتهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وأفضوا الى الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت الاشياء الشاغلة عن قلوبهم فصمت عنها اسماعهم وانصرفت أبصار قلوبهم اليه فلهت به عما سواه حتى اذا جنهم الليل وزجرهم القرآن بجوائبه من وعده ووعيده وأخباره وأمثاله شربوا من كل نوع كاسا من الزجر والتحذير والاخبار والامثال والوعد والوعيد ووجدوا حلاوة ماشربوا حتى اذا صفا يقينهم ارتفعوا الى عظمة سيدهم وجلال مولاهم خضع كل عضو منهم لله وخشعت كل جارحة منهم لسكونها اليه غير منتشرة عليهم همومهم بل كل ذلك لذاذة لاستماعه فقد كشف لهم القرآن عن أموره وكشف لهم عن عجائبه ودلهم على باطن علمه فيفهمونه فيسمون به الى جلال سيدهم ووقاره حتى اذا اتقدت الانوار في قلوبهم وتمكن اليقين من أجوافهم وحنت القلوب لحنينها وضاقت عن احتمال ماهجم عليها هاج منهم ما لا يملكون امساكه فلما بلغ الامر منهم مداه وانتهى كل شئ منهم منتهاه أقبل عليهم ربهم جل جلاله بالطمأنينة والسكون فلولا حسن سياسته لهم ونظره ولطفه بهم ما رجعت اليهم عقولهم ولا أثبتوا معارفهم ولا سكنوا منازلهم للذي هجم على أبصار قلوبهم من عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة ومحبة في كل ما امتحنهم

به من أمر الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا
عن النعيم بذكر مولاهم وكل ذلك منة منه وتفضل عليهم فهم أدلاء لعباده
وأعلام في بلاده وحجة له على خلقه وخلف الأنبياء وودائع علمه فبهم ينزل
الغيث وبهم يصرف العذاب وبهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرانينا
يحبون الله ويحبون ذكره أقاموا مشيئتهم فيما وافق محبة ربهم يغضبون
لغضبه ويحبون لمحبته فهو يسوسهم بسياسته ويوفقهم بتوفيقه يأتيهم
العون من الله تعالى في كل حال يرحمون الخلق برحمة ربهم ويؤملون فضله قد
أزال عن قلوبهم المطامع واسكنها الغنى فاكتفوا بإجزاهم وبلغوا بما بلغهم
فهم القانتون الراهبون السائحون الراغبون المحبون لله الذين فكروا
في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة ثم ورثوا الشوق
ثم رفعهم الى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ولم يكن لهم فيها غير ربهم همة غلبت
المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهوائهم فبنوا على ذلك أعمالهم
وصيروا فيه جميع رغباتهم ثم رفعهم الى مزيد فوائده فهم أولياء الله حقا منهم
المرسلون والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماء
وأهل الارض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة
ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب اليه والاشتغال به والتفكه انما
يصيبونه على موضع التقوية على عبادة ربهم وددوا لو انهم أكلوا من الدنيا
أكلة واحدة تكون آخر زادهم منها لاكتفوا بما قل فلما أعطوا الله ذلك
من قلوبهم ضيق امعاءهم واسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من المطعم
فعند ذلك خفت عليهم مؤنة الدنيا فلم ينافسوا فيها احدا فتلك حالاتهم في
المطعم والملبس ماتهيأ اكلوه وليسوه ليس لهم تخيير ولا تلذذ في اخذ ولا ترك
خوف الشهوات والاشتغال بما هم فيه فاسكن الله في قلوبهم من معرفته
وحبه ما اذاب كل مودة لاهل او ولد او مال فان عرض من ذلك في قلوبهم
عارض نخاطر من غير ثبوت فيها ورثوا نور الهدى فابصروا مواضع حيل
ابليس ومكره فكسروا عليه كيده ولبسوا عليه امره ودلوا الناس على
مواضع مكره فهم نجباء الله في عباده وامناؤه في بلاده ثم اسكن محبتهم في
ملكوت السموات في عليين فاحبهم وحببهم الى ملائكته (فاحبوا) قلوبكم

ايها المريدون بالذكر واميتوها بالخشية ونوروها بحب لقاء الله وفرحوها بالشوق اليه واقمعوها بالمناصحة (واعلموا) انكم بالمحبة ترتفعون وبالمعرفة ترهبون وبالشوق ترغبون وبحسن النية تقهرون الهوى وبترك الشهوات تصفو لكم اعمالكم وتؤثرون ربكم وحده حتى يؤثركم لكوت السماء في عليين فمن كان منكم مريدا للراحة فليعمل في منازل اهل محبة الله جل ذكره بعزم وارادة قوية وهي الدرجات السبع التي تتنقل فيها بنو آدم حتى يصيروا الى المعرفة والعلم وهي الدرجات التي ارسل الله جل ذكره عليها الرسل ثم الانبياء الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملائكة انما يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والعوائد وانما ورث ذلك الانبياء من المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الانبياء الصديقون فاقتدوا بهم وجدوا في آثارهم فانه لم يحكم هذه الدرجات السبع الا رسول او نبي او صديق او بدل من الابدال الذين جعلهم الله اوتاد الارض فسقى بهم الغيث وانزل على العباد بدعائهم الرحمة وصرف عنهم بهم السوء فمن كان مريدا للعمل في هذه الدرجات والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين في سيرهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشيء منها شغله حتى تغلب عليه فليبدأ برفض الدنيا وطرحها من قلبه حتى لا تعدل عنده قدر جناح بعوضة فانها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة واصغر

(فصل) قال رحمه الله فاول ما يبدأ به ويتناول من الدرجات السبع درجة المعرفة وهو ان يعرف ربه كما ينبغي له من حيث تعرف اليه ربه فقد تعرف الى خلقه بخلقه اياهم وتدبيره فيهم وبصفته بما وصف به نفسه فانه غفور رحيم لمن أناب اليه وطلب رضاه وانه شديد العقاب لمن كذب به وكذب عليه وكذب رسله وعصاه (واعلم) ان من لم يحكم امر المعرفة لم يدرك ما سواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرنا ولا تكون المعرفة حتى تثبت في القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كذلك كانت الاعمال الصالحة على قدر المعرفة فان قصر في المعرفة كان في العمل أشد تقصيرا وضعفا لنيته ولم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات ومن عرف الله علم انه قائم على قلبه بما

كسب وانه معه يراه وينظره فى جميع أحواله فاذا علم ان ذلك كذلك لم يكن شئ أحب اليه من رضاه ولقائه ولا أبغض اليه من معصيته وبقائه وان أحب البقاء فى الدنيا لم يحبه الا للعمل بطاعته (ولينظر) المريد للمعرفة فى أسماء الله ويتدبرها حتى يعرفه بها ويدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك العلم وهى الدرجة الثانية (فاذا) كان عالما به علم أنه لا يقبل منه الا ما أمره به ونهاه عنه وعلم ان ذلك عنده ينشطه للعمل الصالح (ثم) يورث قلبه بعد ذلك الخشية وهى الدرجة الثالثة درجة التقوى لقول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وهى مراقبته فى السر والعلانية (فاذا) دخل فى هذه الدرجة استقل كل ما يعمله لله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهدا ولا اجتهادا ولا عمل (فاذا) وصل العبد الى ذلك وداب على عمله فيما يرضى ربه نظر الله اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه المحبة له وهى الدرجة الرابعة (فاذا) صار الى هذه الدرجة آثر حب الله على جميع حب خلقه وأحبه الله وحببه الى ملائكته الذين حول عرشه والى ملائكة السموات كلها وأهل الارض ومن فيها وبسط حبه على الماء فلا يشرب أحد من جميع خلقه الا أحبه ولا يزداد فى عمله الا جدا واجتهادا فورث قلبه بعد هذا الشوق اليه والمحبة للقائه وهى الدرجة الخامسة (فيكون) بمنزلة العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض واجتناب المحارم ويكون فى ذلك الحال أقوى من كل عامل فى الدنيا وارفع منزلة لانه لم يتفرغ قلبه من ذكر ربه طرفة عين لا نائما ولا قائما ولا آكلا ولا شاربا والله لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح فى الماء ولما انتفع بشئ من أمور الدنيا حتى يموت تشوقا الى الله الا انه اذا رآه الله على تلك الحال من عليه بالطمأنينة وهى الدرجة السادسة (فيطمئن) قلبه حتى يكون كأنه معاين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وانيسه وسائسه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج الى غيره فيكون معظم دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن فى الارض فعند ذلك لا تسقط له دعوة وهى الدرجة السابعة (فاذا) صار الى تلك الحال لم يتقوه

بشئ من حوائجه اذا خطرت بباله تصير بين يديه وما أراد منها يأتيه من غير أن يدعو بشئ خطر على باله لطفا من الله وتعاهدا منه حتى يعجب من لطفه ونظره وصنعه فيكون قوله عدلا وفعله رضى فالحمد لله الذى من والاه نعمه وأغناه والحمد لله رب العالمين اه

* (فصل فى الرياء) * اعلم وفقنا الله وإياك ان آكد ما على المريد فى ابتداء أمره التحفظ على نفسه والتحرز من الآفات التى تعتوره فيما هو بصدده اذ ان العوائق كثيرة ظاهرا وباطنا فقد يكون ذلك سببا لمنع الوصول الى ما تقدم ذكره فيأخذ نفسه أولا بالجد والاجتهاد فى التحرز مما ذكر ليسلم له ما تقدم وصفه (فأول ذلك) أن يتقى الرياء والعجب والشهرة والكبر لانه سم قاتل أدنى الاشياء منه يحبط الاعمال كلها وقد يخفى فى بعض الاحوال لانه أخفى من دبيب النمل كما ورد (لكن) يتبين أمره وتظهر آفاته بما ذكره الشيخ الامام يمن بن رزق رحمه الله (وهو) أن قال أصل العبد لم يزل مذ نشأ مرائيا فى جميع أحواله وذلك لميله الى الدنيا وايثاره لها على الآخرة واهماله نفسه وارساله نيته فلما أهمل نفسه وقلت محاسبته لها لم يتخلص من الرياء فعمل للدنيا على غير أصل نية ثابتة وقد نهى الله عن احباط النفس وتضييع الاعمال فقال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فنهاهم عز وجل عن اضاعة الأعمال فلا يكون عمل من الاعمال الا عن ارادة ولا تكون الارادة الا عن نية وقد نهى الله تبارك وتعالى عن اضاعة شئ من ذلك وأى عمل أكبر من الارادة والنية وقد وجدنا الانسان لا يخلو من حركة أو سكون والحركة والسكون جميعها عمل وقد نهى الله عن تضييع العمل فلما ترك ما أمره الله به من اخلاص العمل لم يميز بين الرياء وغيره وأمرج نفسه فعمل على ما يخطر بباله وجميع ما يتقلب فيه رياء محض ظاهر لا يعرفه هو ومن نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة فى قلبه فهم يرون فعلهم فعل أهل الرياء فهم من يمسك عن صاحبه لمعرفته به ولو أنه أبدى اليه شيئا من عيوبه لنفر منه وذب عن نفسه وأبطل ما نسبه اليه فصار عدوا مشاحنا وأقل ما يقول للعارف بعيوبه حسدتنى فلما علم الحكيم أهل زمانه وان زمانه زمان غلبة الهوى وأعجاب كل ذى رأى برأيه

أمرج نفسه تركها ترعى على هواها اه

اعتزل

اعتزل بنفسه ونفر عن العامة وعلم أنه زمان قد صار المعروف فيه عند أهله منكرا وان الشر قد أحاط بالخير واعتزل أهل زمانه بصدق الارادة فلما تبين له الصدق وما فيه وان العمل لا يصفو الا بالصدق اتقى الكذب وفنونه كلها وتشوفت عند ذلك نفسه الى الكذب والرياء لحلاوة فنونه عندها فأخذها بالجد والاجتهاد فى ترك ذلك فلما رأت ذلك منه رجعت منقادة فلما صارت الى تلك الحالة ورأى العبد ذلك منها ازداد الى الصدق تشوقا وازداد للكذب مقتا وانما كان ينفر الصدق وفنونه من قلبه لغلبة الكذب وفنونه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة عند المخلوقين والمحمدة والعزة والتعظيم والتخيير فى الاعمال الكاذبة فمن عمل بالصدق وانفى الكذب برئ من الرياء والعجب ودواعى الشر كله فاذا خلا من ذلك ثبت الصدق وفنونه فى قلبه (قال) بعض الحكماء ان الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه فى بدعة فان امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة ليحرم حلالا أو يحل حراما فان امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه فى وضوئه وصلاته وصيامه حتى يعتقد بهواه أمرا يضل به عن السبيل ويدع العلم فاذا قدر منه على شئ من ذلك خلى بينه وبين العبادة والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر ويخفف ذلك عليه وربما كايده الشيطان من الردة فيقول له ابليس دعه لا تصده عما يريد فانما يأمرى يعمل فاذا نظر اليه الناس فى عبادته وزهده وصبره ورضاه بالذل قالت العامة ومن لا علم له هذا عالم مصيب صابر فيتبعونه على ضلالته ويمدله ابليس الصوت فيجب بعمله فيكون فتنة لكل مفتون ومن علامته الاعجاب برأيه والازراء على من لا يعمل مثل عمله ويكون نظره للناس بالاحتقار لهم ويتغضب عليهم فى التقصير به (وقد) روى فى العلم احذر وافتنة العابد الجاهل والعالم الفاسق فان فتنتهما فتنة لكل مفتون (واعلم) يا أخى ان العبد اذا أراد أن يعمل العمل بالرفق قال له العدو ان العمل بالخير لا ينفعك حتى تدع الشر كله وتزهد فى الدنيا وتعتزل عن الناس فاعرف نفسك واصلح عيوبك والذى عندك أكثر وأعظم من ان يصلح هكذا سريعا ويعظم عليه الامر

الصوت والصات والصيتة والصيت واحد ومعناها الذكر بخير اه

حتى يكاد يقنط وينقطع عن العمل وان كان فى يديه دنيا عرض له بحسن الظن والرجاء والتسويف وطول الامل فان أجابه الى هذا الباب قطعه عن البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال التوبة قال صدقت لعمرى لقد فرطت وأخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهاد ولا تريد أن تقصر فيلزمه أشد العبادة فيثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان اشتهر بذلك عند الناس ألقى اليه طول الامل وخوفه قلة الصبر ويقول له لك بالناس أسوة فيبغض اليه العبادة ويثقلها عليه ثم يقول له ان الناس قد عرفوك بالعمل فلا تبدلهم التقصير ودع نفسك فى السر ويعرض له بغذائه الاول من الشهوات التى كان يصيبها فيميل اليها ويرجع الى حالته الاولى وصار عمله علانية رياء لا ينفعه شئ وعلامة ذلك أن يستحلى الكلام فى الزهد وما يزينه عند الناس ويحبب اليه مجالسة الناس فتقصر عبادته وزهده كله بالكلام (فالعالم) عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه على الخير وكثرة الاعداء فاخذ الامر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء الاعمال والاخلاص فيها وان فات الاعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل الطباع بالرفق وموافقة السنة وأخرج الناس من قلبه وقصد جهاد نفسه ومحاربة الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف لما يلقون اليه فان الله جل ثناؤه قد جعل لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحا يدفع به تلك المكيدات (وينبغى) للعابد أن يعرف نزغات الشيطان من أين تأتيه وما تهواه النفس فان الشيطان لا يصل الى العبد ولا يقدر عليه الا من قبل موافقة الهوى فاذا بدا العبد بنفسه ومحاربتها وبهواه فأماته هان عليه الشيطان (واعلم) يا أخى ان هذا الدين متين فان أنت وغلت فيه بالرفق أمكنك وشر السير الحقحقة وقليل تدوم عليه خير من اجتهاد يقطعك فانك لم ترشيئا أشد تولبا من القارى اذا تولى (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من الحور بعد الكور (وكانوا) يحبون الزيادة ويكرهون النقصان (وينبغى) للعابد أن يكون حذرا من مخالفة السنة فان من خالف السنة خالف الحق ومن خالف الحق هلك (فات) العلماء والزم أدبهم فان رأيتهم يقصرون فى بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتد بذى البصيرة منهم والبصر ومن يوافق

الحقحقة السير بعنف والحور كالنقص ومعناه والكور بوزن الزيد ومعناه اه

قوله

قوله فعله (وذلك) انه يروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال عقول الرجال على قدر أزمنتهم فاذا نقص العقل نقص البركة فاعرف نفسك فى زمانك (واعلم) ان الزهد والعبادة والعلم المعمول به فى هذا الزمان قليل واذا كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على نزولها واذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب فى الدنيا والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر خوج والجاهل من شدة الصبر حرج وأما العالم الصادق الذى استوجب اسم العلم على الحقيقة فانه يكره من عمله بالله أن يظهر بلسانه أو بيده أو بجوارحه أكثر مما فى قلبه فيمقته الله على ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم والتقصير والتقلل وكره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذى يعمل بجهل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوسع من الدنيا حتى صبر على الدنيا من الجزع فاحذر أن تصبر صبر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله وخف على أهل الجهل ونوم العالم أفضل من اجتهاد الجاهل وضحك العالم بالله أفضل من بكاء الجاهل فاحذر ابليس على أفعالك كلها واحذر نفسك وهواك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحدا منهم على دينك (واعلم) ان ابليس قد نصب لك حبائله وأقعد لك الرصدة على كل منهل وقد سلطان يجرى منك مجرى الدم فى العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم (واعلم) انه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك واليأس والأمن من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته فى شئ من ذلك وأنت على سبيل هلكة فحينئذ يخلى بينك وبين ماشئت من العمل فان خالفته أتاك من قبل الدنيا ليستولى الهوى على قلبك فيتمكن هو من الذى يريد منك فان خالفته أتاك من قبل المعاصى فان خالفته أتاك من قبل النصيحة (وهذه) الخصال التى وصفت لك كلها أشد من المعاصى وصاحبها لا يكاد يتوب من شئ منها وربما انقلب العبد فتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان الناس يقتدون بك فاعمل وأعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون مثل عملك ويكون لك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله مثل أجر فاعله فاذا ظهر عمله فرح به فصار معجبا وحمد نفسه ففنى النعمة

عليه فاذا نظر الى عمله حبب اليه حمدهم واتخاذ المنزلة عندهم فاذا فعل ذلك صار مرائيا مفاخرا (فانهم) فرح القلب بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح اقرب واسرع منه الى القلب الحزين وأقل من معرفة الناس فانه ليس يأتيك ماتكره الا من تعرف فان كان لا يأتيك ماتكره الا من قبلهم فكلما قلوا كان خيرا (واعلم) ان العبد يعمل العمل فى السر فلا يزال به ابليس يقول اظهره ليقتدى بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى يظهره فاذا أظهره كتب فى ديوان العلانية فلا يزال به حتى يفتخر به فاذا افتخر به كتب فى ديوان الرياء فعليك بعمل السر وكتمانه وخمول النفس واسقاط المنزلة واكتم الحسنات كما تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات كما تخاف من فضيحة السيئات فان المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق كلهم انما يفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات اذا دخلها الرياء افتضح عند الخلق كلهم فاحذر واستح من الله ان يراك تعمل لغيره وتطلب الثواب منه واخلص العمل لله واصدق فيه (واعلم) ان تخليص العمل فى العمل أشد من العمل حتى يتخلص والاتقاء من العمل بعد العمل أشد من العمل فى العمل (واعلم) انه لا يقبل الله عملا من مراء ولا من مسمع ولا من داع الا بثبوت من قلبه واحذر الرياء كله فان أوله وآخره باطل وكن فى العمل متانيا وقافا فاذا هممت بعمل فقف عنده فان كان لله خالصا فامض فيه واستعن بالله على اخلاصه واكلف من العمل ما تطيق وتحب ان تزداد منه ودم عليه فان احب الاعمال الى الله أدومها وان قل فاعمل بما يتبين لك انه حق واضح فاذا اشكل عليك فقف ولا تقتحم وناظر العلماء الذين يعملون بعلمهم فهم الذين قصدوا الى الله وهم الدعاة الى سبيل النجاة الادلاء على الله لان المؤمن وقاف عند ما اشتبه عليه وليس كخاطب الليل فناظر العلماء فيما التبس عليك فما اجمعوا عليه فخذ به وما اختلفوا فيه فخذ أنت فيه بالثقة والاحتياط فان الاثم حواز القلوب (واعلم) ان ابليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله متى تلحق بهم فليقل له عند ذلك قد عرفت انا فى الطلب ان رفقت لحقت وان لم ارفق لم الحق ان صبرت على القليل نلت الكثير وان عجزت عن القليل فانا عن الكثير

قوله حواز القلوب بالهملة وتشديد الواو من الحيازة ويروى حواز بتشديد الزاى جمع حاز ويروى حوز بزايين الاولى مشددة من الحرز فيهما اه

الكثير بحجز وقد قال الله عز وجل واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فالزينة من الشيطان والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملا فرأى الشيطان معه نورا كانت همة الخبيث أن يطفئ ذلك النور فان كان الغالب على العبد عمل السر أنور له الى عمل العلانية بحيلته ومكيدته فان عمل فى العلانية بصدق واخلاص فرأى فى عمله العلانية نورا وصبرا أمره بمخالطة الناس ليؤذى فلا يحتمل فان خالطهم فآذوه واحتمل الاذى أمره بالعزلة والراحة من الناس ليعجب بما يعمل ويقصر من العمل فان اعتزل وصبر واخلص قال له ارفق خير لك فيصده عن العبادة وانما يلتمس من الاشياء غفلته فينبغى للعبد أن يكون غير غافل عنه وليستعن بالله عليه (واعلم) ان صاحب الاخلاص يخاف وجل محزون متواضع منتظر للفرج من عند الله يرجو أنه نجا كما قال الله ولا عليه والجاهل فرح فخور متكبر مدل بعمله (ويروى) عن بعض الحكماء انه قال انى لا أعرف مائة باب من الخير وليس عندى منها شئ (واعلم) ان العالم العامل الصادق المخلص العارف الخائف المشتاق الراضى المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يجب أن لا يرى شخصه ولا يحكى قوله ويود أنه أفلت كما فاته معرفته بنفسه بلغت به هذه الدرجات وتمسكه بهذه العزائم أوصله الى محض الايمان والجاهل المسكين يجب أن يعرف بالخير وينتشر عنه وينشر ذكره ولا يحب أن يزرى عليه فى قول ولا فعل بل يحب أن يحمد على ذلك كله ويوطأ عقبه وان لم يزرا لهم شيئا وانما شدة حبه لذلك لحلاوة الثناء والحب لاقامة المنزلة والفتنة فى هذا عظيمة والمؤنة عليه شديدة وهو عبد من عبيد الهوى يتلاعب به الشيطان كل التلاعب تنقضى أيامه ويفنى عمره على هذا الحال أسيرا للشيطان وعبدا للهوى (واعلم) ان الشيطان اذا نظر الى العبد مريدا صادقا مخلصا مداوما عارفا بنفسه عارفا بهواه معاندا لهما حذرا منهما مستعدا عارفا بفقره الى الله تعالى قال له ان هذا الامر لا يصلح الا بالاعوان عليه والشيطان على الواحد أقوى وهو من الاثنين أبعد فجالس اخوانك وذاكرهم وأخبرهم بمايتوبك فى عملك من نفسك وهواك ومن عدوك فانهم يدلونك ويعينونك يريد بذلك ذهاب حزن الخلوات واطفاء نور العزلة وقطع سبيل النجاة وفتح طريق

الفضول والاشتغال بغير الله واخراجه من عمل السر الى عمل العلانية وانما يريد بذلك كله اطفاءه فقد أحدث الله عز وجل في قلب العبد من نور فكر الخلوات فان قلت هذا الغاه ومن الشيطان قال لك أجل انما هو من الشيطان تعلم ان الناس أفضل من عملك فلو اخبرت الناس بذلك لكان خيرا لك ليعلموا من آفات الاعمال ما تعلم فتؤجر فيهم فان قلت ايضا هذا من الشيطان قال لك لولا علمك لم تعلم بهذه الآفات لتعجب بنفسك وتنسى النعمة عليك في العمل فتخمد النفس فلا يجاوز عملك رأسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفية ومن الشهوات الخفية أن يخفي العبد عمله ويحب أن يعلم الناس به ويحب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل خفي في السر الا أنه يحب أن يرى أثر ذلك العمل عليه اما من علامة عطش ان كان صائما أو علامة سهر في الوجه ان كان قام من الليل (واعلم) ان العبد ان قال انا أعمل لله لا للناس قال له صدقت أخلص عملك لله فان الخلص يحببه الله الى الناس ويعرفهم فضله فان قال العبد وما حاجتي الى الناس قال فأنت الآن الخلص الذي قد اخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت وانت معصوم فان عقل العبد وقال له ومن أنا وانما الاعمال من من الله على العباد وانها شكر وانما الاعمال بخواتيمها وانما الثواب على الله يوم الجزاء ان أخلص ولم يعجب بعمله ولم ينسب الى نفسه نعمة هي من الله قد وجب له بها عليه الشكر فانه يقول للعبد عند ذلك الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك وقمت بشكر النعمة وتواضعت لربك وبرأت نفسك من العمل ونسبته الى الذي هو منه فان قلت ذلك منه هلكت ولكن قل أنا أرجو وأخاف وليس الى من النجاة شيء ولست أدري بما يختم لي عملي (واياك) ثم اياك والتزين بترك التزين وذلك انه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد بذلك كله التزين فان فعلت ذلك نزلت بمحلة خشوع النفاق وان عرفت نفسك بشيء من ذلك ولم تسارع الى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت فاتق الله في جميع أمورك واعمل له كأنك تراه فان قال لك الخبيث الآن نجوت حين عرفت نفسك وأنزلتها هذه المنزلة وحذرت هواك وعدوك فقل الآن هلكت حين أمنت العقاب فان قال لك الآن نجوت حين خفت

ان تكون قد امنت العقاب فقل الآن هلكت لو كنت صادقا الصدق قولى
فعلى ولازددت خوفا وحياء من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بينى
وبينك وجعلنى فى حرزه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان ولم تكن انت تدخل على عملى فان قال لك جاهد
نفسك فانه أفضل العمل فان الناس قد شغلهم امر غيرهم واتبعوا أهواءهم
وانت بينهم غريب وانت كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس وقد روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى للغرباء وانت المعروف فى اهل
السماء والمجهول فى اهل الارض فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا
من الشيطان قال لك صدقت هذا من الشيطان وقد كثرت عليك مكائده
ومجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك ان كنت شقيا لم تسعد أبدا
وان كنت سعيدا لم تشق أبدا ولا يضرك ترك العمل ان كنت سعيدا ولا
ينفعك العمل الكثير ان كنت شقيا فان قبلت الهبوط الذى ألقاه اليك
هلكت وان تركت العمل وثلت من الشهوات على الغرور وحسن الظن
بزعمك والاتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب والامانى الكاذبة
ورجوت الجنة بالغرور وطلبتها طلب المتعبدين بالراحة عطبت وان
امتنعت قال لك احسن ظنك بالله فانه يقول انا عند ظن عبدى بى والله يحب
اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك واعتصم بالله
وكفى بالله حسيبا (واعلم) انك ان كنت فى بلد وأنت فيه سالم واسرك فيه
مستقيم والغرور معك فى فعلك وقولك قال لك عليك بالغرور وعليك بمكة
وعليك بكذا فان قبلت ذلك رأيت فترة فى عاجل عملك وقساوة فى قلبك
ووقعت فى المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر واشغل به عن
الدأب فى العبادة والنشاط الذى كان معك فان صرت الى بلد انت فيه
مسرور وقلبك ريح قال لك موضعك كان اصلح لقلبك واجمع لهمتك فارجع
الى موضعك فان احب الاعمال الى الله دوامها مع معرفة النفس والفقر
الى الله تعالى فان للدأب ثوابا وللصبر ثوابا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون (واعلم) ان من يعجب بالاعمال اكثر ممن يهلك بها وكل عبد ميسر
لما خلق له (واعلم) ان من يهلك بالتعريط والتضييع اكثر وينبغى للمؤمن

قوله ريح بالتشديد
كطيب وزنا ومعنى اه

أن يكون راغبا راهبا لا يأمن ولا ييأس (واعلم) انه يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خبالا ان كنت مقلا عندك من الدنيا شئ يسير تريد أن تقوته نفسك امرك بالصدقة ورغبك فيها لتخرج ما في يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك في حال الغفلة وان كنت غنيا امرك بالامساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة وقال لك ابدا من تعول ولعلك تكبر وتضعف ويطول عمرك يريد بذلك أن تصير الى حال البخل فيظفر بك وان كنت تصوم وقد عرفت بالصوم واحببت ان تريح نفسك قال لك قد عرفت بالصوم لا تفطر فيضع الناس أمرك على انك قد كبرت وتغيرت وفترت وعجزت فان قلت مالي وللناس قال لك صدقت أفطر فان المحسن معان سيضعون أمرك على أحسن الوجوه فان قبلت ذلك منه وافطرت على ان الناس سيضعون أمرك على احسن الوجوه والمنزلة لا تسقط عندهم بافطارك فقد عطبت وان أنفت نفيت ذلك تركه ونصب لك بابا آخر فقال لك عليك بالتواضع ليشهرك عند الناس وكلما ازددت تواضعا على قوله منه لك شهوة والشهرة ازداد كلبا عليك (فاتق) ما وصفت لك والجأ الى الله في أمورك كلها واترك كل شئ من الدنيا العمل الآخرة رغبة منك في الآخرة وحبا لها وايثارا لها على الدنيا فيحبك اياها تصل اليها وبقدر حبك لها تعمل لها واقل الدنيا وابغضها فبقدر بغضك لها تزهد فيها وانظر ان كنت ذا علم تخاف أن توقف يوم القيامة فيقال لك بعدا وسحقا بعد العلم والتبصر مالت الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسخط الله ما غرك بربك الكريم أيها المغرور فليعبد الله العالم بطاعة العلم وليترك طاعة الجهل وليترك الاغترار (واعلم) ان الشيطان يوم القيامة يتبرأ من جميع من أطاعه في الدنيا وهو يقول في الدنيا من ظن انه يغويني بحيلة ففي حبالي وقع قال الله تبارك وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فافهم واحذروا فطن وانظر وحارب واستعد وكايد وجاهد واستعن بالله تعالى (واعلم) ان العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها ثواب الله وحده فثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وان أراد بها ثواب الله وحد غيره هلك (واعلم) ان أولى الاشياء

بالعبد أن يخلص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير أن الاصل فى اخلاص العمل أن يعمل العبد العمل كله يريد به الله لا يحب أن يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك ولم يحب أن يحمده أحد على شئ من عمله ولم يتخذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان (وأما الرياء) فهو أن تحب أن يحمدك الناس على شئ من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم ير العمل لم يكتف بالكثير (واعلم) ان الناس فى العمل على ثلاثة أصناف (صنف) اهملوا أنفسهم فى العمل من البر فعملوا ليعرفوا بالخير فهم الهالكون (وصنف) أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده يكابدون الاعمال بالصدق والاخلاص ويتقون فساد الاعمال ولا يحبون الحمدة من المخلوقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيئا من العمل للناس ولا يتركون من أجلهم شيئا وأحيانا تعرض لهم العوارض وأحيانا يسلمون منها (وصنف) قوى اخلاصهم واستقامت سريرتهم وعلانيتهم اخلصوا العمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهم بها ونظروا اليها بالعين التى ينبغى أن ينظر بها اليها فرأوا عيوبها فمقتوها وصدقوا الله فى مقتهم لها وتركوها زهدا فيها وصدقوا الله فى ذلك فمات ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها فى قلوبهم قرار لقوة التعظيم لله فى قلوبهم فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لأهلها فى قلوبهم مستقر ولا قرار فالحمد لله ذى المن والفضل العظيم ومن الرياء أن العبد يرائى أهل الدنيا بالدنيا فى لباسه ومركوبه ومسكنه وفرشه وطعامه وشرابه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها صيانة نفسه وهو رياء وليس كالرياء بالاعمال التى يبتغى بها وجه الله لان المراءين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله فى الحديث ولكنك فعلت ليقال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك (وهذا) الذى راءى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه من الفساد هو من الباب الآخر وكلاهما شديد والله المستعان وذلك ان المفاخر انما يريد اقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج اليها لما معه من حب الدنيا وذلك ان قلبه مشغول عن الله تعالى وعن

طلب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فيتغير من كان له مطيعا فما أشد مضرة هذا الباب (وعلامة المريد) النظر الى من هو دونه فى الرزق والى من هو فوقه فى العمل للآخرة ويتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ولا يأخذ لنفسه ولا يترك لنفسه وما أخذه فانما نيته فيه القوة على دينه واقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك (وأما العجب) فأصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه وأفعاله وينسى أن ذلك انما هو منة من الله تعالى عليه فيحسن حال نفسه عنده ويقل شكره وينسب الى نفسه شيئا هو من غيرها وهى مطبوعة على خلافه فان غفل هلك واستدرج وكان معجبا بعبادته مزريا على من لم يعمل عمله قد عمى عن عيوب نفسه فيكون مستكثرا لعمله مسرورا به راضيا عن نفسه فرحا بها يسعى فى هواها غضبه لها ورضاه لها ولا يخلو العجب بعمله من أن يكون مرائيا لانهما قرينان لا يفترقان ولا يكون المعجب محزونا ولا خائفا أبدا لأن العجب ينفى الخوف (واعلم) يا أخى ان الناظر الى الله فيما يعمل قد نفى العجب عنه لعلمه ان العمل انما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفى الاعمال كلها عنها فليس لها عنده فيها حظ ولا نصيب (واعلم) انهم صنفان (صنف) علماء أقوياء فهم الذين نظروا الى الله فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله وكثيره (وصنف) نظروا الى السبب الذى أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب والصنف الاول أقوى من هؤلاء أولئك لا يعرض لهم العجب لعلمهم به وهؤلاء ربما أعجبوا بالسبب وربما انتفى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا بشكر ذلك فلهم حسنة وهم دون أولئك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم من العجب فقد هلكوا الا أن ينبه الله من شاء منهم فيتوب عليه (والعجب كثير) وهو آفة المتعبدين من الاولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة ابليس التى أهلكه الله بها (وأما الشهرة) واشارة الناس الى العبد فانها لن تضر الا من أرادها والمرء ملبس زين عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فكم من مستتر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ

المنزلة

المنزلة عند الناس قدشانه الله به وانما يصلح ذلك ويفسده الضمير فان أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وان أراد الله وحده وكان مخلصا لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف ورعا لحقه حب معرفتهم اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذى يحيط الاعمال ومن ذلك حب معرفتهم اياه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والغضب لله وفى الله فان قام بذلك ونفى مايجبه وكانت نصيحته لله وللمؤمنين ونجاة نفسه نجا وان اعتقد شيئا من اتخاذ المنزلة أو حب الثناء أو طلب رياسة أو ليقبل قوله فقد شرب السم الذى لا يبقى ولا يذر ولا عاصم من ذلك الا الله (والرياء) والعجب والكبر والشهرة انما هى من اعمال القلب فتوسل يا أخى الى الله فى اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك انها له خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ومن أحب الله أحبه كل شئ والله مسبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فاذا أردت عملا فابتغ بذلك ثواب الله واكثر ما تؤمل من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل ويخلصه الله من الآفات ويقويك عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص من بدنك شئ فى ليلك ونهارك لتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا اصبحت كيف مضت عليك ليلتك بتعبها ونصبها وبقى لك ثوابها وسرورها يكن ذلك قوة لك على ما تستقبل فالحسنة نور فى القلب وسرور يجده العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرة العين وحلاوة القرب اليه ولم يدعهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالمحبة لهم والاجلال مع مافى قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس وكانوا من أهل الجهالة بهم كانوا أرفع خلق الله فى الدنيا ومن كان بالطاعة عاملا كان من أعز الناس عند الناس وأغناهم بالله ومن هاب الله فى السر هابه الناس فى العلانية وبقدر مايستحى العبد من الله فى الخلوة يستحى الناس منه فى العلانية وينبغى للعالم أن تكون محبته فى العمل بالحسنات سترها ونسيانها فانه سيحفظها

له من لا ينساها ويحصى له مثاقيل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات
فليعرف نفسه ولا يغرنه ثناء من جهله فذكر أيها العامل في العواقب فان
أحببت أن يحبك الناس أو يقطنوا بحسناتك اذا عملتها لله كموك ويحلوك
فقد تعرضت لمقت الله عز وجل لك ومحك انك ان أسقطك الله سقطت فلا
تفتر من الوجهين جميعا وان سلمت لك آخرتك سلمت لك دنياك وان خسران
الآخرة خسران الدنيا والآخرة جميعا ومن ربح الآخرة ربحهما جميعا
(واعلم) انك ان غضبت على الناس في شئ هو لنفسك فأبديته لهم أو لم تبده
لهم علم ذلك من قلبك فقد تعرضت لغضبه اذا أظهرت أنك انما غضبت
لنفسك (واعلم) ان الله جل ذكره لا يخفى عليه من أمرك خافية وليس الفرق
بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم وفرحك بثنائهم بحسناتك وأنت
تريد ثوابها من ربك لقد ابتليت أيها العبد بحسناتك وعظم فيها بلاؤك
ولعلها أضر عليك من بعض سيئاتك فان بلغ بك البلاء أن تفرح اذا مدحوك
بغير عملك أو بأكثر من عملك فقبله قلبك أحبط الله عملك ثم تصير الى حال
حب مجيء الاخوان اليك في أوقات الاعمال فتفرح وان أتوك في وقت
فراغك غمك ذلك والله سائلك عن ذلك كله وتظهر منك الحزن وتوهم
الناس ان ذلك من شدة الاهتمام بالآخرة وانما ذلك منك تصنع تحب أن
يحمدوك على ذلك فانت اذن قد هلكت من الوجهين جميعا فخف الله
في سرائر نفسك وعلانيتها واحتقر حسناتك جهدك واستكثر منها
ما استطعت حتى يعظم قدرك عند الله وتعظم حسناتك واستكبر صغير
ذنبك حتى يصغر عند الله وخف من صغير ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله
وارج بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها فارج حسناتك
وخف سيئاتك ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين
(وينبغي) للعبد أن يعرف عجزه وضعفه فيقطع سببه من نفسه ويرجع
الى العز والمنعة ويتوجه الى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام
والتوكل والاستظهار والانتصار به على الاعداء فيجد عند ذلك
العز والروح والفرج والمنعة ويفوض أمره الى الملك الجبار فما اختار
له من شئ رضي به وسلم فان عرض له بعد ذلك غم أو روع علم ان ذلك
بلوى من الله فيرجع اليه حينئذ بالانكسار والافتقار اليه لما فرط منه

ويطلب الروح والفرج بالتقوى وهو اسماع العبد الى قول ربه ما أمره به فعله وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها مجموعة له فى روضة واحدة (فانظر) يا أخى ولا تدع ما فيه المخرج الا خرجت منه وما كان مما فرط منك مما لا حيلة فيه الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك والاضطراب فى حضرة الله والاجتهاد قبل فوات الايام وهجوم الموت عليك واكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفتر عما أمكنك من الاستغفار ثم عليك بعد بالتخلص من العائق الذى يشغل عن الله جل ذكره حتى تكون مؤثرا لله على ما سواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله المستعان (واعلم) ان من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فاذا كان ذلك كذلك صار العبد حى القلب قابلا للموعظة معظما لما عظم الله مصغرا لما صغر الله فاذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو ان رجلا أحيا قلبه فى كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة موتة لخفت عليه حتى تكون حياته دائمة تموت به خواطر نفس ليس لها قرار والخاطر اذا صرم اصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسرورا بالعارض ولا مشغولا بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شاء الله والله المستعان واذا لم يكن مع العبد روع وغم عند الخاطر فهو ميت فاذا كان كذلك فليرجع الى التقوى والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحياة يتولد من العلم المفهوم فاذا علم وفهم العلم بما أمر الله به قبل الموعظة لنصحه بتعظيمه ما عظم الله والقلب الحى تكفيه غمزة فينتبه والقلب الميت لو قرص بالمقاريض لم ينتبه ولم يحى وذلك ان الله عز وجل يقول أو من كان ميتا فأحييناه وذلك ان قبل وأجاب الداعى ومن لم يقبل الموعظة ولم يجب الداعى فانه كما قال عز وجل أموات غير أحياء وما يشعرون ومن علم انه ميت فقد حيى بعلمه انه ميت ولا ينفعه العلم الا بالقبول وايثار الرب على هواه فمن كان مقرا بأنه عاص وليس يتحول وليس معه الروع والغم الشديد وهو على حالته التى ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو ميت ولا ينفعه علمه الا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع الى الرغبة والرهبة والطاعة ومن اراده الله وفقه ونبهه من الزلة وايقظه من الغفلة

وانما هذه كلها مواريث حب الدنيا واتباع الهوى وطول الامل (وينبغي) لمن كان يبتغي لنفسه طاعة ربه أن يرجو ما ثقل عليه من البر ويتهم ما خف عليه من ذلك لان قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية في العمل يخفف ثقيل العمل وقليل الصدق أوزن وارجح من كثير الكذب (واعلم) ان ارادتك العمل عمل فانظر في ارادتك حتى يصح لك عملك ويراك الله لنيتك طالبا واولها صحيحا كما يراك في عملك مخلصا فان الاعمال بالنيات (واعلم) انك ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربحت عملك وظفرت باكثر من عملك (واعلم) ان عدوك ينظر الى ابتداء نيتك وابتداء عملك وقد يخفى عليك سقم نيتك كما يخفى عليك سقم غيرك فاحذر ان تكون نيتك سقيمة فقم على تصحيحها فان العمل تابع للنية ان صحت صح وان فسدت فسد (واعلم) ان العدو اذا رأى في نيتك سقما رغبك في ذلك العمل ولم يثقله عليك بل يخففه عليك مخافة أن يقنطك بالسقم وود حينئذ أن الناس كلهم أحبوك في ذلك العمل ومدحوك اذا ظفر منك بسقم النية ويزيدك قوة ونشاطا في عملك ويحسنه عندك وفي أعين الناس ويحببهم اليك فكلما أثنوا عليك استحليت عملك وخف عليك وقد ستر عنك داء الحسنات وداء السيئات ومن داء الحسنات انه لا يمنعك من تركها الا مخافة أن تسقط من أعين الناس (واعلم) ان ربحه منك اذا سقمت نيتك أكثر من ربحه منك اذا أحببت الدنيا واتسعت منها ومن داء السيئات سقم نيتك (واعلم) ان العدو ربما أفسد الحسنات أولا بسقم النية وربما أفسدها آخرا بتعظيم الناس لك فاذا علم أنك لا تحب ذلك ولم تجنح الى معصية خلاك وذاك فاحذر على عملك كله من حيلة الخبيث واذا رأيت العمل قد خف فكن أشد ما تكون له حذرا اذا خف على نفسك العمل فهو أفسد ما يكون اذا صح عندك (واعلم) ان الشيطان أعرف بك وبما تهواه نفسك منك ولا تدع العمل من أجل آفته ولكن اعمل بنية وصحة واستعن بالله وكن حذرا طالبا للخلاص كارها معاندا الفساد العمل لا تريد الثواب الا من الله وحده وطالب الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك في الدنيا ثوابا فان الذي قدر الله عز وجل أن يصل اليك من رزق أو أجر أو ثناء فانه صائر اليك فعليك بالصدق واتخذه

ذخر اليوم ينفع الصادقين صدقهم وانظر اذا صح عملك عندك فكن أخوف ما يكون من فساده ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فان آفة العمل الأمن عليه (واعلم) ان الأمن على الحسنات أضر عليها من السيئات والأمن على السيئات أضر عليك من السيئات (واعلم) ان أمنك على الحسنة أحب الى ابليس من السيئة وقنوطك بعد السيئة أحب الى ابليس من السيئة واستصغارك السيئة كبيرة أحب اليه من سيئة بعد سيئة واستصغارك السيئة أردتها ثم تركتها أحب اليه من كبيرة ثم ثبتها ثم استغفرت منها لعظمها عندك فافهم ما ألقى اليك من هذا الباب واحذره (واعلم) ان ابليس الخبيث يجرى على ألسنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب في عمله قوة حتى يستوى بين الصادق والكاذب فاحذر تجديدا القوة في العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قلبك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو رياء فيه لطف وله حلاوة واياك أن تقول واحزناه على الحزن وأخاف أن لا أكون أخاف واحزناه على الاحزان فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك عن بكائك واظهارك الخوف والحزن واظهارك انك لست بحزين واظهارك انك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بأمر الآخرة وذمك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولا بليس في هذه الخصال مذاهب تلتبس على كثير من الناس وهي تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفي وقتها احذرا شديدا والله المستعان (وانظر) كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الذم والوقيعة فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في فعلك أم كاذب فاذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فانه الموضع الذي فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول (واعلم) ان فرائض جوارحك انما تقوم بفرائض قلبك (واعلم) ان النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض

وتبنى عليها الاعمال وترك الذنوب فريضة فكل امر فيه معصية فهو مردود ومحال أن يتقرب الى الله بمعاصيه لان ينال الله محومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم (واعلم) ان الله فرض الارادة له بالايمان والاعمال يراد بهما وجهه فاصاب المؤمن الصادق بنيته الفريضتين جميعا الظاهرة والباطنة (واعلم) انك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما فيها على أن تظهر حسنا لك أو ترائى بها ما فعلت (واعلم) ان المريد فى ترك الميتة يخاف من الله أن يشبع منها ويخاف منه أن ينال منها وهو مستغن عنها ويخاف منه أن يدخر منها وهو محتاج اليها فهو يخاف من الله ان يعصيه فيما أحله له ويخاف أن يشبع مما اباحه له فمن قام فى هذا المقام من أهل الدنيا فقد بلغ الغاية من الزهد فيها واقام الاشياء كلها التى فى الدنيا مقام الميتة فانما ينال منها البلغة عند ما اضطر اليها ويخاف من الله ان ترك أخذ تلك البلغة فى وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن يعذب على أخذ الحرام البين (واعلم) ان تمام الاشياء كلها انما هو بالقيام بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه (واعلم) انه ليس من عقلك ان تأخذ ميتة فتخزنها ولا ان فاتت حزنت عليها ولا ان وجدتها فرحت بها لانك منها على مقت لها وتقذر منك لها فاذا خفت منها أن تنالها نفيت المخافة التى حلت بقلبك حلاوتها وهى الدنيا فتجتزئ منها بما أقام صلبك وأديت به فرضك ودع ماسوى ذلك يكابده غيرك والذى تحتاج اليه من الدنيا يسيرها وهو ما تستر به عورتك وتقيم به صلبك لاداء فرائضك وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طلب الآخرة ترك الدنيا ومنتهى طلب الدنيا جمع ما أحببت من الدنيا فاذا رأيت نفسك تأنس بقرب الدينار والدرهم وتستوحش لفقدهما فاعلم انك محب للدنيا ومن كان محبا للدنيا فهو قال للآخرة اه

(فصل فى الصدق والعقل) واعلم ان الاصل الذى يحترز به مما تقدم ذكره انما هو الصدق والعقل والصدق محله القلب واذا كان كذلك فينبغى الاعتناء بشأنهما (وما) قاله الشيخ الامام يمن بن رزق رحمه الله فى ذلك فيه غنية عن غيره وبيان تام (قال) رحمه الله اعلم يا أخى علما يقينا لاشك

فيه

فيه ان الصادق لا يكذب اهله ولا يالوهم نصحا فى ارتياده لهم فان أخاك من
صدقك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه هواك وان عدوك من كذبك
وغشك وان وافق ذلك هواك (واعلم) يا أخى انى لما أطلت الفكرة وصححت
فى ذلك النظر علمت ان الله جل ثناؤه بارئ النسم وولى النعم ومالك الامم
لم يخلقنى واياك عبثا ولا هو تاركى واياك سدى وان لى ولك معادا نقف فيه
بين يدى الملك الجبار للحكم بيننا وللفصل فينا وانه لم يخلقنى واياك حين
خلقنا الهزل ولا اللعب ولا الفناء دائم وانما خلقنا لبقاء الابد ودوام النعم فى
جواره وجوار ملائكته وانبيائه او فى الشقاء الدائم للابد فالعاقل متيقظ
لما خلق له مستعد لما هو صائر اليه فانتبه من رقدته وافاق من سكرته
فعمل وجد وابصر فزجر النفس عن دار الغرور الخادعة الزائلة
التى قد ولت بخدعتها وفتنت بغرورها وشوقت بحطامها فلما عرفها
العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب فى دار البقاء والسرور
وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يحب مما يطيق التقرب به اليه ورتب بيا به
واما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو معتنقها أيها الميت عن قريب
والمبعوث بعد موته الى دار القيامة المسئول عن اقباله وادباره فى دار الدنيا
الموقوف عن قليل بين يدى الملك الجبار الذى لا يجور هل أعددت لذلك
الموقف حجة تدافع عنك أو أعددت للسؤال جوابا فان الله يقول ولقد جاءهم
من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فاياك يا أخى والنزول
بحلة المخدوعين (واعلم) ان السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وان عطاياه
كثيرة لا تجازى وان مواهبه كثيرة لا تكافأ (واعلم) يا أخى انى لم أر نعمة
متقدمة من الله عز وجل لخلقه أفضل من نعمة العقل التى جعلها الله دلالة
لخلقه على معرفته والوصول بها الى محض الايمان به والذى أطلعهم الله
به على مكنون علمه حتى ورثوا البصائر ونفوا به خاطر الشك وكابدوا
وساوس الشيطان ومعاريض فتنته واستضاءوا بنور العقول فى طريق
حيرتهم فتجنبوها وخرجوا من ظلم الشك واعتقدوا بها معرفة الله والايمان
به والاخلاص والتوحيد وأفردوا الله جل جلاله وتقدست أسماؤه
بالربوبية والعظمة والكبرياء (واعلم) ان اهل اللب استدلوا به على خلق

رتب كوقف
وزنا ومعنى اه

انفسهم وعلى خلق الخلق كلهم وانهم موسومون بسمة الفطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغيير الاحوال فاول ابتداء الله لهم أن وهب لهم العقول التي بها وصلوا الى الايمان وبالايمان وصلوا الى نور اليقين وبنور اليقين وصلوا الى خالص التفكر وبخالص التفكر وصلوا الى استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا الى الصدق في الاعمال واخلاصها لله تعالى فورثهم ذلك البصائر في قلوبهم فوضحت الحكمة في صدورهم وجرت ينابيعها على ألسنتهم فهجموا بفطن قلوبهم على غوامض الغيوب والارادة والاخلاص الذي ركب فيهم وادركوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وادركوا بغائص فهمهم العلم المحجوب فعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله وسلموا اليه الخلق والامر فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة وينابيع للحكمة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتتلذذ في حجب الغيوب وتخطر في طرقات الجنات فالحمد لله الذي لا اله الا هو العظيم الذي من والاه نعمه وأغناه (واعلم) يا اخي ان من صدق الله أوصله الى الجولان في ملكوت السموات بقلبه ثم يرجع اليه بطرف ما قد افاده السيد الكريم فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد ومعجائب فكر لا تنقضي ومعادن جواهر لا تفنى وبحور حكمة لا تنزح ابدا ومع ذلك ملكوا الجوارح والابدان (واعلم) يا اخي ان في ابن آدم مضغة ان صلحت صلح سائر جسده وان فسدت فسد سائر جسده وهي القلب (واعلم) انه لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن اجل ذلك صار القلب واللسان ملكي البدن والجوارح والقلب هو المسلط على استخدامهم وذلك انه معدن العقل والعلم والعناية بجميع الخير والشر مستودع القلب (واعلم) يا اخي اني وجدت اللسان مترجما عن القلب ارادته وذخائر بصائره ووجدت الذكر جلاء لصدأ القلوب وتيقظا من وسن الافئدة (واعلم) اني وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل اكثر والحجة عليه آكد فمن هاهنا ألزم الحجة وانقطعت المعاذير مع الاعذار والانذار فلله الحجة البالغة علينا وعلى اهل العقول من خلقه وما اعرف ان احدا اتى الامن قبل تضييع الشكر لانه ليس من ولد آدم احد الا وهو

قوله بطرف كتصف وزنا ومعنى اه

مختص

115

مختص بنعمة العقل الا قليل فمنهم من حثى له من الشكر وحثى عليه ومنهم من أعطى من العقل دون ذلك فشكر الله على قليل ما أعطى فزاده الله حتى علا فى درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها بشكر فنقص عن درجة العقل لأن العبد قد أعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغى أن يكون شكره على قدر عظيم النعمة عليه (واعلم) ان العقل والهوى ضدان مركبان فى العبد كتركيب الجوارح وهما يعتركان فى قلب ابن آدم فأيهما غلب استعلى على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بالمستولى عليه فكان له تبعا فشكر العبد اذا كان لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة علمه وعقله فيؤثر دلالتهما وما يدعوان اليه على هوى نفسه (واعلم) ان الامر عظيم على قدر ما نرى من غلبة الهوى علينا واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجهالنا فلما كان ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه وقل العمل به والقيام بحقه وقد فشا الكذب وكثر الرياء والتزين للدنيا وسلوك أودية الهوى ونزول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب على تلك الغفلة فتتلف النفس وان الهوى قد قام مقام الحق يعمل به ويقضى بقضائه ويحكم بحكمه وقام سوء الادب والمكر والخديعة مقام القبول وقامت المداهنة مقام المداراة وقام الغش مقام النصح وقام الكذب مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص وقام الشك مقام اليقين وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمن مقام الخوف وقام الجزع مقام الصبر وقام السخط مقام الرضى وقام الجهل مقام العلم وقامت الخيانة مقام الامانة فصار من قلة الاكياس لا تعرف الحمقى ومن قلة أهل الصدق لا يعرف أهل الكذب الا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة فاعتدل الناس فى قبح السريرة وقلة الاستقامة فى أمور الآخرة الا من عصم الله فاصبحنا وقد حيل بيننا وبين النقص الذى نكرهه من أنفسنا وحيل بيننا وبين أن ندخل فى الزيادة التى نحبها لانفسنا عقوبة لقبح اسرارنا فجرينا فى ميدان الجهل وغلب علينا سكر حب الدنيا فنحن نستبق فى هذين السبيلين ونتنافس فى الاستكثار منهما فصح عندى أن من الجهل بامر الله والاغترار به القيام على هذه الحالة والسلامة منها أيسر وأقرب رشدا وهو

ان يكون المرء فى البلد الذى لا يعرف فيه مع القناص الى خمول الذكر أيهما كان وطول الصمت وقلة المخالطة للناس والاعتصام بالله والعض على الكسر اليابسة وما دنؤ من اللباس ما لم يكن مشهورا والتمسك بالقرآن والصبر على الشدائد وانتظار الفرج (واعلم) انى قد نظرت ببحث النفس والعناية بها فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيما والغفلة عن الخطر أعظم من الخطر لانه انما يعظم الخطر عند أولى العقول فكلما عظم الخطر وعلمت انه عظيم وكنت من أهل البصيرة حركك عظيم الخطر فانتقلت من عظيم الغفلة الى حال اليقظ ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

* (فصل فى ذكر الطمع وقبحه) * وقال رحمه الله ينبغى لك يا أخى أن لا تأذن لقلبك فى استصحاب ما يعسر عليك طلبه وتخاف اطفاء نور القلب من أجله وكن فى تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة واقطع أسباب الطمع فيستريح قلبك ويصير الى عز الاياس واماتة الطمع فيسد عليك سبيل الفقر ويسكن قلبك عن العناء ويسقط عنك بذلك الشغل بالمخلوقين واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الامل وقطعه واطلب راحة البدن باجماع القلب على عدم الشغل برؤية المخلوقين وتعرض لرقة القلب بدوام محالسة أهل الذكر من اهل العقول والمعرفة وحسن الادب النار أبين افضل الكلام فان مجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق ويقدح فيه النور وتجرى فيه ينابيع الحكمة وافتح باب دواعى الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول الفكر واستجلب الفكر بالتوحش من الناس فان أبوابها فى مواطن الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة هواك واياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه ينزلك بمحلة المصرين من أهل المكر والاستدراج وذلك لان للرجاء طرقا تؤدى الى الامن والغفلة فاياك أن تتخذه مطية لسفرك وتخلص يا أخى الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثير الرضى بذلك واستقلال كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب لنفسك العز باماتة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الاياس واستجلب عز الاياس ببعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الامل وبادره بانتهاز النعمة عند امكان

الفرصة خوف فوات الامكان ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان واحذر التسويف فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك يا أخي والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجري باهله بالخسران واياك والثقة بغير المأمون فان للشر ضراوة كضراوة الذئاب ولا سلامة كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا مصيبة كمصيبة العقل ولا عدم كقلة اليقين ولا جهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوة كردك الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب النفاق ولا طاعة كقصر الامل ولا ذل كالطمع وفقنا الله واياك لما اليه دعانا واعاننا واياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فصل في التزين) وقال رحمه الله وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال العقول معادن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الاعمال والبصائر دلالة على اختيار عواقب الامور واختيار مواردها وتصريف مصادرها (والتزين) اسم لثلاث معان فمتزين بعلم ومتزين بجهل ومتزين بترك التزين وهو أعظمها فتنة وأحبها الى ابليس (واعلم) ان الاساس الذي ينبغي للمريد أن يبني عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فاذا عرف عيوب نفسه وأرادها خذا ليسلم به من شر نفسه ان شاء الله تعالى فليبدأ بالخلوة وخمول نفسه فلعله حينئذ أن يدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحترز به عما نهى الله عنه والشوق الذي يدرك به أمله من محبة الله والالم يزل متحيرا متلذذا متزينا بالكلام يأنس بمجالس الوحشة ويثق بغير المأمون ويطمئن لاهل الريب ويحتمل اهل الميل الى الدنيا ويغتر بأهل الحرص والرغبة ويتأسى بأهل الضعف ويستريح الى أهل الجهل ميلا منه الى هواه الى أن يفجأه الموت وحلول الندم (واذا) وجدت المريد المدعي للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف ولا يهرب ممن لا يعرف وينبسط ويمكن نفسه من الكلام بين ظهراني من يعرف فاتهم حاله اما أن لا يكون صادقا في ارادته أو يكون جاهلا بطريق سلامته أو مغلوبا على عقله وعلمه مستحوذا عليه هواه وما التوفيق الا بالله

العلى العظيم (واعلم) يا أخى علما يقينا لاشك فيه انا لم نبن أساس الدين على طلب السلامة فيه من الخطاء ولا على حسن السيرة مناقى الاخلاق والآداب ولكنا ابتنيناه على أساس الهوى وعلى ماخف محمله على قلوبنا واستخفته أنفسنا واستحلته ألسنتنا فأمضينا فيه أعمالنا طمعا فى الزيادة من التقوى بزعمنا ودركا حسن السيرة مناقى الاخلاق والآداب فنظرنا بعد ذلك فاذا قد رجعت علينا اعمال ايثار الهوى بالنقص من الزيادة فى الدين وبقبح السيرة مناقى الاخلاق والآداب بنظرنا الامور الدنيا والآخرة فورثنا ذلك الخب والغش والمداهنة فصيرنا الغش والمداهنة مداراة وصيرنا الخب عقولا وآدابا ومروءات يحتمل بعضنا بعضا على ذلك فاعقبنا ذلك تباغضا فى القلوب وتحاسدا وتقاطعا وتدابرا فتحابينا بالالسن مع الرؤية وتباغضنا بالقلوب مع فقد الرؤية نذم الدنيا بالألسن ونميل اليها بالقلوب وندافعها عنا فى الظاهر بالقول ونجرها بالايدى والأرجل فى الباطن فاصبحنا مع قبح هذا الوصف وسماجته لانستاهل به خروجا عن النقص ولا دخولا فى الزيادة فانا لله وانا اليه راجعون والله المستعان وأصبحنا الا نجد رجلا صادقا فنتأسى به ولا خائفا فنلزمه للزومه له ولا محزونا يعقل الحزن فنباكيه فقد صرنا نتلاهى بفضول الكلام ونأنس بمجالس الوحشة ونقتدى بغير القدوة مصرين على ذلك غير مقلعين ولا تائبين منه ولا هاربين من مكر الاستدراج فنعوذ بالله من التولى عن الله والسقوط من عين الله والشغل بغير الله ان الله جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثوابا أى ماوعد به سبحانه من التفضل والاحسان وعلى المعصية عقابا فالثواب لايجب للعبد على الله الا من بعد تصحيح العمل وتخليصه من الآفات وتصحيح ذلك وتخليصه لايتم الا بالمعرفة والاعتزام واحتمال مؤنته وتصحيح العمل والاعتزام والاحتمال والصبر على العمل لايكون الامن بعد ثبات الخوف فى القلب والخوف لايوجد الامن بعد ثبات اليقين فى القلب وثبات اليقين لايكون الامن بعد صحة تركيب العقل فى العبد فاذا صح تركيب العقل فى العبد وثبت وقع الخوف مما قد أيقن به فجاءت عزيمة الصبر من غير تكلف فاحتملت النفس حينئذ مؤنة العمل طمعا فى ثواب ماقد أيقنت به على فعل الطاعة ورهبة عقاب ماقد أيقنت

به على فعل المعصية فتركت المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها فكلف الاحمق الكيس ولم يعذر على لزوم الحمق وكلف الجاهل التعليم ولم يعذر على غلبة الهوى وكلف العامل الصدق والاخلاص والتيقظ في عمله ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكلف العاقل الصدق في قوله ولم يعذر بالميل الى الكذب وكلف الصادق المخلص الصبر عن ابتغاء تعجيل ثواب عمله في الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمال خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر في طلبهم تعجيل ثواب عملهم ولم يؤخروا ثواب الاعمال ليوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وخدعتهم الانفس الامارة بالسوء عند ستر سرائر اعمالهم حتى ابدوها للمخلوقين بالمعاني والمعاريض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس فضيلة ورفعة فتعجلت أنفسهم ذخائر اعمالهم وحلاوة سرائرهم بحسن الثناء والتكرمة والتعظيم ووطء الاعقاب والرياسة والتوسعة لهم في المجالس واغفلوا سؤال الله لهم في عقدهم لمن عملوا وماذا طلبوا فخسروا أنفسهم واعمالهم وخسارة ماهنالك باقية وندامة ماهنالك طويلة لما وردوا على الله فوجدوا عظيم ما كانوا يؤملون من ثواب سرائر أعمالهم التي عاجلوا فيها أنفسهم في الدنيا فمنعوها هنالك لانهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين وخرجوا من خير اعمالهم صفر اليدين فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف غب قلة الصبر وابتغاء تعجيل الثواب والميل الى الدنيا وايثار شهواتها ولذاتها فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا ينبغي تعجيل الثواب ههنا وما التوفيق الا بالله العلي العظيم

الكيس كالعقل وزنا ومعنى اه

(فصل في الغيبة والنميمة) وقال رحمه الله اعلم ان مخرج الغيبة انما هو من تزكية النفس والرضى عنها لانك انما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها عندك وانما اغتبته بما ترى انك منه بري ولم تغتبه بشئ الا وما احتملت في نفسك من العيب أكثر وانما يقبله منك مثلك فلو عقلت ان فيك من النقص أكثر لحجزك ذلك عن غيبته ولاستحييت أن تغتابه بما فيك أكثر

منه ولو علمت ان جرمك عظيم بغيبتك غيرك وظنك انك مبرء من العيوب
لحجزك ذلك ولشغلك عن ذلك وكيف وانما يلقى الاموات الاموات ولو كانوا
احياء اذن ما احتملوا ذلك منك ولتناهوا (واعلم) ان ميت الاموات أحمد فى
العاقبة من ميت الاحياء وتفسير ميت الاحياء اموات القلوب وهم أحياء
فى الدنيا فمن كانت هذه صفته كثرت أوزاره وعظمت بليته فاحذر يا اخى
الغيبة كحذرك عظيم البلاء أن ينزل بك فان الغيبة اذا نزلت وثبتت فى
القلب وأذن صاحبها لنفسه فى احتمالها لم ترض بسكناها حتى توسع
لاخواتها وهى النميمة والبغى وسوء الظن والبهتان والكبر وما احتملها
لبيب ولا رضى بها حكيم ولا استصحبها ولى لله قط فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل فى الاستدراج) وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعنيين فأحد
المعنيين استدراج عقوبة للسيئة تنبيها على الانابة والمعنى الثانى استدراج
لاانابة فيه ولا رجوع فنعوذ بالله من الاستدراج وانما يستدرج العبد على
قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من
يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج
بالتوسعة فى تجارته بالتوسعة فى المال ومنهم من يستدرج بالاهل والولد
والعاشية والتبع ووطء الاعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بان يكرم
بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فهو مستدرج بقليل حظه من علمه
ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب فى عمله والقوة على ذلك فى بدنه
ومنهم ذو البصيرة يستدرج بالزيادة فى بصيرته فجميع من ذكرنا من
المستدرجين كلهم لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى
الا أنه على الطريق مقبول منه احسانه وقد عمى عن فتنة ما هو فيه من
الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيرجع الى الانابة ويفزع الى الاستكانة
ومنهم من يهمل فيهمل نفسه الى حضور اجله وقد قال الله عز وجل لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى فهذه فتنة الاستدراج فنعوذ
بالله من ذلك والمستدرج مفتون فلا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحسن ما
هو فيه طالب للزيادة على ما هو عليه مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم

ان

ان الاستدراج عقوبة للمصيبين شكر النعم

(فصل فى اليقين) وقال رحمه الله اعلم ان للموقن علامة واضحة تعرفها من نفسك ومن غيرك وهى ان الموقن يعظم عنده الخطأ والزلل وان كان غير مؤاخذ به لغفلته عنها وركونه اليها بالشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمع نفسه فيما هو اعظم منها اذا عمل منها شيئا ظن أنه قد استوجب النار وانه مسلوب بها ما أنعم عليه به فاذا كان العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم (ان قلت) مابال أقوام عارفين يذنبون (قلت) ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند اساءتهم الى أنفسهم فتجد عندهم النعم ويستقبلون الشكر فيصيرون بذلك الى أعلى درجاتهم انتهى

(فصل فى العجب) وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعنى استدراج الملوك وغيرهم (لكن) بقى من الكلام على ذلك بقية يحتاج الى ذكرها فى هذا الفصل (قال) رحمه الله فالعامة معجبون بما أوتوا من الاهل والولد والاموال والارباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقراء معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت بقراءتهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على اظهار الزهد والصلاة والصوم فليس من هذه الاصناف صنف الا وهو يحب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه واصل ذلك كله من التجبر وهذه فنونه فاذا ثبت التجبر فى قلب عبد ثبتت فنونه جميعا والتجبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزين والطيش والبجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلابة والكذب والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفاء والشح وقلة الحياء مع فنون جميع الشر فنعوذ بالله من الشر كله

التزمت كالتلون وزنا ومعنى اى

الجريرة كسفينة الذنب والخلابة بوزن الخيانة الخديعة اى

(فصل فى التواضع) وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع فى القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرقة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفى الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة

فى العمل بالخير والبطاء عن الشر كل امرئ على قدر ما فيه من البر يكون فعله على قدر ذلك ويكون حذره على قدر ذلك (فان) كنت تسأل عن العجب الذى دخل أصحاب الاعمال من العباد فسأخبرك بفتنتهم وشدة بليتهم فتوقها واحذرها واستعن بالله فانه ليس شئ أعجب الى ابليس الخبيث من فتنة العابد لان فتنة أهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا والناس قد عرفوهم بطلبها وفتنتها فهم من يحتملها وهو يعلم أنه مفتون فيها وأما فتنة العابد فهى أعظمها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها اصرعا لانهم قد تركوا عبادة الدنيا وجدوا فى طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والقفار وجاهدوا صعود العقاب وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا لمعرفتهم بالنفس وما تدعو اليه ولمعرفتهم بالدنيا وما تدعوهم اليه وأقبلوا على طلب الآخرة وايثارها بالصدق منهم وحسن الارادة غير أن الله جل ذكره امتحن هذا الخلق فى كل أحوالهم فى تمسكهم بالدنيا وفى تركهم لها وفى طلبهم الآخرة وايثارهم لها بالجد والاجتهاد وجعل فى كل نوع من ذلك مؤنة لا تدفع الا بالصبر ووعد ابليس وعدا فهو منجزه له الى يوم القيامة بأن أسكنه هو وذريته صدور بنى آدم يجرى منهم مجرى الدم وذلك لمن أطاع منهم ولمن عصى ولاوليائه وأعدائه فليس للعابد فى عبادته أن ينفى الشيطان عن قراره أو يزعجه عن المسكن الذى أسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن التى امتحن الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير أن العبد اذا تيقظ بقلبه خنس الخبيث عنه فلم يكن له شئ الا مع غفلته وطبع الله الخلق كلهم على الغفلة والتيقظ وأيد الله العابد بمكايدته ابليس فليس أحد أحوج الى صحة تركيب العقل فيه من هذا العابد الذى قد قصد خلافه وقوى على احتمال ترك الاسباب التى يصل بها ابليس الى ابن آدم من فنون الشهوات فنذ ذلك أجمع وخلفه خلفه ثم قرب من العقبة التى ان جاوزها كان منحدرا الى الجنة باذن الله فتجرد له ابليس وعلم أنه لم يبق عليه الا هذه الدرجة التى ان سلم منها نجا فلا يسلم فى مثل زماننا مع كثرة هذه الفتن والمحن الا من كان على مثل ما وصفت لك

العقاب بالكسر جمع عقبة اه

(فصل فى النية والعبادة) وقال رحمه الله ينبغى للعبد أن يصحح نيته

التى

التى هى قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتى ويتبصر فى عبادة ربه ويقصد معرفة ربه ومكايدة عدوه ومجاهدة نفسه واياسه اياها من عملها الطالب الثواب لأنها ان انقطعت عن عبادتها لم تبلغ درجة العفو العظيم ما جنت من الاساءة ولو أن تلك العبادة والاحسان بازاء ذنب من ذنوبها الاستاهلت بذلك الذنب العقاب الا أن يغفر فكيف بجميع اساءتها مع قلة ما يستقبل من صعاد التوبة والمراجعة ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعت فان عارضه ابليس بشئ أو رفعت نفسه رأسها لتذكره شيئا من احسانها منعها بما قد عرفه الله من قديم اساءتها ويذكرها عيوبها فتنقمع عند ذلك ويكون ذلك زاجرا لعدوه ان شاء الله تعالى عند ما يريد من خديعته ليوقعه فى العجب بالباطل فلو كان عجبه عجب حقيقة من احتمال نفسه طاعة ربها بهاشاشة منها وسرور وزهد فيما يكره الله لكان أولى الاشياء باليقين مع صدقها فى الطاعات الرجوع الى الشكر لان العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسره له من العمل ومن غفل عن الشكر فى العمل كان جاهلا بربه جاهلا بالعمل جاهلا بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجع الشيطان بعون الله صاغرا ناكصا على عقبه فالزم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله فى العصمة من شر نفسك وشر عدوك واسأله الكفاية فانه لم يلجأ اليه أحد فى شئ من ذلك الا وجده قريبا مجيبا فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطى هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية ولا مسئلة الا النقلة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته ويرتجى أن يصير الى الآخرة وروحها واليأمن فيها على نفسه من روعات ابليس وجنوده وأنا أوصيك أن تطيل النظر فى مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر الى تركها

(فصل فى العلم) وقال رحمه الله اعلم أن لدواعى الخير علامات يستجاب بها دواعى الحزن والتفكر فهو بين ذلك مسرور لأنه جعل ذلك فى الدنيا بغيته وأمله واذا أدرك أمله ووجد بغيته طاب عيشه كما ان طالبى الدنيا اذا

صعادا بالكسر بوزن سداد ما يسذبه القارورة

ادركوا آمالهم من نعيمها وزهرتها أحاط بهم السرور فكذلك طالب الآخرة وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل لا يأمن من الشيطان الامع استذكاره قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فحينئذ يقوى قلبه ويستصغر كيد من كايده وهو مع ذلك معتصم بربه واثق به فمن طالب الآخرة فلا يغفل ولين أمره على طالب السلامة من الخطأ وعلى أساس الصدق فيما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليل عمله اذا خلصه لله من الآفات كلها أن لا يتمه الله له ويكثره ولا سيما اذا كنت في زمان قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فان تخليصك قليل عملك من بين ظهراني أهل الشبهة والاختلاف حتى تكون عاملا على حكم الكتاب والسنة عند الله كثير فكن في زمانك أشد تيقظا للتخلص الى معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة (واعلم) ان المعرفة اذا استحكمت فيك لم تدعك مع التقصير في العمل بل تنقلك من درجة الى درجة حتى تبلغ غايات ما عملت من الخير أو يأتيك الموت وأنت طالب لغاياتها وكما ان الارض لا تنبت بغير ماء فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلما ازداد العبد بالله معرفة ازداد يقينا وكلما ازداد يقينا ازداد لله خوفا وكلما ازداد لله خوفا ازداد لربه طاعة وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حبا وكلما ازداد له حبا ازداد اليه شوقا وكلما ازداد اليه شوقا ازداد للموت حبا (فاذا) كان كذلك كان مغموما في حالة سرور وذلك ان المغموم على الحقيقة لا يتأسى بأهل السرور في الدنيا ولا يجري معهم فيما هم فيه وذلك ان المغموم جمع همومه كلها فنصبها بين عينيه ثم جعلها هما واحدا فقصر به أجله وهجم به على معاينة أحوال آخرته وأهوالها والمغموم بالحقيقة نبهه الغم على التسويف فعمل للنقلة من دار الغموم الى دار السرور (وسأصف لك) حال المغمومين ان شاء الله تعالى (اعلم) ان لله عبادا تدبروا فعرفوا فلما عرفوا أيقنوا فلما أيقنوا خافوا فلما خافوا عملوا فلما عملوا صمتوا فلما صمتوا عملوا فلما عملوا أشفقوا فلما أشفقوا جاهدوا فلما جاهدوا رغبوا فلما رغبوا صبروا فلما صبروا أبصروا مساوئ أنفسهم فلما أبصروا مساوئ أنفسهم قصدوا مجاهدتها بالقلوب فارتفعوا عن أعمال الجوارح الى تصحيح القلوب

فتقلوا

فنقلوا طباعهم عن الريب والدناءة وجانبوا فى أحوالهم كلها ومعاملاتهم أحوال أهل المكر والخديعة والخب والزور وأنفسهم محجة الطريق فى أفعالهم كلها ومنطقهم كله فاستخلصوا باطن الاعمال التى لا تظهر للمخلوقين وأراحوا أبدانهم من ظاهر الاعمال الا ما لزمهم من أداء الفرائض المحتومة فصارت اعمالهم سرا بين قلوبهم التى هى أرجح وزنا وأحمد ذكرا عند الله وعلقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا فى أعينهم فاذا اقبلت عليهم خافوا وحزنوا خوفا من الاستدراج والمكر وان أدبرت عنهم سروا وفرحوا ودافعوا الايام مدافعة جميلة مستترين عن الاهل والولد والاخوان والجيران فهمتهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا وفى الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم مغمومون يكاشرون الناس بوجوههم وقلوبهم باكية وصفاتهم أكثر من ان يحيط الواصف بها فى الكتب والكلام فى ذلك يكثر فهذه صفات المغمومين على الحقيقة المسرورين بالله جل ذكره الفرحين به المنقطعين اليه والحمد لله رب العالمين

قوله يكاشرون أى يضاحكون اه

(فصل فى عيوب النفس) وقال رحمه الله اخوانى انه من لم يعرف نفسه وعيوبها فهو من استقامة دينه على اعوجاج (واعلم) ان من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه أن لا يبنى دينه على قبح ولا فساد وأصل العلم الغريب يدرك بفطن العقول المرضية وبنور الحكمة الثاقبة وبمخالفة الاهواء وبفوائد المعرفة الشافية وباصابة الحق فى القول والعمل بالبصيرة ولا يبلغ هذه المراتب العالية الا من تقاد حب الاخرة موقنا بها وراغبا فيها ومؤثرا لها على ما سواها وخلع عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها بالحقيقة واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغى للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغى تجميل الثواب ويتحرك لعزيمة الصبر وبالله التوفيق

(فصل فى الاشياء التى يستعان بها على معرفة عيوب النفس) وقال رحمه الله اعلم انى وجدت الذى يعين على معرفة عيوب النفس والعمل فى مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (يا أخى) انه لن يعدمك من عدوك خاطر الشر فى القلب للمعصية فادفعه عنك بحاكم العلم

من القلب للطاعة وانه ان يعدمك من نفسك سرعة القبول لموافقة الهوى فادراه عنك بقلة المساعدة لخلاف الهوى وانه لن يعدمك من عدوك التثبيط عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل وانه ان يعدمك من نفسك التشبث بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة (واعلم) يا أخي ان القلب اذا تراكمت عليه اوزار الذنوب وأطفاس الشهوات عمي واسود ونكس وطفئ نوره فلم يبصر عيوب نفسه وابصر بعينه عيوب غيره فشغل به عن عيوب نفسه فليس شئ أولى بالمدعين للارادة من أن يتوسلوا الى الله عز وجل بطلبهم منه صلاح قلوبهم ليسلموا من شرور انفسهم وغلبة أهوائهم واعلم ان القلب اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما أن البيت اذا لم يسكن خرب

التثبيط التقاعد وقوله وأطفاس الذنوب عطف تفسير على ما قبله اه

(فصل فى الحزن والخوف) وقال رحمه الله اعلم ان العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والا عاد العلم عليه فصار جهلا وعاد العمل فصار ضررا مع ان فساد قلوبنا هو الذى فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلحون عند فساد الناس وهم الذين لم يتركوا من الفرائض شيئا الا أدوه ولم يتركوا الصلاة والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجنابة والطهور للصلاة كل ذلك واجب عليهم وهو شئ معروف لم يزد فيه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع علينا ونحن لم ننكر هذه الفرائض كما لم ينكروها وانا لنعمل فى الظاهر بأكثرها غير أن القلوب منا مائلة الى حب ما زهد القوم فيه والأنفس مناقابلة لحب هواها مستثقلة لما فى الحق من الصبر والمكروه (وسأعطيك) دواء الفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت لك حياة ان شاء الله تعالى اعلم يا أخي ان القوم صبروا على مكروه ما دلهم عليه الحق فصبروا فى الغضب والرضى والشدة والرخاء والعسر واليسر والعافية والبلاء فكانت أهواؤهم تابعة للحق على ما أحبت الأنفس وكرهت فكان الحق لهم قائدا والهوى لعقولهم تابعا فاستقامت منهم السيرة بلزومهم محجة الحق فى مواطن غضبهم ورضاهم وطمعهم وتقواهم وكانوا اذا امتحنوا فى هذه المواطن ظهر منهم قول الحق فى مواطن غضبهم وهم له فى ذلك الوقت ألزم وأشد تمسكا منهم فى مواطن الرضى فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم التنزه والورع والتقوى والتأنى وفقد

منهم

منهم الحرص والرغبة خوفا منهم وكان منهم كالطباع لم يتصنعوا فيه وطباعنا اليوم بخلاف ذلك كله وكانوا أخوف لله وله أحذر مخافة أن لا يقبل منهم عملا فلا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الخوف واغتنم قليل العمل مع الخوف فان قليل حزن الآخرة الدائم في القلب ينفي كل سرور سررت به وألفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا في القلب ينفي عنك جميع حزن الآخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع يقظته وتيقظه حياته وسرور الدنيا الغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته والحزن يوقظه ويستنبط له اليقظة من خالص عين اليقين وبخطرات غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين في قلب العبد استدامة الحزن فيه

(فصل في الزهد والخلوة) وقال رحمه الله تعالى اعلم اني لم أجد شيئا أبلغ في الزهد في الدنيا من ثبات حزن الآخرة في القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة في القلب أنس العبد بالوحدة وموضع هياج الحزن السرور ومعدنه ومفتاحه العقل ومحال أن يكون محزونا مسرورا في حالة واحدة وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف الا أن يصل الى القلب الذي يكون منه الحزن وذلك ان أهل الطاعة قدموا بين يدي الاعمال لطيف معرفة الاسباب التي بها استديموا صالح الاعمال ويسهل عليهم مأخذها توطينا منهم لانفسهم استصحاب نيتهم الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم في الدنيا يوما واحدا وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم وليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنيمة وذكروا اليوم الماضي فسروا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لخوف انقضاء الاجل فيه أو في ليلته وطرحوا شغل القلب بذكر غد واستعملوا ابدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة في قلوبهم فنظروا اليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقربوا الى الله بالاعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاوعتهم الزيادة في التقوى ففرت بالخوف أعينهم

وتنعموا بالحزن فى عبادتهم حتى نحلت أجسامهم وبليت أجسادهم وقل مع
المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات
متعلقه وفكرهم بأهوال القيامة مقبلة مدبره وأبدانهم بين المخلوقين
عاريه فصموا عن الدنيا وصموا عنها وعما فيها ووضح لهم أمر الآخرة حتى
كأنهم اليها ينظرون والحمد لله رب العالمين (ثم) نظرت فى ذلك فلم أر شيئا
أقرب ولا أجمع لذلك كله من جمية الأنفس عن الفها وقطع مجاورة المخلوقين
بمنع القلوب عن الاخبار التى بها تهيج القلوب من الاشغال القواطع عن
التفرغ للحزن أو البحث عن أمر الآخرة والترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك
حب الخلوات فأحبها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين
جرت عذوبة الخلوة فى أعضائه كما يجرى الماء فى أصل الشجرة فأورقت
أغصانها وأثمرت عيدانها ولزم خوف مايجىء به يوم القيامة سويداء قلبه
فهاج له من الخلوة فنون من أصول الزهد فى الدنيا حتى انه لو اجتهد فى فن
منها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه فيه الصلاح فاذا بلغ الله
العبد هذه الدرجة حببت اليه الخلوة (فأول) مايستفيد من حب الخلوة
الاخلاص فى العمل والصدق فى القول فيما بينه وبين الله تعالى وفى حب
الخلوة راحة للقلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين فى الاخذ
والعطاء ومخرج ذلك كله من صحة العقل فأسقط عن نفسه بالخلوة وجوب
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومداهنة المخلوقين ويحبب اليه بالخلوة
خمول النفس واخماد الذكر فى الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون
الاخلاص ويحبب اليه بالخلوة الزهد فى معرفة الناس والانس بالله ويوهب
له استثقال المخلوقين حتى يفر منهم فراره من الاسد وهو غير مفارق لجماعتهم
(ويعطى) من حب الخلوة طول الصمت من غير تكلف وغلبة الهوى بالصبر
ومن الصمت والصبر غلبة الهوى (ويعطى) من حب الخلوة الاشتغال بأمر
نفسه وقلة اشتغاله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس (ويعطى)
بالخلوة كثرة الهموم والاحزان والفكر وهذه الخصال من أفضل العبادة
ومخرجها من خالص الذكر (ويعطى) بالخلوة الاعمال التى تغيب عن أعين
العباد وتظهر لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير ومخرج ذلك من الصدق

ويعطى بالخلوة التيقظ من غفلة أهل الدنيا وما يذكره منها الخاص والعام (ويعطى) بالخلوة ترك الرياء والتزين وكل ذلك من دواعى الاخلاص وهو محض الصدق (ويعطى) بالخلوة ترك المراء وترك الخصومات والجدال وذلك ينفى الرياسة من القلب (ويعطى) بالخلوة قلة الخلاف فى الوعد والتوقى من الكذب والايمان والحنث فيها ومخرج ذلك من الصدق (ويعطى) بالخلوة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحناء ومعاملة الخلق بسلامة الصدور (ويعطى) بالخلوة رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة وهما من دواعى الخوف وبالخوف الثابت فى القلب يخشع العبد ويبكى من خشية الله تعالى فى الليل والنهار وهى من غايات العبادة (ويعطى) بالخلوة تذكر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة (ويعطى) بالخلوة وجود حلاوة العمل والنشاط فى الدعاء ويجرى ذلك من القلب مع تضرع واستكانة (ويعطى) بالخلوة القناعة والتوكل والرضى بالكفاف للعفاف والاستغناء عن المخلوقين (ويعطى) بالخلوة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها والشوق الى لقاء الله ومخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير فى العمل (ويعطى) بالخلوة حياة القلب وضياء نوره ونفاذ بصره فى عيوب الدنيا ومعرفته بالنقص والزيادة فى دينه (ويعطى) بالخلوة الانصاف للناس من نفسه (ويعطى) بالخلوة خوف ورود الفتن التى فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة فى القرآن الذى جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين فاذا التبس عليك هذا الطريق واشتبهت عليك الامور فقف نفسك على الارادة من الترغيب والترهيب والتشويق الى ما ندب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالما من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانظر الى كل موطن يضطرك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به (واعلم) انه لا يثبت لك قدم على محجة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الابد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذى يسقطك من عين الله وينسيك حظك منها فادر أذلك عنك واطلب التخلص

وهي لذلك خوفين خوف أن مثلك لا يستاهل أن يبلغ ما يؤمل من الآخرة فان تفضل عليك ربك ببلوغ أملك فاتبعه الشكر والتحضره خوفا شديدا لأنك لا تقوم بالشكر لما انعم به عليك كما ينبغي فان لم تفعل ذلك خفت عليك أن تسلب النعمة فترجع الى أسوأ حالك فاذا الزم العبد نفسه هذين المحالتين وتمسك بهما رجوت أن يؤمنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (وقد روى) عن بعض العلماء بالله أنه قال لست آمن على نفسي الفتنة وأن يحال بيني وبين الاسلام فهؤلاء يخافون هذا وهم الصفوة الذين اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم أقل مما انت فيه من الفتنة فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الايمان فكيف بك يا مسكين ولا سابقة لك الا في الشر ولا حلاوة عرفتها قديما من الاسلام الا حلاوة المعاصي وأنت بارك في دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا في الزيادة وأنت مع ذلك لا تنقم عليها حبها انخدعتك وأنت لا تعلم انك مخدوع (واعلم) ان المطيع اذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة في عبادة ربه ولا عارف بمكايدة عدوه هانت على ابليس صرعته لانه ليس نوع من العبادة الا وله اضداد من الفتنة فمن لم يعرف الخير وضده من الشر ولا سيما في العبادة خاصة ثم اجتهد دخلاه ابليس واياها لما يعلم من قلة علمه بعبادته وما يجب عليه فيها ولم يتعرض له في نفس عبادته بشيء ويقصد له جهة آفاتها التي تبطل عبادته من شهوة النفوس التي تسارع في قبول ذلك فيتزين عنده ان ذلك خير من عندها وانه سيجزى ويثاب فيصدقها بما تلقي اليه من ذلك فتزهو النفس لرضى صاحبها عنها ويحقق ابليس ظنه به وبالخدع له فاذن قد صرع وخذل وجاء الى نفسه بميله عن طريق الشكر ويظهر له من فتنة عدوه ما يستصغر به المخلوقين وتكون نفسه عنده أنه لا عدل لها زكاه وطيبها وهي أخبث الانفس وأنتنها وأسقطها من عين الله تعالى فكلما سولت له نفسه من عمل احتمل فيه الاذى مع مساعدته اياها وشدة رضاه عنها من تحمل لبس الخشن وأكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة بما يفتتن به ويستميل به ابليس قلوب الجهال (ولقد)

الزكاء كالصلاح وزنا ومعنى والجشيم الغليظ في الوزن والمعنى اه

قال

قال بعض الحكماء انى لأعد كلامى فيما لابد لى منه معصية واقعة أستعين بالله على السلامة منها وانى لأعد صمتى عما يعنينى غنيمة واحداث نعمة ألتمس الشكر عليها اذ علمت ان من وراء كل كلمة رقيبا عتيدا وأنزل ما اضطررت اليه من القول معصية نازلة وما كفيت من الكلام غنيمة باردة (ويروى) عن بعض الحكماء أنه قال ان من شر كسب الدين والدنيا تنقيص العبد غيره والوقيعة فيه وهى الغيبة ويقال انها تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتحبط الاعمال وتستوجب بها صاحبها المقت من الله تعالى والغيبة والنميمة مخرجهما من طريق البغى والنمام قاتل والمغتاب آكل ميتة والمباهى متكبر وهؤلاء الثلاثة أمرهم واحد بعضها مفتاح لبعض وذلك كله مجانب لاحوال المتقين

(فصل فى معرفة أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير) وقال رحمه الله سأل سائل حكيما فقال اخبرنى بأصل الاشياء التى منها تتفرع فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له الحكيم اعلم ان أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والقيام بأداء الشكر والعمل به وان يصح عندك أن جميع الخير وهاب من الله تعالى وتعلم أن جميع المعاصى كلها عقوبة من الله تعالى وهى من طريق الخذلان وذلك من علامات السخط فاذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سيئاتك لانك اذا علمت أن الاحسان نعم ومواهب من الله تعالى ازددت فى الشكر واستقللت كثير شكرك عند صغير نعمه عليك لان الجبار العظيم من بها عليك وساقها اليك فقل عندك كثير الشكر وكبر عندك صغير النعم فجريت حينئذ فى ميدان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضى وطمعت فى العفو واذا علمت أن الاساءة التى اكتسبتها انما هى خذلان من الله وانها من طريق السخط فزعت الى التضرع فنزلت بساحته والى الاستكانة فصحبتها والى التواضع فاتخذته خدنا فاذا كان ذلك كذلك لجأت الى التوبة فاستجرت بها ولبست جلباب الحياء مما سلف منك وشهد الله عليك به وشاهده منك من الاساءة مع ما تعرف من كثرة احسانه فلم تتعرض

بعد ذلك اشيء مما يكره وعمدت الى المعاصي فعاديتها منك ومن غيرك فتكره أن يعصيه أحد من خلقه كلهم بصغيرة أو كبيرة فراجعت الاحسان مجتهدا وأنت مع ذلك عارف بالنعمة عليك في التنبيه والرجوع وان ذلك تفضل منه عليك فالتمست أطيف الشكر بعد اقلاعك عن الاساءة بشدة المضادة لها فعظم شكرك عند التحويل الى الاحسان بعد الاساءة فاذ ذاك قد صرت في جميع أحوالك شاكرا ذاكرا ولم يعجزك معرفة الاحسان فشكرت حينئذ الشاكر المشكور الذي وعد على الشكر لزيادة ووعده لا خلف فيه وعرفت الاساءة من أين كان مخرجها فراجعت الاحسان بالعتاب منك لنفسك ولمن زين الاساءة لك ودعاك اليها فهذا الاصل الذي تتفرع منه فنون الخير وبه تغلق أبواب الشر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فصل في كيفية تهوين سلوك الطريق والوصول اليه بعون الله تعالى)

وقال رحمه الله سئل رجل من أهل العلم فقيل له أوضح لنا المنزلة التي ينال العباد بها القرب من ربهم ويفوزون بها على معرفته ويبلغون بها رضوانه والامر الذي يقربهم اليه ويقصرهم عنه ايضاحا شافيا حتى يكون ذلك عندنا بينا (فقال) سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فافهم قولي بفهم لا يخالطه سهو وتذكر فيه بتذكر لا يخالطه غفلة واصبر عليه صبرا لا يخالطه جزع فانك ان تفعل ذلك ينهج لك منهاج الطريق وتسلم من تقصير طريق الهلكة والتوفيق بالله تعالى (اعلم) ان مبتدأ الامور والذي لا ينتفع بشيء الا به العقل الذي جعله الله جل ذكره زينة لخلقه ونورا لهم فبالعقل يعرف العباد خالقهم وانهم مخلوقون وانه المدبر وهم المدبرون وهو الباقي وهم الفانون فاستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه في أرضه وسمائه وشمسه وقمره وليله ونهاره وعلموا أن لهم ولهذا الخلق خالقا وأن ذلك كله مدبر وانه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا ان الظلمة في الجهل والنور في العلم هذا ما دلهم عليه العقل (فقيل له) كيف يكتفي العباد بالعقل دون غيره (فقال) ان العاقل دله عقله الذي جعله الله قوامه وزينته على ان له ربا وعلم ان ربه لم يخلقه عبثا وانه لم يخل خلقه لعبا وعلم ان

لخالقه محبة وكراهية وأن له طاعة ومعصية فلم يعد عقله بدله الاعلى ذلك وعلم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم وطلبه وانه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك و يعمله فوجب على العاقل طلب العلم والادب وهو الذى لا قوام له الا به (فقيل له) صف لنا ما هذا العلم الذى لا ينبغى للعاقل الا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه (فقال) طلب العلم الذى جاءت به رسله وأنبياؤه عنه من أمره ونهيه ووعده ووعيده وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره و بعثه وحسابه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبته وكراهيته (فقيل له) هل يكتفى العالم بما علم من ذلك أو يحتاج الى غيره (فقال) لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الايمان به وان يقر ذلك فى قلبه حتى يعلم ان الله هو الحق وان ما سواه باطل وان أحدا لا يملك له نفعا لم يقدره الله له ولا ضرا لم يكتبه عليه (فقيل له) فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك أو يكتفى به (فقال) نعم ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهاهم عن معصيته وركوبها فمن آمن ولم يعمل كان منها ونا وتصديق الايمان العمل به (فقيل له) فكيف العلم وكيف العمل (فقال) أن تعمل بمحبة الله عز وجل وان خالف هواك وأن تعمل بطاعة الله وان أسخطك وان تجتنب سخط الله وان مرك وأن تدع كراهيته وان أعجبتك وأن تؤثر ما هو له وان ساءك وان ترغب فيما رغبك وترهد فيما زهدك وأن تجعل القرآن امامك ودليلك (فقال له) السائل قد دللتنى على العمل فعرفت وعرفت فآمنت فلم يكن على فى ذلك كبير مؤنة ولا عظيم مشقة بل خفة وراحة مع ما استزدت به هداية وبصيرة ومعرفة فلما صرت الى العمل به لزمنى فى ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بينى و بين كثير من لذيذ عيشتى ونعيم دنياى وحملنى على المكروه وصرفنى عن كثير من السرور فصف لى أمرا أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت على مؤنته وثقل على احتماله (فقال) الامور التى تقوى بها على العمل والادب الصبر الذى هو قمامه وقوامه فانك ان صبرت انتفعت بعملك وبلغت منه رضوان الله وقويت فيه على العمل وليس منزلة من منازل الخير الا والصبر فيه عمل وبه تمامه فالصبر قوى العباد على أداء الفرائض

والحلال والحرام وبالصبر قووا على اجتناب المحارم وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه فاذا صبرت على العمل انتفعت بالعلم والادب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع بالايمان بما علمت ومن لم ينتفع بالايمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل لم يغن عنه العقل فرأس امر العباد العقل ودليلهم العلم ونورهم الايمان وسائقهم العمل ومقربهم الصبر فمن لم تكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل ومن لم يعمل لم يتم له امره ونوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمي وحاد عن الطريق ومن لم يبصر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذي هو النجاة من الهول العظيم وعمل له وصبر عليه صار الى غاية العلم والادب (فقال له) فبصرتني من فضل الصبر قوته وعلمتني ما رغبني فيه وقواني على العمل به مع ثقله على فصف لي امرا أزداد به الصبر تبصرا وفيه رغبة وعليه حرصا (فقال) صبرك على الطاعة وطلبك لها وهربك من المعصية وبليتها هو الذي يرغبك في الطاعة ويبين لك فضلها (قال) قد شرحت لي امر الصبر وفضله فزدني به تبصرا (فقال له) هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذي يبين لك فضل الصبر ويرغبك في لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف اعمال العباد وذكر ثوابهم فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر فانه ذكر أنهم يوفون أجرهم بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذكر من ثوابه في مواضع من كتابه (فقال له) صاحبه قد دلني العلم وكتاب ربي على ما ذكرت من فضل الصبر وثوابه فزدني بفضله تبصرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبة وبه تمسكا وعليه اعتمادا مع شدة منه علي وثقل وصبر على خلاف ما أشتهي وحمل نفسي على ما أكره لعالمي فيه الاجر والفضل وابتغاء العمل والادب فصف لي امرا يخف به علي مؤنة الصبر ويسهل علي لزومه ويخف علي احتماله وتذل صعوبته (فقال له) أراك للخير مريدا وللفضل طالبا وعليه حريصا وتحب ان تكون قد قويت على ما دلك عليه العلم بنفاذ من الصبر وقوة من العمل وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد علما وفيه تفهما ازداد للخير طلبا وعليه حرصا خف عليه الثقيل وقرب عليه البعيد ولها في الدنيا عما يريد وانما الثقل والعسر تمثال الدنيا في قلب العبد وهي مرصد ابليس وسلاحه

فاذا

فاذا قطع عنه ذلك استنار القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به احتمال قوة ولا له فيه نصيب ووصل من الامر الى ما يريد (فقال له) زدني ما يسهل به على ثقل احتمال الصبر ويخففه على (فقال له) الامر الذي يسهل عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك الرضى عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بك واختاره لك وساقه اليك (فقال له) صاحبه فأوضح لي كيف يهون على مؤنة الصبر برضاءي عن الله ويخفف على احتماله (فقال) ألست تعلم انك انما انتسبت الى الرضى وسميته صبرا لأن الامر الذي نزل بك مكروه عليك وان هواك ونفسك ينازعانك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت واعتبرت فصرت من ذلك الى موضع رضاه ثم يتجاوز بك الامر حتى تصير الى موضع السرور حتى ترى لو صرف ذلك الامر عنك لصرت منه الى تقوية نفسك وعلمت ان ما صرف عنك عقوبة لبعض ما أحدثت من ذنوبك أو قصرت فيه من شكر ما انعم الله به عليك فصرت منه الى الدرجة الرفيعة ومنازل أهل الرضى وانما وصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبمعرفته بنظره اليك فتعلم انك لا نظر لك من نفسك فترضى بما رضي به وترغب فيما رغبه وتزهد فيما زهده والزهد من الرضى (قال) قد علمت فضل الرضى ووضح لي أمره فصف لي كيف يهون على أمر الصبر في الزهد وكيف ما أخذه فقد أراني مع ما أصير اليه من الزهد مقيما على الصبر وازداد ايضا مع زهدي في الدنيا أمورا أحتاج فيها الى الصبر بمخالفة لهواي ورفض الشهواتي وما تنازعني نفسي من لذاتي فقد أراني ازددت ثقلا وضجرا (قال) أراك لا تقبل من الامور الا أصلحها ولا ترضى لنفسك الا بواضحها ولا تختار منها الا أرشدها وذلك من الامور التي أرجو لك بها القوة والنجاح لحاجتك والظفر بطلبتك وبلوغك أقصى الغاية من ارادتك فافهم قولي وتدبر نصحي فان الحجة في ذلك واضحة والامر فيه بين ألست تعلم ان الدنيا كانت باقية في قلبك وان حبها غالب عليك وان سرورها فرح لك وان مكروهها شديد عليك فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وايثارك لها ونزوالها عنك مع طلبك الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكروه من أمر دنياك وصبرت عليها الشدة منه عليك لان مكروهها عندك مكروه ولأن سرورها عندك

سرورك ثقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الاكل والشرب وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما تسره اليك نفسك من اللهو والحديث في الباطل وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تحب أن تصرفه فيه من لذاتك وثقل عليك التواضع لما ترى من تصغير شأنك ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا وثقل عليك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يعاديك الناس أو ينقطع رجاؤك منهم أو يسمونك ما تكره فيدخل عليك التنغيص في سرورك وثقل عليك القنوع والرضى لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك الاكثار منها وحرصك عليها وكراهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة يطول وصفها وكل ذلك انما صار شدة عليك لحب الدنيا وانما ثقل عليك الصبر وملله وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لان سلاحه الذي به يقوى وكيده الذي يصل به الى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فاذا أنت زهدت في الدنيا ورفضتها ورغبت في الآخرة وطلبتها سهل عليك الامر فآثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وأدبرت عنك الدنيا وثقلها وفرت عنك هاربة ببلائها واتتك بمنافعها وصرفت عنك شرورها بارغم منها وانقطع رجاء الشيطان وصغر كيده وولى وقل سلاحه فلا قوة له بك وتحوت بعصمة الله وتوفيقه من الضيق والتعسير والهلكة وصرت الى النعمة والسرور والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فلزمت الصيام وخف عليك لانه لم تكن نفسك تنشرح الى الاكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولزمت الصلاة واشتغلت بها لان نفسك لم تكن تنازعك الى اللهو والخلوة الى حديث في باطل وخفت عليك الزكاة والصدقة لانك أعددت ما قدمته أمامك ولا تريد منه شيئا يبقى خلفك وخف عليك التواضع لان الاياس قد خرج من قلبك وهان عليك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الناس قد استووا عندك فلم ترج أحدا غير ربك ولم تخف شيئا غيره وخف عليك القنوع لانك رضيت من الدنيا باليسير ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ والكفاية وخف عليك الجهاد لان الدنيا قد انزعجتها من قلبك وكرهت البقاء فيها وأحببت الموت لما ترجو من النعيم والسرور والحياة الدائمة التي أمامك فالزهد في الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وتمامه وليس

شئ من أعمال البر الا وله ضد من غيره فما قصر بك عنه فارفضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله (فقال) له صاحبه أوضحت فبينت وأرشدت فهديت وكشفت فأريت فصف لى كيف الزهد وما حده والذى ينبغى لى العمل به فقد استبان لى فضله ووضح لى رشده (فقال له) صاحبه ان الزهد فى الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يجوز لك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الامر لازم لك لا عذر لك فى التقصير عن الزهد والقرب الى ربك طلبا للفضل ونفيا للكل أمر قصر بك عنه من المسارعة فى طاعته والمسابقة الى رضوانه فهذا ما ينبغى لك العمل به وادارة صلاح نفسك عليه (فقال) أما ما حرم الله على ونهانى عنه فقد دانى عليه العلم لانه صار لا ينبغى لى المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف لى الزهد الذى أرجو أن أنال به كرامة سيدى وأن أبلغ من ذلك محبته وأن ادفع به عنى كيد الشيطان ومكره (فقال له) ذلك الزهد فى فضول الدنيا والرضى منها بيسيرها والاخذ منها بقدر البلاغ الى غيرها ورفض ما سوى ذلك من فضولها وأمورها باخراج الناس من قلبك فلا تخف أحدا فى الله ولا ترجو أحدا من الناس ويستوى الناس عندك فلا ترج أحدا غير الله ولا تطلب الا فضله وتنصح فى الله فى السر والعلانية ولا تخف لوم أحد من الناس ولا عذله وتحب فى الله وتبغض فى الله ولا تشغل قلبك بشئ غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتحمل ذكرك وتغيب اسمك ولا ترد بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون مثاله بين عينيك لرجاء ما بعده وتزهد فى الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل الزهد فاذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف الآخرة ونجوت بعون الله من بلية عاجلتك (فقال) له صاحبه لقد ذكرت لى من أمر الزهد شيئا ضاق به ذرعى واشتد له غمى واعتصر له قلبى واستصعب به على أمرى وتفرق له رأيى واشتدت على المؤنة فيه وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر على مؤنة منه وأخف على حملا من الزهد وخشيت أن لا أقوى على احتماله ولا تطيق نفسى العمل بكماله ولا تقدر على القيام بتمامه وان ثقله نفسى وترفضه وترجع منه الى غيره مما فيه هلاكها وعطبها وقد

عرفت فضل الزهد وعظيم قدره فصف لى أمرا أتقوى به على الزهد ويخففه على (فقال) له صاحبه قد فهمت قولك ولقد صعب عليك الذلول واشتد عليك اليسير وثقل عليك الخفيف وعميت عليك المداخل وما أولمك حيث اشتد عليك من أمرك ماذكرت حين لم تعلم الامر الذى له فى الدنيا زهدت والذى به عليه قويت ولو علمته لهان عليك من أمرك الشديد وخف عليك الثقيل وسهلت عليك موارده وسهلت عليك فيه المذاهب وخفت عليك فيه المؤنة (فافهم) قولى بعقل وتدبره بحكم وخذ فيه بقوة وجد (واعلم) أن العباد زهدوا فى الدنيا ودعاهم الى لزهد فيها ورفضها خصال شتى بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية الى الزهد فيها (فأول) درجات الزهد أن الله تبارك وتعالى خلق العباد فى الدنيا وجعل ما فيها زينة لها وزهدهم فيها وخلق الآخرة ونعيمها وندبهم اليها ورغبهم فيها وأعلمهم انهم عن الدنيا مرتحلون وانهم الى الآخرة صائرون فرغب العباد فى الباقى وزهدهم فى الفانى فآثر الآخرة واطلبها وازهد فى الدنيا وارفضها الكيلا ينتقص من حظك فى الآخرة بما نلت من نعيم دنياك (وأما) المنزلة الثانية من الزهد فى الدنيا فان الله عز وجل خلق العباد فى الدنيا فأوجب الموت عليهم وأعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها أجلا فلم يعلموا فى أى الاوقات والساعات تأتيهم منيتهم فتحول بينهم وبين دنياهم ونعيم عيشهم ومفارقة أحبابهم فلما استقر الموت فى قلوبهم أسهروا فى الليل أعينهم واشتغلوا بهمومهم عن أهليهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم وزهدوا فى الدنيا وأهلها ونعيمها فصار الليل والنهار عندهم بمنزلة الضيفان وكان المقوى لهم على الزهد فى الدنيا ذكر الموت وقصر الامل فهذه الخصلة شريفة من خصال الزهد فى الدنيا (وأما) الخصلة الثالثة فى الزهد فتصديق العبد ربه فيما أخبره به من نعيم الآخرة وما خوفه به من عقاب النار وعذابها وما حذره منه من الدنيا والاغترار بها فزهد فيها وأحب بالموت مفارقتها والتباعد عنها والخروج منها الى داره وقراره تبصرا منه بالدنيا وحالها فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها (فقال) له صاحبه ما تركت لى الى الدنيا والركون اليها سبيلا ولقد استبان لى من قولك البر والحق ووضح لى من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد

فيها ورفضها فصف لى بصفتك الشافية ونعتك النافع دواءه لداءه قال تخبرنى فيه عن الامر الذى يدلنى على هذه الخصال ويقوينى عليها (فقال) الامر الذى يدلك على هذه الخصال و يقويك عليها وينورها فى قلبك هو اليقين الذى لايخالطه شك والتصديق بربك الذى لايخالطه لبس فانه من صدق ربه أيقن ومن أيقن أبصر ومن أبصر زهد والزهد فى الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل (قال) فصف لى اليقين لأعرفه (فقال) ان تعلم ان الله وحده لاشريك له وانه الحق المبين وانه كما وصف نفسه فى قدرته وسلطانه وخلقه وان وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسله حتى تقر بذلك فى قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذى لاشك فيه (قال) صف لى التوكل لأعرفه (فقال) التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالته فمن أيقن وعلم ان الله خالق الاشياء والمقتدر عليها والمالك لها والمنفرد بها توكل عليه فى جميع أموره وقطع رجاءه عمن سواه من خلقه ولم يثق باحد ولم يأنس الا به فانقطع الى الله وتوكل عليه فى جميع حالاتك فهذه صفة العمل والتوكل وما أخذه (قال) ما الذى يدلنى على الفكرة ويقوينى عليها فانى كلما أردت الفكرة لم أصل اليها ولم أقدر عليها (فقال) أجل لاتصل الى ماتريد من الفكرة مع الاشتغال بغيرها فسبيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير فى الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

* (فصل فى السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز) * فانظر رحمنا الله واياك الى ماقرره هذا السيد رحمه الله فى كيفية السلوك والاخذ أولا بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير فى الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتف رحمه الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال لقل أن يفتح له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال (وأين) هذا الحال من حالنا اليوم اذ أن الغالب على من ينسب

الى الخرقة فى هذا الزمان اعنى شأنه كثرة الاجتماع وحضور السماع والرقص فيه حتى كأن ذلك مشروط فى السلوك نسأل الله السلامة بمنه (فمن) اراد الخير فليعتزل عن هذه صفته والا فالفتح عليه بعيد اعنى الفتح الحقيقى الذى يقرب به من ربه عز وجل دون ادعاء والا فبعض هؤلاء يدعون الاحوال ويزعمون أنه يفتح عليهم فى حال رقصهم وتأخذهم الاحوال اذ ذاك ويخبرون باشياء من امر الغيب ولو وقع ذلك فى بعض الاحيان لكان مصادفة ثم انهم يولون و يعزلون فى تلك الاحوال ويخبرون بمنازل أصحابهم فيقولون مثلا فلان أحد السبعة وفلان أحد العشرة وفلان أحد السبعين وفلان أحد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك انها أحوال نفسانية أو شيطانية لان الفتح من الله تعالى لا يكون مع ارتكاب المكروهات أو المحرمات (وهذا السماع) على ما يعملونه محرم (قال) الامام ابو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره لما ان تكلم على سورة الكهف فى قوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته شكرا لما اولاهم من نعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والانبياء والفضلاء الاولياء اين هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام خصوصا فى هذا الزمان عند سماع الاصوات المحسان من المرد والنسوان هيهات بينهما والله مثل ما بين السماء والارض (ثم) ان هذا حرام عند جماعة العلماء اه (وقد) تقرر فيما أول الكتاب ان الفقير المنقطع لا يتصرف الا فى واجب أو مندوب وان المكروه عند هذه الطائفة كالحرم لا سبيل الى ذكره فضلا عن فعله (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى ضرب الطار على حدته هل يجوز أم لا (وكذلك) اختلفوا فى الشبابة على حدتها (وقاعدة) أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على شئ قد اتفق الناس على منعه ذلك محال فى حقهم (ثم) مع ارتكاب بعضهم ما ذكر يدعون الاحوال الرفيعة و يشيرون الى مقامات ومنازلات تستعظم فى الغالب على من هو متصف بالاقتداء والاتباع فكيف يحصل لاهل التخليط وارتكاب ما لا ينبغى ذلك محال (ومن) أشد ما فيه من القبح ما أحدثوه فى

السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده (وقد) نقل الشيخ الامام ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ما هذا لفظه (روى) ابن ماجه في سننه والنسائي في صحيحه عن أبي واقد قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فرأيت انك أولى بذلك فقال لا تفعل فاني لو أمرت أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه هذا لفظ النسائي وفي بعض طرق حديث معاذ ونهى عن السجود للبشر وأمرنا بالمصافحة (قلت) وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا أخذه الحال يزعمه يسجد للاقدام سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه ضل سعيهم وخاب عملهم

(فصل) فانظر رحمنا الله واياك الى قصة معاذ المتقدمة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم انك أولى بذلك يؤخذ منها من الفوائد النفيسة التحرز عن مخالطة أهل الكتاب والبعد منهم اذ أن النفوس تميل غالبا الى ما يكثر تردده عليها (ومن) ههنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى انك اذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فان طالبته بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا أنه يقول نشأت على هذا وكان والدي وجدي وشيخي وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له ما أنت أعرف بالسنة ممن ادركتهم من هذا الجم الغفير (وقد) تقدم انكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتج هذا

المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والاعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال (مع) ان السماع المعروف عند العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فاذا فعل أحد ذلك قالوا اهمل السماع وهو اليوم على مايعهد ويعلم (ولاجل) هذا المعنى قال الامام الشيخ رزين رحمه الله ما أفى على بعض العلماء المتأخرين الا لوضعهم الاسماء على غير مسمياتها وهاهو ذا بين الا ترى ان السماع كان عندهم على ماتقدم ذكره وهو اليوم على مانعاينه وهما ضدان لا يجتمعان (ثم) انهم لم يكتفوا بما ارتكبوه حتى وقعوا فى حق السلف الماضين رضى الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللهو فى كونهم يعتقدون ان السماع الذى يفعلونه اليوم هو الذى كان السلف رضوان الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والا فهو هالك (الا ترى) ان الشيخ الامام السهروردى رحمه الله لما ان تكلم على السماع قال فى أثناء كلامه ولا شك انك اذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع ومايفعلونه فيه فان نفسك تنزه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره اه ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذى يجب اعتقاده فى حق السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (وقد) قيل عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال ان السماع لا يرجع مباحا الا بعشرة شروط وهو أن يكون فى مكان لا يطلع عليهم غيرهم لانهم لا يطلع عليهم الا ذو محرم أعنى أن يكون منهم وامكان واخوان قال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله وأن يكون القوال هو الذى يعدهم قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وأن يكون بغير أجرة وان لا يكون بين أحد ممن يحضره شنآن وأن لا يحضره أحد من أبناء الدنيا وأن لا يحضره شاب الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مباحا بهذه الشروط فان اتفق اجتماعها كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم (ولاجل) هذا المعنى ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه عن بعض السلف رضى الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم فمن عجزهم عن تمام المدة التى دخل عليها خرج فحضر

السماع ثم رجع الى خلوته نشيطا لان القوال كان يهذهم فى بواطنهم ثم مع ذلك ينشدلهم من درر الشعر ما يناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخى والتسويف الشاغل عنها (ومثل ذلك) كانوا يفعلون اذا عجز أحدهم عن تمام المدة التى دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجالس عالم فحضره ثم يرجع الى خلوته قويا الان حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيى القلوب الميتة كما يحيى المطر الوابل النبات بل النظر اليهم تقتات به النفوس الابية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على ما تؤمله من الخير كيف لا وهم أمناء الله فى أرضه وخلفاؤه فى خلقه وقد جعلهم الله عز وجل رحمة وكهفا لمن يأوى اليهم ويستظل بظلهم نصبهم هداة للمتحيرين ونورا للسالكين اللهم لا تحرمنا بركتهم ولا تخالف بنا عن سنتهم فانت ولى ذلك والقادر عليه (فاذا) تقرر هذا من حالهم وعلم فلا شك ان ما يفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لمجامعتهم اذ انه احتوى على أشياء محرمات أو مكروهات أو هما معا وقد تقدمت الحكاية عن العلماء فى ذلك اذ أنهم جمعوا فيه بين الدف والشبابة والتصفيق (وقد) تقرر فى الشرع أن التصفيق انما هو للنساء دون الرجال فهو ممنوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها (وبعضهم) ينسب جواز ذلك للشافعى رحمه الله (وقد) سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزنى رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعى رحمه الله فقيل له ما تقول فى الرقص على الطار والشبابة فقال هذا لا يجوز فى الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعى رضى الله عنه فانشد رحمه الله تعالى

حاشا الامام الشافعى النبيه * أن يرتقى غير معانى نبيه
أو يترك السنة فى نسكه * أو يبتدع فى الدين ما ليس فيه
أو يبتدع طارا وشبابة * لناسك فى دينه يقتديه
الضرب بالطارات فى ليله * والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال فى الورى * وليس فى التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبى الهدى * ولا صحابى ولا تابعيه
بل جاهل يلعب فى دينه * قد ضيع العمر بلهو وتيه

وراح فى اللهو على رسله * وليس يخشى الموت اذ يعتريه
ان ولى الله لا يرتضى * الا بما الله له يرتضيه
وليس يرضى الله الا الورى * بل يمقت الله به فاعليه
بل بصيام وقيام فى الدجى * وآخر الليل استغفاريه
اياك تغتر بأفعال من * لا يعرف العلم ولا يبتغيه
قد أكلوا الدنيا بدين لهم * ولبسوا الامر على جاهليه
جهل وطيش فعلهم كله * وكل من دان به نزدريه
شبه نساء جمعوا مأتما * فقمن فى الندب على ميتيه
والضرب فى الصدر كما قد ترى * ليس لهم غير النسا من شبيه
انكر عليهم ان تكن قادرا * فهم رجال ابليس لا شك فيه
ولا تخف فى الله من لائم * وفقك الله لما يرتضيه اه

(وقد تقدم) ان من ثبتت عدالته لا ينسب اليه الا ما يليق بحاله وبطريقته من الخصال الحميدة فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وانكر عليه ألا ترى ان المزنى رحمه الله لما ان باشر الشافعى رحمه الله أنكر على من نسب اليه جواز السماع بما تقدم ذكره

(فصل) واشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه فى المساجد وقد تقدم توقير السلف رضى الله عنهم للمساجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكرا كان أو غيره (وقد) نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراءة فيه (ومن ذلك) ما ورد من انشاد الضالة فى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام من نشد ضالة فى المسجد فقولوا لا ردها الله عليك (ومن ذلك) ما ورد من سأل فى المسجد فاحرموه (وروى) أبو داود والترمذى والنسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع فى المسجد وان تنشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة اه (وبعض) هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم فى المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف التى فيها وكذلك يفعلون فى الربط والمدارس (وقد) ذكر أن بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك فى سنة

احدى وستين وستمائة ومشى بها على الاربع مذاهب (ولفظها) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك في المساجد شرعا افتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى (فقالت الشافعية) السماع لهو ومكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم (وقالت المالكية) يجب على ولاة الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم (وقالت الحنابلة) فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم (وقالت الحنفية) الحصر التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والارض التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يصفر ترابها ويرمى والله أعلم (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره حين تكلم على قصة السامري في سورة طه سئل الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية حرس الله مدته انه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون أشعارا مع الطقطقة بالقضيب على شئ من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخر مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا يرحمكم الله وهذا القول الذي يذكرونه

يا شيخ كف عن الذنوب * قبل التفرق والزال
واعمل لنفسك صالحا * مادام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى * ومشيب رأسك قد نزل

(فاجاب) بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (وأما) الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل (وأما القضيب) فاول من أحدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار

(فينبغي) للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضرهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق انتهى (وقال) الشيخ الامام أبو بكر الطرطوشي أيضا رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب النهي عن الاغاني وقد كان الناس فيما مضى يستنكر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب اليه منها ثم كثر الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الاغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم الى الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقد) سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء (فقال) انما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه (وأما) أبو حنيفة رحمه الله فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم أيضا بين أهل البصرة خلافا في كراهية ذلك والمنع منه (وأما) الشافعي رضي الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال (وأما) سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له فان أصحاب الشافعي مجمعون على انه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعي وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثا وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن (وأما) العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومسقمه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية (وهذه) الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لانهم جعلوا الغناء دينا وطاعة وقربة اعلانه في المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط

لدينهم

لدينهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدعون الورع والزهد حتى توافق بواطنهم ظواهرهم (وقد) قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الآية قال الحسن ومجاهد والنخعى هو الغناء (وقال) ابن مسعود لهو الحديث الغناء والاستماع اليه (وقوله) تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك (قال) مجاهد بالغناء والمزامير وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال أكثر المفسرين كل راكب وماش فى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق فى حرام (قال) الطرطوشى رحمه الله ويجوز أن يقال مشاركته لنا فى الاموال والاولاد ما يزينه لنا من الاثمان ثم يزين لنا الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث ونكتسب الاموال بالايمان الكاذبة (وقال تعالى) أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون (قال) ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير (وقال) مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى (وروى) أبو اسحاق بن شعبان فى كتابه الزاهى باسناده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن وزاد الترمذى ولا تعلموهن وأكل أثمانهن حرام وفيهن نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث زاد غيره والذى بعثنى بالحق ما رفع رجل عقيرته أى صوته بالغناء الا بعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتدفان على منكبيه لا يزالان يضربان بأرجلهما على صدره واشار النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو الذى يسكت (وروى) جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كان ابليس أول من ناح وأول من غنى (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليمسخن قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا اله الا الله وانى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يا رسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الاشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتى خمس

عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وجفا أباه وبر صديقه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا اه (وروى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أشراط الساعة أو القيامة اضاعة الصلوات واتباع الشهوات وتكون امراء خونة ووزراء فسقة (فقال) سلمان رضى الله عنه بأبى وأمى يارسول الله ان هذا كائن قال نعم ياسلمان عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون المؤتمن ياسلمان عند ذلك يكون الكذب طرفا والزكاة مغرما ان أذل الناس يومئذ المؤتمن يمشى بين أظهرهم بالخافة يذوب قلبه فى جوفه كما يذوب الملح فى الماء هما ولا يستطيع أن يغير عندها ياسلمان يكون المطر قيظا والولد غيظا والفئ مغرما والمال دولا ياسلمان عند ذلك يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من أمتى لعنة الله ياسلمان عند ذلك يجفو الرجل والديه ويبر صديقه ويحتقر السيئة قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنائر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والالسن مختلفة دين أحدهم لعقة على لسانه ان أعطى شكر وان منع كفر قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تحلى ذكور أمتى بالذهب والفضة عند ذلك يأتى من المشرق والمغرب قوم يلون أمتى فويل لضعيفهم من قويهم وويل لهم من الله تعالى ياسلمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون القرآن مزامير باصواتهم وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم ياسلمان عند ذلك يكثر الربا ويظهر الزنا ويتهاون الناس بالدماء ولا يقام يومئذ نصر الله ياسلمان تكثر القينات وتشارك المرأة زوجها فى التجارة عند ذلك يرفع الحيج فلا يحج أمراء

الناس

الناس تنزهاولهوا وأواسطهم للتجارة وفقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسئلة (وروى) عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كسب المغنى والمغنية حرام وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحما نبت من سحت (قال) عطاء بن أبى رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنه وجابر بن عمير بن يمان فقال أحدهما لجليس فقال الآخر أجاست سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول كل شئ ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو وسهو والأربع خصال مشى الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة (قال) قتادة رحمه الله لما أهبط ابليس لعنه الله قال يارب لعنتنى فما عملى قال السحر قال فما قرآنى قال الشعر قال فما كتابى قال الوشم قال فما طعامى قال كل ميتة ومالم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابى قال كل مسكر قال فاين مسكنى قال الاسواق قال فما صوتى قال المزامير قال فما مصائدى قال النساء (وروى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت المزمار (وروى) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كبر مقتا عند الله الاكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنة عند المصيبة والمزمار (وروى) أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما ولعن الله بيتا فيه دف أو طنبور أو عود وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة (وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لست من ددولا الددمنى (قال) مالك رحمه الله الدد اللعب واللهو (وقال) الخليل بن أحمد فى كتاب العين الدد النقر بالانامل فى الارض فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم تبرأ مما ينقر فى الارض بالأنامل فما بالك بطقطقة القضيب (قال) الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين (وروى) عبد الله بن عمر قال سأل انسان القاسم بن محمد عن الغناء قال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخى اذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يجعل الغناء (وقال) الشعبى رحمه الله لعن الله المغنى والمغنى له وقال الحكم بن عتيبة رحمه

الله حب السماع ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع (وقال) الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا (وقال) الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب (وكتب) عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بالغنى عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف واستماع الاغانى واللهو بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب على الماء (وقال) يزيد بن الوليد يا بنى أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) ابن الكاتب اياك والغناء (وقال) المحاسبى فى رسالة الارشاد الغناء حرام كالميتة (وقال) أبو حصين رحمه الله اختصم الى شريح فى رجل كسر طنبورا فلم يقض فيه بشئ

(فصل) وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول يتغلغل فى مكامن القلوب ويطلع على سرائر الافئدة ويدب الى بيت التخييل فيثير كل ما غرس فيها من الهوى والشهوة والسخافة والرعونة بينما ترى الرجل وعليه سمت الوقار وبهاء العقل وبهجة الايمان ووقار العلم كلامه حكمة وسكوته عبرة فاذا سمع اللهو نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدى من أسراره ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكوت الى كثرة الكلام والكذب والازدهاء والفرقعة بالاصابع ويميل رأسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها (وقد روى) ان اعرابية دخلت الحاضرة فسقيت نبيذا فلما خامرها وصحت قال أو يشرب هذا نساؤكم قالوا نعم قالت لئن صدقتم فما يعرف أحدكم من أبوه (وقال) محمد بن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيامة نادى منادأين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للائكة أسمعوهم حمدى وثنائى وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (وقال) بعض الزهاد الغناء يورث النفاق فى قوم ويورث التكذيب فى قوم ويورث الفساد فى قوم (واحتج) بعضهم على اباحة الغناء بما روى عن عائشة

رضى الله عنها انها قالت دخل على ابو بكر رضى الله عنه وعندى جاريتان من جوار الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال ابو بكر رضى الله عنه أمزمار الشيطان فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (والجواب) عنه أن نعرف أولا حقيقة الغناء وذلك ان للفظ الغناء معنيين لغوى وعرفى فيحمل الحديث على اللغوى فقولها تغنيان أى ترفعان اصواتهما بانشاد الشعر ونحن لا نذم انشاد الشعر ولا نحرمه وانما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهى الشهوة الطبيعية وليس كل من رفع صوته بالغناء لحن والذ وأطرب فالممنوع والمكروه انما هو اللذيذ المطرب ولم يعقل من هذا الحديث أن صوتهما كان لذيذا مطربا وهذا هو سر المسئلة فافهمه وقد روى البخارى هذا الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت فى آخره وليستا بمغنيتين فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا انه ما نقل عنها بعد بلوغها الا ذم الغناء والمعازف على ما بينا وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو احد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها (فان قيل) اليس قد أنشد الشعر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم (فالجواب) انا لا ننكر انشاد الشعر وانما ننكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم (فان قيل) أليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا (فالجواب) ان صعصعة بن صوحان وهو من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكما فهى هذه المواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فيتكلف العالم علم ما لا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فعرضك حديثك على من ليس من شأنه ولا يريده

(فصل) وقد قال بعضهم نحن لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه

قوله عيالا بفتح العين المهملة وتخفيف التحتية ويروى عيلا بفتح فسكون اى

الخاص والعام وانما نسمع بحق فنسمع بالله وفى الله ولا نتصف بهذه الاحوال التى هى ممزوجة بحظوظ البشرية (قلنا) ان زعمت انك فارقت طبع البشرية وصرت مطبوعا على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة فقد كذبت على طبعك وكذبت على الله فى تركيبك وما وصفك به من حب الشهوات وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب وكان يجب أن لا تكون مجاهدا لنفسك ولا مخالفا لهواك ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات وكان يجب أن تكون أنت وأصحابك تسبحون الليل والنهار لا تفترون وتستغفرون لمن فى الارض وكان يجب أن تبيح سماع العود والطنبور وسائر الملاهى بهذا الطبع الذى لا يشاركك فيه أحد من الناس

(فصل) فان قيل أليس قد روى عن جماعة من الصالحين انهم سمعوه (قلنا) ما بلغنا أن أحدا من السلف الصالح سمعه ولا فعله وهذه مصنفات أئمة الدين وعلماء المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخارى ومسلم وسنن أبى داود وكتاب النسائى رضى الله عنهم الى غيرها خالية من دعواكم وهذه تصانيف فقهاء المسلمين الذين تدور عليهم الفتوى قديما وحديثا فى شرق البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس تصانيف لا تحصى وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذب عن الغناء وتفسيق أهله فان كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يلزمنا الاقتداء بقوله ونترك الاقتداء بالائمة الراشدين (ومن ههنا) زل من لا بصيرة له نحتج عليهم بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين ويحتجون علينا بالمتأخرين سيما وكل من يرى هذا الرأى الفاسد خلى من الفقه عاطل من العلم لا يعرف مأخذ الاحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب أهله ولا يقرأ مصنفاته ودواوينه (وقد) قال النبى صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم ما استرذل الله عبدا الا حظر عليه العلم (فمن) هجر أهل الفقه والحكمة وانقضى عمره فى مخالطة أهل اللهو والبطالة كيف يؤمن على هذه المسئلة

وغيرها

وغيرها وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله (فيامن) رضى لدينه ودنياه وتوفق لآخرته ومثواه باختيار مالك بن أنس وفتواه ان كنت على مذهبه وباختيار أبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم فى هذه المسئلة وجعلت امامك فيها شهواتك وبلوغ أوطارك ولذاتك وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

(فصل) وقد روى عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت فى المنام ان الحق أوقفنى بين يديه وقال يا أحمد حملت وصفى على ليلى وسعدى لولا انى نظرت اليك فى مقام واحد أردتنى خالصا لعذبتك قال فاقامنى من وراء حجاب الخوف فارعدت وفزعت ماشاء الله ثم أقامنى من وراء حجاب الرضى فقلت ياسيدى لم أجد من يحملنى غيرك فطرحت نفسى عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيرى وأمر بى الى الجنة (وقال الجنيد) رحمه الله رأيت ابليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم نصيبا فقال انه ليعسر على شأنهم ويعظم على ان أصيب منهم شيئا الا فى وقتين وقت السماع وعند النظر فانى أنال منهم نهمة وأدخل عليهم به (وسئل) أبو على الروذبارى عن السماع وكان من شيوخ الصوفية فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس (وقال الجنيد) اذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة (وقال) أبو الحارث الاولاسى وكان من الصوفية رأيت ابليس فى المنام وكان على بعض سطوح أولاس وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب نظيفة فقال لطائفة منهم قوموا وغنوا فقاموا وغنوا فاستفزعنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون ثم قال يا أبا الحارث ما أصيب شيئا أدخل به عليكم الا هذا (وقال) الجريرى رأيت الجنيد رحمه الله فى النوم فقلت كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات (فاين) هذا يرحمك الله مما وصف الله به العلماء فقال ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

(فصل) وقد استدل عظيم من شيوخهم على اباحة الغناء فقال ان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمول اذا سمع الحداء (قال) وقد روى ان بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فاراد وا ان يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فاتفقوا على ان يأتوا بقوال فان احسن الاصغاء علموا كياسته فلما أسمعوه القوال ضحك الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه (فالجواب) انظروا ياذوى الالباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه السفافة وحسبك من مذهب امامهم فيه الانعام والصبيان فى المهد وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدى بأحبار المسلمين وعلمائهم وتقتدى بالابل فاش كان كل ما طربت به البهائم مندوبا أو مباحا فانا نرى البهيمة تدور على أمها وأختها وتركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة فى مثل هذا

(فصل) فان سألوا عن معنى قراءة القرآن بالالحان (فالجواب) ان مالكا قال ولا تعجبنى القراءة بالالحان ولا أحبه فى رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان (قال) وبلغنى ان الجوارى يعلمن ذلك كما يعلمن الغناء أين هذا من القراءة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بها (قال) ولا يعجبنى التمطيط والهمز يقول لا يرجع فى القرآن ولا يقطع بالالحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة همزات فى القرآن والزيادة فى القرآن لا تجوز (وقيل) لمالك هل يقرأ الرجل فى الطرقات قال لا الا الشئ اليسير وأما الذى يديم ذلك فلا يجوز قيل له فالرجل يخرج الى السوق أيقرأ فى نفسه ما شيا فقال أكره أن يقرأ فى السوق (وسئل) عن القراءة فى الحمام قال ليس موضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا بأس بذلك (قيل له) فالرجل يخرج الى قريته فيقرأ ماشيا قال نعم (قال) سحنون لا بأس أن يقرأ الراكب والمضطجع (وسئل) عن الرجل يختم القرآن فى ليلة قال ما أجود ذلك لمن أطاقه (قال مالك) ولم تكن القراءة فى المصحف فى المسجد من أمر الناس القديم وأول من احدثه الحجاج (قال) وأكره ان يقرأ فى المصحف فى المسجد (فان) سألوا عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم

ما اذن الله لشئ كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به (فالمعنى) ما استمع الله لشئ كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن لان أصل الغناء رفع الصوت على ما بينا وبهذا فسره في آخر الخبر فقال يجهر به (قال مجاهد) في قوله تعالى واذنت لربها وحقت أي سمعت (قال) أبو عبيد وجماعة من العلماء لا يجوز تلحين القرآن وانما معنى الحديث التحبير والتحزين (قال) عيسى الغفاري ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشراط الساعة فقال بيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالدم وكثرة الشرط وان يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا بأفضلهم الا ليغنيهم غناء (فان) سألوا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم (فان) معناه التحزين (قال) شعبة نهاني أيوب ان اتحدث بهذا الحديث مخافة أن يتأول على غير وجهه (وهذا الجواب) مما رواه عبد الله بن مغفل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح فقال لولا ان يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع (وان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن (قال) سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستغن به يعني بالقرآن وهكذا فسره أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا من أهل الارض أغنى منه ولو ملك الدنيا كلها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فرأى ان أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (وقال) ابن مسعود نعم كنز الصعلوك آل عمران يقوم بهما من آخر الليل (والدليل) على ان التغني بمعنى الاستغناء دون الصوت قول الاعشى

وكنت امرأ زمنا بالعراق * عفيف المناخ طويل التغني

قال أبو عبيد يريد الاستغناء (والعرب) تقول تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا بمعنى استغنيت قال بعض العرب يعاتب أخاه

كلانا غني عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

(وقال) الكسائي مررت على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة في بيتها فقلت لها ما تريدين بهذه الشاة قالت تتغنى بها يا هذا تريد تستغني (وقال) بعض الصالحين من تلذذ بالحان القرآن حرم فهم القرآن (وقال) أبو

هريرة انتم اقرأ السنة ونحن اقرأ قلوبا (وقال) ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخف علينا العمل به وسيجيء قوم يخف عليهم قراءة القرآن ويثقل عليهم العمل به (وقال) كعب الاحبار ليقرأن رجال القرآن هم احسن اصواتا من المعازف ومن حداة الابل لا ينظر الله اليهم يوم القيامة (وقد) أمعن واجاد الشيخ الامام الحافظ الجليل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضع وبينه أتم بيان واحسنه في كتاب التفسير له فمن اراده فليقف عليه هناك اذ أن هذا الكتاب يضيق عما أتى به وما ذكرناه هو اشارة لاولى الالباب والله الموفق للصواب

* (فصل) * ثم قال الطرطوشي رحمه الله ومما اشتهرت به هذه الطائفة اتباع الشهوات والتنافس في الوان الاطعمة (وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (قال) أبو جحيفة اكلت ثريدا بلحم سمين فتحشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اكفف عنا جشاءك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا (وروى) أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة أيام (وقال) يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع في الاسواق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة أن يشتروا غيره (وقال) الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ خمسة عشر عاما الا شبعة فطرحتها الان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة (وقال) سهل بن عبد الله التستري رحمه الله لما خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا جعل في الشبع القسوة والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة (وقال) بشر بن الحارث رحمه الله الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق (وقال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة (وسئل) الجنيد رحمه الله عن صفة الصوفية فقال طعامهم طعام المرضى ونومهم نوم الغرقى (وقال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله نعوذ

بالله

بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الاغنياء (وقال رجل) لبعض المشايخ رحمهم الله انى جائع فقال كذبت قال ومن أين علمت قال لأن الجوع فى خزائنه الوثيقة لا يطلع عليها من يفشى سره ولا يعطاه من لا يشكره (وروى) أن بعض الفقراء اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فرأى درهما مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله عالما بجوعك حتى قلت انى جائع (وقال) فتح الموصلى رحمه الله أوصانى ثلاثون شيخا عند فراقى اياهم بترك عشرة الأحداث وقلة الاكل (ويروى) عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على ابن عون فى الحبس واذا عمال بنى أمية مقيدون فى الحديد فحضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون الالوان فقالوا هلم يا أبا يحيى فقال ما أحب أن آكل مثل هذا الطعام وان يوضع فى رجلى مثل هذا الحديد (وقال) أبو هريرة رضى الله عنه خرج النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما فقالا الجوع فقال وأنا والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى الا الذى أخرجكما قوموا فأتوا بيتا من الانصار واذا الرجل غائب فقالت امرأته مرحبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت خرج يستعذب لنا من الماء واذا بالرجل وعليه قربة ماء فلما نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أحد من الناس اليوم أكرم اضيافا منى فاتاهم بعذق من رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اجتنيته فقال يا رسول الله تخيروا على أعينكم ثم اخذ المدية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا وشربوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم وفى لفظ عن هذا النعيم

(فصل) ويقال ان هذه الطائفة تضيف الى ما هى فيه من الباطل استحضار المرد فى مجالسهم والنظر فى وجوههم وربما زينوهم بالحلى والمصبغات من الثياب وتزعم انها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع (قال) الاستاذ القشيرى رحمه الله وهو من رؤساء طائفتهم قولا عظيما فى الرد عليهم وكشف فضائحهم من ابتلاه الله بشئ من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته وأبدى سوأته فى العاجل وله عند الله سوء المنقلب فى الآجل (وروى) أبو داود فى السنن ان النبى صلى

الله عليه وسلم قال من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا خبب أى أفسد وخدع وأصله من الخب وهو الخدع ويقال فلان خب هب اذا كان فاسدا مفسدا (قال) الواسطى رحمه الله وهو من كبار الصوفية اذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الأنتان الجيف أو لم تسمعوا الى قول الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الأولى وليست لك الآخرة (وقال) بقية بن الوليد رحمه الله قال بعض التابعين رضى الله عنه كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر الى الغلام الامرد الجميل الوجه (قال) ابن عباس رضى الله عنهما الشيطان من الرجل ثلاثة منازل فى نظره وقلبه وذكره (وقال) عطاء رحمه الله كل نظرة يهواها القلب لا خير فيها (وقال) سفيان الثورى رحمه الله لو أن رجلا عبث بغلام بين أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواطا (وقال) الحسن بن ذكوان رحمه الله لا تجالسوا أبناء الاغنياء فان لهم صورا كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى (وقال) بعض التابعين ما أخاف على الشاب الناسك فى عبادته من سبع ضارئ كخوفى عليه من الغلام الامرد يقعد اليه (وقال) بعض التابعين رضى الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل (وروى) ان أحمد ابن حنبل رحمه الله جاءه اليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجئنى به مرة أخرى فقيل له انه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن على رأى أشياخنا (وكان) محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين لم يرفع رأسه الى السماء أربعين سنة فجاءه غلام حدث ليجالس اليه فجاسه من خلفه (فاما) اتيان الذكور فهى الفاحشة العظمى وهو محرم مغلظ التحريم (قال) الله تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم (قال مالك) ويرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أو لم يحصنا وبه قال ربيعة وأحمد بن حنبل واسحاق (وقال) الحسن البصرى وعطاء والنخعى وقتادة والاوزاعى وأبو يوسف ومحمد هو كالزنا ان كان بكرا يجلدان كان ثيبا يرجم ولا فرق بين ان يفعله مع غلام أو امرأة اجنبية (والحجة) لمالك ان النبى صلى

الله

الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به (وايضا) فان الله تعالى رجمهم بالحجارة قال تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل الآية (وروى) ان ابا بكر استشار الصحابة رضوان الله عليهم فى رجل كان ينكح كما تنكح المرأة فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه أرى أن يحرق فكتب أبو بكر رضى الله عنه الى خالد بن الوليد رضى الله عنه فاحرقه بالنار (وروى) عنه ايضا انه قال يرجم اللوطى (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما يرمى من شاهق جبل أعلى مافى البلد منكسا ثم يتبع بالحجارة (ويروى) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال يهدم عليه البيت (وقال) عثمان رضى الله عنه يقتل (وروى) ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال اهلكهم الله تعالى بها كانوا يتغوطون فى الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفى الانهار الجارية وفى شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصباء فيعورونهم واذا اجتمعوا فى المجالس اظهروا المنكر واخراج الريح منهم والطعام على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهى اللواط (قال) الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر والنادى المجالس والمحافل (ومن) ارتقى فى هذا الباب عن حالة الفسوق واشار الى ان ذلك من باب بلاء الزواج وأنه لا يضره هذه وساوس الشيطان وادعاء العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجاستهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق ثم يقال وهبك ايها المغرور قد بلغت رتبة الشهداء أليس قد شغلت ذلك القلب بمخلوق (وفى الحديث) يقول الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيرى ان اسكنه حبى (واما) قولهم انهم يستدلون بالصنعة على الصانع فنهاية فى سعاية الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم (قال) الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه (قال) ابن عباس رضى الله عنهما الهوى شر اله يعبد من دون الله (قال) الله تعالى فى باب الاعتبار أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت (وقال تعالى) اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الا الرحمن (وقال) جل وعلا

ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس الآية (وقال) تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية (وقال) تعالى وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فعدلوا عما امرهم الله به من الاعتبار الى ما نهاهم عنه بقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الآية

(فصل) واما الدف والرقص بالرجل وكشف الراس وتخريق الثياب فلا يخفى على ذى لب انه لعب وسخف ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الانبياء والصالحون (روى) اهل التفسير عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب (قال) وكان النبى صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهى قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعنى يسكتون ويغضون ابصارهم والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه ولم يكن فى السماع والرقص شئ يذم الا انه اول من احدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الها من دون الله تعالى فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون فبقى حالهم كذلك الى ان جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ما قد ذكره الله تعالى فى كتابه فهم اصل لما ذكروما كان هذا اصله فينبغى بل يتعين على كل عاقل ان يهرب منه ويولى الظهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره واما ان كان له قدرة على ذلك فيتعين عليه والله الموفق (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة قال الامام الطرطوشى رحمه الله هؤلاء زعموا ان قرة اعينهم فى الغناء واللهو

قوله لا تؤبن بضم أوله وفتح ثالثه مخففا أى لا تذكر بما لا ينبغى اه

والنظر

والنظر فى وجوه المرد

(فصل) وقال رحمه الله واما تمزيق الثياب فهو يجمع الى ما فيه من المخافة افساد المال (روى) ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال (وقال) عمر بن العاص رضى الله عنه مر النبى صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة اعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة فقال هلا انتفعتم باهابها فقالوا انها ميتة قال انما حرم اكلها (قال) العلماء ويحجر على السفهاء وهم المبذرون لاموالهم وما فى السفه اعظم من تمزيق الثياب (وقال) انس رايت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة واحدة منها من أديم احمر (وروى) ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه انقطع شسع نعله فقال انا لله وانا اليه راجعون (ومن امثالهم) من اصلح ماله فقد صان الاكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب داخل فى قوله تعالى لا بليس وشاركهم فى الاموال والاولاد واذا كان الكسب خبيثا كان ما آله الى مثله انتهى كلام الطرطوشى رحمه الله

(فصل) وقال الشيخ ابو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره فى قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث فقال الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات (وعن) ابن عمر هو الغناء (وكذلك) قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول (وروى) شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق فى القلب (وقال) مجاهد وزاذان لهو الحديث المعازف والغناء (وقال) القاسم ابن محمد الغناء باطل والباطل فى النار (وقال) ابن القاسم سألت عنه مالكا فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أفحق هو (وروى) الترمذى وغيره من حديث انس وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران انهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نغمة وفرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب (وروى) جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن على رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلانى (وخرج) ابن بشران عن

عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل (روى) ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يسمع منها صب فى اذنيه الآنك يوم القيامة (وقد) روى مرفوعا من حديث أبى موسى الاشعرى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين فقيل وما الروحانيون يارسول الله قال قراء أهل الجنة خرجه الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الاصول (ومن) رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه (واهذه) الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذى يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان فى شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف فى تحريمه لانه اللهو والغناء المذموم باتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه فى اوقات الفرح كالعرس والعيد وعند النشاط على الاعمال الشاقة كما كان فى حفر الخندق (فأما) ما ابتدعه الصوفية اليوم من الادمان على سماع الاغانى بالآلات المطربة من الشبابة والطار والمعازف والاوتار فحرام (قال) ابن العربى فأما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو (وذكر) أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى قال أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينة (قال النحاس) وهو ممنوع بالكتاب والسنة (قال الطبرى) وقد اجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه (قال) أبو الفرج بن الجوزى وقد قال القفال من اصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص (قال) أبو عبد الله القرطبى رحمه الله واذا قد ثبت أن هذا الامر لا يجوز فأخذ الاجرة عليه لا يجوز (وقد) ادعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك (وذكر) القرطبى ايضا فى سورة سبحان فى قوله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا قال استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه (قال) الامام أبو الوفاء بن عقيل قد نص القرآن على

الآنك بالمد وضم النون خالص الرصاص اه

النهى

النهى عن الرقص فقال ولا تمش فى الارض مرحا وذم المختال والراقص أشد والمرح الفرح أو لسنا قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الطرب والسكر فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطبل لاجتماعهما فما أقبح ذا لحية سيما اذا كان ذا شيبة يرقص و يصفق على توقيع الالحان والقضبان خصوصا اذا كانت أصوات نسوان و ولدان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم مآله الى احدى الدارين يشمس بالرقص شموس البهائم و يصفق تصفيق الغسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عمرى ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان مخالطتى لهم (وقال) أبو الفرج بن الجوزى ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى انه قال حماقة لا تزول الا باللعب (وذكر) القرطبى أيضا فى قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال فى الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء والله وقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه اه

(فصل) وقد حكى عن امام هذه الطريقة وهو الشيخ الجنيد رحمه الله انه سئل لحضور السماع فأبى ثم سئل فأبى فقيل له ألست كنت تحضره قال مع من ومن وقد حكى عن غيره من الاكابر انه سئل لحضور السماع فأبى فقيل له أتنكر السماع قال ومثلى ينكره وقد فعله من هو خير منى ومنكم عبد الله بن جعفر الطيار وانما أنكر ما أحدث فيه اه (وهذا) كما قدمنا سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما ان حدث فيه ما حدث تركه (وهذا أيضا) موافق لكلام الجنيد فى قوله مع من ومن لما تقدم عنه رحمه الله ان القوال هو شيخ الجماعة الذى منه يستمدون وبه يقتدون ولا شك ان هذه الصفة بعيدة من سماع هذا الزمان لما احتوى عليه مما لا ينبغى كما هو مشاهد مرئى وقد وقعت الاشارة لبعضه (وهذا) مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور النساء فى المواضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعهن الاشعار المهيجة للفتنة والشهوات والملذوذات فان ذلك يحرك عليهن ساكنا لما تقدم من أن الغناء رقية الزنا وهن ناقصات عقل ودين سيما اذا انضاف الى ذلك ان يكون لهن طريق الى التوصل الى الرجال

أو الرجال اليهن فأعظم فتنة وبلية سيما اذا انضاف اليه أن يكون المغنى شابا حسن الصورة والصوت ويسلك مسلك المغنيات فى تكسيرهم وسوء تقلباتهم فى تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير والرفيع من غيره وبعضهم يبالغ فى أسباب الفتنة فيتقلد بالعنبر بين ثيابه لتشم رائحته منه ويجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواش عريضة ملونة يصففها على جبهته ولهم فى استجلاب الفتن بمثل هذا أمور يطول ذكرها (ثم) العجب من هذا المسكين الذى عمل السماع لهم وجمعهم له كيف يطيب خاطره أو يسكن باطنه برؤية أهله لما ذكر اذ ان ذلك كله فتنة عظيمة قل من يسلم عند سماعها أو رؤيتها فانا لله وانا اليه راجعون أين غيرة الاسلام أين نجدة الرجال السادة الكرام أين الهمم العالية العفيفة من الحرام أين اتباع السلف الاعلام (فتحصل) مما تقدم ذكره أن كل من حضر السماع من الرجال والشبان ومن اطلع عليه من النساء وسمعهم افتتن وقل أن يرضى بما عنده من الحلال غالبا فتتشوف نفوسهم الى ارتكاب المحرمات فمنهم من يصل الى غرضه الخسيس وهى البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لقلة ذات يده أو غيره من العوائق المانعة له فيكون آثما فى قصده ولو وقف الامر على ما ذكر لرجيت لهم التوبة والاقلاع والاقالة عما وقعوا فيه لكن البلية العظمى ان كثيرا منهم يتدينون بذلك ويعتقدون به القربة الى الله عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو أعظم فى الفتنة لانهم يعتقدون انهم فى أكبر الطاعات واظهار شعائر الدين (وتعطى) هذه القاعدة التى انتحلوها انهم أعرف بالشعائر من سلفهم نعوذ بالله من المحن والفتن ومن الابتداع وترك الاتباع (وبالجملة) ففتنته أكثر من أن تحصر وهذا مع مافيه من اضاعة المال والرياء والسمعة لو قبل لاحدهم تصدق ببعض ما تنفقه فيه على المضطرين المحتاجين سرا لشح بذلك وبخل وماذلك الا لوجوه (الوجه الاول) خبث الكسب غالبا لان المال الذى يتحصل من وجه خبيث لا يخرج الا فى وجه خبيث مثله بذلك جرت الحكمة (الثانى) ايثار الشهوات والملذوذات (الثالث) الرياء والسمعة (الرابع) محبة الثناء والمحمدة والقيل والقال كما تقدم (الخامس) محبة النفوس فى الظهور

على

على الاقران (السادس) ان صدقة السر خالصة للرب عز وجل فلا يقدر عليها الا ذو حزم ومروءة واخلاص فالسعيد السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلك منهاجها وشد يده عليها وترك كل ما أحدثه المحدثون وعمل على اخلاص مهجته وأهله وولده ولا اخلاص الا بالاتباع وترك الابتداع سلك الله بنا الطريق الارشد انه ولي ذلك والقادر عليه بمحمد وآله

(فصل) وقد تقدم في أول الكتاب أن تصرف المكلف لم يبق الا في قسمين وهما الوجوب والندب فاذا كان هذا في حق غير الفقير المنقطع فما بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذي ترك الدنيا وشهواتها وملذوذاتها خلف ظهره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره (واذا) كان ذلك كذلك فالسماع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل في باب الواجب والمندوب بدليل ما تقدم عن الجنيد رحمه الله حيث قال لا يصير السماع مباحا الا بعشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه ويتقي مواضع الريب ويسد عن نفسه أبواب المفاسد كلها فانه شبيه بالعالم في الاقتداء به فصلاحه يتعدى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أو يندب اليه ويترك ما عدا ذلك ويعرض عنه والله المستعان

(فصل) وينبغي له أن يصون خرقة التي ينسب اليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك في حق العالم ففي حق الفقير أولى وأحرى اذ انه اقبل على طريق الآخرة وترك الدنيا وأهلها فوقوفه على ابواب من تقدم ذكرهم تعويض طريقه ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهرا وباطنا اعني انه لا ينقطع في خلوته وقلبه متعلق بغير ما هو فيه فان تعلق خاطره بشيء من ذلك فهو منهم وان كان لم يدخل معهم في الظاهر ولم يكثرهم (ألا ترى) انهم قد قالوا اذا رأيت الامير على باب الفقير فاتهم الفقير لانه ما جاء الا لنسبة حصلت في الفقير من اجل ما يتعاطونه من امور الدنيا ولا أجل ذلك جاء الامير لحصول الجنسية او كما قالوا (وقد) يكون الفقير لا يشعر بما اوجب ذلك في حقه (حتى) لقد حكي عن

بعضهم انه كان لا يمر له خاطر فى الدنيا ثم حصل له فى بعض الايام التفات اليها واذا بجندى يدق الباب فدخل اليه وجلس يتحدث معه فى الدنيا فرجع الشيخ الى نفسه وقال هذه عقوبة من الله من أين أتيت واذا هو قد ذكر الخاطر الذى مر به فتاب الى الله تعالى وأقلع عنه واذا بالجندى قد قام وخرج من حينه (فهذه) كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قدوة لمن بعدهم ممن يتمسك بطريقهم أسأل الله ان لا يخالف بنا عن حالهم (ومع هذا) فلا ننكر الاجتماع بهم أعنى اذا جاءوا الى الفقير واغبين فقد وردت السنة بحسن البشاشة عند اللقاء والاخذ مع المضطرين والمساكين فيما نزل بهم ولا شك ان احتياج أبناء الدنيا للمريد وخطره أعظم من احتياج غيرهم من الفقراء والمساكين الى المريد المنقطع الى ربه عز وجل لان الفقير المسكين أقرب الى ربه سبحانه وتعالى اذ هو فى حالة الاضطرار والمسكنة عليه ظاهرة بخلاف أبناء الدنيا الان الغالب عليهم الشرود عن باب ربهم لاجل تعلقهم بمن هو فوقهم أو من هو مثلهم من أبناء الدنيا فيحتاج المريد اذا أتوا اليه أن يباسطهم لكى يتوصل بذلك الى موعظتهم وسياسة أخلاقهم ليسرق طباعهم بالرفق والتيسير وعدم التنفير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم وارشادهم اليه لا لغرض دنيوى لان نجاة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فاذا خلص واحدا من هذه صفته فلا شك أنه من المجاهدين وفى الجهاد من الفضيلة ما فيه فيحتاج ان يغتنم ما سبق اليه من هذا الخير العظيم ويشد يده عليه بشرط أن يتحفظ على مقامه الذى هو فيه من تدنيسه بالتشوف الى ما فى أيديهم أو التعزز بعزهم الفانى أو الركون الى شئ من أحوالهم الزائلة فاذا سلم من ذلك فلا بأس فى قضاء حوائج المضطرين من المسلمين على أيديهم لان له بذلك المنة عليهم لانه ساق اليهم خيرا عظيما ومعروفا جسيما لكن بشرط يشترط فيه وهو أن يريهم ان الحظ والمنفعة والحاجة الكبرى لهم فى استقضاء حوائج المسلمين منهم بعد أن يحقق عنهم انهم مضطرون الى ذلك أكثر من أرباب الحاجات اليهم وان ذلك متعين عليهم من غير امره لهم بذلك فكيف مع اطلاعه واطلاعهم وهذا باب كبير متسع فيكفى التنبيه عليه (وبالجملة) فالفقراء

السالكون

السالكون ممن مضى منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا فى هذا الباب على ثلاثة أقسام (فمنهم) من كان لا يخالط أحدا من غير جنسه فان وقع لاحدهم شئ من ذلك استعمل الحيل فى التخلص منه (كما حكى) عن سفيان الثورى انه لما ان تولى الخلافة من يعتقده ويرجع اليه هرب منه الى البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقى الخليفة يسأل عنه ويبحث عن أمره الى ان اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه فى ان اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك اتيته وجلست معه وعلمته مالم يعلمه أو كما قال (وقد حكى) عن بعضهم أنه اظهر التوله حين اتيان السلطان اليه بأن جعل على بابه احجارا من الخبز فوضعها وجلس هناك فلما ان رأى السلطان مقبلا أخذ رغيفا وجعل يعض فيه ويأكل بنهمة فجاء السلطان فسأل عنه فقيل له هو ذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فابى عن جوابه فسأله لم لا ترد على الجواب فقال أخاف أن تشغلنى عن أكلى أو ان تأكل معى فيذهب هذا الخبز وأنا لا أشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شئ (القسم الثانى) انهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها (القسم الثالث) الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حوائج المسلمين اذ ان ذلك جمع بين امرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم والثانى ضده وهو اهانة خرقة الفقير بالوقوف على أبواب من لا ينبغى (وقد) قال بعضهم ما أقبح ان يسئل عن العالم فيقال هو بباب الامير فاذا كان هذا القبح فى حق العالم فما بالك به فى المريد الذى خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة يطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولو لم يكن فيه من القبح الا أنا مأمورون بالتغيير عليهم فى بعض أحوالهم والوقوف ببابهم ينافى ذلك (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية لا يقف ببابهم ولا ينفر منهم بل يستقضى حوائج الضعفاء والمساكين منهم اذا أتوا اليه وأما من لم يأت منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه أصلا ومن نزلت به ضرورة وأتى اليه يحيله على الصدقة والتوبة مما جنى

وأما الارسال اليهم فكان لا يرسل لمن يعرف ولا لمن لم يعرف فمن كان يعرفه منهم اذا جاءه ذكر له ما اطلع عليه من ضرورات المسلمين فأزالها وهذا الذى درج عليه هو وحال أكثر السلف أعنى الطريقة الوسطى المتقدم ذكرها والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينسب الى الدنيا (وبالجملة) فمن يأتى الى زيارة المريدين ينقسمون على ثلاثة أقسام (الاول) اتيان أبناء الدنيا له (والثانى) زيارة المريدين والصلحاء (والثالث) زيارة من شاركه فى الخرقة من جهة شيخه اومن جهة العالم الذى اهتدى بهديه (فالقسم الاول) قد تقدم ذكره (وأما) القسم الثانى فيتعين عليه أن يلقى من اتاه برحب وسعة صدر وأن يكثر التواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه أنها مقصرة فى حقهم اذا نه قعد عن زيارتهم حتى احتاجوا الى زيارته فيعوض لهم عن ذلك كثرة الانس واظهار الود بشرط أن يكون ذلك منه باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود أن يبالغ فى الأدب معهم بتوقير كبيرهم واحترامه واللطف بصغيرهم فى ارشاده وتهذيب اخلاقه وتهيئ أمره للسلوك والترقى وان استطاع أن لا يخرج عنه أحد من هذه الطائفة الا عن أكل فليفعل لانه قد ورد عن السلف رضى الله عنهم انهم كانوا لا ينصرفون الا عن ذواق فان لم يمكنه ذلك الا بتكلف مثل أخذ دين أو ما يقاربه فالترك أولى به (وقد حكى) عن بعضهم انه جاءه أضياف فقدم لهم خبزا وملحا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم لكن يعوضهم عن ذلك امدادهم فى بواطنهم ان كان من أهل ذلك فان لم يكن من أهل الامداد فيدعو لهم بظاهر الغيب ولعل أن يكون فيهم وهو الغالب من هو أرفع منه قدرا وأعظم شانا فيكون دعاؤه اذذاك يعود عليه بركته (لما ورد) ان المرء اذا دعا لاخيه فى ظهر الغيب فان الملك يقول له ولك مثل ذلك أو كما ورد (وقد) قال بعض السلف كل حاجة أحتاجها وأريد أن أدعو بها لنفسى ادعو بها لاخى فى ظهر الغيب لانى اذا دعوت لنفسى كان الامر محتملا للقبول أو ضده واذا دعوت لاخى فى ظهر الغيب فالملك يقول ولك مثل ذلك ودعاء الملك مستجاب (وقد حكى) عن بعضهم انه جاء الى زيارة أخيه فقال له المزور يا اخى اما كان لك شغل بالله عن زيارتى فقال له الزائر شغلى بالله اخرجنى الى زيارتك (وقد

حكى)

حكى) عن بعضهم أيضا انه كان اذا سأله أحد من اخوانه فى حاجة يبكى ثم بعد ذلك يقضى حاجته فسئل عن موجب بكائه فقال أبكى لغفلتى عن حاجة أخى حتى احتاج ان يبديها الى وهذا الذى ذكره وجار على حادة غالب حال الناس (وبعض الاكابر) يعوض عن ذلك ماهو فى الايثار أكثر واعم وله فى ذلك اقتداء حسن صحيح (كما) حكى لى من أثق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجميزى جاء الى زيارة الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير الترمذى وكان اذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجىء الفقيه ابن الجميزى الى زيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له الا جوابا فلما ان خرج رجع الى ما كان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزورنى مثلى فأردت أن أكافئه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فآثرته بالاجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى اسوة واذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه فآثرته بذلك أو كلاما هذا معناه (وهذا) له أصل فى الاتباع للسنة المطهرة وهو ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كنت اذا لقيت عليا ابتدأنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام فقال له اجلس فجلس واذا بعلى بن أبى طالب قد جاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم تبتدى أبا بكر اليوم بالسلام فقال يارسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا فى الجنة لم أر مثله فقلت لمن هذا القصر فقيل ان يبتدى أخاه بالسلام فأردت أن أوثر اليوم أبا بكر على نفسى أو كما قال (وهذا) أعظم فى الاكرام وأبر فى الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخاف على فاعل ذلك فى هذا الزمان أن ينفر الناس غالبا عن باب ربهم ويوقعهم فيما لا ينبغى فارتكاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم الا أن يقع ذلك مع من له رسوخ فى السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق

(فصل) اعلم رحمنا الله واياك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغى الاعتناء بها ليعرف المكلف أماكنها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة

والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله (فمن) جملة النفحات ما تقدم ذكره من دعاء المؤمن لاخيه فى ظهر الغيب (والثانى) المضطر وهو الاصل لعمومه قال الله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه وهذا لفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم فى هذا القسم فيرى انه مضطر فيدعو فلا يستجاب له فيقول أنى هذا فيقع له الجواب بلسان الحال قل هو من عند أنفسكم اذ أنه لو حصلت له حالة الاضطرار مارد ولا خيب لان الله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد (ومثال) ذلك فى الحس ما كان سيدى ابو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب فى السفينة فهو مضطر الى ريح يمشى بها الى بحرها وقليل الآفات لكنهم مطمئنون بسفينتهم راكنون اليها وفى هذا السكون من عدم الاضطرار ما فيه فلو جاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكان اضطرارهم أكثر من الاول لكنهم عندهم قوة فى أنفسهم بالسفينة التى هى سبب السلامة غالبا فلو انكسرت السفينة مثلا وبقى كل واحد منهم أو جماعة على لوح لاشتد اضطرارهم أكثر من الثانى لكنهم يرجون السلامة لما تحتهم من الالواح وذلك قدح فى حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الالواح وبقوا بعد ذلك فى لجج البحار لا يرى ولا جهة تقصد ولا لوح يرام أن يصعد عليه فهذه الصفة هى حقيقة الاضطرار أو كما قال (فمن) اتصف بهذه الصفة وهو فى حالة الاتساع من أمره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب فى اجابته وما وقع الغلط الا فى صفة التحصيل لهذه الصفة الجميلة التى أخبرنا الله تعالى بها فى كتابه العزيز (الثالث) من مواطن الاجابة عند نزول الغيث (الرابع) عند الاذان (الخامس) عند اصطفاف الناس للصلاة (السادس) عند اصطفافهم للجهاد (السابع) الثلث الاخير من الليل فى كل ليلة الى طلوع الفجر (الثامن) الدعاء عند المحتضر فان الملائكة حضور يؤمنون على دعاء الداعى (التاسع) الدعاء من الصائم عند افطاره (العاشر) الدعاء من المسافر عند سفره (الحادى عشر) وهو آكدها الساعة التى وردت فى يوم الجمعة وقد تقدم بيانها (الثانى عشر) يوم الاثنين وليلته وقد تقدم بيانه (الثالث عشر) ليلة القدر وهى ام الباب وخلاف العلماء فيها مشهور معروف (الرابع

عشر) الدعاء من الوالدين لولدهما (الخامس عشر) الدعاء عند حدوث
الخشوع وانشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة الرجاء فان هذه المواطن
كلها محل للاجابة (السادس عشر) وهو أعظمها وأولاها الدعاء باسم الله
الاعظم وقد اختلف الناس فى تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال بعضهم ان ذلك
راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال انه قوله تعالى
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومنهم من قال الله لا اله الا هو الحى
القيوم والم الله لا اله الا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم ومنهم من
قال لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ومنهم من قال آخر سورة
الحشر الى غير ذلك وهو كثير (السابع عشر) يوم عرفة (الثامن عشر) شهر
رمضان (التاسع عشر) فى السجود (وبالجملة) فالدعاء له أركان وأجنحة
وأسباب وأوقات فان صادف أركانه قوى وان صادف أجنحته طار فى
السماء وان صادف أسبابه نجح وان صادف أوقاته فاز (فمن) أركانه
الاضطرار وقد تقدم (وأجنحته) قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى
فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه (وأسبابه) الصلاة على النبى صلى الله عليه
وسلم (وأوقاته) الاسحار (وما) تقدم ذكره انما هو فيمن هو على جادة
التكليف (وأما) من هو فى مقام الرضى أو ما يقاربه فقد يكون السؤال
فى حقه ذنبا يتعين عليه التوبة والاستغفار منه (كما) قد حكى عن بعض
السلف أنه قال تجاسرت البارحة وسألت ربى المعافاة من النار كما حكى
الشيخ الامام أبو طالب المكى رحمه الله عن بعضهم انه قال كل المقامات نلت
منها شيئا الا هذا الرضى فانى ما نلت منه الا مقدار سم الخياط (ومع ذلك)
لو أخرج أهل جهنم أجمعين وادخله جهنم وملأها بجسده وعذبه بعذابهم
أجمعين لكان راضيا بذلك وقد تقدم ما جرى للكليم عليه الصلاة والسلام
مع العابد (وبالجملة) فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك وفى أى وقت يقع
له ذلك وقد يكون فى بعض الاحيان الرضى فى حقه أولى وأفضل بالنسبة الى
حاله وما اختص به فى وقته ذلك وقد يكون فى وقت آخر الدعاء والتملق
واظهار الفاقة والاضطرار والحاجة أولى وأفضل وكل ذلك مأخوذ من
السنة المطهرة وعن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ثم نرجع) الى ما

كما بسبيله من أقسام الزائر والمزور (القسم الثالث) الاشتراك في الرضاعة في مجالس العلم ومجالس الشيوخ فمن جاءه من هذا القسم فهو من الخاصة به فان استطاع ان يكون لهم أرضا فليفعل اذ أن احترامهم احترام لشيخه الذى أخذ عنه (وآداب) المريد مع شيخه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون ولا يقدر المريد أن يقوم بحقه في الغالب اذ أن حقيقة أمر الشيخ انه وجده في بحار الذنوب والغفلات فأخرجه من كل ذلك وادخله الجنة وهو أمر لا يقدر أحد أن يجازى عليه الا الله تعالى

(فصل) وينبغي له أن يكون أهم الامور عنده وآكدها الخلوة عن الناس والانفراد بنفسه دونهم كما تقدم لان الخلوة سبب للفتح غالبا (وليحذر) أن يقبل ما تلقيه اليه نفسه أو الشيطان من محبة الاجتماع بالاخوان أو الميل اليهم أو الميل الى رؤيتهم فان النفس مجبولة غالبا على حب الراحة والبطالة وهي لا تجد لذلك سبيلا مع دوام الخلوة ولا تجد السبيل الى أن تسرقه أو تميل به عما هو بسبيله الا بسبب الاجتماع بالاخوان غالبا اذ بالاجتماع بهم تجد السبيل الى الزيادة والنقصان فيما يريده ويختاره وفيه من الخطر ما فيه أو عكسه وهو الداء الذى ليس له دواء في الغالب الا التوبة والاقلاع والتحال وكان في غنية عن ذلك كله وهذه دسيسة قل من يشعر بها الا من نور الله بصيرته (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الدلالات له عن بعض شيوخه انه قال كنت أخلو أسلم من ضرري للناس فصرت أخلو أغنم فصرت أخلو أتفهم فصرت أخلو أعلم فصرت أخلو أتنعم اه (فانظر) رحمنا الله وإياك الى هذه المقامات الجليلة التي انتقل منها والبها واحدة بعد واحدة (فأولها) طلب سلامة الناس منه كما تقدم اذ أن طلب السلامة من الناس فيه تزكية للنفس ووقوع في حق اخوانه المسلمين فاذا خلا بنفسه ليكي يسلم الناس من لسانه وبصره وسمعه وبطشه وسعيه وحسده الى غير ذلك مما يعتوره في خلطته لهم فيحصل بسبب ذلك في القسم الذى شهد له صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه بالاسلام حيث يقول عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقد تقدمت الاشارة الى ذلك كله (فلما) ان حصل هذا المقام السني ترقى بعده

الى

الى ماهو أسنى منه وهو حصول الغنيمة فهو فى أعمال الآخرة ينتهبها اذا ان الخلوة التى هو فيها أعانته على افتراس ذلك والنهوض اليه لعدم العائق (ثم) بعد حصول هذا المقام السنى ترقى الى ماهو أسنى منه وهو الفهم عن الله تعالى فى آياته وفى أحكامه وفى تدبيره فى خلقه واحسانه الى أوليائه وقربه منهم وعلمه بحالهم اذ هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الامر عليه فيه والفهم عن الله أعم من هذا كله وانما هو اشارة قالما عدا ماذكر (ثم) انتقل بعد هذا المقام السنى الى ماهو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم اذ أنه اذا فهم علم وهذا العلم عام فى العلم بالله تعالى والعلم بأحكام الله اذ أنه لا يوجد جاهل بأحكام الله عليه عالما بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهى اليه بخلاف العلوم الشرعية فان لها نهاية على ماقد علم (فلما) ان حصل هذه الدرجة السنية انتقل منها الى ماهو أسنى منها وهو التنعم فى خلوته والتلذذ بالطاعات التى يحاولها اذ أنه عبد قد خلعت عليه خلع القرب فاتصف بالمقامات السنية التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل عميم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (فاذا) حصل فى هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه (فاذا) حصل فى هذا المقام السنى جاءته الالطاف تترى اذ أنه تشبه فيه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون ويذكرهم يتنعمون اذ أن الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله تكون العبادة له كالغذاء لان الغذاء جمع أشياء منها شهوة النفس للاكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات (ومن) حصل فى هذا المقام الذى تقدم ذكره فقد تم له النعيم (الا ترى) ان بعضهم كان يأكل اكلة فى الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى ستة أشهر وبعضهم لا هذا ولا هذا كل ذلك راجع الى حال التنعم فى الخلوة كما تقدم (ومن) هذا الباب انقطع كثير من المريدين لانهم لم يحكموا الآداب فى الوصول الى هذا المقام فيريدون أن يتشبهوا بمن هو فيه فينقطعون وما ذاك الا أن هذا غذاؤه بالتنعم الذى هو فيه وقد مضت حكمة الحكيم

سبحانه وتعالى ان هذا البدن لا قوام له الا بقوت فالقوت المعنوى الذى حصله هذا الذى تقدم ذكره أغناه عن القوت الحسى وهم لم يحكموه وتركوا القوت الحسى (وقد) قال الشيخ الامام ابو حامد الغزالى رحمه الله اعلم ان الله عز وجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لا قوام له الا به قال وهذا الرزق الذى تكفل به ليس من شرطه ان يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا او كما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوى حصل لبعض من يتعانى كثرة المجاهدة أشياء ردية مثل العربدة او الجنون او النشاف الى غير ذلك فمن تأدب بهذه الآداب المذكورة فى الخلوة يغلب الرجاء انه من الناجين والحمد لله رب العالمين (وقد) سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول انه قد كان دخل فى مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فأردت ان أفطر ثم حصلت لى عزيمة على ترك ذلك فلما ان شعرت نفسى بهذه العزيمة غشى علىها فرأيت فى تلك الغشوة كأن انسانا يطعمنى فأكلت حتى شبعت ثم سقانى فشربت حتى رويت ثم استفقت وأنا شبعان ريان فقمت أغتنم الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط ففرغت المدة وأنا على ذلك الحال ثم بقيت بعد ذلك مدة أخرى كذلك ولو بقيت على ذلك بقية العمر لرأيت انى لا أحتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى الغذاء مخوفا منى على ترك السنة اذ أن السنة وردت بالغذاء (هذا الوجه) الذى ذكره رحمه الله (وفيه) وجه آخر وهو انه لو تمادى على ذلك الحال لاشتهر أمره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه ما فيه (وبالجملة) فبركة الخلوة لا تنحصر ولا تقف على حد ينتهى اليه كل على قدر حاله ومرتبته وأقل فوائدها بل أعظمها وزبدتها ما يحدثه الله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر النفس والاحتقار بها وذلتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها واضطرارها الى سيدها ومدبرها (وقد) سأل سفيان الثورى الاعمش رحمهما الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثورى أنت تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع سألت ابراهيم النخعى عن الخشوع فقال يا أعمش تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع باكل الجشيم ولا بلبس الخشن وتطاطئ الرأس لكن الخشوع ان ترى

قوله أو النشاف بالتشديد كشداد من باخذ حرف الرغيف فيغمسه فى رأس القدر ويأكله دون اصحابه اه قاموس

الشريف والدنى سواء وان تخشع لله فى كل فرض افترضه عليك اه
(والغالب) ان هذا قل ان يحصل الا مع كثرة الخلوات فالخلوة نور ذلك كله
وبهاؤه وعليها تقرر الاحوال السنيه والمراتب العليه فليشد عليها المريد
يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب

(فصل) وآكد ما عليه فى خلوته النظر فى الجهة التى يفتات منها
فليتحفظ على نفسه من الشبهات التى تطرأ عليه فيها اذ أن ذلك لا يخلو من
وجوه (اما) أن يكون يعرف أصلها مثل ان يكون من كسب يده أو ميراث
أو غيرهما من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل
وانقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها (واما) أن يكون ذلك من جهة ما يفتح
الله تعالى به من الغيب فذلك على وجهين أحدهما ان يكون بغير واسطة
والآخر بواسطة (فان كان) الاول فهو مثل القسم الذى قبله ملطوف به
الا انه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسائس الواردة على النفوس
وهى كثيرة لا تحصر (واما) القسم الثانى وهو أن يكون تيسير ذلك على يد
مخلوق فهنا يحتاج الى تفصيل سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان ذلك
ينقسم على أربعة أقسام (القسم الاول) يسر ويضر (القسم الثانى) عكسه
لا يسر ولا يضر (القسم الثالث) يسر ولا يضر (القسم الرابع) عكسه يضر
ولا يسر (فالقسم الاول) وهو الذى يسر ويضر هو الفتوح الذى يأتى من
جهة فقير محتاج معتقد فان أنت قبلته منه سر بذلك وتضرر فى نفسه لاجل
فقره فهذا ينبغى للمريد أن لا يرزأه فى شئ ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر
خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر أن يشوش عليه بدفع
العوض له بل يعوضه دون اشعار له بذلك (واما القسم الثانى) وهو عكس
الاول وهو الذى لا يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى من عند من له جدة
واتساع وهو مستور باسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو اخذه منه
لم يسر بذلك ولم يضره أخذه منه فالمريد فى هذا القسم مخير ان شاء اخذ وان
شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله فى الوقت ولو قدر على ان لا يأخذ منه
شيئا لكان أولى به وأرفع لمقامه لان هذه الطائفة ينبغى أن تكون يدهم هى
العليا (كما جاء) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا

خير من اليد السفلى وقد فسره فى الحديث فقال اليد العليا هى المنفقة واليد السفلى هى السائلة (وقد) اختلف الناس فى هذا (وكان) سيدى ابو محمد رحمه الله يقول ان المراد باليد العليا واليد السفلى السائلة والمسئولة فان كنت سائلا فى قبول معروفك فيدك سفلى وان كنت مسئولا فيدك هى العليا (وكان) رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد ان المكلف لا يخرج صدقة حتى يفك فيها لحى سبعين شيطانا فاذا هم المكلف باعطاء صدقة واعتورته هذه الشياطين وغلبهم وأتاك بمعروفه فان أنت رددته عليه فقد أعنت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك ان يعطيها لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم وتجد الشياطين السبيل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعنته عليهم ويئس وامنه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل (واذا كان) كذلك فيد الآخذ هى العليا والحالة هذه (ثم) مع ما تقدم يحصل لاخيك المؤمن من الثواب فى الدار الآخرة ما يعجز عن وصفه (يشهد) لذلك ما حكى ان شابا جاء الى شيخ هذه الطائفة وامامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له أنا جائع فهل من يطعمنى فقام انسان ممن له اتساع فقال عندى فأخذ الشاب ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما كان الشاب يشتهيه فمد يده فرفع لقمة وبقى بها فى يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل فاللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده وخرج ولم يأكل عنده شيئا وأتى الى الجنيد فقال مثل مقالته الاولى فقام فقير فقال عندى فذهب معه فقدم له خبزا وبصلا فأكل حتى شبع ثم رجع فجاء الاول الى الجنيد فاخبره بما جرى فقال له اجلس فلما أن جاء الشاب سأله الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزا وبصلا فقال له وما قدم لك هذا قال له قدم لى طعاما مفتخرا فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت جائعا فرفعت اللقمة وأنا أتخير اى قصر آخذه فى الجنة فبينما أنا كذلك واذا هو قد قال اللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا وما فيها فاستحييت من الله تعالى ان آكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا فى الدنيا فتركته ومضيت وأما هذا فنيته ان لو كانت له الدنيا بحذافيرها وبستقلها تقديما أو كما قال (فهذه) الحكاية تشعرك بأن الآخذ من هذه الطائفة يده

هى العلياذا نه فى حقيقة الامر يعطى مايبقى ويأخذ مايفنى فتأمل ذلك تجده صوابا وذلك محمول على انه مستور بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متعذر فى هذا الزمان غالبا فمن وقع له الحال على ذلك فالاولى له أنه لايخالط الناس ويقيم فى البراري والقفار أويكون خرق الله تعالى له العادة لايتكلم عليها (وأما القسم الثالث) وهو الذى يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى على يد بعض الاخوان المعتقدين الذى يعرف سيبهم وهم من أهل اليسار فان أخذت منهم دخل عليهم السرور بذلك ولا يتضررون به (فهذا) أحسن الاقسام كلها وأسلمها من الآفات المتوقعة (وأما القسم الرابع) وهو الذى يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصف بوصفين أحدهما ان يكون محتاجا لما يعطيه والثانى عدم اعتقاد الدافع للمدفوع له فان أنت قبلت منه ما أتاك به تضرر بذلك لمحاجته اليه ولا تدخل عليه سرورا لعدم اعتقاده لك (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله التزم فى نفسه طريقة غريبة قل من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم الامن وفقه الله تعالى وقليل ماهم (وذلك) انه كان لايقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شيئا من أرباب الخدم وان كان معتقدا وان قلت خدمته وان تحرز ما امكنه ومن أهدى له من الاخوان المعتقدين فيختلف حاله فى ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعوض له عن ذلك بلطف وسياسة وما أتاه من جهة الاخوان المتسببين المعتقدين نظر الى اكتسابهم فان كان مستورا بلسان العلم نظر فى حال صاحبه هل يدخل عليه سرور بالاخذ منه أم لا فان ظهر له منه انه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيئا وان ظهر له انه ينكسر خاطره عند الرد عليه ويتغير خاطره ويدخل عليه السرور حين الاخذ منه أخذه منه فمن اتصف بهذه الصفة فهو الذى يقبل منه (وهذه) طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها الامن كان مثله أو يقاربه لاجرم انه كان هو وأهله ومن يلوذ به من شظف العيش بحيث المنتهى فلقد كان يأخذ بفلس ليموننا فيأتدم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بقى أهله فى بعض الايام لاشئ عندهم يقتاتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيئا لانه كان من زى المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل

البيت خشية من الاولاد أن ينقطع رجاؤهم من القوت اذ ذاك فيزيد قلقهم فجلس فى المسجد حتى صلى العشاء الاخيرة رجاء ان يكون الاولاد قد ناموا فلما ان دخل عليهم وجدهم وهم مسرورون يكثرون من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا كان كل واحد منا اكل خروفا وهم فى الشبع بحيث لا يحتاجون الى زيادة على ما هم فيه وبقى أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم (وأنواع) هذا كثيرة وهو باب لا يقدر عليه الا الافراد من الاولياء لانه وان صبر فى نفسه فالاهل والاولاد لا يصبرون فى الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات (ولأجل) هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع وأطلق غيره فى ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم ورزقنا التصديق بأحوالهم اذ لم نكن أهلا للاقتداء بهم اللهم لا تحرمنا من بركاتهم بمنك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل) فى ذكر ما ابتلى به بعض من ينسب الى طريق القوم وغيرهم ممن تعلقت خواطرهم بفعل الكيمياء واستخراج ما فى الارض من الاموال المدفونة فيها وهى التى اصطلحوا على تسميتها بالمطالب وليحذر مما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان من تعاطيهم استخراج ما فى الارض مما تقدم ذكره وهذا قبيح لو فعله بعض العوام فهو فى حق المريد أقبح وأشنع اذ انه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بكليته لا مطلب له سواها وتعلق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بكذبه فى طريقه من دعواه الانقطاع الى الله تعالى والتوجه اليه مع ان من تعلق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضى حاله فى دينه ودنياه وذلك سبب كبير الى وقوع الناس فى عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه فيكون شريكا لهم فى اثمهم وقبيحتهم فيه وقد يؤول أمر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية فى ذلك كله ولو لم يكن فيه من الذم الا ان من تعلق خاطره بذلك فهو متصف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا فهو قال للآخرة اذا نهما ضرتان متنافرتان فهما أقبل الانسان على احداهما أضر بالاخرى ولو لم يكن فيه من الذم

قوله المدقع بضم أوله وكسر ثالثه أى المهلك اهـ

الا ما ورد من أحب الدنيا ينادى عليه يوم القيامة هذا أحب ما أبغض الله (وقد) تقدم فعل السلف رضى الله عنهم فى هربهم من الدنيا خيفة منهم على انفسهم منها ومن طلب شيئا مما تقدم ذكره فهو مستشرف لطلبها وذلك مذموم يذهب بجمع خاطره واشتغاله عن أمر دينه ودنياه بل كانوا يعدون الدنيا اذا أقبلت عليهم عقوبة تنزلت بهم وقد مضت حكاية أبى الدرداء رضى الله عنه فيما جرى له فى العطاء الذى أتاه وعلى هذا درج فعل السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد) حكى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر فى سياحته ومعه الحواريون بموضع فيه ذهب كثير فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال لمن معه من الحواريين انظروا الى هذا القاتول ومر فى سياحته فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى اين هذا المقصود او كما قالوا فقسموا ذلك اثلاثا فجلس اثنان يحرسان ذلك وأرسلا ثالثهما الى البلد ليأتى بالدواب والاعدال وما يا كلونه فلما ان مضى لذلك تحدث الاثنان فيما بينهما فقالا لو كان هذا المال بيننا لكان اولى ثم قالا وكيف الحيلة فاتفقا على انه اذا جاء يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما نصفين وقال الثالث الذى ذهب الى قضاء الحاجة مثل قولهما فقال لو كان ذلك المال كله لى لكان اولى ثم قال وكيف الحيلة فخطر له ان يعمل سما فى الغذاء الذى يأتى به فيأكلانه فيموتا فيأخذ المال كله لنفسه ففعل فلما ان اقبل على صاحبيه وثبا اليه فقتلاه ثم اكلا ما اتى به من الغذاء فماتا فبقى الثلاثة هناك مطروحين فلما ان رجع عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته ومر بهم فوجدهم هناك طرحى فقال للحواريين الم اقل لكم هذا القاتول (وقد) تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس يورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولا شك) ان من اتصف بما تقدم ذكره يربو على المستشرف فترتفع البركة منه فطالب المريد وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب البركة منها والمقصود حصول البركة وانها اذا عدمت من الشئ ولو كان ملء الارض ما اغنى صاحبه لعدمها منه (وقد) حكى الامام الجليل الحافظ ابو نعيم الاصفهانى رحمه الله فى كتاب الحلية له فى ترجمة طاوس بن

كيسان رحمه الله باسناده الى ابن طاوس عن ابيه قال كان رجل له اربع بنين فمرض فقال احدهم امّا ان تمرضوه وليس لكم فى ميراثه شئ واما ان امرضه وليس لى فى ميراثه شئ قالوا مرضه وليس لك فى ميراثه شئ قال فمرضه حتى مات ولم ياخذ من ميراثه شيئا قال فأتى فى النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار فقال فى نومه افيها بركة قالوا لا فلما اصبح ذكر ذلك لامراته فقالت امراته خذها فان من بركتها ان نكتسى بها ونعيش منها فابى فلما امسى اتى فى النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال افيها بركة قالوا لا فلما ان اصبح ذكر ذلك لامراته فقالت له مثل مقالتها الاولى فابى ان ياخذها فاتى فى الليلة الثالثة فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارا قال افيه بركة قالوا نعم فذهب فاخذ الدينار ثم خرج به الى السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار فاخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما الى بيته فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد فى بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها قال فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد الا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهبا فلما رآها الملك قال ما تصلح هذه الا باختها فاطلبوا اختها وان أضعفتم قال فجاءوه فقالوا عندك اختها ونعطيك ضعف ما اعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم قال فاعطاهم اياها بضعف ما اخذ وابه الاولى والله سبحانه وتعالى اعلم (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه البركة ما اعظمها اين هذا من المائة دينار التى عرضت عليه اولا (فالحاصل) من هذا ان البركة كامنة فى امتثال السنة حيث كانت لان من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد واذا عدم الاستشراف حلت البركة (ولاجل) هذا المعنى تجد كثيرا من اهل هذا الشان الغالب عليهم شظف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسبقهم غيرهم فى امر الآخرة وما ذاك الا لوجود البركة الحاصلة معهم فيما يتناولونه من امر الدنيا لعدم استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بأمر دينهم والوقوف بباب ربهم والتضرع اليه ولزوم الامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه والنزول بساحة كرمه (وقد) سمعت سيدى ابا عبد الله الفاسى رحمه الله يقول انه كان بمدينة فاس وكان يصحب بعض الفقراء فرآه مرة وهو يبكى ويتضرع

ويسال

ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به فسألته عن موجب ذلك فأبى عن اجابتي فبقي كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع الى حاله الاول قال فسألته عن موجب بكائه وسروره فقال اني كنت أجمع بين الماء والاحجار في الاستنجاء فابتليت باني اذا أخذت حجرا أستجمر به أجده ذهبا فارميه وآخذ غيره فاجده كذلك ثم كذلك فضاق ذرعي من ذلك لما نزل بي فبقيت أتضرع الى الله تعالى في دفعه حتى أزاله عني فصرت آخذ الحجر فاجده حجرا كما هو (وقد حكى لي) رحمه الله أيضا عن نفسه انه كان بمدينة فاس قال فكنت أخرج من البلد فأرى عند السور صندوقا مفتوحا مملوءا ذهبا قال فكنت أولي وجهي عنه فلما ان كان في بعض الايام التفت اليه واذا بيد من الهواء لطمت وجهي فردته الى الناحية الاخرى فتبت الى الله تعالى أن لا ألتفت اليه بعد (وقد حكى) عن بعضهم أنه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرجه عنه وهو مع ذلك يرى في المنام كل ليلة قائلا يقول له انك لبخيل ويكرر ذلك عليه مرارا فلما ان كان ليلة وقيل له ما قيل آلى على نفسه انه اذا فتح له من الغد بشئ يعطيه أول من يلقاه كائنا ما كان فلما ان كان من الغد فتح له بخمسمائة دينار فاول من لقيه من الغد شاب وهو عند مزين يحلق له رأسه فاعطاه الصرة فقال له الشاب لا حاجة لي بها عندي قوت يومي فقال له اعطها في أجرة المزين فقال له المزين قد دخلت على هذا العمل لله تعالى فلا آخذ عنه عوضا فقال له خذها لك دون أجرة فقال له لا حاجة لي بها فقال له هي خمسمائة دينار فقال له المزين اما قد قيل لك انك لبخيل فوجد في نفسه وجدا شديدا وأخذ الصرة فرمى بها في الفرات (فاذا قيل) لمثل هذا بخيل فما بالك بمن ينسب الى الطريق ويطلب المطالب ثم يزعم انه على الطريق المستقيم هيهات هيهات ليس الأمر لآرائنا ولا لما اصطلحنا عليه من عوائدنا ولا لما يخطر من الهواجس في أنفسنا بل المشي على الطريق المستقيم الذي وقع من السلف الماضين وقد مضى ذكر بعض أحوالهم (وليس) لقائل أن يقول ان ما ذكرتموه لا يليق بهذا الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين (اذ) أن الزمانين سواء بالنسبة الى الانقطاع الى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع ان ما تقدم ذكره عن الشيخ ابي

عبد الله الفاسي في هذا الزمان وقع مثله كثيرا من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولاشك) أن من اتصف بما تقدم ذكره أعظم من المستشرف فترتفع البركة عنه من باب أولى (ثم) انظر رحمنا الله واياك الى مخالفة السنة ما أكثر قبحها وبشاعتها (ألا ترى) الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك الى تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب حفرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعله جهارا سواء كان مسجدا أو غيره من املاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى تخرب وتهدم وهذا ضرر عظيم حتى صار بعض أهل الاديان الباطلة اذا أراد ان يخرب مسجدا أو دارا للمسلم بينه وبينه عداوة كتب في ورقة ان موضع كذا فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها قديما و يبخرها حتى تبقى كأنها ورقة عتيقة ثم يعلقها في موضع من يعلم انه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه اما بيده الباطشة او كثرة التحيل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم (بذلك) على ذلك ان أكثر اليهود والنصارى قل ان تخرب لهم دار أو كنيسة أو بيعة والكل في بلد واحد وموضع واحد (ثم) ان بعض أهل الاديان اذا عجزوا عن تخريب المساجد والدور تسلطوا على تعب المسلمين في أبدانهم وخسارتهم في أموالهم فيكتبون أوراقا في ذروة الجبل الفلاني من الناحية الفلانية منه كذا وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا وقست كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا وفي ورقة أخرى الغار الفلاني في جهة كذا وكذا منه تحفر قدر كذا وكذا فتجد كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل (ثم) على تقدير أن يكون شئ من ذلك صحيحا فعليه المهالك الكثيرة لان من فعل ذلك انما هو من الامم الماضية فلم يضعوا شيئا الا وقد احاط به مهالك عظيمة فقل ان يصل احد الى ذلك الا بعطبه وعطب غيره (ثم) ان ما يوجد من ذلك في الارض فلا يخلو اما ان يكون في فيافي الارض من ارض العرب فذلك فيه الخمس يصرف في وجوهه وباقيه لواجده سواء كان ذلك ذهبا أو فضة أو لؤلؤا أو نحاسا أو حديدا أو رصاصا كل ذلك سواء فيه الخمس والذي يؤخذ منه

الخمس

الخمس ثلاثة هذا واحد منها والثانى الندرة توجد فى المعدن بغير مؤنة او بمؤنة يسيرة والثالث الغنيمة (واما) مايوجد فى غير ارض العرب فلا يخلو ذلك من وجهين احدهما ان يكون ذلك الموضع اخذ عنوة والثانى ان يكون اخذ صلحا فان كان عنوة فهو لتلك الجيوش الذين فتحوا ذلك الموضع ثم لاولادهم ثم لاولاد اولادهم وذلك موجود فى الغالب اذ ان اولاد الصحابة موجودون بين اظهرنا فى هذا الزمان وان كان صلحا فما يوجد فى ذلك الموضع فهو لاهل الصلح فان عدموا فلاولادهم ثم لاولاد اولادهم وهم ايضا موجودون وهلم جرا والمسئلة فروع موجودة فى كتب الفقهاء (فالحاصل) من هذا ان واجده ليس له فيه شئ الا التعب واشغال ذمته بشئ كانت عنه فى غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه واذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين عليه الفرار من هذا وماشاكله اذ ان غنيمة المسلم انما هى براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل ان يتخلص فالسعيد من لجأ الى الله تعالى فى اعانته على ذلك فانه الكريم المنان اللطيف الرحمن

(فصل) واما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدى ضرره لاهل زمانه ومن بعدهم وذلك ان من فعلها فقد خلط على الناس اموالهم وبخسها عليهم اذ انهم مختلفون فى فعلها (فمنهم) من يعملها ولا علم عنده انها تتغير بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة (وكثير منهم) من يعلم انها تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذممهم باموالهم وكل ذلك حرام بحت (ومنهم) من يزعم انها لا تتغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغيرها فذلك لا يجوز ايضا لان الذهب المعدنى والفضة المعدنية ينفعان لامراض ولهما خاصية فى الادوية وغيرهما يعود بالضرر على المريض فيزيده مرضا او يموت بسببه لانه لابد ان يكون فى غير المعدنى عقاقير قد يسقم بعضها او قد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيئا من ذلك فقد شغل ذمته باموال الناس ودمائهم (وقد) سمعت سيدى ابا محمد رحمه الله يقول ان صرفها لا يجوز حتى يبين انها من عمل يده وليست بمعدنية وهذا الذى قاله رحمه الله من اجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ فى هذا الزمان

بسبب انه ان بين هو فمن صارت اليه قال الغالب انه لا يبين والاحتراز من هذا متعذر (هذا وجه) (ووجه ثان) وهو انه ان بين انما من صنعة يده تمزق عرضه والغالب أنه يؤول الى سفك دمه واذا كان كذلك فلا يعدل بالسلامة شيء (فاذا) سلم من الاتصاف بطلب المطالب والكيمياء فليحذر من خلطة من يتعاني ذلك أو يشار اليه بشيء ما فان ذلك سبب لاستشراف نفسه بسبب سماعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب بهاء عزة الفقر وعزة الاياس اذ لا بد ان خالطهم ان يشغف بشيء ما من حالهم ولو قل وذلك شغل للقلب عما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين على من تعلق بالارادة الهرب الكلي ممن يشار اليه بشيء من ذلك لان حال المريد نظيف جدا والتظيف أقل شيء يقابله من الوسخ يؤثر فيه (ألا ترى) أن الثوب المصبوغ في الغالب لا يؤثر فيه ما وقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الابيض النظيف فان أقل شيء من ذلك يدنسه (ولهذا المعنى) يقال في صفتهم قلت ذنوبهم لمعرفتهم من أين أصيبوا وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من أين أصيبوا (والكيميا) على الحقيقة انما هي الرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه وطلب العبد منه ما يحتاج اليه من ضروراته لانه عز وجل كما ورد في الحديث يستحي أن يرد يدي سائله صفرا (وقد) قال عروة بن الزبير رضي الله عنه اني لأدعو الله في صلاتي لحوائجي كلها حتى الملح لعجيني وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى سلني حتى الملح لعجينك فوعزتي وجلالي لئن منعتك فلا أحد يعطيك اياه أو كما قال (وقد) روى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه اذا انقطع (فسبيل) العبد طلب حوائجه من ربه عز وجل فان جاع يقول يا رب أنا جائع وكذلك ان عطش أو تعرى الى غير ذلك من حوائجه كلها في جلب النفع ودفع الضرر (قال) الله تعالى في محكم كتابه العزيز أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض (وقال تعالى) ومن أصدق من الله حديثا (وقال) ومن أصدق من الله قيلا (فالعاقل) اللبيب من شمر ساعديه وتوكل في الحقيقة على ربه وأناب اليه (فاذا) حصل للمريد هذا الحال فلو عرضت

عليه

عليه الدنيا بحذافيرها ما قبلها ولا أقبل عليها لما حصل عنده من الاستغناء
بربه عز وجل وحسن نظره له اذ أن مفاتيح هداياه لا تحصر ولا ترجع الى
قانون معلوم لانه عز وجل لا يأخذه حصر ولا يقال فى حقه أين ولا كيف
فكذلك ما ستره سبحانه وتعالى عن عبده من عطاياه الجمة وهداياه التى
لا حصر لها (وقد حكى) عن بعضهم انه اصابته ضرورة وجوع شديد فتضرع
الى الله سبحانه وتعالى فى خلوته وطلب منه العطاء فسمع هاتفا وهو يقول
أتريد طعاما أو فضة فقال بل فضة واذا بصرة بين يديه فيها اربعمائة درهم
(وقد حكى) عن بعضهم انه كان اذا طلب منه شئ أدخل يده فى جيبه وأخرج
ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويقطعون بأنه لا شئ فيه ثم انه
مع ذلك اذا طلب منه شئ فى الحال أدخل يده فى جيبه فأخرج منه ما طلب
منه فسئل عن ذلك فأخبر ان الخضر يأتيه بكل ما يطلب منه (وقد سمعت)
سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى أنه كان يصحبه رجل من أهل الخير والصلاح
يعرف بأبى عبد الله بن الطفيل وكان صاحب عائلة وفقر وكان الناس فى
سنة شديدة وغلاء فجاء ليلة بعد أن صلى العشاء الآخرة فى جماعة الى بيته
فوجد أولاده يبكون فقال لامهم مم يبكون فقالت من الجوع قال فتركتهم
على تلك الحالة وطلعت على سطح البيت ومرغت خدى على الارض وقلت
يارب هؤلاء يبكون الى وأنا أبكى اليك اعطنا شيئا نأكله قال فاذا سحابة
قد طلعت فجاءت فعمت الدار فامطرت فولا على الدار وحدها قال فنزلت
الى الاولاد وأخبرتهم فطلعوا فأكلوا حتى شبعوا ثم بقى عندهم يأكلون منه
الى ان دخل القمح الجديد (وقد تقدمت) حكاية سيدى الشيخ أبى محمد
رحمه الله فى انه بقى فى وقت لا يحتاج الى أكل ولا شرب قال ولو بقيت كذلك
لم احتج الى شئ طول حياتى لكن رجعت الى الاكل من طريق الامتثال
للسنة لا غير (فمن) رجع الى الله تعالى فطرق الفتح له متعددة فى كل زمان
وأوان (ولا حجة) ان يقول ان هذا زمان وذاك زمان (لان) المعطى فيهما
واحد لا يتغير ولا يزول (والعجب) ممن يتوكل على الله فى نجاته من النار
وجوازه على الصراط وشربه من الحوض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا
يتوكل عليه فى كسيرات يقيم بها صلبه وفى ثوب يستر به عورته (ولاجل)

هذا المعنى كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول لو كان الايمان بسوق يباع فيه لما ساوى ايمان أحدكم كسيرة فيسئل من ذلك فيقول كل واحد منا يتوكل على الله تعالى أن يفيه من جميع أهوال يوم القيامة بسبب ايمانه ويقول فضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم ان الايمان الذى أعده لنجاته من تلك الاهوال ماخلصه للتوكل على الله تعالى فى كسيرات يقيم بها صلبه ويقول لابد من السبب فلو انقطع عنه السبب أيس وضجر وشكا وبكى فاذا لم يخلص ايمانه فى هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه من الاهوال ففضل الله أعظم ورحمته أوسع فى هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب لكن المولى سبحانه وتعالى يبتلى خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء وفاقا كما قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحا مسرورا بربه وبحكمه وبارادته ما قد الاحوال نفسه ورأيه وتدبيره اللهم لا تحرمنا ذلك بمنك انك على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم

*(فصل فى دخول المريد الخلوة) وينبغى للمريد أن لا يدخل الخلوة بنفسه لان الخطر فى ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ما تقدم ذكره من حصول عربدة أو جنون أو فعل نشاف أو غير ذلك من المهالك لان الخطر فيها كثير متعدد (وقد قال) لقمان عليه السلام فى وصيته لولده يا بنى عليك بذوى التجارب اه لان من جرب قد دخل فى المخاضة وعرفها وعرف موضع السلامة فيها وموضع العطب فعلم ما يتجنب منها وما يحذر وما ينبغى ان يفعل وما يستعان به

(فصل) وآكد ما عليه فى خلوته التعلق بربه والسكون اليه وانقطاع رجائه عمن هو مخلوق مثله (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل ابن محمد بن الفضل الاصبهانى رحمه الله ولقد قال شقيق البلخى رحمه الله من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر الى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق (وقال) اتق الاغنياء فانك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله (وقال) اذا أردت أن تكون فى راحة فكل

ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك (وقال) من دار حول الشهوات فانه يدور بدرجاته في الجنة ليأكلها في الدنيا (وقال) يحيى بن معاذ الرازي العبادة حرفة وحوانيتها الخلوة ورأس مالها الاجتهاد بالسنة وربحها الجنة (وقال) الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص (وقال) اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين (وقال) الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع (وقال) على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يخافك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق (وقال) أبو حفص عمرو النيسابوري لو أن رجلا ارتكب كل خطيئة ماخلا الشرك بالله وخرج من الدنيا سليم القلب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له قيل يا أبا حفص هل لهذا في القرآن من دليل قال بلى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاتباعه محبة أصحابه لاجله وقال أبو القاسم الحكيم السمرقندي كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغتر بالثناء عليه وكم من مفتون بالستر عليه (وقال) أبو تراب النخشبي رحمه الله الفقير قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل (وقال) حقيقة الغنى أن تستغني عمن هو مثلك (وقال) الذي منع الصادقين الشكوى الى غير الله الخوف من الله (وكتب) أبو الابيض كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك ورحمة الله وبركاته واني أحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانك لم تكلف من الدنيا الا نفسا واحدة فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان أنت أفسدتها لم ينفعك صلاح غيرها واعلم انك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من أكلها من أحر وأسود (وقال) شقيق بن ابراهيم البلخي رحمه الله تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء في أخذه ومنعه وكلامه (وقال) دخل الفساد في الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية في عمل الآخرة والثاني صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلبة طول الامل على قرب اجلهم والرابع اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى خالقهم فيما يكرهون والسادس جعلوا أدلات السلف دينا ومناقب

الأدلات بوزن الاحوال ومعناها اه

لانفسهم (وقال) حاتم الاصم الزم خدمة مولاك فتأتيك الدنيا راغمة والجنة راغبة اه (وينبغي) أن يكون دخول المريد الخلوة على يد شيخ متمكن في العلمين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم (واذا) كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من أحد أمرين (اما) أن يكون عنده من المكاشفات وخرق العادات ما يمد به المريد في خلوته فان كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذي لا يفوقه غيره والسلامة بل الغنيمة موجودة على يده متيسرة لانه يعرف مزاج المريد وقدر ما يحمل من المجاهدات وقدر ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المريد ان وجد من هذه صفته (واما) ان يكون الشيخ ليس من أهل المكاشفات ولا ظهور خرق العادات فلا بد أن يكون عنده العلم حاصلا بالتجربة لانه قد جرب ذلك واطلع على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد في خلوته وما يقع له من جهة العادات (والحذر) الحذر أن يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب (واعني) بدخول الخلوة هنا ما يستعمله المريد من المجاهدات وأما لو خلا بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا الى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه مطلوب به في الخلاء والملأ لا فرق اذ ذاك في حقه مع انه اذا اتبع لسان العلم في هذا الزمان في خلوته وجلوته نهو ولي وقته لاجل حال الزمان فما أسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هي طريقة السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين أعني ترك دخول الخلوة على نظام معلوم (الا ترى) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يربي أصحابه تحت ظلال السيوف وفي الاسواق يحترفون وفي الحوائط يعملون (وانما) حدثت الخلوات على يد المربين بعد انقراضهم رضي الله عنهم (وكان) سيدي أبو محمد بن أبي جمرة وسيدي ابو محمد المرجاني رحمهما الله يقولان انما جعلت الخلوة للبنات الابكار اه (وانما) جعلت للمريدين لما ان كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المريدون اذ ذاك الى الفرار لاجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم السبيل الى ذلك الا بدخول الخلوات والفلوات (والمقصود) أن لا يدخل الخلوة المعهودة عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها والدسائس التي تطرأ عليه فيها (فان) كان على يد شيخ فيشترط في الشيخ أن

يكون

يكون عارفا بحال المريد وما يتقلب فيه من الاطوار وما يليق بحاله كما تقدم لان الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله (والخص من ذلك) ما سمعت سيدى أبا محمد يقوله نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه اه (أما قوله) نظر الادنى بعين الأدنى يوجب الهلاك (فمثاله) النظر الى الدنيا وزينتها بعين القنى والاشتهاء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابر وهو عين الهلاك (قال) الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصى لانك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر ان يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة ويصغر فى عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة فى المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك (وأما قوله) ونظر الاعلى بعين الأدنى يوجب الحيرة (فمثاله) المبتدى ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم فى تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى فى ذلك الشان لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما هم يأخذون الشئ اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أوفر نصيب وتستغرق أوقاتهم فى ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق فى شئ الا زانه وما كان الخرق فى شئ الا شانه (وقال) عليه الصلاة والسلام علموا وارفقوا (اللهم) الا من ندر من الفضلاء فدخل فى ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا يحكم به نعم اذا وقع للمرء هذا الحال فلا ينبغى له التشبث بما قد ذكر وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولم اكتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير فى طريقه وحير من لا ذبه هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك (وأما) قوله ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة (فمثاله) الرجل العالم ينظر ان هو أعلم منه فيعمل

على أن يصل الى ما وصل اليه فيجتهد فى طلب العلم والرجل الصالح ينظر ان هو أصلح منه فيجتهد فى التعبد ويزيد فى عمله على ما تقدم بالرفق والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه (ولهذا) المعنى الذى أشار الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام خصلتان من كانتا فيه كتب عند الله شاكرا صابرا أن ينظر فى الدين ان هو أعلى منه فيقتدى به وأن ينظر فى الدنيا الى من هو أقل منه فيحمد الله الذى فضله عليه هذا هو السمو والرفعة اللهم من علينا بذلك ولا تجعل حظنا منه الكلام بحمد وآله (وأما قوله) ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه (فمثاله) من كان من أهل الفضل والخير وأقامه الله فى مقام من مقامات أهل النهايات اذا جاءه أحد ممن يريد أن يرجع الى الله ويتوب يريد من حينه أن يحمله على المقام الذى هو فيه من غير سياسة تقع له قبل ذلك ولا تدريج هذا هو التعب مع نفسه لاشك فيه لانه يريد أن يحمل الناس على طريقه وهم لا يساعدونه على ذلك ومن تبعه فى التعب أكثر لانهم يدعون الى مقام لا طاقة لهم به ولا يقدرون عليه (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من أهل السبق والخير اقتصر خيرهم على أنفسهم ولم ينتفع بهم من لاذبهم ويخدمتهم أعنى فى الاقتداء وأما البركة فلابد من حصولها غالبا للحديث الوارد هم القوم لا يشقى بهم جليسهم نسال الله أن لا يحرمنا من بركاتهم بمنه (وأما) قوله ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه (فمثاله) الرجل الصالح المتمكن فى طريقه اذا جاءه أحد ممن يريد التوبة والرجوع أخذه باللطف والرحمة وأقبل عليه وساس حاله برأيه السديد وتدبيره الرشيد فينظر له من جنسه على لسان العلم ما يصلحه وما هو العون له على ما أراد ثم يرقيه بعد ذلك شيئا فشيئا حتى قد يبلغ فى أقل زمان الى المرتبة العليا بحسن تدبير هذا السيد وسياسته اياه (وصاحب) هذا الحال هو أعظم من تقدم وأفضلهم وهو الجارى على السنة لان الله عز وجل لم ينزل الفروض أولا مرة واحدة ولا أمر بالقتال أولا وانما أمر أولا بالتوحيد لاغير وأمر نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بسياسة الناس واللطف بهم فقال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ثم لما ان ظهر المشركون على المؤمنين أمر عز

وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بالخروج من مكة الى المدينة ولم يأمره بالقتال ثم لما ان كثر المؤمنون وظهرت الكلمة نزلت الفروض شيئا فشيئا فلما ان تقرر لهم الدين وتقوى أهل الاسلام فعند ذلك أمر عز وجل بالجهاد باللسان قبل الامر بالقتال فقال عز وجل أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فلما أن تقوى الامر أكثر من ذلك أمر عز وجل بقتال الاقربين من الكفار فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فلما ان تقوى الامر وظهر أمر الله عز وجل بالقتال مطلقا فقال عز وجل وقاتلوا المشركين كافة ثم ان الفروض لم تتم الا في حجة الوداع قال تعالى فيها اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (فهو) سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم ومخاطبتهم أولا بالقتال وبجملة الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولا لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (وصاحب) الحال الذي أشار الشيخ رحمه الله اليه أخيرا مضى على هذا الاسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس به ووجدوا الراحة في ذلك على يديه وهذا هو الاصل وعليه العمل (وقد) قال عليه الصلاة والسلام خاطبوا الناس على قدر عقولهم فليس من دخل في التعبد وتمرن فيه وكثرت المجاهدة لديه كمن ابتدأ الدخول (ولاجل) هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام في السوداء حين سألها أين الله فقالت في السماء فقال لصاحبها أعتقها فانها مؤمنة فقنع عليه الصلاة والسلام منها بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينفي ما كانوا يعتقدون من أن الاصنام هي الالهة في الارض فالله السماء والله الارض هو الله الواحد الاحد الموجود لا أنه سبحانه وتعالى حل في السماء تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا اذ أن السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع في صنعته ومعاذ بن جبل رضي الله عنه الذي كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل الخير حين سأله عليه السلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمنا حقا فقال له عليه الصلاة والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فلم يكتف من معاذ باللفظ الاول حتى سأله عن حقيقة ايمانه وقنع من السوداء بما قد ذكرت لاجل ما بينهما من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب

(فصل) وينبغي للمريد اذا اجتمع له في زمانه أو بلده مشايخ يرجو بركتهم وهو بعد لم يسكن الى أحد منهم فينبغي له أن ينظر الى حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم فمن حصل له بالاجتماع به منهم علم أو انابة أو رجوع فليشد يده عليه وان كان غير ذلك فلا حاجة تدعو الى العودة اذ أن خطاه تبقى لغير فائدة (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يغيب هذا ويقول لا ينبغي للمريد أن يتردد الا لموضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل بهيمة السانية لا تزال تمشي طول يومها وهي لم تبرح من موضعها ذلك (ولا ينبغي) أن يسيء الظن بمن لم يحصل له منه شيء اذ أن ذلك محتمل لوجهين الاول أن يكون المزور من الاكابر والفضلاء لكن أصحابه معلومون معروفون بخيره مقصورة عليهم لا يتعداهم فاذا لم يجد المريد زيادة عند زيارته فيعلم انه ليس له عنده نصيب فترك ذلك به أولى وقد يكون آخر خيره مقصورا على نفسه لا يتعدى لغيره ووجه ثالث يفصل فيه بين أن يكون المريد من أهل التمييز لما تقدم ذكره فان كان كذلك ففي حكمه ما سبق وان لم يكن في تلك الدرجة فالمواظبة على رؤيتهم والقيام بركتهم به أولى مالم يعارضه أمر شرعي من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شيء من المكروهات أو يحصل له بسبب ذلك بطالة أوقاته عما هو بصدده ويكفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما تقدم في زيارة طالب العلم لهم (وبالجملة) فأحوالهم في هذا المعنى لا تنضبط والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس (فالحاصل) من هذا أن المريد له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارتباطه على شخص واحد يعول عليه في أموره ويحذر من تقضي أوقاته لغير فائدة (قال) سيدي ابو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك اه لان الفكر فيما مضى هو من باب ندب الاطلال كما تقدم والفكر فيما يأتي ادعاء من النفوس تحصيل الاعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم المكنون والتقديرات المغيبات عنا وهي كثيرة

(فصل) وينبغي للمريد أن يكون اشد الناس نظرا الى نعم الله تعالى عليه والى لطفه به واحسانه اليه قال الله عز وجل في كتابه العزيز لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (بيان ذلك) ان المريد

السانية كالدائرة هي الدابة التي يسقى عليها اه

يصبح عليه الصباح فينهض الى صلاة الصبح فى وقتها فى جماعة ويذكر ما قدر له ثم يجالس بعد ذلك فى مجالس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتى الى من يعتقده فيتكلم معه فى مسائل من الخير ثم يصلى الصلوات الخمس فى جماعة وان فتح له فى شئ من أوراد الليل أو أوراد الصوم فبخ على بخ فان قيد هذه الاشياء بالشكر زادت أو نمادت وان رأى وهو الغالب انه فى نفسه لا شئ وانه لم يفتح عليه بشئ فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابى لشديد والكفر عام الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام فى أمر النساء انهن أكثر أهل النار قيل بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان وقد بوب البخارى رحمه الله لهذا المعنى فقال باب كفر دون كفر (وكثير) من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا يقيدها بالشكر كما تقدم لاجل انه يستقلها فتذهب عنه فليحذر من هذا كله جهده (ولا) يظن ظان أن قول من قال ان الصديقين لا يكونون فى يومهم على ما كان عليه حالهم بالامس بل يزدادون فى اليوم الثانى ترقيا ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها كل يوم لا اتخذ فيه برا أو قالت لا ازداد فيه علما لا يورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم اه (لان) المؤمن اذا جاءه اليوم الثانى فلا بد له فيه من أداء الفرائض وتوابعها وما يتلقاه من الامر والنهى والترغيب والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجته فى يومه وذلك ترق لا شك فيه (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى أخرجه مالك رحمه الله فى موطائه ان أخوين مات أحدهما قبل صاحبه باربعين يوما فأثنى الصحابة على الاول فسأل عليه الصلاة والسلام عن الثانى فقالوا لا بأس به فقال عليه الصلاة والسلام ومايدريكم ما بلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئا قالوا لا فقال عليه الصلاة والسلام ومايدريكم ما بلغت به صلاته انتهى (وقد) قال بعض الشيوخ ان الدوام على الحال زيادة فيه فاذا اصبح المريد وامثل ما كلفه فهو زيادة فى حقه ثم كذلك الى حين أجله فحينئذ تطوى صحيفة عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمريد زيادة على ما تقدم ذكره فبخ على بخ والا فالطريق حاصل

قوله غمر بفتح فسكون اى كثير اه

له والحمد لله فليحذر أن يكفر هذه النعم بترك النظر الى من من عليه بها وأحسن اليه فيها

(فصل) وينبغي للمريد أن يكون عارفا بالخواطر حسنها وسيئها فاما أن يميز ذلك بنفسه او يكون على يد شيخ عارف بها اذ أن الخواطر والهواجس والهواتف لا تنحصر أعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها فأشكل عليها اكثر ما يقع منها وتلبس الامر عليه فان وقف مع ما يقع له من ذلك قل أن يتخلص ويذهب عليه أكثر زمانه بغير عمل لان اللعين اذا لم يقدر على المريد من جهة الترك أتاه من وجوه أخر لا تنحصر فاذا كان مميزا للخواطر وغيرها انسدت هذه الثلمة الكبرى (والخواطر) أربعة ربانى وملكى ونفسانى وشيطانى (سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يقول الربانى أولها وهو مثل لمحة البرق لا يثبت والنفسانى يعقبه مثل المصلى مع السابق فما عبر ذلك الا وقد استقر هذا فى محله وحدث وسوّل وشهى ولاجل هذا المعنى وقع الخلاف عند بعض من ينسب الى شئ من هذا المعنى وما ذاك الا لسرعة ما تقدم ذكره فيخبرون بأشياء قل أن تقع فى الغالب وان وقعت فبالمصادفة لان ذلك من جهة اخبارهم وأما المحققون المميزون للخاطر الاول فقل أن يخبروا بشئ الا ويقع كما اخبروا به لان ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (وهذه الخواطر) ليست خاصة بالشيوخ والمريدين بل هى موجودة فيهم وفى غيرهم لكن التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلا بد له أن يزنها على لسان العلم فما وافق أمضاه والا تركه لان التكليف لا يقع الا من جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعوّل عليه الا على سبيل التبع والتأنيس (وأما) الخاطر الملكى فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو خير ما اذا كان سالما من الوصول الى ما لا ينبغى أو يتوقع معه ترك أو بطالة وقت فان كان كذلك فليس من الملكى فى شئ (وأما) الخاطر الرابع وهو أرذلها وهو الخاطر الشيطانى فهو لا يأمر بخير أصلا الا ان يكون ذلك الخير يؤدى الى الشر ويقع الفرق بين الخاطر النفسانى والشيطانى بان الشيطان لا يريد الا الوقوع فى المخالفة كيف كانت ومن حيث كانت فان عجز عن هذه المعصية

تركها وأتى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفة من حيث هى كائنة ما كانت (والخاطر النفسانى) هو الذى يلزم أمرا واحدا لا يفارقه فان أنت رددته عليه ألح به عليك وقال لابد من وقوعه ويمنيك بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وانك اذا نلت ما ألقته اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المريد الى التشمير الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الاحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الامور عليه فيأخذ معه فيها والافلسان العلم عليه قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق السلامة التى لاشك فيها والعطب فى غيرها موجود غالبا الا لمن عرف الحكم عليه فى ذلك والله الموفق

(فصل) جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار عن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومع) ما تقدم ذكره فلا بد له من الخلوات اذ أنه بسببها يدرك المكلف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه (ألا ترى) الى بركة هذه الحكم التى ينطقهم الله بها اذ أن ذلك ليس فى قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به الى هذا المعنى التزام الخلوات كما تقدم (فانظر) رحمنا الله وإياك الى ما نقله الامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى رحمه الله فى كتاب سير السلف له عن أبى حازم رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من أحدكم أن يتقى على دينه كما يتقى على دنياه (وقال) شيئان هما خير الدنيا والآخرة اذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما قال تحمل ما تكره اذا أحبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله (وقال) أيضا قاتل هواك أشد ما تقاتل عدوك (وقال) رجل له انك مشدد فقال مالى لا أشدد وقد صدقنى أربعة عشر عدوا أما أربعة فشيطان يفتننى ومؤمن يحسدنى وكافر يقاتلنى ومنافق يبغضنى وأما العشرة فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والهرم والمرض والفقر والموت والنار ولا أطيقهن الا بسلاح ولا أجد لهن سلاحا أقوى من التقوى (وقيل) له ما مالك فقال تقتى بالله

واياس عما في ايدى الناس (وقال) ما رايت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شئ نحن عليه (وقال) ينبغي للمؤمن ان يكون أشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه (وقال) أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفا على نفسه وأرجاه لكل مسلم اه (وقال) بعضهم ان لم يكن في المبتدي خمس خصال والا فلا ترجه عقل حسن واتباع للسنة ومجبة الاكابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيانته أو كما قال (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقد قال أبو سفيان اذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فلا بس لك ان تأخذ عنه شيئا (وكان) يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تفتح ووضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت (وقال) رجل للجنيد من أصحب قال من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك (وسئل) مرة أخرى من أصحب قال من يقدر أن ينمي ماله و يقضي ما عليه (وقال) قد مشى رجال باليقين على الماء وماتت على العطش افضل منهم يقينا (وقال) من عرف الله لا يسر الا به (وقال) لو اقبل صادق على الله الف الف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته اكثر مما ناله (وقال) من نظر الى ولي من اولياء الله بقلبه واكرمه اكرمه الله على رؤس الاشهاد (وقال) ذو النون المصري رحمه الله من علامات المحب لله متابعة حبيب الله في اخلاقه وافعاله واوامره وسننه (وقال) من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها فقيرة عند هيبته (وقال) رويم رحمه الله لا تزال الصوفية بخير ما تفرقوا فاذا اصطلحوا هلكوا (وقال) ابن خفيف رحمه الله قلت لرويم أوصني فقال أقل ما في هذا الامر بذل الروح فان امكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفية اه (وقد) قيل ان لقمان عليه السلام كان عبدا أسود نوبيا وكان لبني فلان فقيل له ما بلغ بك ما نرى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعنيني (ومن) كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للقاضي ابي الوليد الباجي رحمه الله قال وروى عن أبي الدرداء انه قال لولا ثلاث ما احببت ان اعيش يوما الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون خيار الكلام كما تنتقى اطايب الثمر (وروى) عن بلال بن سعد انه قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر (وقال) بعض الحكماء جاهد

الترهات بضم التاء وتشديد الراء المفتوحة المواضع المتشعبة في الطريق الجادة اه

نفسك بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وجمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات فليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر عند الاذى (وقال) عيسى عليه السلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته (وقال) الفربرى اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة وبكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر (وقال) كعب الاحبار رحمه الله والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على خدى أحب الى من ان أتصدق بجبل من ذهب (وقال) وهب بن منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا على قبر وهو يبكى فقال له ما هذا يا بنى فقال أخبرتنى ان جبريل أخبرك ان بين الجنة والنار هفازة لا يطفئ حرها الا الدموع فقال ابك يا بنى (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الى من أن أتصدق بألف دينار (وقال) ابراهيم بن أدهم ان للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب وان للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب (وقيل) لسفيان الثورى رحمه الله لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأنشدوا

خلقت من التراب فصرت حيا * وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت الى التراب فظلت فيه * كأنى ما برحت من التراب
خلقت من التراب بغير ذنب * وأرجع بالذنوب الى التراب

(ولقى) حكيما فقال له انى لأحبك فى الله فقال لو علمت منى ما أعلم من نفسى لأبغضتنى فى الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لى فيما أعلمه من نفسى شغل عن بغضك (وكان) الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفى مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا (وقيل)

الفربرى بكسر ففتح فسكون نسبة لباد ببخارى اه

للغيرة كيف أصبحت يا أبا محمد فقال اصبحنا معترفين بالنعم موقرين بالذنوب يتحبب الينا ربنا وهو غني عنا ونتبا غض اليه ونحن اليه فقراء (وقد) قيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أين عيشك فقال نرقع ديننا بتمزيق دنيانا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع (وقيل) لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلا أملي قصيرا أجلي سيئا عملي اه كلام الباجي رحمه الله (ومن كتاب) سير السلف أيضا وقال بشر بن الحارث رحمه الله سمعت منصورا يقول لما خلق الله آدم قال اني جاعل لبصرك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك ان تنظر اليه فاطبقه واني جاعل لفيك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنطق به فاطبقه واني جاعل لفرجك سترا فلا تكشفه على ما لا يحل لك اه (وقد) قال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب عدوك (ومن) كتاب الباجي أيضا رحمه الله وروي عن بعض العلماء انه قال انما يدخل الله الجنة من يرجوها وانما يجنب الله النار من يخشاها وانما يرحم الله من يرحم (وقال) لقمان لابنه يا بني خف الله خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه فقال يا أبتاه وكيف وانما لي قلب واحد فقال يا بني ان المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لو وزنا لم يمل أحدهما بصاحبه (وقال) عبد الله بن دينار قال لقمان لابنه يا بني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن الى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يا بني لا شك في الموت فانك كما تنام كذلك تموت ولا شك في البعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يا بني ان الانسان لثلاثة فمنه لله ومنه لنفسه ومنه للدود والتراب فاما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خيرا كان أو شرا وأما ما كان للدود والتراب فجسده (وقال) سفيان الثوري ما أمن أحد على دينه الا سلبه (وقال) أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت (وقال) ابليس لعنه الله اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه (وقال) ابن القاسم قال مالك بلغني ان عيسى ابن مريم قال له رجل من اصحابه انك تمشي على الماء

فقال له عيسى وأنت ان كنت لم تخطئ خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما أخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشى ذاهبا وراجعا حتى اذا كان فى بعض البحر واذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت أليس زعمت انك لم تخطئ خطيئة قط قال ما أخطأت خطيئة قط الا انى وقع فى نفسى انى مثلك (وروى) عن عاصم قال أم أبو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال مازال بى الشيطان آنفا حتى رأيت ان لى فضلا على من خلفى لا أؤم أبدا (ويروى) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا ينفد لاواه وأمل لا ينقطع منتهاه (وقال) الاصمعى قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه (وقال) بعض الحكماء ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ يعدل الحياة فالغنى وان كان شئ يعدل الموت فالفقر اه كلام الباجى رحمه الله (ويروى) عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم وليلة ألف سجدة وكان يسمى السجاد وقد أنشد بعضهم

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

(وقال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله من أراد أن يحبه الله عز وجل وان تدعوله الملائكة ويحشر فى زمرة النبيين ويعظم قدره عند الاولياء فليطع الله فيما أمره به ونهاه عنه وليلزم المنهاج الاول (وروى) ان الله تعالى أوحى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام هب لى من قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع ثم ادعنى أستجب لك فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقال محمد بن أسلم الطوسى لخادمه يا أبا عبد الله ان معى فى قميصى من يشهد على فكيف أكتسب الذنوب انما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى أحدا فيقول ليس يرانى أحد أذهب لأذنب أما أنا فكيف يمكننى ذلك وقد علمت ان داخل قميصى من يشهد على ثم قال يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن أمى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى

قوله لاواه اى شديد وقصر للسجع اه

قوله السجاد هو احد ثلاثة والثانى على زين العابدين والثالث محمد بن طلحة بن عبد الله التيمى اه

وحدى وأدخل قبرى وحدى ويأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى فان صرت الى خير كنت وحدى وان صرت الى شر كنت وحدى ثم اقف بين يدى الله تعالى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى فمالى وللناس ثم فكر ساعة ووقعت عليه الرعدة حتى خشى ان يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا أبا عبد الله اصل الاسلام فى هذه الفرائض وهذه الفرائض فى حرفين ما قال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغى ان يفعل وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغى أن ينتهى عنه اه

* (فصل) * وينبغى للمريد أن يتفقد حاله فى الاجتماع باخوانه ولا يواظب على الخلوة ويترك التبرك بهم وبسماع فوائدهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جهده (قال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله فى كتاب آداب الصحبة له الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم (فالصحبة) مع الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار أن يختلج فيها ما لا يرضاه والرضى بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه وما يحذو نحوه من هذه الاخلاق الشريفة (والصحبة) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل وما يجرى مجراه (والصحبة) مع اصحابه واهل بيته بالترحم عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم فى الاحكام والسنن فان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال عليه الصلاة والسلام انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى (والصحبة) مع اولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن انفسهم وعن مشايخهم لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من اهان لى وليا فقد آذننى بالمحاربة (والصحبة) مع السلطان بالطاعة الا ان يأمر بمعصية او بمخالفة سنة فاذا امر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة والدعاء له بظاهر الغيب ليصلحه الله ويصلح على يديه والنصيحة له فى جميع اموره والصلاة والجهاد معه فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال

قوله الثقلين تثنية ثقل بفتحتين فيهما وهو كل ذى خطر نفيس اه

الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم (والصحبة) مع الوالدين ببرهما بالنفس والمال وخدمتهما في حياتهما وانجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الاوقات مادامافي الحياة وحفظ عهدهما بعد الممات وانجاز عداتهما واكرام أصدقائهما فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من أبر البران يصل الرجل أهل ود ابيه وعن أبي اسيد مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوي شئ أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانبات عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما (والصحبة) مع الاهل والولد بالمداراة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والادب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله والدا أعان ولده على بره بالافضال عليه والصفح عن عثراتهم والغض عن مساويهم مالم تكن اثما أو معصية (والصحبة) مع الاخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار ما منك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغي والاذى ومايكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه (والصحبة) مع العلماء بملازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ماعظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام ووارثيه فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال العلماء ورثة الانبياء (والصحبة) مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث واظهار السرور والمكون عند أمره ونهيه ورؤية فضله واعتقاد المنة له حيث اكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

* من دعانا فأبينا * فله الفضل علينا * فاذا نحن أتينا * رجع الفضل الينا

(فصل في آداب صحبة الاعضاء) اعلم ان لكل جارحة من الجوارح آدابا تختص بها (فآداب البصر) أن ينظر الى أخيه نظر مودة ومحبة يعرفها

هو منك ومن حضر المجلس ويكون نظره الى محاسنه والى حسن شئ يبدو منه وأن لا يصرف عنه بصره فى وقت اقباله عليه وكلامه معه (وآداب السمع) أن يستمع الى حديثه سماع مشتهٍ لما يسمعه متلذذ به وكذلك اذا كلمك لا تصرف بصرك عنه ولا تقطع حديثه بسبب من الاسباب فان اضطرك الوقت الى شئ من ذلك استعذرته فيه واظهرت له عذرك (وآداب اللسان ان تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم لسماع ما تكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على ما فيه صلاحهم وتسقط من كلامك ما تعلم ان أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيرهما ولا ترفع عليه صوتك ولا تخاطبه بما لا يفهم عنك وتكلمه بمقدار فهمه (وآداب اليدين) أن يكونا مبسوطتين لاخوانه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الافضال عليهم (وآداب الرجلين) أن يماشي اخوانه فلا يتقدمهم بل يكون تبعا لهم فان قربوه تقرب اليهم بقدر ما يعلم من رغباتهم ثم يرجع الى موضعه ولا يقعد عن حقوق اخوانه معولا على الثقة بهم لان الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الاخوان مذلة اه

(فصل) اعلم وفقنا الله واياك أن هذه الآداب المذكورة انما هى آداب الظواهر وهى عنوان على آداب السرائر (الاترى) الى ما روى فى الاثر عنه عليه الصلاة والسلام انه رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (واذا) كان ذلك كذلك فمراعاة الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لان الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة ان اتصف بهما (وصفة) اخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه المؤمنين والاهتمام بامورهم فاذا فعل ما تقدم ذكره قوى الرجاء ان يكون من الموقنين

(فصل) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله الاخوان أربعة أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالداغلى (فالاول) معدوم (والثانى) مفقود (والثالث) موجود (والرابع) مشهود اه (أما الاول)

الذى

الذى هو كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء فهم قدوة للمقتدين ومجالستهم تشفى الاسقام ظاهرا وباطنا (وقد) كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان حصل لهم عجز أو كسل خرجوا الى مجالس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش قواهم بسماع كلامه ورؤيتهم له ويمدهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون الى خلواتهم أنشط ما كانوا أولا فهم دواء للخلق أجمعين وأنت ترى تعذر هذا الزمان غالبا من هذه صفته (وأما) الذى هو كالغذاء فهو مثل الاخ فى الله تعالى المشفق الودود الحنون الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع نفسه لجوعك ويتعرى لعريك ويكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وأنت ترى فقده فى هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو أن المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد فى موضع ما (سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لا رابع لها (فالاول) أن يكون أخوك عندك مثل أبيك وهو أعلاهم (والثانى) أن يكون مثل أخيك الشقيق وهو أوسطهم (والثالث) أن يكون عندك مثل عبدك وهو أقل الاخوان مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا أخوة اذ ذاك اه أعنى الاخوة الخاصة بالفقراء وأما اخوة الاسلام فهى حاصلة (فأما) الاخ الذى يكون عندك مثل أبيك فهو حال المريد مع شيخه اذ أنه ليس للولد مع أبيه حديث فى شئ لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك فحال المريد مع شيخه من باب أولى اذ أن المريد ليس له تصرف ولا اختيار فى كل ما يحاوله الا برضى شيخه واذنه (وأما) الذى عندك كأخيك الشقيق فهو حال المريد مع اخوانه وهو أقل رتبة من الاول لان الاخ الشقيق يقاسم أخاه فى جميع الاشياء فان أخذ الاخ دينارا أو درهما او ثوبا أو غير ذلك أخذ الاخ مثله فكذلك حال المريد مع اخوانه بهذه الصفة ان لبس ثوبا كسا أخاه مثله وان أكل طعاما أطعم أخاه منه أو مثله الى غير ذلك (المرتبة الثالثة) وهى أقل الدرجات فى الاخوة وهى ان يكون عندك مثل عبدك اعنى ان العبد يجب عليك ان تقوم بضرورته من غذائه وكسوته وما يحتاج اليه من ضروراته فى صلاح دينه ودنياه وكذلك المريد مع أخيه اذ أنه لا يشبع المتكلف وعبده جائع

ولا يلبس وعبده عريان الى غير ذلك (وقد) خرج البخارى من حديث المعرور بن سويد قال رأيت أباذر الغفارى وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال انى سابيت رجلا فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم اعيرته بأمه ثم قال ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم اه (فان) تعذرت عليه هذه المرتبة الثالثة فينبغى او يتعين عليه ان لا يدعى الاخوة لعجزه عن القيام بحقها اذ انه قد يشبع واخوه جائع وقد يلبس واخوه عريان فيوجب على نفسه حقا لم يكن عليه فتتعمر الذمة بالحقوق لغير ضرورة شرعية (وهذا المعنى) قد كثر فى هذا الزمان فاذا احسنوا الظن بأحد من الفقراء طلبوا منه الاخوة فان اجابهم لما طلبوه وجبت عليهم حقوق كثيرة ثم انهم ينصرفون بعد الاخوة معه ولا يرجعون اليه غالبا بعد ذلك ولا يعرفون كيف حاله ابات جائعا ام لا او هو عريان ام لا (وقد) يكون منهم من يتفقده لكن بالرؤية والسؤال ليس الا دون اعانة ومشاركة فشغلوا ذممهم بشئ كانوا فى غنى عن ترتيبه فيها (الا ترى) ان العبد اذا لم يقدر السيد على نفقته وكسوته امره الشرع ببيعه فالبيع فى حق العبد مقابله فى حق الاخ فانك اذا عجزت عن المرتبة الثالثة نزلت اخاك منزلة بيع العبد عند العجز كما تقدم (يشهد) لذلك ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ان آخى بين المهاجرين والانصار كان الانصارى يقول لاخيه من المهاجرين عندى من المال كذا وكذا فلك نصفه ولى نصفه ولى من الزوجات كذا وكذا فاختر منهن ما تريد أنزل لك عنه وكان المهاجرى يسأل عن السوق وعن الحيطان يعمل فيها فهذا اصل مقرر فى الشريعة المطهرة (وقد حكى) ان بعضهم جاء لزيارة أخيه فقيل له انه فى الموضع الفلانى وكان ذلك الموضع لا يدخله احد الا للخانقة فتأوه وقال اخى يقع وانا بالحياة فرجع الى بيته ودخل خلوته وعزم ان لا يخرج منها الا باخيه فجاء اخوه الى بيته فأخبر بمجيئه اليه وسؤاله عن حاله فجاءه مستغفرا تائبا الى بيته فسأل عنه فقيل له انه دخل الخلوة فقال اخبروه بانى قد تبت الى الله تعالى

ورجعت اليه فاخرج اليه الا بعد أن تحقق قضاء حاجته فيه (فينبغي) أن تكون المؤاخاة على هذا الاسلوب فان رأيت أخاك قد غرق فتأخذ بيده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعيها اذ أن من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان (وأما القسم الثالث) من التقسيم الاول للامام الشيخ الصقلي رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك انك اذا خالطت كثيرا من الناس في هذا الزمان أو عاشرتهم بملابسة تجد من كثير منهم الاذية البالغة اما في دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذي لا شك فيه فان أنت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله (وأما القسم الرابع) الذي قال عنه انه مشهود فلا شك في مباشرة ذلك في هذا الزمان (الا ترى) انك اذا تكلمت مع أحد منهم في صلاح دينه في شئ ما قابلك بانزعاج وخلق سئ وأقل جوابه أن يقول لك ما حقرت في الناس الا أنا حتى تأمرني وتنهاني أو يتسلط عليك بيذاءة لسانه وينتظر لك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها أو يردها سيئات وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هي الدفلى اذا تناولت منها شيئا وقد يفضي ذلك الى العدم اذ قيل انها سم فيتعين عليك أن تفر من هذه صفته فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وبالغ في الفحص عن القسمين الاولين فيا سعادته ان ظفر باحدهما كما قيل

واذا صفا لك من زمانك واحد ٭ فهو المراد وأين ذاك الواحد

فان عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان أراد السلامة اذ أن الاجتماع بالناس انما يحتاجه المريد للزيادة لا للنقص فاذا علم انه ما يحصل له فيه الا النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم عموما والله المستعان

٭ (فصل) ٭ من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى (وينبغي) للمريد أن يكون نظره للخلق بعين الرحمة والشفقة والتودد وذلك يقع منه على وجوه (فاذا) نظر اليهم بالرحمة فسبيله العلم بفقرهم (واذا) أحسن الظن بهم فسبيله طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين (واذا) احتمل الاذى منهم فسبيله الرحمة لهم (واذا) جازى على السيئة بالحسنة فسبيله التخلق بالاخلاق المحمودة (واذا) راعى حق كل ذي حق وان صغر فسبيله التخلق باخلاق

الشاكرين (واذا) تناسى الشر جملة فسبيله تطهير القلب من دنس هواجس النفوس فى حق اخوانه المسلمين (واذا) عاملهم بالسخاء فسبيله البعد من صفة البخل والتشبه باهل الفضل واليقين بالخلف واحذر من أن يطلب الخلف الفانى اذ أن كل ما جاء من الدنيا فهو ذاهب فان (واذا) عاملهم برفع الاذى عنهم جملة فسبيله عدم الفراغ والاشتغال بوظائف التكليف (واذا) عاملهم برؤية الحسن منهم فى كل شئ والتعامى عن القبيح فى كل شئ فسبيله الغيرة فى مشاهدة المحاسن والاشتغال عن القبائح بعيوب النفس مع حسن الظن بهم فى بعض المواطن (واذا) تواضع لله فسبيله اجلال الربوبية واظهار العبودية (واذا) تواضع للخلق فيكون ذلك منه دون تفاوت وانما يفعله لاعتقاد الاثرة لهم عليه (واذا) أظهر ذلك لهم فى بعض المواضع فسبيله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الظن بالمؤمنين (واذا) ترك العجب وهو أن لا يرى لنفسه شيئا حسنا فسبيله العلم بأنه لا فاعل للاشياء الا الله سبحانه وتعالى فيلزم نفسه الافتقار اليه جل وعلا (واذا) أخلص العمل لله بأن لا يريد بصالح عمله سوى الله تعالى فسبيله الخوف الشديد من حبط الاعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخلق فى جنب العدم فانهم لا يملكون له شيئا (واذا) استشعر اطلاع الحق عليه فسبيله ترك الفراغ وهو أنه لا يمر عليه وقت الا وهو مشغول بالله تعالى فيحصل له بسبب ذلك الربح أو جبر رأس المال (واذا) ترك المباح فسبيله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات (واذا) أحب المساكين وخدمهم وأماط الاذى عنهم وادخل السرور عليهم بارفادهم والعون لهم واظهار البشر واحتمال الجفاء والاختلاط بهم والتلطف فى نصح من زل منهم فسبيله طلب حط الاوزار والظفر بجنة الملك الغفار (واذا) ترك المزاح جملة فسبيله الاهتمام بسالف الذنوب (واذا) راعى الفرض بطلب أدائه كما وجب فسبيله طلب التقرب الى الله عز وجل (واذا) أحسن لكل مخلوق يجوز الاحسان اليه فسبيله طلب الاتصاف بالمحامد (واذا) ترك الشهوات فسبيله العلم بعاقبتها وما آلت اليه وطلب الرقى عن الارضيات (واذا) قالى الطعام بحيث لا يدخل عليه به ضرر فسبيله التحقق للعبادة والتهيئ لافهام عن الله تعالى

الاثرة بالضم المكرمة اه

والاقبال

والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى (واذا) لبس الدون من الثياب مع
مجانبة الشهرة واقتصر على الضرورة فسبيله خوف الحساب (واذا)
ترك التنعم بملاذ الطيبات فسبيله التشبه بأولياء الله (واذا) ترك الهمز
والاحتقار بالخلق فسبيله سلامة التبرى من صفة الجاهلين (واذا) ترك
الفرح بأمور الدنيا والآخرة فسبيله الجهل بالعاقبة وعدم المبالاة
بالدنيا (واذا) ترك الحزن على مافات فسبيله شغل الوقت بالخدمة والايمان
بالقدر (واذا) واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسبيله طلب
التقرب من الله تعالى بانكسار القلب وجمع الهم واذا جمع همومه عليه
فسبيله الفرار من تفرقة القلب فى شعاب الغفلة (واذا) فوض أموره لله
تعالى بطرح نفسه بين يديه دون اقتراح عليه فسبيله استعمال الأدب مع
جلال الربوبية (واذا) توكل على الله اثقته بالمضمون فسبيله شغل الوقت
بالتكليف (واذا) ترك رؤية الاسباب حتى استوى عنده وجودها وعدمها
فسبيله افراد الحق بالخلق والتبرى من الشرك الخفى والجلى كالخبز لا يشبع
والماء لا يروى والثوب لا يدفئ وكذلك الامور العادية كلها (واذا) ترك
التعلق لغير العلماء فسبيله العلم بأنه لا يملك الضر والنفع الا الله سبحانه وتعالى
وذلك بخلاف التعلق للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم (واذا) افتقر الى الله
تعالى فى حركاته وسكناته فسبيله اظهار صفة العبودية (واذا) غاب عن
الخلق ببواطنه ولم يسع اليهم بظاهره فسبيله سد باب الانس بالمخلوق (واذا)
ترك الاقبال على أحاديث العامة وترك التشوف لها بصون قلبه عنها
وعمارته بذكر الحق فسبيله سد باب المحنة واطفاء نار الفتنة وخوف
خسران الآخرة (واذا) كانت نفس المريد متطلعة لأحاديث الناس لم
يفلح أبدا (واذا) علم ان استفتاح باب الخير كله وسد باب الشر كله فى
نفس أداء المفروضات اذ هى معيار القلب وبها تتبين الزيادة والنقص
ولا يتوصل الى ذلك الا ببذل الجهد وجمع النفس ومحض الصدق وشدة
الخوف ومواصلة الحزن حتى اذا استطعت أن تموت حين تفتتح الصلاة فعلت
فسبيل ذلك كله قربك من الله (واذا) أردت أن تعرف منزلتك قربك عنده
فلازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسبيله مراقبة

الحق واجلال الربوبية (واذا) أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال المخلوقين وقت الحاجة أو مهمات فسبيله طلب كل حاجة من الله تعالى أدبا مع الربوبية (ومن) أكد ما يحتاج اليه المريد فى ذلك ان لا ينزل نفسه فى صورة مرشد ولا ناصح ولا متكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل بسبب طلبه العلم اه (ومن) كتاب سير السلف قال ابراهيم الخواص دواء القلوب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (وقال أيضا) التاجر رأس مال غيره مفلس اه (ومن كلام) يمن بن رزق رحمه الله يا هذا هلا حجرك عقلك عن ان تبوح بسرك الى أحد من الخلق او ان تشكو حالك فى دين أو دنيا اليهم أو تتكلم بما لا يعنيك أو تجيب الى أمر لا تحقق رشده ولا تأمن ضرره يا هذا اجعل ربك موضع شكواك وقلبك خزانة سرك والزم مراقبة مولاك فى كل حال يرد عليك فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت شرا فافتقر فيه اليه وانظر الى الخلق هباء كل مصرفة وأسبابا مسخرة ولا تشكر أحدا منهم على فضل الله الاعلى قدر ما أباحته الشريعة وحسبك من ذلك ان تقول جزاك الله خيرا وترى الفضل كله من مولاك فاشكره بكليتك فهو أهل لذلك حقيقة وشكر سواه مجاز كما ان فعل غيره مجاز لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لا شريك له

(فصل) فان كان المريد له تعلق بالاولاد فينبغى ان لا يهمه شأنهم وليتظر الى ما سبق فيهم من القدر ويعلم ان الملك لا يضيق عن رزقهم وان ما كتب لهم ان يفوتهم وما كتب عليهم لن يفوتوه وان وجوده وعدمه فى حقهم عيان اذ أنه لا يملك لهم شيئا ثم انهم ان كانوا لله أولياء فان يفعل الله معهم الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له فى دفع المضار عنهم وليقل قد استودعتهم ان لا تخيب لديه الودائع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان عقل وليظن بمولاه خيرا والسلام

(فصل) فان ابتلى المريد عند الاجتماع بالناس وخلطتهم بالاذية والجفاء منهم فيتعين عليه ان ينظر فى أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش خبايا نفسه فى الذى قيل فيه فقد يكون حقا فان وجده فى نفسه علم اذ ذاك

ان من قال فيه ما قال اغاه ونذير جاءه من عند ربه ليتوب أو يوقع به النكال فيحتاج الى المبادرة الى التوبة والرجوع ويرى الاحسان والفضل أن قال فيه ما قال (وان لم) يجد ما قيل عنه فيه فيحتاج الى ثلاثة أشياء (أحدها) ان يمتثل السنة بالدعاء الوارد فى ذلك حيث يقول عليه الصلاة والسلام من رأى منكم مبتلى فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير من خلق تفضيلا ولا شك ان الابتلاء فى الدين أعظم من الابتلاء فى البدن سيما اذا انضاف الى ذلك تعلق حق الغير به فهو أعظم فى الابتلاء هذا وجه (الوجه الثانى) انه يتعين عليه الشكر من وجهين (أحدهما) أن يشكر الله تعالى على سلامته مما قيل فيه (الثانى) وهو الوجه الثالث أنه يتعين عليه الشكر فى ان الله تعالى سلمه مما وقع أخوه فيه اذ لو كان الامر بالعكس لكان بلاء بينا اذ الغالب فيه عدم السلامة أسأل الله العافية عنه وقد تقدم ذلك (ومن) كتاب يمن بن رزق رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه المدح فذلك ذكر الصورة خشى العزيمة (وقال) لو قال لى قائل ان من لم يأخذ بحظه من الفقر لم يجد طعم الايمان لما خالفته ولو أخبرنى مخبر ان تسعة أعشار العافية فى التحمل والغنى عن الناس لصدقته (وقال) حمل النفس على الصبر فى مواطن الامتحان حيلة حسنة فى التخلص وان أبطأ (وقال) من وطن نفسه على ان الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر ما نزل به منها ما دام فيها وأخذ من الراحة بحظه ومن توهمها منزل راحة لم يقدر الراحة قدرها اذا أتته وكان تعبه فيها مضاعفا (وقال) تقديم صدق اللجا الى الله عز وجل فى مبادى المحاجات عنوان على نجح غاياتها وقال افتكر فى الموت تهن عليك المصائب (وقال) ما رأيت أفقه من النفس يعنى فى شهواتها وملذوذاتها ولا أجرأ من الانسان ولا أشد تقلبا من القلب ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الامل (وقال) الصمت وغض البصر مفتاحان لابواب القلوب (وقال) من أحب ان لا تكون له منزلة عند الناس تربع فى بحبوحة العافية (وقال) ليس الادنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما ومتعها الوذهبتا عنك معا فاختر لنفسك (وقال) الضرورات تدعو الى شر كثير وفى الصبر على المكروه خير كثير (وقال) يحسن بالمؤمن ان يكون

البحبوحة بضم الباءين وسط الدار اه

ثوبه مرقعا ونعله باليا ومسكنه خلقا ففي ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شئ قلت عبرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله (وقال) اطمع في رحمة الله عز وجل على أي حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أي حال كنت من الاجتهاد واياك واليأس من مولاك فانه قطع للسبب بينك وبينه واحذر الاماني فانها اغترار به واعلم ان الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وان المؤمن لو علم كنه عقاب الله لمات خوفا والسلام (وقال) اذا كان الماضي لا يرجع والمقدر لا يتبدل فاطراح الهم سعادة معجلة (وقال) خمس يؤلمك غمها في الدنيا وهي في الآخرة أشد ايلاما الا أن ينالك عفو الله عز وجل فاستقلل منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وافشاء سرك اليهم والشكوى بحالك الى الخلق (وقال) لقد رابني ما أراه من كد الخلق للدنيا وقصر همتهم عليها في ايمانهم ولقد رابني ما أراه من مكالبتهم عليها وفرط جنوحهم اليها في عقولهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة سخروا منك وان سكت عنهم اتهموك وان مازجتهم في دين أو دنيا اهلكوك وان تركتهم لم يتركوك فلا راحة معهم ولا سلامة دونهم حسبي الله ثم حسبي الله منهم (وقال) رجلان اكره رؤيتهما وأحب الفرار منهما ليأسي من فلاحهما غاليا طالب كيمياء وطالب ملك (وقال) رحمه الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله ولا حليته وآثر هواه وأمنيته عاش دهره في تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التي يسعى اليها ومن تقاعد عن الرتب التي يمكنه بلوغها عاش مهينا ملوما ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان له صالحا استحق اسم النبل وكان عيشه هنيئا وقلبه لله تعالى خاشعا (وقال) أنا لأصدق قول من قال مكالمة الجاهل سجن للعقل (وقال) الراحة في الدنيا لأحد ثلاثة فقير صالح أو غني عاقل أو أحمق مبخوت (وقال) يا هذا ان كان العجب من الناس مرة فالعجب منك ألف مرة فقد بان لك بالتجربة المستبينة والدلائل البينة ان مكالمة الناس غنمها ندامه والصمت عنهم سلامه ثم لا يصرفك ذلك عن الهذر معهم والخوض في أحاديثهم وكلهم مقهورون لطباع أنفسهم سامعون من حالهم

النبل بالضم الفضل وبابه ظرف اه

مبصرون بعيون رؤسهم الا من رحم ربك وقليل ماهم فما يصفى اليك منهم غالبا الا متهم او مكذب او غير محصل فاصمم بصمت ولا يكون كلامك لهم الا جوابا بما ادرك فيه عليك فى دين او دنيا فان انت صبرت على اذاهم كفيتهم واياك ان تنتصر لنفسك فتوكل اليها وسلم الامر الى مولاك وافتقر اليه تجده والسلام (وقال) الالتفات الى الناس تعب فى العاجل وندامة فى الآجل لان عامتهم ما بين جاف متعسف او بطر متكلف فليس التأثير بالاول بأسوأ من الاغترار بالثانى فالرأى ان يعدا جميعا فى حزب العدم حتى لا تأثير للاضطرار اليهم ولا للجفاء مع امتثال الامر والنهى فيهم واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذى يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الاقبال على ما يعنيك والصبر فى طريق الحق فانك اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة لم تبال بمن خالف رأيك من الخليقة (وقال) من تفكر فيمن سلف ونظر فى المعاد هان عليه جفاء الخلق ولم يغتر بلطفهم (وقال) رحمه الله الزم الصمت عند محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك فى كلامه فائدة (وقال) من علم ان له ربا يفعل ما يريد خاف وحزن ولم يفتر ومن علم ان له ربا ضمن لعباده أرزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما كلف ومن علم ان له ربا من انقطع اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن علم ان له ربا الفاعل للوجودات الا هو اقتصر فى كل مارام اليه ومن علم ان له ربا رقيبا على كل شئ استحى منه حق الحياء (وقال) من نظر الى الدنيا بعين البصيرة فرأى تقلبها بأهلها وانتزاعها عنهم لم يطمئن اليها ومن نظر الى الآخرة بعين البصيرة فتخيل نعيمها وعذابها وأيقن أنه وافد عليها عمل لها (وقال) الزم الفضل واترك الفضول واغتنم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفى هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة (وقال) ليس الا عيش الدنيا او عيش الآخرة ولن يجتمعا (فالاول) مادته الارضيات وهو عيش النفس (والثانى) مادته العلويات وهو عيش الروح وقد علمت المبدأ والغاية فاختر ايهما شئت والسلام (وقال) باهذا الاخذ بالاحتياط نجاة ولا خير فى صحبة غير الله (وقال) ما احقك بالنوح على نفسك ما أولاك بالقاء التراب على

راسك * ما اغفلك عما حل بك * انسيت عظائمك * ام امنت عقاب ربك
يا درياسكين واحذر سد الباب وقطع الاسباب * واستنزل بكف
الضراعة رحمة مولاك العزيز الوهاب (وقال) اذا سافرت فالتزم فى الطريق
مع اهل الرفقة الصمت ولا تتكلم معهم الا جوابا يسيرا من القول لفظة او
نحوها فان سئلت من اين فقل من ارض الله فان قيل لك ما شغلك فقل
ابتغى فضل الله فان قيل لك ما اسمك فقل عبد الله * فان تصاممت لهم فحسن
واذا دخلت بلدا فلا تصحب فيه احدا صحبة توجب عليك حقا واحسم
التعارف البتة وافتقر الى الله فى حوائجك فانه لا يضيعك ان شاء الله فانه
ليس زمان صحبة ولا مصادقة وانما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من
الناس مبلغ الوسع (وقال) خلقان لا ارضاهما للفتى بطر الغنى ومذلة
الفقير فاذا غنيت فلا تكن بطرا واذا افتقرت فقه على الدهر (وقال) رحمه
الله الدنيا دار بلاء والبلاء لفظ مشترك تحته انواع من التعب والمشقات
كفرقة الاحباب وذهاب المال * واذى الناس * والاسقام * والجوع *
والعطش والقمل والذباب * والعقارب * والحيات * والسباع * وفقد
الوطن * والبرد * والحر * والعرى * والشهوات كشهوة البطن والفرج الى
غير هذا مما لا يكاد ينحصر فاوقع منه فلا تنكر وقوعه فى محله ولا تستغربه
وانما المستغرب فيها المسرات لانها ليست بدارها ولا تقابل شيئا من البلاء
الا بالصبر وتوطين النفس عليها متى وقع منها شئ والاستعانة بالله تعالى فى
زيادة البصيرة والامداد بالمعرفة (وقال) من تفكر فى امسه وغده غنم
ما فى يديه من يومه (وقال) بالله المستعان واللجأ اليه عنوان النجح *
والقرآن حبل العصمة * والسنة طريق السلامة والفكرة مفتاح الرشد
* والهم مثيرات العزم * والتبصر ثمرة الصدق والظفر نتيجة الصبر
* والاستغاثة درج الوصول * والتضرع امارة الخلاص والسهر مظنة
الاجابة * والالحاح مقدمة المحبة * والتواضع سر الشرف والسخاء خلق
الايمان * والزهد شعار التقوى * والتوكل حرفة المعرفة والتفويض
علم السلامة * والخوف اثر المجد * والرجاء افادة الجهد * ورحمة الخلق دليل
الطهارة * واحتمال الاذى عين الفتوة * والجزاء على الاساءة بالاحسان
خلق النبوة * وتلاوة القرآن بالحضور عيش الروح * ومخالفة

الهوى قتل النفس * وذكر الله رأس مال العابدين * من ترك الشهوات قرع الباب * ومن ترك الحظوظ رفع الحجاب * قيام الليل بستان العارفين * الاحوال مبلغ القوم * من رأى لنفسه فضلا على شئ من خلق الله تعالى حتى الكلاب فهو أحد الفراعنه السلو عن المتروك على قدر المعرفة بالمطلوب * من هانت عليه نفسه فهى على غيره أهون * ومن صحب التسويف أداه الى الفوت ومن فاته مولاه غرق فى بحر اليأس * الدنيا سلامتها غرر * ولذاتها قذر قال الشاعر

فخير لباسها نفثات دود * وخير شرابها قئ الذباب
واشهى ما ينال المرء فيها * مبال فى مبال مستطاب
وعن قرب يعود الكل تربا * بلا شك يكون ولا ارتياب

(وقال) كنت قد رأيت فى كتب بعض الحكماء ان اربعة لا ينبغى للعاقل أن يأمنها فطلبتها فى حفظى فلم أجد منها سوى واحدة وهى المرأة وان أبدت الود وأظهرت النصح (ولا) يبعد عندى أن يكون الثانى السلطان وان أبدى التقريب والمصافاة (وأن) يكون الثالث المال وان كان جما وافرا (وأن) يكون الرابع الزمان وان كان مطاوعا مسالما (فرب) مخدوع بهذه الاربعة فخانته أوثق ما كان بها وأسلمته أميل ما كان اليها (وقال) الراحة كلها فى الرضا باختيار الحق لك * والتعب كله فى اختيارك لنفسك ومدافعة الايام شيمة الكرام * واغتنام الوقت بالمبادرة الى العمل * واطراح الأمل سعاده * وانتظار الفرج بالصبر عباده (وقال) يا هذا اذا رأيت انسانا لم تلزمك الضرورة اليه ففر منه فرارك من الاسد أو أشد وان قدر اجتماعك معه مفاجأة فاقتصر فى الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام اما تذكر أن تعبك فى الدنيا قديما وحديثا انما جاءك من معرفة الناس * (فصل) * وينبغى للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة لكل وقت منها عمل يخصه من الاوراد فلا يقتصر فى الورد على ما سبق من الصلاة والصوم بل كل أفعال المريد ورد (قد) كان السلف رضوان الله عليهم يقولون جوابا لمن طلب الاجتماع باحد من اخوانه ويكون نائما هو فى ورد النوم فالنوم وما شاكله هو من جملة الاوراد التى يتقرب بها الى ربه عز وجل (واذا

كان كذلك فيكون وقت النوم معلوما كما ان وقت ورده بالليل يكون معلوما وكذلك اجتماعه باخوانه يكون معلوما وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلوما كل ذلك ورد من الاوراد اذا أن أوقاته مستغرقة فى طاعة ربه عز وجل فلا يأتى لى شئ مما أبيح له فعله أو ندب اليه الا بنية التقرب الى الله تعالى وهذا هو حقيقة الورد أعنى التقرب الى الله تعالى وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أو من حال يرد يكون سببا الترك شئ من ذلك الا ترى ان المندوب فى حق المريد بل الذى يتعين عليه أنه اذا حصل له بكاء أو تضرع أو خشية يستمر فى ذلك ولا يقطعه اذ أن المقصود انما هو حصول مثل هذه الاشياء فاذا حصلت للمريد فقد حصل على فريسته فليشد يده عليها ويغتنمها الثلا تنفلت منه فقل أن يجدها ولأجل هذا المعنى قال الاستاذ أبو سليمان الدارانى رحمه الله اذا الذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد واذا لذلك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد واذا لذلك السجود فلا تقرأ ولا تركع الامر الذى يفتح عليك فيه فالزمه أرأيت انسانا يطلب شيئا فاذا وجده تركه (وقد) تقدم هذا المعنى قبل ولا يقتصر فى هذا على الصلاة ليس الابل هو عام فى كل أمر اراده فلو حصل له شئ من هذا فى الاجتماع بالاخوان فلا ينتقل منه أيضا بل هذا آكد لاجتماع بركة الاخوان وهى متعددة بخلاف ما لو كان وحده وان كانت الخلوة فيها الفضيلة العظمى كما تقدم لكن فى الاجتماع بالاخوان الخير المتعدى حسا لاستمداد بعضهم من بعض والمقصود أن تكون أوقاته وحركاته وسكناته وأنفاسه فى الخلاء والملأ مضبوطة بالاتباع فى كل ذلك (وينبغى) أن يقتصر فى أوراده على القليل مثل ما تقدم فى أوراد المتعلم سواء بسواء فان حصل له شغل أو شئ من العوائق فلا بد من اقامتها ليسارتها الان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا عمل عملا أثبته وقد تقدم ذلك فى المتعلم (وينبغى) له أن يكون أشد الناس حرصا على عمل السر لما تقدم ان عمل السر يفضل الجهر بسبعين درجة وما هو بهذه المثابة فيتأكد تحصيله على ما ينبغى (واذا) كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد أمرين (اما) أن يكون فى بيته وحده أو مع غيره (فان) كان وحده فقد حصل له عمل السر من غير كلفة

(وان) كان مع غيره أغنى من الاهل وماشابههم (فلا) يخلو اما أن يكون فيهم من يرجو أن يقتدى به أم لا (فان) كان كذلك فاظهاره أولى وقد تقدم انه لايخرجه ذلك عن عمل السر معهم (ثم) الامر فى ذلك بحسب حال الوقت اذ أن من الاهل أو الاخوان من اذا رأى شيئا من أعمال البر يواظب عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك أو شئ منه (وهذا) فيه خير كثير (لما ورد) لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (فان) علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به (وقد) تقدم فى المتعلم انه ان وجد الخلوة عن أهله كان به أولى (فالمريد) بهذا المعنى أولى بل أوجب لان المريد لايزال فى عمل السر فى غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل الى عمل سر فيما بينه وبين ربه عز وجل لا يطلع عليه الحفظة (وقد) ذكر الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه عن بعضهم انه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سرورا بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لان الحفظة يفرحون بحسنة العبد حين يعملها أكثر من فرح العبد بها يوم القيامة حين يرى ثوابها وماذاك الا أن رسل الملك لايريدون أن يرجعوا اليه الا بما يعلمون أنه يحبه بخلاف العكس فانهم يكرهونه لكراهية الملك له (وهذا) الذى حكاه رحمه الله ظاهره مشكل لأن الفرائض لابد من اظهارها وهى أكبر الاعمال وازكاها (لما ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه ان يتقرب الى المتقربون بأحب من أدائها افترضت عليهم الحديث بكماله والحفظة يشاهدون ذلك و يكتبونه (فيتعين) أن يحمل ماذكره على الاوراد التى هى من أعمال القلوب وهى الفكر والنظر والاعتبار اذ أن الله عز وجل تجلى لخلقه وظهر بآياته و بطن بذاته فهو الظاهر بما دل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لانه خالق الزمان والمكان الى غير ذلك من صفاته الجليلة (واذا) كان ذلك كذلك فمن كان فى حال التجلى فهو مستغرق الاوقات حتى لايرى غير ما هو فيه لكثرة ماهو فيه من النعيم اذ التجلى ليس شئ من النعم أعلى منه فى الدنيا والآخرة (ولا) يعكر على ماتقدم ذكره من قول الحفظة ماورد ان المكاف اذا نوى الحسنة خرجت على فيه رائحة عطرة واذا نوى

السيئة خرجت على فمه رائحة منتنة لان هذا قد نوى بقلبه ما نواه فهو عمل من أعمال القلب دلت عليه الرائحة الصادرة عنه بخلاف ما نحن بسبيله اذ التجلى ليس من عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه فى كل زمان وأوان فينبغى للمريد ان كانت له همة سنية أن يعمل على تحصيل هذا المقام السنى لان المولى سبحانه وتعالى كريم منان وهذه الامة والحمد لله فيها البركة الشاملة لخيرهم ومقامهم الخاص بهم لا يزول ولا يحول الى أن يأتى أمر الله تعالى (واذا) كان الامر كذلك فلا يقطع المريد اياسه من الوصول الى حالهم السنى ولا ينتظر فى ذلك لنفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاده لانه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينتظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المترادفة عليه وليحذر ان يكون بهيمى الطبع لا يرى النعم الا فى المأكول والمشروب والسعة فى الرزق لان هذا ليس من حال المريد فى شئ بل هو من حال أبناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يعطى لكل قاصد ما قصده وقد تقدم ان المريد غنيمته ما فاته من الدنيا (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول المريد لا يحتاج لشئ من الاشياء فقلت له أليس يحتاج الى الاكل والشرب واللباس فقال نعم لكن نعام المريد الجوع وكسوته العرى فهو يجد ذلك فى كل موضع يحل فيه واذا كان كذلك فلا يحتاج الى أحد (والمقصود والحاصل) انهم قد طرحوا أمور الدنيا خلف ظهورهم وأقبلوا بكليتهم على ربهم وأسندوا أمورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة عليه فانعم عليهم وقربهم واجتباهم وحماهم وتجلى لهم بصفاته الجليلة الجميلة اسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بجاه محمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم فانه ولى ذلك والقادر عليه (وما) تقدم ذكره من أن المريد يقتصر على الاعمال المتقدم ذكرها انما ذلك فى حال بدايته ثم يأخذ نفسه بالتدريج والترقى فى الزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق أوقاته فى أنواع العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعبا فى الغالب وقد تقدم ذلك لكن المريد فى بداية أمره يمشى على ما سبق من أوراد المتعلم وامانهايته فلا حد لها لانهم قالوا أكلهم اكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم ضرورة فلا ينام

المريد الاغلبة وقد تقدمت حكاية بعضهم فى السنة التى أخذته وهو جالس
فى صلاة حين صلى ركعتى الاشراق فعرك عينيه وقال أعوذ بالله من عين
لا تشبع من النوم ومن كان قومه على هذه الصفة فلا يمكنه أن يتهيأ لحالة
النوم ولا للاذكار المذكورة عنده اذ حال المريد لا ينضبط بقانون معلوم
لكثرة اجتهاده وتحصيله واحوالهم فى أعمالهم قل أن تنحصر (لكن) يحافظ
على السنة ويشدد عليها وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يعجبه ما حكى
عن بعضهم انه كان اذا جاء الى فراشه دخل على جنبه الايمن ثم يرجع على
الايسر ثم يرجع على الايمن ثم يقوم فيتوضأ ويصلى ركعتين ثم يقول اللهم
انك تعلم ان خوف نارك منعنى الكرى فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه
محافظته على السنة حتى فى الفراش وان كان يعلم انه لا يتأتى منه النوم فاذا
كان المريد على هذا الحال أعنى محافظته على السنة فى كل أحواله فهو
المقصود الاعظم لا يفوقه غيره نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمنه انه
الكريم الوهاب بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل فى قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط) اعلم وفقنا الله وإياك
ان آكد ما على المريد اتباع السنة واتباع السلف الماضين رضى الله عنهم
أجمعين فيشد على ذلك يده وليحذر ان يميل أو يغتر بما قد أحدثه بعض
الناس من أفعال لم تكن لمن مضى وقد تقدم ان الخير كله فى الاتباع
وعكسه فى الابتداع وان هذه الطائفة أكثر الناس اتباعا للسنة
المطهرة وما فاقوا على غيرهم الا بذلك لانهم اختصوا بثلاثة أسماء فقراء
ومريدين وصوفية فالفقير من افتقر فى كل أحواله الى ربه عز وجل وسكن
بقلبه اليه وان كانت الخواطر تلدغه فهو لا يلتفت اليها ويفتقر الى ربه
ويعول عليه والمريد من أراد ربه دون كل شئ سواه وكان غاية طلبه ومناه
وسلم من لدغات الخواطر ومجاهدتها لارادته لربه وايثاره على ما سواه
والصوفى من صفى باطنه وجمع سره على ربه وشاهد عيانا جميل صنعه فأسند
الامور كلها اليه فهم الذين قربهم الله واجتباهم وخلع عليهم خلع احسانه
ولحضرته السنية ارتضاهم (واذا) كان الامر كذلك فهذا مقام خاص بهم
والثوب النظيف أقل شئ يدنسه (وقد) تقدمت حكاية سيدى الشيخ

الجليل أبي علي بن السماط رحمه الله في دخوله المسجد حين قدم رجله اليسرى فغشي عليه لان هذه الطائفة شعارها الاتباع وترك الابتداع فان وقع لهم شيء ما من مخالفة السنة رأوه أمرا عظيما فاقلعوا عنه في وقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالى ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فعجلت لهم عقوبته فتضرعوا الى الله وابتهلوا اليه مع وجود التوبة النصوح منهم (واذا) كان الامر كذلك فيتعين على المريد أن لا يسامح نفسه في شيء مما يخالف الاتباع ولو قاله من قاله (فليحذر) من البدع التي قررها بعض الناس (وقد) اختلفوا فيها على ثلاثة أنحاء (فمنهم) من استحبها وانكر على من تركها وهذه طريقة أكثر أهل المشرق (وذهب) بعضهم الى أن من فعلها ومن لم يفعلها سيان لا عتب على تاركها ولا حرج على فاعلها (وذهبت) الطائفة الثالثة وهم المحققون المتبعون للسنة وللسلف الصالح من الامة رضي الله عنهم أجمعين الى التصريح بأن ذلك بدعة ممن فعله أو استحسنه وقال لا حرج على فاعله لمخالفته للسنة المطهرة (وقد) كان سيدي أبو الحسن الزيات رحمه الله يقول من أعجب الاشياء صوفي سني يعني بذلك والله أعلم ما نحن بسبيله من العوائد المحدثة التي ليس لها أصل في الشرع ترجع اليه (فمن ذلك) ما ذهب اليه بعضهم من أن المريد اذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى في عرف العجم الخانقاه فالرباط مأخوذ من الربط لان ساكنه مرابط فيه وهذا الاسم أولى به ألا ترى انهم يجعلون رؤية القيد في النوم ويكرهون الغل فهذا منه (ولهم) فيما أحدثوه اصطلاح لا ينبغي أن يعرج عليه (لكن) لما ان كثر وقوعه والقول به والانكار الشديد على من ترك شيئا منه واتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو أنه اذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كميه ويبتدي في ذلك باليمين وهذا اذا أراد دخول الرباط أو يتناول شيئا طاهرا وأما ان أراد أن يدخل الخلاء فانه يبتدي بتشمير كمه الايسر ويبالغون في هذه الاشياء ويسمونها آدابا (حتى) انه قد حكي عن بعض من تؤغل في هذا الشان انه خدم شيخه سنين متطاولة فلما ان كان في بعض الايام أراد أن يدخل الخلاء فشمر كمه الايمن قبل الايسر فقال له شيخه أين تريد فاستفاق لخطائه على زعمهم فقال

الى بغداد فسافر اليها فانظر رحمنا الله واياك الى تبديل الخاطر المجمل بمخالفة سنة واحدة كيف وقع بها هذا فى أمرين عظيمين أحدهما تعب السفر الطويل وترك جمع الخاطر فى الحضر وبركته والثانى اخبار شيخه بما ليس فى باطنه وطائفة الصوفية برءاء من ذلك كله (ثم) اذا شمر أكمامه وشد وسطه بشئ ويأخذ العكاز بيده اليمنى والابريق بيده اليسرى ويجعل السجادة على كتفه الايسر مطوية وهذا فيه ما فيه لان اتخاذ السجادة من البدع التى أحدثت فكيف يتخذها الفقير (وقد) كان كثير من السلف رضوان الله عليهم لا يحول بين وجوههم وبين الارض حائل لا حصير ولا غيره وما ذاك الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا ترى) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من ألم السجود على الارض لم يشكهم ومعنى ذلك انه لم يزل شكواهم ألا ترى الى ما ورد مسح الحصباء مسحة واحدة وتركها خير من حمر النعم ولا يرد على هذا حديث الخمرة لان ذلك محمول على شدة الالم الذى يوجد فى ذلك الوقت بخلاف الالم الذى تحمله البشرة فلا يرخص فيه والخمرة هى شئ مضفور من الخوص قدر ما يضع المصلى عليه الوجه واليدين اذا سجد وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يحول بين وجهه وبين الارض شئ لاتباعه السنة وتواضعه (وهذه الطائفة) أولى الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع ظاهر لا يدخله فى الغالب الا من هو محفظ على دينه فلا حاجة تدعو الى السجادة وانما هى عوائد افتحلت ووقع الاستئناس بها والعوائد كلها مطروحة لان السنة هى الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد (ثم) يأمرونه اذا دخل الرباط أن لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد واعتلوا لذلك بأن المريد لا يذكر الله تعالى الا وهو على وضوء والسلام اسم من أسماء الله تعالى فاذا سلم على أحد أو سلم عليه أحد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر اسم الله تعالى وهو على تلك الحالة أو يترك رد السلام وهو واجب فأمروه بترك السلام لاجل هذا وهذا أيضا مخالف للسنة اذ أن السنة مضت على أن المكلف يسلم على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم من ذكر تعليلهم لذلك فليس بأبين لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه

لم يمنع من ذكر الله في حال من الاحوال الا في حال موضع الخلاء فانه يكره ولا بأس بذكر الله تعالى هناك عند الارتباع وما يشبهه وليس بمكروه والسنة عند لقاء المؤمن لاخيه السلام لا بعد جلوسه واستئناسه (ثم) يأمرونه عند ارادة دخوله الرباط أن يقعد عند الباب ثم يخرج اليه من في الرباط من الشبان أو بعضهم فيؤذونه بالشتم ويقولون الادب عليه ويخرقون حرمته ويكسرون الابريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى ييأسوا من غضبه ويعلمون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله للاذى اذ أن هذه الطائفة لا تنتصر لنفسها وهم أشد الناس كظما للغيظ وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لان الوارد اذا علم أنه اذا انزعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فانه يصبر اذ ذاك على أذيتهم لاجل ما يرجو من حاجته وان كان سيئ الخلق ما عسى أن يكون فانه يستعمل ضده في هذا الموطن والحالة هذه (ثم) يخرج اليه الخادم فيأخذ السجادة عن كتفه وهو ساكت لا يسلم أحدهما على الآخر ويدخل الخادم والوارد يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينظر أين يفرش الخادم السجادة فيعرف موضعها وهذا فيه ما فيه الا ترى أن المعنى في السلام عند اللقاء انما هو التأنيس بالبشاشة وما شابهها من الاكرام للضيف والتودد نقيض ما عاملوه به وأما كسر الابريق فلا خفاء انه اضاعة مال وهو محرم وكذلك شتمه فوضعوا الشتم وخرق الحرمة واضاعة المال موضع الاكرام والاحترام والضيافة ثم سرى هذا الامر الى عامة المسلمين اذ أن هذه الطائفة قلوب الناس بهم متعلقة لحسن ظنهم بهم ولكونهم منسوبين الى اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والاقبال على العبادة والدار الآخرة ويرون انهم محفوظون لا يخالفون ولا يبتدعون فاذا صدر منهم شيء من هذا اقتدى بهم غيرهم في فعله فتجد كثيرا من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والاجداد ويلعنون أنفسهم والوالدان يتطاران اليهم (وقد ورد) في الحديث المؤمن لا يكون لعانا (ومن) كتاب السنن لابي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا

على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم (ومنه) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها (ومنه) عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار (ومنه) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء (ومن البخاري) رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه (وهم اليوم) قد جاوزوا الحد في ذلك يشتم بعضهم بعضا دون أجنبي بينهم يكفهم قد كفوا الاجنبي أمرهم ولا يهتمون لذلك ولا يرجعون عنه (ولو) قدرنا ان أحدا نبههم على ما فيه من شدة القبح لجمع على منعه فمنهم من يسخر منه ومنهم من يقول ان هذا بسط لا حقيقة وكل ذلك سببه المربان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع (الاثرى) ان من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الامر سواء بسواء (ثم) ان الخادم اذا فرش السجادة يجعل فتحها الى الجانب الايسر ويعللون ذلك بانه اذا جاء أحد يريد أن يجلس معه فيجلسه لناحية اليمين ليكون ذلك أسهل عليه في فرشه له اذ ذاك ويعللونه بوجه آخر وهو أن القلب في جهة اليسار فينبغي ان يكون فتحها تلك الجهة تفاؤلا بالفتح وهذا ليس من التفاؤل في شيء لان التفاؤل الشرعي انما هو ما كان عن غير قصد وما ذكروه كله يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والسجادة مكروهة في الشرع ابتداء الا من ضرورة كما تقدم فكيف تفاصيلها فمن باب اولى واحرى (ثم) انه مع ذلك يطوى طرفها من جهة القبلة من ناحية المشرق فاذا علم الوارد موضع السجادة ذهب الى موضع قضاء الحاجة كانت

له حاجة أولم تكن كان على وضوء ولم يكن فيأخذ الابريق فيدخل به الى الخلاء ثم يخرج الى موضع الوضوء والابريق بيده فيضعه فى موضعه الذى أخذه منه ويجعل بزبوزه الى جهة القبلة ويملؤه وكذلك فى كل موضع يضعون الابريق فيه انما يكون مستقبل القبلة وهذا أيضا يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم (وهذه) الآداب الشرعية مثل استقبال القبلة وغيرها انما الخطاب بها المكافون والابريق لا يتوجه عليه خطاب ولا أمر الشرع فيه بشئ والتزام هذه الاشياء فيه ضيق وحرج (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ماتركته ليكم فهو عفو (واذا) كان الامر كذلك فلا حرج فى وضع الابريق على أى صفة كانت وكذلك فى بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امتثلناه على الرأس والعين ومالم يرد فيه شئ فقد وسعه الله علينا فلا نضيق على أنفسنا باصطلاح من ليس بمعصوم (ثم) يتوضأ فاذا فرغ منه مشى بتؤدة الى موضع السجادة وهو مع ذلك لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد لا بسلام ولا بغيره فاذا جاء الى السجادة قدم رجله اليمنى فوضعها على طية السجادة ثم قدم رجله اليسرى فوضعها الى جانبها على الطرف المطوى كما هو ثم يقدم رجله اليمنى فى وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية بيده أو بقدمه ويصنع هذه الطية قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك غيره وهذا كله من محدثات الامور التى ليس لها أصل فى الشرع الشريف فتعين اطراحها وترك المبالاة بها (ثم) يصلى ركعتين والصلاة بهذا الوضوء فيها ما فيها الان هذا الوضوء ان كان لاجل دخول الرباط ليس الا فلا شك انه لا يستباح به الصلاة كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن توضأ للاكل والشرب أو دخول السوق فلا يؤدى به عبادة يشترط الوضوء فيها وان توضأ لدخول الرباط والتحدث فيجرى فيه الخلاف الذى بين العلماء اذا أشرك فى النية هل يجزيه أم لا وأقل ما فيه مما لا ينبغى ان هذا الفعل كله انما هو لاجل رؤية الناس له وانهم لا يتركونه يدخل الرباط الا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينة والمريد لا يسامح نفسه فى شئ من هذا كله فينبغى له أن يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلاة ويتوب من عمل عمله لاجل رؤية

الناس

الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتي الذكر أتى اليه بعض أهل الرباط فسلموا عليه وبسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعانقهم وهذا الذي فعلوه من سلامهم عليه وبسطهم له هو السنة عند اللقاء فاخرجوه عن موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه وأما قيامه لهم فليس من السنة في شيء لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه عليه واما المعانقة ففيها اختلاف بين العلماء ومذهب مالك رحمه الله كراهتها (ثم) انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم الذي لا يخلو في الغالب من التضييق والتركية وترفيع بعضهم لبعض بأشياء الغالب عدم بعضها الامن وفق الله تعالى وقليل ماهم (واحتجوا) على استحباب هذه الاصطلاحات واستحسانها وامر الفقراء بها بان مشايخهم قد قرروا لهم ذلك ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم مما يقع فيها فتكون آداب الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة يحسنون الظن بمشايخهم وقد أمروهم بذلك فلا عتب عليهم في فعله بل هم في عبادة وخير وهذا الذي قالوه ليس بالبين لانه لو أجاز العلماء مثل هذا لكان ذلك كله ذريعة الى نسخ الشريعة بالآراء وغيرها فكل من ظهر له شيء أو استحسن شيئا جعله أصلا معمولا به ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى من الزيادة فيه والنقص منه (ولا حجة) في كون الفقراء يحسنون ظنهم بمشايخهم لان تحسين الظن بهم له مجال متسع مادام واعلى الاتباع للسنة والسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين فحينئذ يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى وأنجح بل أوجب مع سلامة الصدر ان قال ما قال اذ انه لم يقصد الا خيرا ولكن المريد يتعين عليه أن يكون ميزان الشرع في يده فان من وفى واعتدل فهو غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتداء به فيما خالف فيه السنة اذ انه لا يتبع أحد في الغلط (وانظر) الى قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الورود على الحوض فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا أي فبعدا بعدا (واذا) كان كذلك فقد وقع البعد بسبب التبديل ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان

الامر كذلك فلا ضرورة تدعو الى الوقوع فى مثل هذا الاحتمال والمقصود أن تكون السنة واتباع السلف رضى الله عنهم هما الاصل عنده فلا يعرج على غيرهما ولو قال من قال (ولاجل) هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله وماذاك الا أن المريد محافظ على السنة فاذا استأذن ووقف بالباب حتى يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعى علم انه مريد لامتثاله هذه السنن الثلاث الاترى الى ما حكى عن بعضهم انه جاءه مريد لزيارته فقدم اليه شيئا للاكل فتناول المريد لقمة باليسار فقال له المزور من شيخك يابنى فقال له ياسيدى الناحية اليمنى توجهنى فقال له كل رضى الله عنك وعمن ربالك وقد تقدمت هذه الحكاية لان السنة فى ابتداء الاكل ان يكون بناحية اليمين فلما أن رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ما وقع فيه من مخالفة السنة فكان فى المريد من اليقظة والحضور ما فهم به مراده فأجابه فهكذا تكون المحافظة على السنة والاتباع وفقنا الله لذلك بمنه (وقد تقدم) فى لباس العالم وتصرفه ما فيه غنية عن اعادته فى حق المريد لكن المريد يكون أشد حرصا على الاتباع لانقطاعه الى الله وتبتله اليه وقد تقدم ما فى تلك الثياب المذكورة من السرف فكذلك ما يشبهها أعنى من الوسع فى الثوب الذى لاضرورة تدعو اليه وان كان ثوب المريد قصيرا فى الغالب لكنه احتوى على شيئين قبيحين مخالفة السنة ووجود السرف فيه أعنى فى الوسع الخارق الذى يفعله بعضهم

(فصل) واعلم ان طريقة الصوفية نظيفة وأقل شئ يدنس النظيف لاجرم أنه قد كثر التدليس والتخليط وظهر وسبب ذلك ان كل طريقة ادعاها الانسان فضحته فيها شواهد الامتحان الا هذه الطريقة فانه لا يفتضح فيها غالبا وذلك لوجهين احدهما ان طريقهم مبنى على الفتوة والستر والعفو والصفح والتجاوز والاغضاء عن العيوب وكل من ادعى شيئا مخالف طريقهم ستروا عليه وجروا عليه أذيال الفتوة والثانى ان كثيرا من تغير عليه فى هذا الزمان أقل ما يقع منه ان يقول لك حسدتنى ويقوم فى جمعيته كثير من الناس فتتداعى الفتن وتكثر الى غير ذلك من المحظوظ التى تعتورهم وهى كثيرة ولاجل ذلك سكت من سكت من أهل الصدق والاتباع فظن

من لا علم عنده بحالهم السيئ ان سكوتهم رضا منهم بشيء مما رأوه أو سمعوه الا ترى انهم اذا وجدوا من يقبل الحق منهم ألقوا اليه ما يخاصون به مهجته من هذه الخمرات ومروا به واقبلوا عليه لا لحظ دنيوي بل يفعلون ذلك فرحا منهم بهداية شارد من باب ربه عز وجل مضطرا الى من يوصله اليه (وقد ورد) في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فاذا وجد أحدهم السبيل الى شيء من هذا بادر اليه وان كان ضده تغافل وتناسى لاجل ما تقدم (وقد تقدم) ان اللعين بمكيدته وشبكته يتتبع السنن واحدة بعد واحدة يريد بذلك ان يبدل مكان كل سنة ضدها (الا ترى) أنه لما ان وجد المريد أكثر لباسه على ما ينبغي من القصر وغيره أدخل عليه دسيسة قل من يشعر بها وهي وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيئان مما لا ينبغي وهما اضاعة المال وهو محرم ومخالفة السنة وكفى بهما وقنع بذلك من بعضهم ودس زيادة على ذلك وبدل ما هو أكبر من هذا وأكثر لكثير من العرب في طول ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تجر على الارض وهذا محرم في حق الرجال متأكد فعله في حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد في ثياب بعض من ينسب الى العلم قريبا مما سبق في ثياب العرب (فالحاصل) انه حرم كل طائفة من الاتباع وأوقعهم في ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما ألقاه اليه من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما ألقى اليهم من التعليل لكل واحدة لان من عادته الذميمة تعليل ما يلقيه اليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك أدعى الى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا اليه راجعون على ما حصل من الغفلات عمن لا يغفل عنا ولا ينسانا وفي التلويح ما يغني عن التصريح والله المستعان بمنه وكرمه

(فصل في ذكر بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الارادة) وهذا باب متسع متشعب قل ان تنحصر مفاسده أو يتعين ما وقع منه لكثرته (لكن) نشير الى شيء منه ليستدل به على ما عداه والله المستعان (فمن ذلك) ان كثيرا من الناس يدعي الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتي بحكايات من تقدم من الاكابر ويطرزها كلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله

وان عنده من ذلك طرفا (و بعضهم) يزعم انه حصل له من ذلك الامر حاصل ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والمراءى التى يختلقها من تلقاء نفسه سيما والعياذ بالله تعالى ما ابتلى به بعضهم من تحريه ودعواه رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وانه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعى رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو فى اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الامر الامن كان على صفة عزيزة وجودها فى هذا الزمان بل عدمت غالبا مع اننا لا ننكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم (وقد) أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبى صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء والرائى فى دار الفناء (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يحل هذا الاشكال ويقول ما قاله هذا القائل صحيح ولكن يرده ما ورد ان الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه و يقول عز وجل اوليائى لم أزوعنكم الدنيا لهوانكم على ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندى اذهبوا فاخترقوا الصفوف فمن سلم عليكم من أجلى أوزاركم من أجلى أواطعمكم لقمة من أجلى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة فيأتون الى المحشر وهم يجرون أذيال الفخر فيقول أهل المحشر بارينا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم فى الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت فى اليوم سبعين مرة أو كما قال (وقال) سيدى أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم ير الحق فاذا كان المرء اذا مات موتة واحدة رأى الحق فما بال بسبعين مرة فى كل يوم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فذهب الاشكال والحمد لله وظهر الصواب والله المؤمل فى الثواب (ومنهم) من يشير الى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عرى عنها بالانصاف بضدها (ومنهم) من يدعى رؤية المشايخ ولقيهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رآهم ومنهم من يدعى صحبة بعض الشيوخ والاهتداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقهم بل رأى بعض من صحب الشيوخ وحكى عنهم فحكى ذلك عن نفسه (ومنهم) من يدعى رؤية الخضر ثم ان بعضهم يؤكد ذلك باليمين ليكون أدعى للقبول منه حتى لقد قال بعض من

ينسب اليه شئ من هذا ان الخضر يأتيه فى كل يوم ويقف على بابه أو دكانه
ويتحدث معه وهو يبيع ويشترى وذلك كله تقول وافتعال لا أصل له
ولا فرع مع ان هذا لا ينكر اذا وقع من أهله فى محله (ومنهم) من اذا أراد أن
يلقى شيئا مما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله
تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم يحلف عند
ذلك انه رأى ورأى وانه خوطب فى سره والغالب أنك تجد كثيرا من العوام
لغلبة الجهل عليهم يأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا موه عليهم أحد
من أهل التمويه انقادوا له وقالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التى يدعيها اسأل
الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه (وبالجملة) فأحوالهم الرديئة لا تنحصر وفيما
وقع التنبيه به كفاية ومقنع هذا حال المستترين منهم (وأما غيرهم) فقد
خرقوا السياج وليس العجب منهم بل العجب ممن يعتقدهم أو يميل اليهم مع
ما هم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من انه يظهر للناس
الزهد فى الدنيا وترك المبالاة بها حتى انه يجلس مكشوف العورة وقد تقدم
ذلك (ومنهم) من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بمرأى من الناس وذلك
انه لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرا اذ ان من شرط المعجزة اظهارها
والتحدى بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا اظهرها للناس فقد
خرجت عن باب الكرامة (اللهم) الا ان تقع ضرورة شرعية محوجة الى
اظهارها (مثل) ما حكى عن بعضهم انه كان فى مركب موسوقة قمحا فهاج
البحر عليهم وكان القمح لبعض الظلمة السلطين على الخلق فى وقته فسمع
النواتى وهم يقولون ان هذا القمح مكبل علينا فان نقص منه شئ أخذنا
الظالم به فالرأى ان نرمى الركاب فى البحر ويبقى القمح فلما ان سمعهم قال لهم
ارموا القمح فى البحر وانا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق
الا القليل فسكن البحر فلما ان وصلوا الى البلد طالبوه بما التزمه فأمرهم ان
يأتوا بالكيالين فجاءوا بهم فقال اكتالوا ما بقى من القمح فاكتالوه فوفى ما عليهم
أعنى ما كان على النواتى مسطورا ثم رد رأسه الى أصحابه وقال لهم والله ما
علمتها الا حقنا لدماء هؤلاء المسلمين (فما) كان مثل هذا فهو الذى يظهر منه
للضرورة الشرعية مع ان لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تمد على من

السياج كسكاب ما يحاط به اه

دخلها ممن استعمل تلك الادوية (لكن) لو حضر أحد من أهل السنة ودخلا معا لاحترق صاحب البدعة والزعبلة وخرج المحق سالما (وقد) وقع ذلك فى حكايات يطول تتبعها منها الحكاية المسندة فى مصباح الظلام للشيخ الامام الجليل أبى عبد الله بن النعمان رحمه الله وما جرى للسنى والبدعى فى دخولهما النار فخرج السنى ولم يحترق وبقى البدعى حمة اه (وقد) كان بعض من ينسب الى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لى سيدى أبو عبد الله الفاسى رحمه الله والله لولا انى أخاف من سيدى الشيخ ان يطردنى لاخذت الشيخ نفسه ودخلت أنا واياه النار حتى ننظر من يحترق فينا (وقد) كان ببلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعى الولاية وخرق العادة وكان اذا ورد عليه الفقراء والاضياف يعمل لهم فطيرا ويفته فى قصعة ويؤتى بها اليه فينصب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل نحل فيلت به ويطعمه من هناك حتى يكفيهم ثم يرسل يده فينقطع فصنع به بعض الاكابر فى وقته فجاء اليه فلما أن جلس عنده قال له نريد أن تطعمنا من هذه البسيسة التى تطعم الناس منها فقال نعم فامر بالفطير على العادة فاحضر فمد يده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شئ فقال له وأين ما تدعيه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقا ما انقطع لان الباطل اذا حضره الحق زهق ثم عزره ووبخه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبوال الشياطين وأنزجه عن ذلك الحال وتوبه عنه (ومنهم) من يظهر الكرامة بامساك الثعابين والانس بها وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الامة بالاحقية له اذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يعد كرامة (ومن) ذلك أيضا ما يفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرأى من الناس وذلك محرم أن لو كان صحيحا الان أكلها لا يجوز الا بعد تذكيتها عند من يرى أكلها وهم يأكلونها من غير تذكية بل يؤدبون على كل أكلة من أكلاتهم تأديبا بليغا رادعا ثم ان كان ذلك من غير حقيقة فهو من صنعة النار نجيات والسيمياء وماشا كلها وليس من باب الكرامة فى شئ (وكنت) أعهد مثل هذه الاشياء ببلاد المغرب تفعل على أبوابها ويتضاحك الناس عليها فى لهوهم ولعبهم ويستغنون بسببها وهم فى هذه البلاد فى بعض الاماكن

يعذونها

يعدونها من الكرامات ويعتقدونهم بسببها (ومنهم طائفة استسنت سنة سيئة وهم الذين يحلقون لحاهم وذلك مخالفة للسنة وارتكاب للبدعة لغير ضرورة شرعية وأما اذا كان للضرورة مثل التداوى وغيره فجائز (ومنهم) من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئا من شعور ابدانهم ويعللون ذلك بأنه من حسن الصحبة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله (ومنهم) من يلبس اللبف والاشياء التى لا تستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا ايضا من المثلة والشهرة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذ أنه لا يجوز كشف العورة فى الصلاة ولا غيرها (وأشنع) من هذا كله واقبح ما اتخذه بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين فى يديه كما تتخذهما المرأة من الفضة والذهب (وبعضهم) يجعل فى عنقه طوقا من حديد كالقفل بل هو نفسه ويعلقون فى آذانهم حلقا من حديد (وبعضهم) يجعل على ذكره طوقا من حديد كالقفل ويزعمون ان شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه بهم ويأمرونهم أن يلبسوه لمن اقتدى بهم ويقولون ان ذلك قفل على محل المعاصى حتى لا ترتكب ولا يخفاه فى تحريم هذا وشناعته وقبحه وانه لا مدخل له فى الشرع الشريف (ثم) مع ادعائهم ان ذلك قفل على محل المعاصى يأتون بنقيض ما زعموا وهو ان فيهم شبانا لهم صور حسان وهم مقيمون معهم مساء وصباحا ويخلو بعضهم مع بعض دون نكير (وقد) قال بعض السلف رضى الله عنهم لان أوتمن على سبعين عذراء أحب الى من ان أوتمن على شاب (وبعضهم) يتخذ حديدا كالعمود يمشى به فى يده (وقد ورد) ان الحديد حلية أهل النار (وقد ورد) من تشبه بقوم فهو منهم فيقعون فى هذا المحظور العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل كل ذلك سببه مخالفة السنة المطهرة (وأشد) من هذا كله ان اكثرهم يدعى أنه على الحق والصواب وان طريقته هى المثلى (ومنهم) قوم تنزهوا عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقعون فى أشياء رذلة نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه عنها وهى عندهم كأنها من شعار الولاية (فمن ذلك) اتخاذ بعضهم الأعلام على رأسه وهو لا يخلو اما أن يكون وليا لله تعالى على ما يزعم أم لا فان كان

وليسا فالولى لله تعالى لو قدر ان يدفن نفسه او يكون ارضا يمشى عليه لفعل حتى لا يكون مع الناس بالسواء فكيف ينشر الاعلام على راسه وهذا من باب الشهرة والدعوى واهل الايمان برءاء من ذلك كله (الا ترى) الى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه لما ان سأله ان يعظ الناس ويذكرهم فقال له انت تريد ان تقول انا تميم الدارى فاعرفونى (فكل) من اراد الظهور فليس من اهل الطريق فى شئ بل هو عكس حالهم ولو لم يكن فيه الا انه بدعة ممن فعله فكيف بانجرار هذه المفاسد التى وقعت بسبب الاعلام اذ انهم يجتمعون رجالا وشبانا فاذا اشرفوا على بلد ذكروا الله تعالى جهرا يرفعون بذلك اصواتهم ولا يقصدون به الذكر ليس الا بل الاعلام لاهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى يخرجوا الى تلقيهم فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم رجالا ونساء واختلطوا بهم فصاروا مجتمعين رجالا ونساء وشبانا وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة ان المراة لا تخرج من بيتها الا لضرورة شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة المتقدم ذكرها من الستر والمشى مع الجدران ولا تتكلم الا لضرورة شرعية وهن اذا خرجن للقائهم خرجن منكشفات فى الغالب وان تستر بعضهن فبعض تستر يرفعن اصواتهن بالزغاليط ويسمعهن اذ ذاك ضجيج وذلك كله بمرءى من الشيخ وعلمه بهم فما اقبح هذا وابعده ممن ينتمى الى طريق اهل الدين والصلاح فكيف بمن يزعم انه يدعو الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون على انعكاس الامور (وبعضهم) يزيد على ذلك فعلا قبيحا فيه اضاعة المال وهو وقود الشمع نهارا حين يتلقونه ويقصدون بذلك القربة الى الله تعالى وهيهات هيهات التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بامتثال اوامره لا بالوقوع فى نواهيه بل هو نفس البعد والقلا اسأل الله العافية من ذلك كله بمنه (ثم) مع ذلك ينزل على اهل تلك البلدة بالجمع الذى معه ومفاسده قل ان تحصر فمن ذلك انه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم اشياء من الاطعمة تليق بهم ويتفاخرون بذلك وبعضهم يعيب على من اتى بطعام لا يختارونه وليت هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يقسطون

قوله الزغاليط قال فى شفاء الغليل زغلط الصوت بالسانه بغير وزن كلغطه لسانه الهر بالحديد بمعنى ضار يضاغ غناء الطير للدوح مرقص * ومن طرب بالزهر فيه بقط وللناس فى عرس الربيع مسرة * وللخلق حتى الفرقد بزغلط

وفى شرح القاموس ان زغردة النساء فى الافراح من زغردة الطير اه واما الزغاريت او الزراغيت فهو كما اه ومعنى زغردة الطير هديره الذى يردده فى جوفه اه

ما ينفقونه فى تلك الضيافة على الرؤس من غنى وفقير ومضطر ومحتاج واكثرهم يتداينون بسببها وبعضهم يعجز عن شئ يعطيه وعمن يدانه فيهرب قبل وصول الشيخ الى البلد فيتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ماوجدوا من دجاج أو داجن وبعض من يعجز عن الهروب يمتحن مع كبراء أهل البلد بما يوجبون عليه مما لا قدرة له به وتفاصيل أحوالهم فى هذا المعنى تطول (وقد) قال عليه الصلاة والسلام أنا وأمتى برءاء من التكلف ولو لم يكن من التكلف لهم الا علف دوابهم لكان فيه من المحرم ما فيه (ثم) مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا اليه ما يأخذونه من الهدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولاصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذى نزلوا عنده فهذه الوظائف أعنى الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بد له منها حتما ثم انهم لم يقتصروا على ذلك الاخذ للشيخ وحده حتى يأخذ والخادم السجادة وقد تقدم ان السجادة فى نفسها بدعة فكيف يتخذ لها خادم ثم يأخذون لخادم الابريق ثم لخادم السماط ثم لخادم العكاز ثم لخادم الدابة أو الفرس ثم المزمرون الذين معه (ثم) مع هذه الاحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا (ثم) انهم لم يقتصروا على هذه المفاسد حتى آخى بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاء فى ذلك (ثم) انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقعد بعض النساء يلبسن بعض الرجال ويزعمون انها أخته من الشيخ وقد آخته فلا تحتجب عنه اذ أنها صارت من ذوى المحارم على زعمهم وكتب العلماء والحمد لله بين أيدينا وليس فيها لشئ مما ذكروه بل افتعال منهم وتقول باطل فمن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب أمرا عظيما يجب عليه أن يتوب ويقلع عما هو بسبيله من المخالفة والضلالة (فاذا) علم هذا من أحوال بعضهم فأى فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق باخذ المال والاذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشا عن مثل هذه الرذائل وينزه منصبه عنها فلا يأكل الا من أقطاعه مع ان الوالى مأمور بالاقتداء بالفقراء المتبعين فصار الامر بالعكس اذ أنه يتعين على من اتصف بشئ مما تقدم ذكره فى أمر من انتسب الى الفقراء أن يقتدى بالوالى فى هذا الفعل

الحسن (وزاد بعضهم) على هذا شيئا قبيحا وهو استهتار فى الدين وزندقة فيقولون المال مال الله ونحن عيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لانا شركاؤه فيه وهذا منهم حل ونقض للشريعة المطهرة وقد أبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال الله تعالى فى كتابه العزيز ويأبى الله الا أن يتم نوره فالشريعة والحمد لله مصونة عن الزيادة فيها والنقص منها فلا تزال على صفة الكمال حتى يأتى امر الله (ثم العجب) ممن يدعى المشيخة منهم والهداية لطريق القوم كيف يعطى الاجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة ولو سالته عن فرائض الوضوء او سننه أو فضائله وكذلك فى الغسل أو فى التيمم أو فى الصلاة لجهل ذلك غالبا (وقد) قال بعض العلماء اذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك لو سالته عن مفسدات الصلاة لما علمها وكذلك لو سالته عن حكم السهو اذا طرأ عليه فى صلاته لما علمه (فاذا) كان هذا حاله فى أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به فى غيرهما (وقد تقدم) ان من لم يأخذه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة فبعيد أن يؤخذ على سر من أسرار الله تعالى (فاذا) كان هذا حال الشيخ فى جهله بمبادى امر دينه فكيف بمن يصحبه أم كيف بمن يجيزه اذا الغالب ممن ينتمى الى مثل هذا انه لا يباشر العلماء اذ لو باشرهم لانكر عليهم ما هم فيه فكيف يصحبهم أو يتبعهم على ان هذه الاجازة والحالة هذه لا أصل لها فى الدين ومع كونها لا أصل لها فالاجازة التى يعطونها شبيهة بالظلم ألا ترى انهم لا يعطونها فى الغالب لمن سألها حتى يعطى على ذلك عطاء جزيلا بحسب حالهما ويسمون ذلك بشكر ان الدخول فى طريق القوم فيعطى الشيخ ما يليق به ومخدام الشيخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم وكذلك الاكابر اصحاب الشيخ المذكور ولا بد من ليلة يطلبونها منه للسماع كل على قدر حاله ويختلطون كما تقدم (ثم) مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الاجازات ان طعن فى السن وان له ثبوت فى العقل من الكهول بل يعطونها للشبان المردان ولهم صور حسان فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين فى بعض الاحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم من أجل الاجازات التى

بايديهم هذا حالهم مع من سال الاجازة منهم (واما) من لم يسالها فهو على قسمين اما ان يكون له وجاهة او جدة او احدهما ويعلمون من حاله انه يميل الى شئ من احوالهم واما ان يكون عاريا عن الوجاهة والجدة وهو مع ذلك متشوف للاجازة كالاول (فاما الاول) فيعملون عليه الحيل فى ربطه عليهم وسكونه الى قولهم والرجوع اليهم فاذا ظفروا منه بذلك كلفوه التكاليف التى تضر بحاله وحال عياله غالبا (واذا) كان كذلك فلا فرق اذن بين من هذا حاله وبين الظلمة الا ان الظلمة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخديعة (واما) ان كان فقيرا لا مال له ولا وجاهة فانهم يستفدمونه المدة الطويلة ليحصل لهم من تكاليف الناس والتسلط عليهم والالحاح عليهم بالمسئلة على الغنى منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يرضيهم كالاول وهذا امر لا يمس اخلاق المسلمين فى شئ اذ ان من اخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة ورحمة بعضهم مع بعض نسال الله السلامة من بلائه بمنه وكرمه

(فصل) ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادى امر دينهم كما تقدم فكيف بالانتهاء الى المشيخة (وقد) قال اهل التحقيق من اهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كانه فى كفه يعنى من قوة معاينته له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهة (هذا) حال الفقير المنفرد بنفسه دون ان يصل الى اقتداء الغير به (واما) الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك وهى ان تكون قلوب اصحابه كانها فى كفه وكذلك احوالهم فى تصرفاتهم وخواطرهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيريهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبههم على ذلك بحيث لا يشعر احد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك فى بعض الاحيان ولهم فى معرفة هذا امور وتصرف لا يعرفه غيرهم فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة اعنى انه لا يعرف ما زاد فى حال اصحابه وما نقص فى غيبته فلا يدعى المشيخة ولا الهداية بل اخوان يجتمعون يتذاكرون فى مسائل الدين ومناقب اهل الاحوال السنية فلعل بركة ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون ان يدعى احد منهم حالا او مقاما هذا حال القوم مع

وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق والركون الى مولاهم فى دقيق
الامور وجليلها والتزام الوقوف ببابه سبحانه وتعالى ومع هذه المقامات
العليه والاحوال السنيه لايدعون لانفسهم حالا ولامقالا بل يقول
اكثرهم الى الآن ما أحسن ان أتوب حتى قال قائلهم

يظنون بى خيرا ومابى من خير * ولكننى عبد ظلوم كما تدرى
سترت عيوبى كلها عن عيونهم * وألبستنى ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبونى ولست أنا الذى * احبوا ولكن شبهونى بالغير
فلا تفضحنى فى القيامة بينهم * ولاتخزنى يارب فى موقف الحشر

(وقد) قال بعض السلف الصالح رضى الله عنه لولده لما ان رأى منه شيئا
لايعجبه يابنى أما تعرف قدرك فقال وما قدرى فقال له أمك اشتريتها
بأربعمائة درهم وأبوك لا كثر الله مثله فى الاسلام (هذا) مقالهم مع وجود
الاحوال السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطى الاجازات
وتنصب بين يديه الاعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون (وبعضهم)
يدعى الولاية ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صوّرلها
وجها وعينين وأنفا وفما ويأخذ بيده شيئا كأنه سوط ويركب تلك الجريدة
ويمسكها بسير أو خيط كأنه لجام لها ويضربها ويجرى (وبعضهم) يعلق فيها
جرسا فاذا مشى يسمع له صوت قوى فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان
غالبا وقد يدخلونه بيوتهم ولايخفى منه أحد كأنه امرأة من جملة نسائهم
ويعينون على من استتر منه ويقولون هذا موله (وهذا) أشد قبحا من الاول
لانه قد ينفرد وحده فيجد السبيل الى ما تسوّله له نفسه من الرذائل بخلاف
من تقدم ذكرهم (فكيف) يدعى الولاية مع ارتكاب نهى صاحب الشرع
صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول من صوّر صورة عذب حتى ينفخ فيها
الروح وليس بنافخ فيها أبدا (ولا فرق) بين من صوّرها أو استعملها أو رضى
بها وما العجب من هذا بل العجب ممن تلبس بشئ من العلم وهو مع ذلك يعتقد
من هذا حاله ويصوّب فعله بان يقول هذا ولى لله وانما هو يخرب على نفسه
وتخريب هذه الطائفة انما يكون بما لم يعارضهم فيه أمر ولا نهى وهذا قد
عارضه النهى الصريح كما تقدم (ولو لم يكن) الجريدة صورة لاحتمل التقريب

وغيره (هذا) ان كانت أوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك فى سائر التكاليف الشرعية وهو يظهر الوله فيما عدا ذلك فهذا محتمل مع أنه لاضرورة دعت الى الدخول فى هذا الاحتمال اذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذ العلماء والاولياء محفوظون فى ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لاتخلو منهم الارض الى أن تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

(فصل) ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها مفسدة أخرى وهى أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول فى الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه وأتباعه (وبعضهم) يحلقون شعر رأس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الرأس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان فى عهد السلف رضى الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول فى الطريق وأما حلقه لكثرة الدواب أو غيرها فهو جائز غير مكروه

(فصل) ومن هذا الباب أيضا مايفعله بعضهم من تعليق السبحة فى عنقه (وقد تقدم) قول عمر رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى وما كان مراده الا أن يذكر الناس بالاحكام الشرعية المأمور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتزين بها الامدخل لها فى ذلك بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية (وقريب) من هذا مايفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة فى يده كاتخاذ المرأة السوار فى يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس فى مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها فى ذراعه وبعضهم يمسكها فى يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه بعد مايذكر عليها وهو يتكلم مع الناس فى القيل والقال وماجرى لفلان وماجرى على فلان ومعلوم أنه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل اذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار فلم يبق الا أن يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة (ثم) العجب ممن يعد

على السبحة حقيقة ويحصر ما يحصله من الحسنات ولا يعد ما اجترحه من السيئات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فأرشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء لنفسه فيما يتصرف فيه باعتقاده وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة فما وافق من ذلك حمد الله عز وجل وأثنى عليه وبقي خائفا وجلا خشية من دسائس وقعت له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة في ذلك ورجع الى الله تعالى بالتوبة والاقلاع فلعل بركة التوبة تمحو الحوبة ويخبر بذلك ما وقع له من الخلل (وهذه الطائفة) أصل عملها التحفظ من السيئات والمواجس والخواطر ثم بعد ذلك يأخذ في كسب الحسنات (وقد) قالوا ان ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات (لما) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس (وقد) حكي عن بعضهم انه بكى أربعين سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافني اخ لي فقدمت له سمكا فأكل ثم أخذت ترابا من حائط جارلي فغسل به يديه فأنا أبكي على ذلك التراب الذي أخذته منذ أربعين سنة (وحكي) عن اخر مثله فسئل عن ذلك فقال طلع لي طلوع فرقيته فاسترحت فأنا ابكي عليه لعدم رضاه بما فعله الله في أو كما قال (وأحوالهم) في هذا المعنى قل ان تحصر فاذا كان هذا حالهم في مثل ما وصفناه عنهم فما بالك بمن يحمل الاثقال وأي أثقال ثم يحصر الحسنات ولا يفكر في ضدها فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان بعضهم يحتج بأنها محركة ومذكرة فواسوأتاه ان لم يكن التحريك والتذكير من القلب فيما بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى (وقد) تقدم ما ورد في الحديث ان عمل السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا (هذا) وهو عمل فما بالك باظهار شئ ليس بعمل وان كانت صورته صورة عمل ومازال الناس يخفون أعمالهم مع وجود الاخلاص العظيم منهم وهم مع ذلك خائفون وجلون من دخول الدسائس عليهم فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون (وبالجملة) ففعل ذلك فيه من الشهرة ما فيه (وقد) تقدم ان التاجر ينبغي له ان يكون عارفا بجملة ما يتجر فيه فلا يترك ماله فيه سبعون ضعفا ويأخذ ماله فيه شئ واحد هذا مع السلامة من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به

176 Rosary or Knuckles?

مع وجودها (ثم) انه مع ذلك يحرم نفسه فضل الذكر وعود بركته على اعضائه وجوارحه فلو كان يسبح ويعد على أنامله لكان نور ذلك الذكر وبركته فى أنامله (وقد ورد) ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أزواجه فرأى نورا فى طاق فقال ما هذا النور الذى فى الطاق فقالت يارسول الله سبحتى التى كنت أسبح عليها جعلتها هناك أو كما قالت فقال عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور فى أناملك فهذا ارشاد منه عليه الصلاة والسلام الى الافضل والأولى والأرجح وقاعدة المريد أن لا يرجع الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو أفضل منه وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله اذا قرأ فى الختمة يجعلها على ركبتيه معا ويمسكها بيده اليسرى وجميع أصابع يده اليمنى تمر على الحروف التى يتلوها ويتعمد ذلك ويعلله بأن يقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة لكى يكثر الثواب بذلك فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل) ومنهم من بالغ فى أخذ العهد الى حد لا شك فى تحريمه وابطاله فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذه عليه ان المأخوذ عليه لم يبق له تصرف فى ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف فى ذلك كله للشيخ فان أراد أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك (ثم) انهم مع هذه الشروط التى يشترطونها لو تصرف الشيخ فى شئ من ذلك لكان سببا للقطيعة والترك وليس هذا من صفة القوم ولا بمأثور عنهم (ومنهم) من يأخذ العهد على أن ينتمى لفلان من المشايخ دون غيره حتى كأن الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون اليهم كما ينتسب أهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق المحمدى أين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم تعصبات وشنآن كثير حتى صاروا أحزابا ووقع بعضهم فى حق غير شيخه الذى ينتمى اليه أعاذنا الله من بلائه بمنه والطريق المحمدى غير هذا كله (ولذلك) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول طريق القوم واحدة (وكان) سيدى أبو محمد بن أبى جمرة رحمه الله يقول سنة الاحباب واحدة يعنى أن مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابتداع (ولا) يظن ظان ان ما تقدم ذكره فيه انكار لاخذ العهد من أهله لاهله بشرطه

Blessing & rubbing the Luram with finger tips!

المعتبر عندهم اذا نه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ننكر ايضا
الانتماء الى المشايخ بشرطه وهو ان يكون عند المريد شيخه وغير شيخه
بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابتداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب انه
كان وصوله الى الله تعالى على يديه فيرى له ذلك فبهذا الاعتبار يقع التفضل
لشيخه والاختصاص به دون غيره (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له
حتى تروا انكم قد كافأتموه (وقد كان) سيدي ابو محمد رحمه الله ياتي ان
ياخذ العهد على احد فسألته ما الموجب لذلك أهو بدعة قال لا ولكن
عبد الله يعني نفسه ليس كغيره فاخاف ان اخذت العهد على احد فقد
لا يوفي بما اخذ عليه من العهد فيقع له التشويش واكون السبب في ذلك
فاتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم واعوض عنه الدعاء لهم بظاهر الغيب
بالاستقامة او كما قال (والحاصل) من اخذ العهد هو ان ياخذ الشيخ العهد
على المريد بانه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره وهذا هو زبدته
واصله وبقيت تفاريعه على هذا الاصل قبل ان تتناهى وهي الامانة التي
عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوما
لنفسه جهولا بامر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والا فكثير من وفى والحمد
لله وكثير من دخل في جاه من وفى (ولاجل) هذا المعنى بقي كثير من المحققين
يفتقرون الى المشايخ ليكونوا في حرمتهم (واليه) الاشارة بقوله في الحديث
اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم
(فكما) لا يشقى بهم جليسهم كذلك لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم (وقد)
خرج الترمذي عن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم الى
الصلاة فلما قضى صلاته قال أين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل انا
يا رسول الله فقال ما اعددت لها فقال يا رسول الله ما اعددت لها كثير صلاة
ولا صوم الا اني احب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المرء مع من احب وانت مع من احببت فما رايت فرح المسلمين بعد الاسلام

كفرحهم

كفرجهم بهذا الحديث (ولا) يظن ظانّ ان هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقته فى الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك فقال هو ذلك يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعنى على نفسك بكثرة السجود (لأن) هذا طلب منصبا عظيما فارشده عليه الصلاة والسلام الى الاسباب الموصلة اليه لقوله عليه السلام أقرب ما يكون العبد فى الصلاة وأقرب ما يكون فى الصلاة اذا كان ساجدا فارشده عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار وهى واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد جعلت السعادة لمن نالها (لقوله) عليه الصلاة والسلام لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها (فاذا) حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتنغيص (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل فى طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل ما فعله من الذنوب وفى هذا من مخالفة الشرع ما فيه (وقد ورد) ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لبعض من فعل الذنوب أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم (وقد ورد) كل الناس معافى الا المجاهرون (فاذا) جاء أحد لمن تقدم ذكره ليتوب على يديه أوقعه الشيخ باعترافه فى هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه (وفى هذا) تشبه بالقسيسين لان من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بان يسمى لهم ذنوبه ذنبا ذنبا ثم بعد ذلك يقبلون عليه (وقد) قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط أمور الدين بما ليس منه ولا فيه (ومنهم) من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد أو ارتكاب كبيرة ممن فعله (وذلك) ان بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب ان الجنابة تصيبهم فاذا اغتسلوا لم يمكنهم ان يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعى يجيز المسح على حائل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة (ثم ضموا) الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو أنهم معتقدون انهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية نسأل الله السلامة بمنه من بلائه (ومنهم) من يتعانى اتخاذ الحروز الكثيرة

ويجعلها فى عنقه كالقلادة للمرأة (ومنهم) من يجعلها على صفة أخرى يتوشح بها وهذا شهرة من فعله وشوه ظاهر وان كان يدعى انه فعل ذلك للتبرك والتحفظ من العين ومن مردة الجن فله طريق غير هذا بان يعلق ذلك عليه من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر وأما على هذه الصفة المذكورة فيمنع لمخالفته للسنة وللسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يأخذ سبحة كبيرة ويعلقها فى عنقه أو يتوشح بها ومع ذلك هو مشتغل بالقيل والقال والتحدث فى أمور الغيب اظهارا منه انه يكاشفها ويخبر بوقوعها (ومنهم) من يعوض منها خيطا من صوف على صفات وصبغ فيتقلدون به وذلك كله من الشهرة والشوه والبدعة والخروج عن الاتباع للسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا رذلا يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو أن يكون مع الناس فى الجامع ينتظرون الصلاة فاذا اقامت الصلاة وقام الناس اليها قام هو فى جلتهم فاذا ركعوا وسجدوا بقى واقفا ينظر اليهم لا يحرم ولا يركع ولا يسجد ثم يعادى على ذلك حتى يفرغ الناس من صلاتهم (واقبح) من هذا وارذل من يعتقد من هذا حاله ويرى انه ممن يتبرك به وأنه من الواصلين ويتأول بانه يصلى فى مواضع أخر وانما هذا منه تغريب على نفسه حتى لا يشهر ولا يعتقد وتاويلهم هذا من السخافة والحمق ومخالفة الشريعة المطهرة وعدم الغيرة فى الدين واصطلاحهم على الرضا بترك هذه الشعيرة العظمى التى هى عماد الدين ورأسه وأول أركانه بعد كلمتى التوحيد اذا من رأى ولم ينكر كمن فعل ولا ضرورة تدعو الى التغريب لان من مشى على لسان العلم واتبع الحق والسنة المحمدية واقتفى آثار السلف الماضين رضى الله عنهم سيما ان أنكر عليهم ما هم فيه من عوائدهم الذميمة المخالفة للسنة فالغالب من حال أهل هذا الزمان النفور منه لانهم يزعمون انه قد ضيق عليهم وهو انما ترك العوائد والابتداع واتبع السنة المحمدية وتمسك بها وعادة النفوس فى الغالب النفور من الحكم عليها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا حق ما أبقيت لى حبيبا (وقد) كان السلف رضى الله عنهم على عكس هذا الحال من اتبع السنة أحبوه واعتقدوه وعظموه ووقروه واحترموه ومن كان على

غير

غير ذلك تركوه واهملوه ومقتوه وابغضوه حتى كان من يريد الرفعة عندهم والتعظيم ممن لا خير فيه يظهر الاتباع حتى يعتقدوه على ذلك (واما اليوم) فيعتقدون ويحترمون من يفعل العوائد المحدثة ويمشي عليها ولا ينكر على أحد ما هو فيه فمن أراد التخريب في هذا الزمان فليتبع السنة المطهرة فانهم ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالبا لانكاره ما هم فيه حتى قد ينفر عنه أبواه وأهله وأقاربه لمخالفته ما هم عليه (ثم) ان المخرب لا يخلو حاله من أحد أمرين اما ان يعتقد حل ذلك أم لا فان اعتقد حله فهو كافر واما ان فعله مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق على ما قاله العلماء واما المكروه فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان المداومة على المكروه يفسق فاعله (ثم) انهم يتغالون في اعتقادهم فيقولون هذا بدل هذا فطاب الى غير ذلك وهذا اللفظ لا يحسن ان يطلق على من اتبع السنة وبذل جهده في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشيء من المحرمات أو المكروهات أو هما معا (ثم) ان المتبع من الناس في اعتقاده على قسمين (فمنهم) من يحمل جميع أفعاله وأقواله كلها على سبيل الورع فاي شيء فعله أو قاله أو أشار اليه من اتباع الامر واجتناب النهي مثل ان يقول هذا موضع لا أدخله لاجل انه مغصوب أو استعمل الملعون فيه الغصب أو غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بمتبع وقد دخله فلان وفلان ويحتجون بمن لا يحتج به وان كان في بعضهم أهلية للاحتجاج به فقد تكون له أعذار في ارتكاب ذلك في خاصة نفسه ولا يلزمه ان يبين عذره فيما وقع منه (وقد) قال مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى (واذا) كان كذلك فلا يجوز أن يقتدى به في هذا وما شاكله اذ أن اتباع لسان العلم والمتعين على الناس عموما وخصوصا (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول اني لا أتكلم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهي انهم ينسبون كثيرا من الشريعة الى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لا يدخله الا الافذاذ اذ ليس هذا زمان الورع غالبا وما يتعللون به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبط عن بركة الاتباع (والقسم الثاني وهو غير المعتقد

يقول هذا يابس مشدد مربوط يشير بكلامه وحاله الى ان غيره على الباطل وهو على الحق والطريق المستقيم (وكلامهم) هذا يرده ما ورد فى الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء من أمتى قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وفى رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى (وروى) أبو داود فى سننه عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم اذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم قالوا يا رسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا يا رسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا اه والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة والله الموفق

(فصل) ثم ان غالب حالهم ان اعتقادهم يدور بين أمرين (فمنهم) من يكون اعتقاده شهوة فيعتقده مدة ثم ينحل عن اعتقاده (ومنهم) من يدوم اعتقاده لكن يزيد فى اعتقاده ويتغالى فيه فيقول هذا بدل هذا قطب كما تقدم وكذلك يقولون فى حق غيره فيتناقض قولهم اذ أن القطب انما هو واحد وهو أعز من ان يجتمع به الا الواحد من الافذاذ ومع ذلك قل من يعرفه لان صفته كما قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله فى كتاب الانوار له والله سبحانه وتعالى يدير القطب فى الآفاق الاربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك فى أفق السماء وقد سترت أحوال الغوث وهو القطب عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه غير أنه يرى عالما جاهلا أبله فطنا تاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا اه (ومنهم) من اذا حصل له اعتقاد فى شيخ بعينه نقص غيره أو فضله على غيره ويقع بسبب ذلك شنآن بين أصحابهم ومن ينتمون اليهم حتى انهم ليرجعون أحزابا ويهجر بعضهم بعضا لعدم تسليم كل واحد منهما لصاحبه كما تقدم (وقد) حدثنى بعض الفقراء ممن كان يحضر مجلس سيدى أبى محمد المرجانى رحمه الله أنه كان يسمعه وهو يعظم سيدى أبا محمد بن أبى جمرة رحمه الله فكان هذا الفقير يقول فى نفسه ما هذا الا رجل كبير القدر مثل هذا السيد يعظمه قال

179

فضيت يوما اليه حتى أراه فدخلت الى المسجد وهو يتكلم في الدرس والقارئ يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله فتبجحت وقلت في نفسي امثل هذا يكون أفضل من سيدي أبي محمد المرجاني فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الي ونظر لي ثم رجع يتكلم فيما كان بسبيله فقال في أثناء كلامه ينبغي للفقير اذا دخل على الشيوخ ان لا يفضل من تلقاه نفسه شيخا على غيره يا مسكين هذا الذي تفضله لو سألته عمن فضلته عليه كان جوابه ان يقول هو بركتي وهو كذا وكذا ارجو من الله تعالى ان ينفعني به الى غير ذلك فرب ساكت أفضل من ناطق فيجيء أحدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له أجاءك أحد من عند الله تعالى وأخبرك ان فلانا عنده أفضل من فلان فهذا من قلة الأدب والاحترام فتب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى ان أحدكم يحرم العمل حتى يحرم الاعتقاد ما هذا المحال قال فبقيت أتوب وأستغفر الله لعله يسكت فما سكت الا بعد حين أو كما قال (واذا كان) ذلك كذلك فلا ينبغي ان يفضل بين شيخين الا بأحد أمرين بأن يكون أحدهما أكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر أو يكون الذي يفضل أعلى مقاما منهما فيكشف عليهما الان من هو في مقام يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لان النبي صلى الله عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على مقامه الخاص أحد منهم (ولا) يرد على هذا كون المريد يعظم شيخه ويؤثره على غيره ممن هو في وقته لان تعظيمه له انما هو من جهة ان الله تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من رزق في شيء فليلزمه وقال في حديث آخر جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ولا شك ان الاحسان بما يبقى هو أفضل وأعلى من الاحسان بما يفنى وحقيقة المريد مع شيخه ان الشيخ وجده غريقا في بحر التلف فأنقذه وخلصه منه وأوقفه بباب ربه سبحانه وتعالى ولا احسان أعظم من هذا الاحسان ووجه آخر وهو محبة المريد لطاعة ربه عز وجل فلما أن رأى عند شيخه ما حببه التزمه لحبوبه الذي وجده عنده (وقد) كان بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه ويؤثره بالخدمة له فعذله بعض

الناس على التزام خدمته له وهو لا يعطيه شيئا فكان جوابه أن قال محبوبي عنده (وقيل) لآخر أيضا وقد رآه واقفا بباب عدوه فعذله في ذلك فأخبر بما تقدم وهو أن محبوبه عنده والمريد بنيته وخاطره وكليته راغب في طاعة ربه عز وجل متسبب في الوصول اليه فاذا رأى من هو مثله أو ارفع منه قد أحكم الطريق وعرفها أحبه والتزمه وأنس به لما حصل عنده من المحاسن الجميلة (فالحاصل) من هذا انه بعظمه لما خلع الله عز وجل عليه من الخلع السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى (ومنهم) من يظهر له شيء من الكرامات فيغتر بها فيتلف حاله بسببها (ومنهم) من يسلم بواسطة أحد من الاولياء كما جرى لبعض المريدين بمدينة فاس أنه بات ليلة في زاوية خارج البلد فطلع على سطح الزاوية في ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له ان يجرب نفسه في الطيران هل يقدر عليه أم لا فجرب نفسه فطار في الهواء فدخل البلد من اعلى سورها وهو طائر فقال اي موضع اقصده فوقع له ان يأتي الى زيارة بعض الاكابر من المشايخ في وقته فاتى الى باب داره ونزل فدق الباب فخرج اليه الشيخ فقال له من انت فقال فلان فقال له ما وجدت شيئا تأتيني به الا بهذه الكرامة والله لا كلمتك بعدها ابدا فأدبه بذلك وكان سبب اجتماعه على ربه عز وجل وسلامته او كما جرى (ومثل) هذا ما حكي عن بعض المريدين انه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا له هو في عافية فارسل خلفه فحضر فسأله ما الموجب لانقطاعك فقال ياسيدي كنت اجيء لكي أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعوا الى الحضور فسأله عن كيفية وصوله فاخبره انه في كل ليلة يصلي ورده في الجنة فقال له الشيخ يا بني والله ما دخلتها ابدا فلعلك ان تتفضل علي فتأخذني معك لعلي ان ادخلها كما دخلتها انت قال نعم فبات الشيخ عند المريد فلما ان كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المريد للشيخ هذا الطائر الذي يحملني في كل ليلة على ظهره الى الجنة فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر فطار بهما ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر فقام المريد ليصلي وقعد الشيخ فقال له المريد ياسيدي اما تقوم الليلة فقال الشيخ يا بني الجنة هذه وليس في الجنة صلاة فبقي المريد يصلي والشيخ قاعد فلما ان طلع الفجر

جاء الطائر ونزل فقال المريد للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ اجلس ما رأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها فجعل الطائر يضرب بأجنحته ويصيح حتى أراهم ان الارض تتحرك بهم فبقي المريد يقول للشيخ قم بنا لئلا يجري علينا منه شئ فقال له الشيخ هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقيا كذلك الى أن تبين الضوء واذا هما على مزبلة والعذرة والنجاسات حولهما فصفع الشيخ المريد وقال له هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان اليها قم فاحضر مع اخوانك أو كما جرى (وحكاياتهم) في هذا المعنى قل ان تنحصر (والحاصل) منه ان الشيطان لا يترك أحدا ولا ييأس منه الا بعد خروج روحه وأما قبل ذلك فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها وقد تقدم بعض هذا (واذا كان) ذلك كذلك فيتعين على المريد أن لا يدعي حالا ولا مقاما خيفة أن يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان ابتداء (وكثير) من الناس في هذا الزمان ممن ليس له رسوخ في الطريق بل بعضهم مغموس في الجهل ويدعي أنه من الشيوخ الموصلين الى الله وليس له ذوق في طريق القوم بالكلية بل عكسه أسأل الله السلامة بمنه (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا في مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر مكشوف الرأس زمنا طويلا وربما كان معتل الدماغ فتأخذه نزلة سيما ان كان في وقت البرد وقد يؤول الامر من ذلك الى الموت أو الى أمراض خطرة قد تطول عليه المدة بالعلل (ثم ان بعضهم) زاد على ذلك أن يفعله بمشهد من الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم لبعض فانما يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يخالطهم غيرهم لانهم كما قيل لا يطلع عليهم الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم أعني من أصحاب الخرقة دون غيرهم (ويزيد) بعضهم على الاقدام ويقف طويلا بها ينتظر اقبالهم عليه (وبعضهم) يبالغ في هذا المعنى فيأمر بكشف رأس الجاني على زعمه وضربه بالجماجم والجريد وغيرها وهذا قبيح وشناعة أن ينسب هذا لمن يدعي الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة اذ أنها مبنية على الصفح والتجاوز والاغضاء ما لم يكن في أمر الدين فان كان في أمر الدين فيكفي فيه الهجران لا غير

الجماجم جمع جمجم وهو المداس معرب اه

وفيه مقنع للجاني والمغفل عليه وغير هذا ليس من السنة في شيء (وطريقهم) انهم اذا وقع أحد منهم في مخالفة يطالبونه بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه (ثم زاد) بعضهم على ذلك اعتقادهم انه من طريق القوم الصادقين (وقد) تقدم كيفية ما يفعله الصادق منهم مع اخوانه اذا اطلع على شيء من المكروه الذي وقعوا فيه وأنه يتوجه الى الله تعالى في انقاذ من وقع منه ذلك (وينبغي أن تكون المطالبة للشيخ آكد من المطالبة للمريد لان بغفلة الشيخ عنه جرى عليه ما جرى فلو كان الشيخ يلحظه لما قدر على ذلك في الغالب (الا ترى) الى ما جرى لسيدي أبي علي بن المعاط شيخ سيدي أبي محمد المرجاني رحمهما الله تعالى ان بعض أصحابه جاءه وطلب منه اذنا أن يتزوج فأبى عليه ثم جاءه ثانيا فأبى عليه ثم ثالثا كذلك فقال أزني قال اذهب فذهب المريد فأخذ امرأة وجاء بها الى بيته واغلق الباب واذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ فخرج هاربا يسبح في البرية بحال أخذه لا يعرف أين يذهب ثم رجع اليه عقله بعد ذلك فقال من أين أصابني المرض من هناك أتداوى فرجع الى موضع الشيخ فدخل وسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله أقدرت على شيء تفعله أظن انك لنفسك (بل) كثير منهم لا يفعلون أن يروا من يتقي اليوم في ذرة مما لا ينبغي (الا ترى) الى ما حكي عن بعضهم انه راى بعض أصحابه في الصف الاول يوم الجمعة فقال له مالي اراك ههنا فقال له لاجل فضيلة الصف الاول والقرب من الخطيب فقال له اما تعلم ان البعد من هؤلاء القوم أقرب الى الله تعالى من القرب منهم اه (وما) ذاك الا لمشاهدة ما الشرع بأمر بتغييره عليه (واقل) ما يمكن في التغيير ان لا يرى شيئا يخالف السنة حتى يتعين عليه التغيير بالقلب اذ أن اصعب ما في التغيير التغيير بالقلب لان الغالب على القلب تدنيسه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل ان يتأثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتغيير بالقلب وان كان دون المرتبتين اللتين قبله فهو اصعب منهما بهذا الاعتبار فتأمله (وما) ذاك الا لتأنيس القلوب غالبا بالعوائد المستمرة (الا ترى) الى ما حكي عن بعضهم انه قال اول بدعة رأيت بها الدم وقد تقدم ذلك (وقد ورد) ولوا البدع ناهوكم وكذلك ورد من لم يزل المنكر فليزل عنه (فكيف) يقبل المكلف على شيء

من ذلك أو يصغى اليه واما ان فاجاه ذلك وعجز عن التغيير فالتخلص منه أقرب وأيسر (لما ورد) فمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكر ثلاثا اه ثم ليمض لسبيله ويعرض عنه

(فصل فى مكاتبة الفقير لاخيه) وينبغى له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس فى مكاتبة بعضهم لبعض بالالفاظ التى احتوت على التزكية والتعظيم والكذب والتملق والتوافق والسجع والعبارات القلقة والتكلف اذ ان ذلك لا يجوز (الا ترى) ان كتب السلف رضى الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا (فمن ذلك) كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى من يكاتبه من ولاته من عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة بن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص وكتبهم له من أبى عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خوصفوه بالصفة اللازمة له (فان قيل) قد كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم (فالجواب) ما قاله القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله فى سراج المريدين له ان معنى كتب النبى عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أى الذى يعظمه الروم وتعظيم الروم له باطل ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه النبى صلى الله عليه وسلم به اه (وعلى هذا) درج السلف والخلف رضى الله عنهم (وتعظيم) هذه الطائفة اياهم بالقلوب لا بالقلقة من الالسن كما هو الحال فى هذا الزمان فهذه بعض شيء يستدل بها على ما عداها (واما) طريق كثير من الفقراء المسافرين أعنى غير المحققين منهم فلهم اصطلاحات وهو لقد قل أن تجد ذلك مجتمعا فيها سبيلا (فمن ذلك) ما كانوا يوجبونه على من يريدون أخذ شيء له وغيرها من مطالبات كثيرة يعدونها شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع فى الشرع الشريف (لقوله) عليه الصلاة والسلام لا يحل مال امرئ مسلم الا من طيب نفس منه وهم يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكافون من كان فقيرا الى المسئلة بالالحاح وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم فى الضيافات والاجازات وأحوالهم فى هذا المعنى قل ان تقصر وفيما ذكرته تنبيه على ما عداه والله الموفق

(فصل فى صرف همم المريد كلها الى الآخرة وأمورها) وينبغى له أن يكون أهم الامور عليه وآكدها عنده أمور الآخرة اذ انه مصيره اليها فيتعين عليه ايثارها ولا يعبأ بغير ذلك الا من طريق الامتثال لان غير أمر الآخرة منقطع زائل وما هو كذلك فأمره أقرب وأيسر من الدائم الذى لا ينقطع (ألا ترى) الى حال النبى صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ما وصف الواصف متواصل الاحزان (وقد) كان الحسن البصرى رضى الله عنه قد غلب عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدم للقتل على ما نقل عنه (وكان) يقول أعجب من يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم فى أى ديوان اسمه هل فى الجنة أو فى النار (وقد) سأل رجل احمد بن حنبل رحمه الله ان يعظه فقال له الامام احمد ان كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كان سؤال منكر ونكير حقا فالانس لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمانينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضائه وقدره فالحزن لماذا (وقد قالت) رابعة العدوية لرجل رأته مهموما ان كان همك من أمر الآخرة فزادك الله هما وان كان من أمر الدنيا ففرج الله همك (وقد) أنشد بعضهم فى هذا المعنى فقال

لا تجزعن اذا ما الامر ضقت به * ذرعا ونم وتوسد خالى البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

(فصل) هذا ما تيسر من الكلام على آداب المريد وينبغى ان نختمه بذكر شئ من أحوال النبى صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر آثاره وأحواله ولكى يكون سلما للمريد فى اتباعه عليه الصلاة والسلام فى تصرفاته وحركاته وسكناته واشاراته (فمن ذلك) ما ذكره الباجى رحمه الله فى كتابه المسمى بسنن الصالحين وسنن العابدين قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان وكعب الاحبار قريب منهما فقال أحدهما لصاحبه انى رأيت فى المنام كأن الناس جمعوا يوم القيامة فرأيت النبيين لهم نوران ونور ان ولاتباعهم نور نور قال ورأيت النبى صلى الله عليه وسلم ما من شعرة فى جسده

ولا راسه الا وفيها نوران ورايت اتباعه لهم نوران نوران فقال له كعب اتق الله وانظر ماذا تحدث به فقال انما هي رؤيا رايتها فقال كعب والذي نفسي بيده انه في كتاب الله المنزل لكما ذكرت (ومنه) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بابي أنت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي أنت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي أنت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بابي أنت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله واطعنا الرسول بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك بأعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابي أنت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود اعطاه الله ريح اغدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك بأعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي أنت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله تعالى احياء الموتى فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مسمومة فقالت لا تاكلني فاني مسمومة بابي أنت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي أنت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في احداث سنك وقصر عمرك عالم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابي أنت وامي يا رسول الله لولم تجالس الا كفؤالك ما جالسناك ولولم تنكح الا كفؤالك

ما فكحت الينا ولو لم تؤاكل الا كفؤا لك ما آكلتنا ولبست الصوف
وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى
الله عليك (ومن كتاب) التفسير للطبري رحمه الله كان النبي صلى الله عليه
وسلم يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنف من ملبس يلبس ما وجده
مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف (وكان) يلبس النعال السبتية
ويتوضأ فيها وكان لنعليه قبالان وأول من عقد عقدا واحدا عثمان وكان
أحب اللباس اليه الحبرة وهي برود اليمن فيها حمرة وبياض (وكان) أحب
اللباس اليه القميص وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة كان أو قميصا
ورداء ويقول اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ
بك من شره وشر ما صنع له (وكان) يعجبه الثياب الخضر (وكان) يلبس
الكساء الصوف وحده فيصلي فيه وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره
ويعقد طرفيه بين كتفيه ويصلي فيه (وكان) يلبس القلانس تحت العمائم
ويلبسها دون العمائم ويلبس العمائم دونها ويلبس القلانس ذات الآذان
في الحرب وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة بين يديه وصلى اليها وربما مشى
بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء راجلا يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة
(وكان) يعتم ويسدل طرف عمامته بين كتفيه (وعن علي) رضي الله عنه انه
قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وسدل طرفها بين كتفي
وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين (وكان) يلبس يوم
الجمعة برده الاحمر ويعتم (وكان) يلبس خاتما من فضة فصه منه نقشه محمد
رسول الله في خنصره الايمن وربما لبسه في الايسر ويجعل فصه مما يلي بطن
كفه (وكان) صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة
(وكان) يقول ان الله تعالى جعل لذتي في الدنيا النساء والطيب وقرة عيني
في الصلاة (وكان) يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى وبيصه في مفارقه
ويتبخر بالعود ويطرح فيه الكافور (وكان) يعرف في الليلة المظلمة بطيب
ريحه (وكان) صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد في كل ليلة ثلاثا في كل عين
وربما اكتحل ثلاثا في اليمنى واثنتين في اليسرى وربما اكتحل وهو صائم
(وكان) يقول عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر (وكان) يكثر دهن

الحبرة كعنبة اه

الوبيص البريق وزنا ومعنى اه

183

رأسه ولحيته (وكان) يترجل غبا (وكان) ينظر في المرآة وربما نظر في الماء في ركوة في حجرة عائشة وسوى جمته (وكان) لا تفارقه قارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخصف نعله (وكان) يستاك بالاراك وكان اذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك ويستاك في الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولورده عند الخروج لصلاة الصبح (وكان) صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو محرم بمكة على ظاهر القدم (وكان) يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين (وكان) صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا دخل يوما على أم سليم وقد مات نقر لها من بني أبي طلحة فقال له يا أبا عمير ما فعل النغير وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل فقال أحملك على ولد الناقة فجاءته امرأة فقالت يا رسول الله ان زوجي مريض فقال اعلمي زوجك الذي في عينيه بياض فرجعت المرأة وقضت حين زوجها التنظر اليها فقال مالك فقالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في عينيك بياضا فقال وصك وهل أحد الا وفي عينيه بياض وجاءته أخرى فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم أخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا (وقالت) عائشة رضي الله عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني ثم ضرب كتفي وقال هذه بتلك (وجاء) صلى الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فوضع يده على عينيه وما كان يعرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال من يشتري هذا العبد فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول اذن والله تجدني كاسدا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا (ورأى) رسول الله صلى الله عليه وسلم حسينا مع صبية في الطريق فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وطفق الحسين يفرها يا ههنا وههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل احدى

قوله نغر بوزن صرد طائر كالعصفور احمر المنقار اه

يديه تحت ذقنه والاخرى فوق رأسه (وكان) صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة والجوارى يلعبن عندها فاذا رأينه تقرقن فيسيرهن اليها (وقال) لها يوما وهى تلعب بلعبتها ما هذه يا عائشة فقالت خيل سليمان بن داود فضحك وطاب الباب فابتدرته واعتنقته فقال مالك يا حميرا فقالت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ادع الله ان يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فرفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه فقال اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ولا تكسب بعدها خطيئة ولا اثما ثم قال صلى الله عليه وسلم أفرحت يا عائشة فقالت اى والذى بعثك بالحق فقال أما والذى بعثنى بالحق ما خصصتك بها من بين أمتى وانها الصلاة لامتى بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقى ومن هو آت الى يوم القيامة وأنا أدعولهم والملائكة يؤمنون على دعائى (وكان) عليه الصلاة والسلام يكرم ضيفه ويبسط رداءه له كرامة وجائته ظئره التى أرضعته يوما فبسط لها رداءه وقال مرحبا بأمى وأجلسها عليه (وكان) أكثر الناس تبسما وأحسنهم بشرا مع انه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة لا يمضى له وقت فى غير عمل لله أو فيما لا بد له أو لاهله أو لامته منه وما خير بين شيئين الا اختار أيسرهما الا ان يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه (وكان) يخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ويركب الفرس والبغل والحمار ويردف خلفه عبده أو غيره ويمسح وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردائه (وكان) يتوكأ على العصا وقال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء (ورعى الغنم) وقال ما من نبى الا وقد رعاها (وعق) صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد ما جاءته النبوة (وكان) لا يدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بحلق رأسه يوم السابع وان يتصدق عنه بزنة شعره فضة (وكان) يحب الفأل ويكره الطيرة ويقول ما منا الا من يجد فى نفسه ولكن الله يذهبه بالتوكل (وكان) اذا جاءه ما يحب قال الحمد لله رب العالمين واذا جاءه ما يكره قال الحمد لله على كل حال (واذا) رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين (وروى فيه) الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا (واذا) عطس خفض صوته واستتر بيده أو بثوبه

وحده الله (وكان) صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة (واذا) جلس في المجلس احتبى بيديه (وكان) يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة (وكان) ينام أول الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتي فراشه فاذا سمع الاذان وثب قائما فان كان جنبا أفاض عليه الماء والا توضأ وخرج الى الصلاة (وكان) يصلي في سبحته قائما وربما صلى قاعدا قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان اكثر صلاته جالسا (وكان) يسمع بجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو في الصلاة (وكان) يصوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلما يفطر يوم الجمعة واكثر صيامه في شعبان (وكان) صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظارا للوحي (واذا) نام نفخ ولا يغط غطيطا (وكان) اذا رأى في منامه ما يروعه قال هو الله ربي لا شريك له (واذا) أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك (وكان) يقول اللهم باسمك أموت وأحيا (واذا) استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور (وكان) صلى الله عليه وسلم اذا تكلم يبين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثا التعقل عنه (ويخزن) لسانه ولا يتكلم في غير حاجة (ويتكلم) بجوامع الكلم فصلا لا فضولا ولا تقصيرا (وكان) يتمثل بشيء من الشعر وكان يتمثل بقول بعضهم ويأتيك بالاخبار من لم تزود (وكان) صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة (وما عاب) صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان لم يشته تركه (وكان) لا يأكل متكئا ولا على خوان يأكل الهدية ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يتأنف في مأكل يأكل ما وجد ان وجد تمرا أكله وان وجد خبزا أكله وان وجد لبنا اكتفى به (ولم) يأكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم (قال أبو هريرة) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والماء (وكان) ينصب على بطنه الحجر من الجوع هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الارض فابى ان يقبلها واختار الآخرة (وأكل) صلى

السبحة بضم فسكون النافلة

الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال نعم الادام الخل (وأكل) لحم الدجاج (وكان) يحب الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان اطيب اللحم لحم الظهر (وقال) كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة (وكان) يعجبه الثفل يعني ما بقي من الطعام (وكان) يأكل باصابعه الثلاث ويلعقهن (وأكل) صلى الله عليه وسلم خبزا الشعير بالتمر وقال هذا ادم هذا (وأكل) صلى الله عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد (وكان) يحب الحلوا والعسل (وكان) صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قائما ويتنفس ثلاثا واذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه (وشرب) صلى الله عليه وسلم لبنا وقال من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه (وقال) صلى الله عليه وسلم ليس شئ يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن اه (زاد) الباجي رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كما وصفه الله تعالى (كان) أحلم الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقبتها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفيراه الليل لم يأو الى منزله حتى يعطيه من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى لا يسئل شيئا الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل انقضاء العام أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد يجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن وتستتبعه الأمة والمسكين فيتبعهما حيث دعواه لا يغضب لنفسه ويغضب لربه عند باطل قدمه يشهد الجنائز أشد الناس تواضعا واسكتهم من غير كبر وأبلغهم من غير عي لا يهوله شئ من أمر الدنيا يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبرلهم يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يحقر ولا على أحد يقبل معذرة المعتذر يخرج الى بساتين أصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله تعالى دعاء مستويا قد جمع الله

الثفل بالضم كالقفل اه

تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والعصاري فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا (قال) الباجى رحمه الله وذكر العتبى قال كنت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسى وجئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى ثم انشأ الاعرابى يقول

يا خير من دفنت فى الارض أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف قال العتبى فغلبتنى عيناى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى يا عتبى الحق الاعرابى فبشره ان الله قد غفر له (ومن) كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة أنا يا رسول الله فأخذ بيدى فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب (ومنه) عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (ومنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء من أمتى قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدى من سنتى

قد تم بحمد الله الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث
اوله الكلام على الميت وما يتعلق به وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

Restored through a grant from

T.S. Matthews '22
in memory of
Juliana Cuyler Matthews

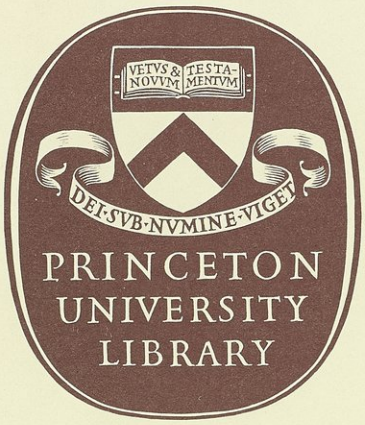



Princeton University Library
32101 072549478